شرح بدء الأمالي

تأليف
الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي
المتوفى سنة ٣٧٠هـ

تحقيق
أبي عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطَبعَة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١٠٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2736-5



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، المعبود فى كل زمان، الذى لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه فى جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير: ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع العليم**﴾ له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿**الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾ ﴿**وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى**﴾.

أحاط بكل شىء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، ووسع كل شىء رحمة وعلمًا.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعد فغى وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

ثم أما بعد فإنه من رحمة الله سبحانه وتعالى، وعظيم لطفه بخلقه، أن جعل الرسالة المحمدية هى خاتمة الرسالات، وجعلها كاملة صافية نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكتب تبارك اسمه، وتعالى جده السعادة فى الدارين، لأتباع هذه الرسالة الذين قدروها حق قدرها، وقاموا بها ورعوها حق رعايتها، وبلغوها على وفق ما أراد الله،

وعلى هدى نبى الله ﷺ، وكتب عز وجل الشقاء والذلة على من حاد عن هذه الشريعة، وتنكب الصراط المستقيم.

وعلم التوحيد هو الذى يستبين من بين كلماته بل وحروفه المصدقين لما جاء به الكتاب والسنة، من المكذبين إخوان الشياطين من المجسمة، والمعطلة والمتأولة للأسماء والصفات الذين أصلوا أصولاً ظنوها حقًا فدفعوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا فى ذلك الدفع بشبه واهية، وخيالات مختلة وهؤلاء طائفتان:

الأولى[1]: هى الطائفة التى غلت فى التنزيه، فوصلت إلى حد يقشعر منه الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتا أوضح من شمس النهار، وأظهر من فلق الصباح، وظنوا أن صنيعهم هذا موافقًا للحق، مطابقًا لما يريده الله سبحانه، فضلوا عن الطريق المستقيم، وأضلوا من رام سلوكها.

والأخرى: هى الطائفة التى غلت فى إثبات القدرة غلوًا بلغ إلى حد أنه لا تأثير لغيرها، ولا اعتبار بما سواها، وأفضى ذلك إلى الجبر المحض، والقسر الخالص، فلم يبق لبعث الرسل، وإنزال الكتب كثير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة، وجاءوا بتأويلات للآيات البينات، ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الأولى فى الضلال والإضلال، مع أن كلا المقصدين صحيح، ووجه كل منهما صبيح، لولا ما شانه من الغلو القبيح.

وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون، وظنت أنها وقفت بمكان بين الإفراط والتفريط، وأغلب ظنى أن المصنف من هذه الطائفة الثالثة، فإنه وإن كان من الأحناف يحكى عقيدتهم وهى عقيدة أهل السنة والجماعة إلا أنه خلط بينها وبين علم الكلام المذموم، فتوسط الاعتقاد فى كثير من المسائل، مثل مسألة الإيمان؛ فهى عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص، وعند المعتزلة منزلة بين المنزلتين، فتوسط المصنف ونفى المنزلة بين المنزلتين، وكذلك نفى كون الإيمان يزيد وينقص، وسيأتى ذلك فى موضعه إن شاء الله.

---

(١) انظر «الرسائل السلفية» للشوكانى (ص ٥٦).

وسيتضح للقارئ وهو بين طيات الكتاب، أن النظر والعقل، وهو التأمل والتفكر والتأويل والاستنباط، هى طريقة المصنف فى النفى والإثبات على طريقة التوسط كما قلنا، فتارة يستدل بظواهر الكتاب والسنة وهو قليل، وتارة يسير على طريقة الكلاميين المتفلسفة.

ونحن نقول إحقاقًا للحق: إن هذا الكتاب من الذخائر النفيسةْ، ومن التراث الذى نحمد الله أن جعله بين أيدينا، إلا أن لكل عالم زلة، ولكل جواد كبوة.

فاللهم أجز كاتبه بحسنات هذا الكتاب ذخرًا فى الآخرة واغفر لزلاته آمين.

لذا فإنا نحذر القارئ من هفوات تخالف عقيدة جمهور أهل السنة والجماعة، ونعرفه أن مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم وهو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشىء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى إليه كثير من التأويل، وكانوا إذا سأل سائل عن شىء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلم ولا أذن الله لنا مجاوزته فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع فى بدعة من البدع التى هى غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله ﷺ وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين(١).

فالحذر الحذر من مخالفة الجماعة، واتباع الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فإنها عقبة كئود لا يصعد إليها إلا من لا يبالى بدينه ولا يحرص عليه؛ لأنه مبنى على شفى جرف هارٍ، وعلى ظلمات بعضها فوق بعض.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيرًا، قال: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، ومعونة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا النظر فى رأى من خالفها، فمن خالفها، واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا».

* * *

---

(١) المرجع السابق.

بين يدى الكتاب

هذا عرض سريع لمحتويات الكتاب يوضح فى عجالة المسائل التى وضعها المصنف، ويعتقدها، ونود أن نشير إلى أننا لم نورد أى تعليقات على مسائل واعتقادات المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وغيرهم، واكتفينا بردود المصنف حفاظًا على هوية الكتاب، ولم تكن تعليقاتنا على المصنف إلا فى بعض المسائل التى خالف فيها جمهور أهل السنة، وزعم فيها أنها عقيدة أهل السنة، وليست كذلك.

وكذلك علقنا على المسائل التى ساقها المؤلف، وبيَّن أنها قطعية، وهى فى الحقيقة مسائل خلافية، ولم تكن تعليقاتنا إلا للحفاظ على عقيدة أهل السنة والجماعة ما استطعنا، وبالله التوفيق.

وتتلخص محتويات الكتاب فيما يلى:

١ - كان واضحًا فى مقدمة الكتاب أن المصنف يجل علم الكلام وقال: إنه أهم وأعظم العلوم، وسيتضح لك بين صفحات الكتاب أن النظر والعقل وهو التأمل والتفكر والتأويل والاستنباط، هى طريقة المؤلف فى النفى والإثبات على طريقة الكلاميين.

٢ - اعتقاده فى الإيمان أنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان فقط.

٣ - رده على من جوز الاستثناء فى الإيمان وتكفيره من قال بذلك، وقد أصاب وأوجز، وكنا نريد أن نؤيده ببعض أقوال العلماء فى هذ المسألة مثل ما فى «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/٤٩٤) وما بعدها، وكذلك «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٧/٤٢٩: ٤٦٠)، إلا أننا خشينا الإطالة، حفاظًا على هوية المؤلف وآرائه ما دامت موافقة لعقيدة أهل السنة، وحتى لا يعتقد أننا شراح للكتاب، وإنما حسبنا هنا بيان ما هو مبهم من قوله، وإيضاح مخالفته فى بعض المسائل لجمهور أهل السنة الذى يقول: إنه ينتمى لهم ويجمع اعتقادهم فى هذا المصنف.

٤ - إثباته معرفة الله بالسمع والعقل.

٥ - ثم ربطه بين معرفة الله والخوف من الخاتمة؛ لأن من لم يعرف الله لم يخش الخاتمة، وخوف الخاتمة هو اجتناب المعاصى، قال: لأنه أغلب ما يسلب الإيمان عند المعاينة لأجل الأعمال الخبيثة، ثم تكلم عن الاستطاعة.

٦ – رده على الجبرية فيما نسبوه إلى الله، وعلى القدرية فيما نسبوه إلى العبد، ونفوه عن الله من الفعل.

٧ – بيانه نفى السبق لصفة من صفاته على الأخرى، الأزلية والأبدية، والفعلية، والذاتية، ولم يفرق فى بعض الحالات بين الصفات الذاتية والفعلية؛ لاعتقاده أن الفعل المتعلق بالمشيئة محدث، والمحدث لا يكون صفة للقديم، وسيأتى بيان ذلك فى موضعه.

٨ – تأويله لبعض الأسماء والصفات وصرفها عن ظاهرها، كصفتى الرضا والغضب، ورأيته ينكر ذلك على غيره، حتى أنه يصفهم بالزندقة والسفسطة والبدعة وسيأتى التعليق على ذلك فى موضعه إن شاء الله.

٩ – اعتقاده أن الكسب فريضة كالصلاة، وسيأتى رده بتعليقنا.

١٠ – رده على من احتج بالقدر، وقوله بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه من الله خيره وشره.

١١ – الإيمان بأن أفعال العباد كلها مخلوقة، وأن الإرادة مطابقة لعلم الله خيرًا كان أو شرًا، إلا أنه لم يبين أن ما سبق فى علم الله وأراده أمر به وهو الخير، ونهى عنه وهو الشر، وربما أراد أن يخالف اعتقاد المبتدعة القائلين بأن الإراده مطابقة للأمر، فكل ما أمر الله تعالى به فقد أراده، وكل ما نهى عنه فقد كرهه، كما ذكر عنهم، وسيأتى فى موضعه مذهب أهل السنة والجماعة فى الإرادة.

١٢ – استرسل المصنف فى الرد على الجبرية، والقدرية والمعتزلة فى مسألة القدر، والمشيئة، وذكر بعض مقالاتهم، وبين معنى الجبر، ثم أثبت أن العبد غير مجبور إجبارًا يريد الفعل، وليس بمستغن يقدر على الإيجاد، وهذه العبارة هى خلاصة كلامه فى هذه المسألة.

١٣ – اقتصر على إثبات فرضية، ووجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الأمة، دون أن يفرق بين الكفاية والعين، ولم يبين شروط افتراضها على الواحد والجماعة وما هى درجات إنكار المنكر؟ وذكر بعض الأدلة على عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال: إن منكره جبرى ومنافق، ورد على الجبرية والفلاسفة القائلين بعدم وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١٤ - ثم تكلم بإيجاز عن الهجرة، وذكرنا بتعليقنا أنواع الهجرة.

١٥ - ثم عاد فتكلم عن الصفات وأنها مختصة بذاته لا هو ولا غيره.

١٦ - ثم تكلم عن الصفات الذاتية، والفعلية بكلام يوجب التفريق بينهما، فأجاز أن يقال: قادر بقدرته عالم بعلمه، ولم يجز أن يقال: خالق بخلقه.

١٧ - ثم تكلم عن النهى عن الملاهى واستماع آلات الطرب، وأن الله إنما خلق الخلق للطاعة والعلم والشهادة.

١٨ - ثم ذكر أن الله شىء من غير تعرض للعدم والحدوث، ليس كمثله شىء من الأشياء لا تحويه الجهات الست ثم نفى أن يكون الله سبحانه فى العلو أى فى السماء.

وقد ذكرنا مذهب أهل السنة فى مسألة العلو بتعليقنا.

١٩ - ثم تكلم عن التسمية والاسم والمسمى والصفة والموصوف، وخلاف الناس فى هل الاسم هو المسمى أم لا؟ ثم جاء بست تقسيمات للصفة، وللاسم أيضًا فكانت واضحة المعنى دقيقة المدلول.

٢٠ - ثم انتقل إلى الصفات مرة أخرى فقال: إن التكوين صفة الخالق وهى صفة أزلية قبل المكون.

٢١ - ثم بسط أقوال الناس فى الجوهر والجسم والعرض وبين أن الله ليس بجوهر، وهو سبحانه خالق الجواهر، وكان بيانه واستدلالاته على طريقة الكلاميين والفلاسفة.

٢٢ - واسترسل فى كلامه بنفس الطريقة فتكلم عن الجسم هل هو الأجزاء المجتمعة المتركبة؟ وقال: إنه قول عامة أهل الحق، وإثبات أن الهواء جسمًا، وسرد مقالات الناس عن الروح وقال: هى من أمر الله، وقال: ومن قال: هى أمر الله، فقد كفر، وقد أحسن القول فى تلك المسألة، والله الموفق للحق.

٢٣ - ثم ذكر القرآن وقال: إنه كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته، وقال بقول أهل السنة إلا أنه نحى نحو الكلاميين كعادته، ودمج بين مذهبهم ومذهب أهل السنة، فخرج لمذهب آخر نسبه لأهل السنة وما هو بمذهب أهل السنة، فقال فى بعض المواضع: إنه عبارات دالة على كلام الله، وقال: إنه دلالات على كلام الله تعالى، وهاتان العبارتان

ليستا من عبارات أهل السنة والجماعة، بل وقال: إن جبريل عليه السلام لم يسمعه من الله سبحانه وتعالى، بحرف وهجاء، وكذلك موسى عليه السلام.

٢٤ - ثم انتقل إلى مسائل العرش، والاستواء، والعلو فنفى أن يكون للعرش مكان، أو كان له مكان، ونفى كون الله على عرشه، وأنه سبحانه وتعالى ليس فى السماء، وقد نقلنا نقولاً من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة تنقض اعتقاده، واعتقاد من زعم أنه يرد عليهم كالمعتزلة وغيرهم من الفرق المبتدعة الضالة.

وكذلك نفى عن الله المجيء والنزول، وأولها بإتيان الأمر ونزول الرحمة وقد صرح بطريقته التى يسلكها المخالفة لأهل السنة، وهى عدم العمل بظاهر الآيات والأخبار ما دامت محتملة للتأويل، وأخذ فى إثبات الصانع وصفاته من باب العقليات، وقد أوضحنا بتعليقنا فساد مذهبه ومخالفته لأهل السنة، وما هى طريقة أهل السنة فى النفى والإثبات، وبينا الفرق بين التفسير والتأويل وغير ذلك.

٢٥ - ثم ساق المؤلف الكثير من الأدلة العقلية لنفى المماثلة عن الله، والشبيه، والنظير، ونفى الوالد والولد والصاحبة والناصر وغير ذلك مما لا يليق أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى.

٢٦ - ثم ذكر أن الله سبحانه يميت الخلائق كلهم، وهو حى لا يموت، وذكر أحوال الأموات والقيامة، والجزاء وذكر بعض ما يعتقده أهل البدع خاصة المعتزلة فى محشر الحيوانات والطيور والبهائم، وذكر أنهم قالوا ببقائها خلافاً لأهل السنة وغير ذلك.

٢٧ - ثم تكلم عن الجنة والنار وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان، ورد قول المعتزلة القائل بفنائهما، وذكر فى هذا الباب أن أهل السنة لا يحكمون على معين بجنة ولا نار إلا الأنبياء وما شهدوا له، أما الحكم على الأنواع فجائز.

٢٨ - ثم أثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، والأدلة على ذلك، ورد قول من نفى الرؤية.

٢٩ - ثم تكلم عن أفعال العباد وأنها مخلوقة وأن الصالح للعبد منها ليس بواجب على الله، ولكنه فضل ومنة منه سبحانه.

٣٠ - ثم تكلم عن وجوب الإيمان بالرسل والملائكة، إلا أنه حد لهم عددًا، دون دليل، وقد ذكرنا القول الصحيح بتعليقنا، ونفى وجود نبوة بعد النبى ﷺ وقال بوجوب توبة مدعى النبوة، أو وجوب قتله.

وكذلك كفر من ادعى علم الغيب، وكفر من استمع له، وصدقه، ثم أتى بدلائل على إثبات نبوة محمد ﷺ، وأهمها القرآن العظيم، وما أيده وميزه به الله عن غيره فى الدنيا والآخرة.

٣١ - ثم قال: إن خواص بنى آدم أفضل من خواص الملائكة وعوام بنى آدم أفضل من عوام الملائكة، ونسب هذا القول لأهل السنة وهو مردود وسيأتى بتعليقنا، وأصح ما قاله فى هذا الفصل هو تفضيل رسول الله ﷺ على كل نبى ورسول قبله وهو ثابت كما سيأتى إن شاء الله.

٣٢ - ثم ذكر اللوح المحفوظ، وأن الله يبدل السعادة شقاوة بأفعال الأشقياء، ويبدل الشقاوة سعادة بأفعال السعداء، ثم ذكر نسب وكنية وفضل النبى ﷺ، وأن له حوض يسقى منه أمته يوم القيامة، وبين أن الطريق الموصل إلى الحوض هو حب رسول الله ﷺ، والسمع والطاعة والأخذ بسنته والتمسك بشريعته، وعدم مخالفة الجماعة.

٣٣ - ثم تكلم عن وجوب صلاة الجماعة، والصلاة خلف كل بر وفاجر، وطاعة الأمراء والسلاطين، وإن ظلموا، وعدم الخروج عليهم لما فيه من فساد وسفك الدماء وانتهاب الأموال.

وقال: لا يجوز الخليفة إلا من قريش، والأفضل أن يكون هاشميًا، وأنه لا يجوز تولية حاكمين فى مصر واحد إلا إذا تباعدا لحاجة الناس إلى ذلك، ثم أقحم فى هذا الباب مسائل فى الفروع كرفع اليدين فى الصلاة، والتيمم، والمسح، والقصر، والصوم، والإفطار فى السفر، والغيبة والنميمة وغض البصر، والنكاح، والطلاق الثلاث، وكان يحتاج ذلك منا إلى تعليق، إلا أننا أقلعنا عن ذلك خشية الإطالة، واكتفينا بإشارة إلى أن هذه المسائل خلافية محلها كتب الفقه، وكذلك اكتفينا بالتعليق على مسألتين هما: رفع الأيدى فى الصلاة، والطلاق الثلاث.

٣٤ – ثم انتقل المصنف إلى إثبات الإسراء والمعراج، وأنه حق بالروح والجسد وأن منكره كافر؛ وأن النبى ﷺ رأى ربه بعين قلبه لا بعين رأسه.

٣٥ – ثم تكلم عن الشفاعة وأهمها شفاعة محمد ﷺ ثم جميع الرسل لأهل الكبائر وأثبت الشفاعة للحيوانات والحشرات لمن أطعمهم وكذلك شفاعة الجمادات التى يقام فيها ألوان الطاعات.

٣٦ – عصمة الأنبياء عن الكبائر، وعن الصغائر عمدًا، وفى ذلك نظر وسيأتى إن شاء الله.

٣٧ – ثم ذكر أن الأنبياء كلهم من الذكور وليس نبى أنثى وليس فى الجن أنبياء، وفى هذا نظر بيناه بتعليقنا.

٣٨ – ثم ذكر بعض علامات القيامة الكبرى كنزول عيسى، وخروج الدجال، وغير ذلك.

٣٩ – ثم ذكر كرامات الأولياء وأنها حق وأن نبيًا واحدًا أفضل من جميع الأولياء.

٤٠ – ثم ذكر فضل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين على سائر الصحابة ثم أفضل الأمة بعدهم تمام العشرة، وقال: نسكت عما جرى بين الصحابة، وأبطل قول من ادعى برجعة على مع أهل بيته قبل قيام الساعة، وأوجب حب الصحابة، والعشرة خاصة، وأهل بيت النبى ﷺ وأزواجه وأقربائه وآله، ونذكرهم بالخير.

٤١ – ثم ذكر أن عائشة هى أفضل زوجات النبى ﷺ بعد خديجة، وذكر الخلاف على الأفضلية بين عائشة وفاطمة ورجح عدم الترجيح بينهما، رضى الله عنهن.

٤٢ – ثم قال: إن إيمان المقلد صحيح، وهو مقبول منهم الإيمان الجملة اعتقادًا جازمًا بلا شك من غير دليل عقلى، ونهى عن لعن يزيد، وقال: لا يقبل الإيمان حال اليأس، وفرق بين الإيمان والعبادات.

٤٣ – ثم ذكر أن المسلم لا يكفر بالذنب مهما كانت الكبائر ما لم يستحلها، إنه لا ييأس من رحمة الله لأنه عفو غفور يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك، وأن القاتل العمد

يخرج من النار بسبب التوحيد، وتأول الخلود الذى فى الآية بطول الزمان لا الأبدية؛ لأنه لم يستحله.

٤٤ - ثم قال: إن من نوى الكفر كفر؛ لأنه شك وارتاب، على عكس الهم بالسيئة فهى لا تكتب فإن عملها كتبت سيئة.

٤٥ - ثم قال: من تلفظ بالكفر كفر، وهل يعذر بجهله أم لا؟ وفيه خلاف، ويحبط عمله، ويفرق بينه وبين زوجته، وإلا فوطؤه زنا، وولده من الوطء ولد زنا، فإن جدد إيمانه لم يحبط عمله، ولا يلزم تجديد النكاح.

وقال: وقيل: لولا قول الشافعى لحكم أن العوام كلهم أولاد زنا؛ لأن ألفاظ الكفر لا تخلو من ألسنتهم.

قال: ومن جرى على لسانه كلمة كفر بغير قصد لم يكفر وهو كاره بذلك، وذكر جملة ألفاظ وعبارات تخرج قائلها عن الإيمان، وقسم هذه الجمل والعبارات إلى فصول، فالأول: يكفر فاعلها بالإجماع، والثانى: خلاف فى كفره، والثالث: نخشى عليه الكفر.

٤٦ - ثم تكلم عن السكران، وأن الطلاق والعتاق يقع بلفظه، ولا يؤاخذ على ما يلفظ به من كفر وهو صحيح إن شاء الله، وبينا ذلك بتعليقنا.

٤٧ - ثم تكلم عن معنى الهيولى عند كل من اختلفوا فيه، وذكر الجوهر والجسم والعرض.

واسترسل بطريقة الكلاميين فى إثبات الصانع الذى أوجد العالم، وأنه سبحانه لو لم يرسل رسلاً لاستدل عليه بصنعته وآياته الكونية.

ونصر قول من قال بكفر عبدة الأصنام قبل البعثة، ثم تكلم عن الدعاء وأنه يغير القضاء، وأن الأموات يحتاجون لدعاء وصدقات الأحياء؛ لأنها تنور قبورهم، ثم تكلم عن حساب القبر وسؤال الملكين، وساق الأدلة على ذلك، ثم الحساب بعد البعث.

انتهى هذا، وأسأل الله جل شأنه أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب وأن يجعل عملنا خالصًا صائبًا، خالصًا لوجه الله الكريم، صائبًا وفق كتابه وسنة رسوله ﷺ.

* * *

ترجمة المصنف

أبى بكر الرازى الحنفى

هو أحمد بن على أبو بكر الفقيه الحنفى الرازى، أحد أئمة أصحاب أبى حنيفة، وله من المصنفات المفيدة كتاب أحكام القرآن، وهو تلميذ أبى الحسن الكرخى، وكان عابدًا زاهدًا ورعًا، انتهت إليه رياسة الحنفية فى وقته، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، وقد سمع الحديث من أبى العباس الأصم، وأبى القاسم الطبرانى، وقد أراده الطائع، على أن يوليه القضاء، فلم يقبل.

وقال الذهبى: أبو بكر الرازى الإمام العلامة المفتى المجتهد، عالم العراق، أبو بكر، أحمد بن على الرازى الحنفى، صاحب التصانيف.

تفقه بأبى الحسن الكرخى، وكان صاحب حديث ورحلة، لقى أبا العباس الأصم، وطبقته بنيسابور، وعبد الباقى بن قانع، ودعلج بن أحمد، وطبقتهما ببغداد، والطبرانى، وعدة بأصبهان.

وصنف وجمع وتخرج به الأصحاب ببغداد، وإليه المنتهى فى معرفة المذهب. قدم بغداد فى صباه فاستوطنها. وكان مع براعته فى العلم ذا زهد وتعبد، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع منه، ويحتج فى كتبه بالأحاديث المتصلة بأسانيده.

قال الخطيب: حدثنا أبو العلاء الواسطى، قال: امتنع القاضى أبو بكر الأبهرى المالكى من أن يلى القضاء، قالوا له: فمن يصلح؟ قال: أبو بكر الرازى.

قال: وكان الرازى يزيد حاله على منزلة الرهبان فى العبادة، فأريد على القضاء، فامتنع رحمه الله.

وقيل: كان يميل إلى الاعتزال، وفى تواليفه ما يدل على ذلك فى رؤية الله وغيرها نسأل الله السلامة. مات فى ذى الحجة سنة سبعين وثلاثمائة، وله خمس وستون سنة وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى.

مصادر الترجمة: «الفهرست» (٢٩٣ -٢٩٥)، «تاريخ بغداد» (٣١٤/٤ -٣١٥)، «طبقات الشيرازى» ١٤٤، «المنتظم» (١٠٥/٧ -١٠٦)، «العبر» (٣٥٤/٢ -٣٥٥)، «الوافى بالوفيات» (٢٤١/٧)، «البداية والنهاية» (٢٩٧/١١)، «النجوم الزاهرة»

(١٣٨/٤)، «طبقات المفسرين» للداودى (٥٥/١)، «(٥٥/١)، «الجواهر المضيئة» (٢٢٠/١ -٢٢٤)، «شذرات الذهب» (٧١/٣)، «الفوائد البهية» (٢٧ -٢٨)، «هدية العارفين» (٦٦/١)، «طبقات الأصوليين» (٢٠٣/١،٢٠٥).

* * *

خطة العمل بالكتاب

١ - قمنا بنسخ المخطوط وأعطينا كل ورقة من ورق المخطوط رقمًا خاصًا بها وأثبتنا هذه الأرقام على جوانب الصفحات المنسوخة.

٢ - قمنا بضبط بعض الكلمات ما أمكن ذلك.

٣ - قمنا بتخريج آيات القرآن الكريم وضبطها بالشكل.

٤ - قمنا بالحكم على غالب ما نسب إلى الحديث وبينا ما فيه من أحكام متعلقة بعلم الحديث ما أمكن ذلك حكمًا يوضح صحته أو ضعفه أو غير ذلك من الأحكام.

٥ - ترجمنا لبعض الأعلام وإن كان قليلاً.

٦ - قمنا بالتعليق على ما ورد فى هذا الكتاب من قضايا عقائدية.

٧ - قمنا بتعريف معظم الفرق المذكورة فى هذا الكتاب كالخوارج والشيعة وغيرهما.

٨ - قمنا بوضع أبواب وفصول للكتاب؛ وذلك ليسهل على القارئ الاطلاع عليه، وأعطينا لكل باب رقمًا وقسمنا غالب الأبواب إلى فصول وأعطينا كل فصل عنوانًا.

٩ - قمنا بعمل فهرس موضوعات.

١٠ - قمنا بعمل مقدمة للكتاب وذكرنا فيها ملخص الكتاب وبعض الردود على بعض القضايا الواردة فيه.

١١ - قمنا بعمل ترجمة للمصنف.

* * *

كتاب شرح بدء الأمالي لمولانا شيخ الملة والدين

أبو بكر الرازي رحمه الله تعالى

وعفى عنه آمين والحمد لله رب

العالمين وصلى وسلم

وبارك على سيدنا

محمد وعلى آله

وصحبه

وسلم

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله و

صورة عنوان المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المحمود، المالك المعبود، المنزه عن الجهات والحدود، المقدس عن الوالد والمولود، اللطيف الذي لطفه بين عباده موجود، وأمره بين خلقه ليس بمردود، جل عن الشريك والوزير، وتعالى عن الشبيه والنظير وهو على كل شيء قدير، ولأسرار عباده عليم، خبير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، نعم المولى ونعم النصير والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبيا وتاج الأصفيا وسراج الأوليا وعلى آله الأزكيا وأصحابه الأتقياء، وأهل بيته الطاهرين من الكدر والريا أما بعد لقد سألوني بعض أهل التوحيد أكرمهم الله تعالى بالتقوى والسعادة، وأمنهم من البعد والضلالة، أن أشرح لهم شرحًا على طريق السنة والجماعة حتى يمشون به على سبيل الهداية جمعتها من السواد الأعظم والفقه الأكبر، ومن الطحاوي والكسائي ومن الدرر الأزهر ومن توجز التأليف، وروضة النعمان ومن المعتقد والمعتمد لأهل الألوان، فمن قرأها كأنما قرأ ثمانين أصل

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

بالدرر وجمع بين البدر والكواكب والشمس وقد جمعت من بين

الكتب لافادة المسلمين جمعا، ولرجاء دعاء الموحدين طمعا، لكي يعرفوا

طريقهم في ما أنا عن طريق مذهب المخالفين والمبتدعين لاسيما في زماننا

ليس عند الله أولى من هداية العباد، إلى سبيل الرشاد، والابانة لهم

عن المرضي من الاعتقاد، وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة جمعته

صافيا عن كدر البدعة وشوب الضلالة وجعلته قصير الدلايل ليسهل

حفظه ويعم نفعه لأهل الفضايل رجاء ان يكون ذكرا لي في الدنيا

وذخرا للآخرة فسميته هداية من الاعتقاد، لكثرة نفعه بين العباد

منسوب الى مذهب فقها الملة وعلما الأمة أبي حنيفة النعمان بن

ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن ابرهيم الانصاري وأبي عبد الله

محمد بن الحسن الشيباني، وما يعتقدون أصول الدين ويدينون به

رب العالمين، ويقرون بتوحيد الله تعالى معتقدين بتوفيق الله

سيل ابو حنيفة رضي الله عنه عن الفقه في الدين وعن الفقه في

العلم أيهما افضل قال الفقه في الدين افضل من الفقه في العلم لأن

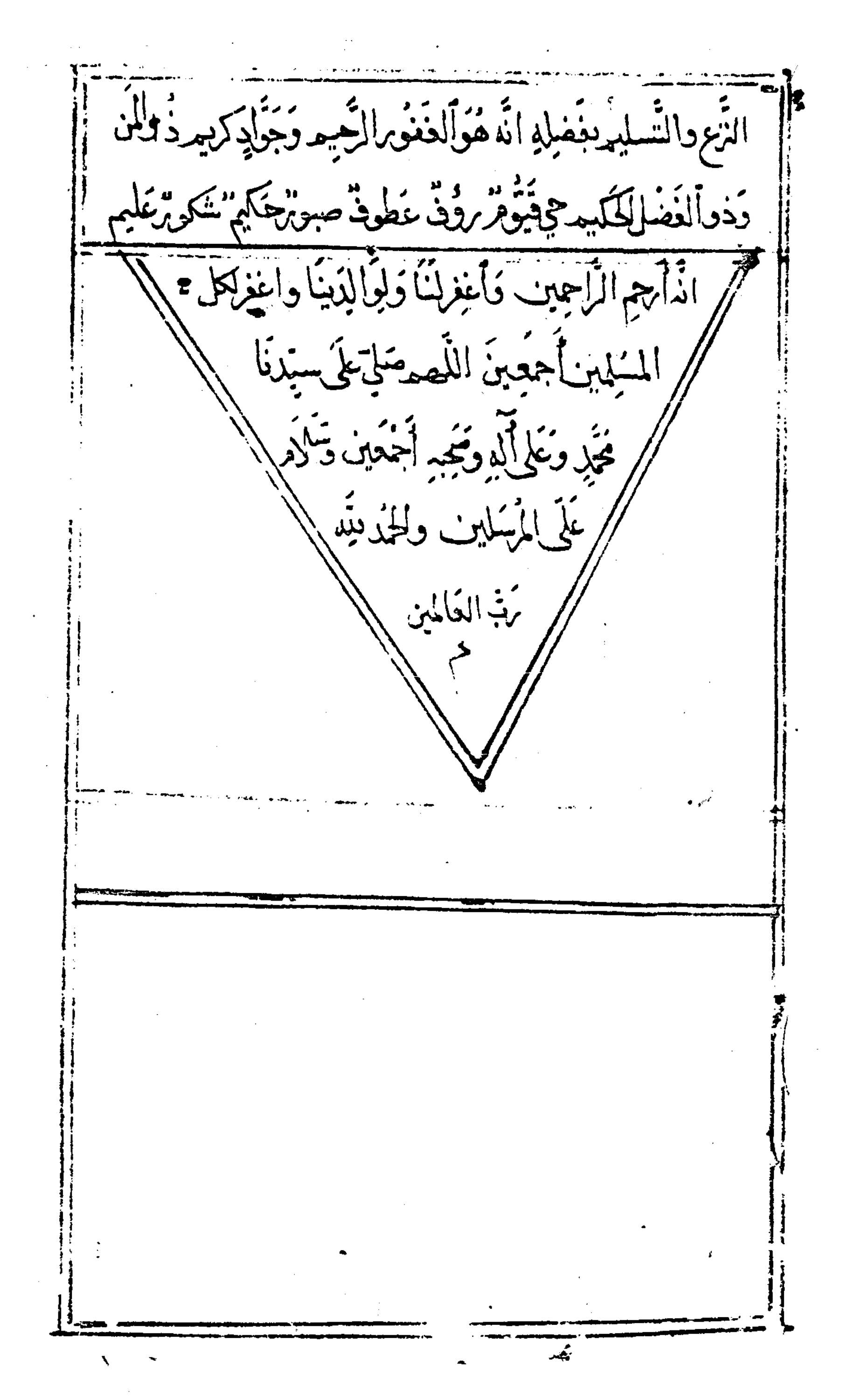
الفقه في الدين أصل والفقه في العلم فرع وفضل الأصل على الفرع

صورة الصفحة الثانية من المخطوط

يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه وقال وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا ومن أنكرها كان كافرا لأنه لم يؤمن بهذه الآيات والله الموفق للسداد وإليه المرجع والمعاد والله أعلم وهذا ما بلغنا من أساتذتنا الطيبين الطاهرين رئيس أهل السنة والجماعة بسمرقند وبخارى وهذا ديننا واعتقادنا باطنا وظاهرا ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرنا وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه ويختم لنا به وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة والجهمية والجبرية والقدرية والمعتزلة والكرامية والرافضة والخوارج والسوفسطائية والشيعة والقرامطة والفلاسفة وغيرهم من أهل الأهواء والبدعة الذين خالفوا السنة والجماعة وأخذوا الكفر والضلالة ونحن منهم نتبرأ وهم عندنا ضلال أردياء أشقياء فمن اعتقد جميع ما ذكرنا موقنا به مصدقا له كان من أهل الحق وعصابة المسلمين وفارق أهل رهط الضلالة وحزب المبتدعين نسأل الله الثبات على الدين القويم وعلى هذا المذهب المستقيم والعصمة من الشيطان الرجيم والزيادة عند

التزع

ضورة الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط


الترع والتسليم بفضله انه هو الغفور الرحيم وجواد كريم ذو المن
وذو الفضل الحكيم حي قيوم رؤف عطوف صبور حكيم شكور عليم
انه أرحم الراحمين واغفر لنا ولوالدينا واغفر لكل
المسلمين أجمعين اللهم صلي على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام
على المرسلين والحمد لله
رب العالمين
تم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

متن بدء الأمالي

إلـــهُ الخَلْـــق مَوْلاَنَـــا قَدِيـــمٌ ... وَمَوْصُـــوفٌ بِأَوْصَـــافِ الكَمَـــالِ
وَهـــوَ يرضـــى لعبَـــده وَيغضَـــب ... لكـــن هِمَامتـــهِ بِـــلاَ مِثَـــالِ
هَـــوَ الحَـــيُّ المُدبِّـــرُ كُـــلَّ أَمْـــر ... هُـــوَ الحَـــقُّ المقـــدر ذو الجـــلال
وَإنَّ السُّـــحْت رِزق مثـــل حـــل ... ولـــم يَكْـــرَهْ مَقَـــالِى كُـــلُّ قَـــالِ
مُريـــدُ الخَـــيْرِ وَالشَّـــرِّ القبِيَـــحِ ... وَلِكـــنْ لَيْـــسَ يَرْضـــى بالمحَـــالِ
صفـــات اللـــه ليســـت غَـــيْرَ ذَاتٍ ... وَلاَ غَـــيْرًا سِـــوَاهُ ذَا انْفِصَـــالِ
صِفَـــاتُ الـــذَّاتِ والأَفْعَـــالِ طُـــرًّا ... قَدِيمَـــاتٌ مَصُونَـــاتُ الـــزَّوَالِ
نُسَـــمِّى اللَّـــهَ شَـــيْئًا لاَ كَالأَشْـــيَا ... وَذَاتًـــا عَـــنْ جِهَـــاتِ السِّـــتِّ خَـــالِ
وَلَيْـــسَ الاِسْـــمُ غَـــيْرَ الْمُسَـــمَّى ... لَـــدَى أَهْـــلِ البصِـــيرَةِ خَـــيْرِ آلِ
وَغَـــيْرَ أن المكـــونَ لا كشـــىء ... مـــع التكويـــن خـــذه لاكتمـــال
وَمَـــا إنْ جَوْهَـــر رَبِّـــى وَجِسْـــمٌ ... وَلاَ كُـــلٌّ وَبَعْـــضٌ ذُو اشْـــتِمال
وَفِـــى الأَذْهَـــانِ حَـــقٌّ كَـــوْنُ جُـــزْءٍ ... بِـــلاَ وَصْـــفِ التَّجَـــزِّى يَـــا ابْـــنَ خَـــالِ
وَمَـــا الْقُـــرْآنُ مَخْلُوقًـــا تَعَـــالَى ... كَـــلاَمُ الـــرَّبِّ عَـــنْ جِنْـــسِ المقَـــالِ
وَرَبُّ الْعَـــرْشِ فَـــوْقَ الْعَـــرْش لكِـــنْ ... بِـــلاَ وَصْـــفِ التَّمَكُّـــنِ وَاتِّصَـــالِ
وَمَـــا التَّشْـــبيه لِلـــرَّحْمن وَجْهًـــا ... فَصُـــنْ عَـــنْ ذَاكَ أَصْنَـــافَ الأَهَـــالِى
وَلاَ يَمضَـــى عَلَـــى الدَّيَّـــان وَقْـــتٌ ... وَأَحْـــوَالٌ وَأَزْمَـــانٌ بِحَـــالِ
وَمُسْـــتَغْنٍ إِلهِـــى عَـــنْ نِسَـــاءٍ ... وَأَوْلاَد إِنَـــاثٍ أَوْ رِجَـــالِ
كَـــذَا عَـــنْ كُـــلِّ ذِى عَـــوْنٍ وَنَصْـــرٍ ... تَفَـــرَّدَ ذُو الجَـــلاَلِ وَذُو المَعَـــالِ
يُميـــتُ الخَلْـــقَ قَصْـــرًا ثُـــمَّ يُحْيِـــى ... فَيَجْزِيهِـــمْ عَلَـــى وَفْـــقِ الخِصَـــالِ

لأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَنُعْمَى ... وَلِلْكُفَّارِ إِدْرَاكُ النَّكَالِ
كَذَا عَنْ كَاذِبٍ عَونٍ وَنَصْرٍ ... تَفَرَّدَ ذُو الجَلاَلِ وَذُو التَّعَالِي
وللجنات والنيران كون ... عليها مُرَّ أحوال خوال
وما يَفْنَى الجَحِيمُ وَلاَ الجِنَانُ ... وَمَا أَهْلُوهُمَا أَهْلُ انْتِقَالِ
يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ ... وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ
فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ ... فَيَاخُسْرَانَ أَهْلِ الاعْتِزَالِ
وما إِنْ فِعْلُ أَصْلَحَ ذو افْتِرَاضٍ ... عَلَى الْهَادِي المُقَدَّسِ ذِي التَّعَالِي
وَفَرْضٌ لاَزِمٌ تَصْدِيقُ رُسْلٍ ... وَأَمْلاَكٍ كِرَامٍ بِالتَّوَالِي
وَيَمحُو المليك صُفَات عَبد ... شَقِيًا أَو سَعِيدًا فِي خَتم حَال
وَخَتْمُ الرُّسْلِ بِالصَّدْرِ المعَلَّى ... نَبِيٌّ هَاشِمِيٌّ ذُو جَمَالِ
إِمَامُ الأَنْبِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَفٍ ... وَتَاجُ الأَصْفِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَلِ
وَبَاق شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ... إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَارْتِحَالِ
وَحَقٌّ أَمْرُ مِعْرَاجٍ وَصِدْقٌ ... فَفِيهِ نَصٌّ أَخْبَارٍ عَوَالِ
وَمَرْجُوٌّ شَفَاعَةُ أَهْلِ خَيْرٍ ... لأَصْحَابِ الكَبَائِرِ كَالجِبَالِ
وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَفِي أَمَانٍ ... عَنِ الْعِصْيَانِ عَمْدًا وَانْعِزَالِ
وَمَا كَانَت نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى ... وَلاَ عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالِ
وَذُو القَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرَفْ نَبِيًّا ... كَذَا لُقْمَانُ فَاحْذَرْ عَنْ جِدَالِ
وَعِيسَى سَوْفَ يَأْتِي ثُمَّ يَتْوَى ... لِدَجَّالٍ شَقِي ذُو خَبَالِ
كَرَامَاتُ الْوَلِيِّ بِدَار دُنْيَا ... لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ أَهْلُ النَّوَالِ
وَلَمْ يَفْضُلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا ... نَبِيًّا أَو رَسُولاً فِي انْتِحَالِ
وَلِلصِّدِّيقِ رُجْحَانٌ جَلِيٌّ ... عَلَى الأَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ احْتِمَالِ
وَللفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ ... عَلَى عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ عَالِي
وَذُو النُّورَيْنِ حَقًّا كَانَ خَيْرًا ... مِنَ الكَرَّار فِي صَفِّ الْقِتَالِ

وَلِلكَـرَّار فَضْـلٌ بَعْـدَ هـذَا ... عَلَـى الأَغْيَـارِ طُـرًّا لاَ تُبَـال
وَلِلصِّدِّيقَـةِ الرُّجْحَـانُ فَاسْـمع ... عَلَـى الزَّهْـرَاءِ فِـى بَعْـضِ الخِـلاَل
وَإِيمَـان المقَلِّـدِ ذُو اعْتِبَـارِ ... بِـأَنْوَاعِ الدَّلاَئِـلِ كَالنِّصَـال
وَمَـا عـذْرٌ لِـذِى عَقْـلٍ بِجَهْـلٍ ... بِخَـلاَّق الأَسَـافِلِ وَالأَعَـالِى
وَلَـمْ يَلْعَـنْ يَزِيـدًا بَعْـدَ مَـوْتٍ ... سِـوَى المِكْثَـارِ فِـى الإِغْـرَاءِ غَـال
وَمَـا إِيمَـانُ شَـخْصٍ حَـالَ يَـأْسٍ ... بِمقْبُـولٍ لِفَقْـدِ الإِمْتِثَـال
وَمَـا أَفْعَـالُ خَـيْرٍ فِـى حِسَـابٍ ... مِـنَ الإِيمَـان مَفْـرُوضَ الوِصَـال
وَلاَ يُقْضَـى بِكُفْـرٍ وَارْتِـدَادٍ ... بِعهْـرٍ أَوْ بِقَتْـلٍ وَاخْـتِزَال
وَذُو الإِيمَـانِ لاَيَبْقَـى مقيمًـا ... بِسُـوءِ الذَنْـب فِـى دَارَ اشْـتِغَال
وَمَـنْ يَنْـو ارْتِـدَادًا بَعْـدَ دَهْـرٍ ... يَصِـرْ عَـنْ دِيـنِ حَـقٍّ ذَا انْسِـلاَل
وَلَفْـظُ الْكُفْـرِ مِـنْ غَـيْرِ اعْتِقَـادٍ ... بِطَـوْعٍ رَدّ دِيـنٍ بِاغْتِفَـال
وَلاَ يُحْكَـم بِكفْـرٍ حَـالَ سُـكْرٍ ... بِمَـا يَلْغُـو وَيهـذِى بارتِجَـال
وَمَـا المعْـدُومُ مَرْئِيًّـا وَشَـيْئًا ... لِفِقْـهٍ لاَحَ فِـى يُمْـنِ الهِـلاَل
وَدُنْيَانَـا حَدِيـثٌ وَالهَيُـولَى ... عَدِيـمُ الكَـوْنِ فَاسْـمَعْ بِـاخْتِزَال
وَفِـى الأَجْـدَاثِ عَـنْ تَوْحِيـدِ رَبِّـى ... سَـيُبْلَى كُـلُّ شَـخْصٍ بِالسُّـؤَال
حِسَـابُ النَّـاسِ بَعْـدَ البَعْـثِ حَـقٌّ ... فَكُونُـوا بِـالتَّحَرز عَـنْ وَبَـال
وَحَـقٌّ وَزْنُ أَعْمَـالٍ وَجَـرْىٌ ... عَلَـى مَتْـنِ الصِّـرَاطِ بِـلاَ اهْتِبَـال
وَتُعْطَى الْكُتْبُ بَعْضًا نَحْوَ يُمْنَـى ... وَبَعْضًـا نَحْـوَ ظَهْـرٍ وَالشِّمَـال

* * *

مصادر التحقيق

١ - القرآن الكريم.
٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.
٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
٤ - موسوعة أطراف الحديث.
٥ - صحيح البخارى.
٦ - صحيح مسلم.
٧ - سنن أبى داود.
٨ - سنن ابن ماجه.
٩ - سنن النسائى.
١٠ - مسند الإمام أحمد.
١١ - صحيح الدارمى.
١٢ - صحيح ابن خزيمة.
١٣ - مسند الحميدى.
١٤ - المعجم الأوسط للطبرانى.
١٥ - المعجم الصغير.
١٦ - السنن الكبرى للبيهقى.
١٧ - سنن الدارقطنى.
١٨ - نصب الراية للزيعلى.
١٩ - شرح السنة للبغوى.
٢٠ - مسند الرويانى.
٢١ - تفسير ابن كثير.
٢٢ - تفسير القرطبى.
٢٣ - تفسير الطبرى.
٢٤ - الكامل فى التاريخ.

٢٥ - البداية والنهاية لابن كثير.
٢٦ - سير أعلام النبلاء.
٢٧ - المغنى فى الضعفاء.
٢٨ - الكامل فى الضعفاء.
٢٩ - تهذيب التهذيب وتقريبه.
٣٠ - ميزان الاعتدال.
٣١ - الجرح والتعديل.
٣٢ - الفصل فى الملل والنحل لابن حزم.
٣٣ - الملل والنحل للشهرستانى.
٣٤ - الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز محمد السلمانى.
٣٥ - الفرق بين الفرق للأسفرائينى.
٣٦ - تيسير العزيز الحميد لسلمان بن عبد الله.
٣٧ - الولاء والبراء للقحطانى.
٣٨ - فتح المجيد لعبد الرحمن بن آل شيخ.
٣٩ - معارج القبول لحافظ الحكمى.
٤٠ - (٢٠٠) سؤال وجواب فى العقيدة.
٤١ - مجموعة الرسائل السلفية لابن تيمية.
٤٢ - اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.
٤٣ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية.
٤٤ - العقيدة الواسطية لابن تيمية.
٤٥ - التدمرية لابن تيمية.
٤٦ - لمعة الاعتقاد للمقدسى.
٤٧ - شرح أصول العقيدة الإسلامية لعلى بن أبى العز الأذرعى.
٤٨ - سبل السلام للصنعانى.
٤٩ - نيل الأوطار للشوكانى.
٥٠ - الأربعين النووية للنووى.
٥١ - أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان.

٥٢ - حادى الأرواح لابن القيم.

٥٣ - التذكرة للقرطبى.

٥٤ - الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم.

٥٥ - شرح التلويح على التوضيح للتفتازانى.

٥٦ - المحرر للسرخسى.

٥٧ - إرشاد الفحول للشوكانى.

٥٨ - تشنيف المسامع للسبكى.

٥٩ - المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية، لأبى عمرو الحسينى.

٦٠ - معايير التأويل والمتأولين، لأبى عمرو الحسينى.

٦١ - إحياء علوم الدين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المحمود، المالك المعبود، المنزه عن الجهات والحدود، المقدس عن الوالد والمولود، اللطيف الذى لطفه بين عباده موجود، وأمره بين خلقه ليس بمردود جلَّ عن الشريك والوزير، وتعالى عن الشبيه والنظير، وهو على كل شىء قدير، ولأسرار عباده عليم، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، نعم المولى، ونعم النصير.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء، وتاج الأصفياء، وسراج الأولياء، وعلى آله الأذكياء، وأصحابه الأتقياء، وأهل بيته الطاهرين من الكدر والرياء.

أما بعد لقد سألونى بعض أهل التوحيد أكرمهم الله تعالى بالتقوى والسعادة، وأمَّنهم من البُعد والضلالة، أن أشرح لهم شرحًا على طريق السُّنَّة والجماعة حتى يمشوا به على سبيل الهداية، جمعتها من السواد الأعظم والفقه الأكبر، ومن الطحاوى[1]، والكسائى، ومن الدرر الأزهر، ومن توجز التأليف، ووصية النعمان، ومن المعتقد والمعتمد به دلائل

---

(١) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧): الطحاوى: الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدى الحجرى المصرى الطحاوى الحنفى صاحب التصانيف، من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مولده فى سنة تسع وثلاثين ومائتين، وسمع من عبد الغنى بن رفاعة، وخاله أبى إبراهيم المزنى، وبكار بن قتيبة وطبقتهم.
وبرز فى علم الحديث وفى الفقه، وتفقه بالقاضى أحمد بن أبى عمران الحنفى، وجمع وصنف، حدّث عنه يوسف بن القاسم الميانجى، وأبو القاسم الطبرانى، ومحمد بن المظفر الحافظ، وخلق سواهم من الدماشقة والمصريين والرّحالين فى الحديث.
قال أبو سعيد بن يونس: كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلاً، لم يخلف مثله.
قلت: ترجمته فى: سير أعلام النبلاء: (١٥/٢٧)، لسان الميزان: (١/٢٧٤ - ٢٨٢)، وفيات الأعيان: (١/٧١ - ٢٨٢)، البداية والنهاية: (١١/١٧٤)، الوافى بالوفيات: (٨/٩، ١٠)، الفهرست: (ص ٢٩٢)، طبقات الحفاظ (ص ٣٣٧).

الألوان، فمن قرأها فكأنما قرأ ثمان أصول [٣] بالدرس، وجمع بين البدور والكواكب والشمس.

وقد جمعت من بين الكتب لإفادة المسلمين جمعًا، ولرجاء دعاء الموحدين طمعًا، لكى يعرفوا طريقهم فى ملتنا عن طريق مذهب المخالفين والمبتدعين لاسيما فى زماننا وليس عند الله أولى من هداية العباد إلى سبيل الرشاد، والإبانة لهم عن المرضى من الاعتقاد، وهو اعتقاد أهل السنة والجماعة، جمعته صافيًا عن كدر البدعة، وشوب الضلالة، وجعلته قصير الدلائل؛ ليسهل حفظه، ويعم نفعه لأهل الفضائل، رجاء أن يكون ذكرًا لى فى الدنيا وذخرًا للآخرة.

فسميتها هداية من الاعتقاد(١)؛ لكثرة نفعه بين العباد، منسوب إلى مذهب فقهاء الملة، وعلماء الأمة: أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى، وأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى، وأبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى، وما يعتقدون أصول الدين ويدينون به لرب العالمين، ويقرون بتوحيد الله تعالى معتقدين، بتوفيق الله.

سئل أبو حنيفة - رضى الله عنه - عن الفقه(٢) فى الدين، وعن الفقه فى العلم أيهما أفضل؟ قال: الفقه فى الدين أفضل من الفقه فى العلم؛ لأن الفقه فى الدين أصل، والفقه

---

(١) الاعتقاد: هو الجزم بالشيء من دون سكون نفس، ويقال على التصديق سواء كان جازمًا أو غير جازم، مطابقًا أو غير مطابق، ثابتًا أو غير ثابت، فيندرج تحته الجهل المركب؛ لأنه حكم غير مطابق، والتقليد؛ لأنه جزم بثبوت أمر أو نفيه بمجرد قول الغير.

(٢) المعنى اللغوى للفقه هو: الفهم والمعرفة للأحكام مطابقة والتزامًا.

واصطلاحًا: هو العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من الأدلة التفصيلية، والعلم صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هى به، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافًا تامًا.

وينقسم إلى ضرورى، ومكتسب، أما العلم الضرورى فهو ما لم يقع عن نظر واستدلال مثل: العلم الواقع بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهى: السمع، والبصر، واللمس، والشم، والتذوق، ويخرج منها الحواس الخمس الباطنة التى قال بها الفلاسفة وهى: الحس المشترك، والخيال، والوهم، والحافظة، والمتخيلة.

وأما العلم المكتسب فهو: العلم الموقوف على النظر والاستدلال.

والنظر هو: ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول، والاستدلال هو: طلب الدليل ليؤدى إلى المطلوب من علم أو ظن.

=

فى العلم فرع، وفضل الأصل على الفرع [٤] معلوم، قال الله تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [آل عمران: ١٩].

ولا شك أن العبد أولاً يلزمه الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦].

=واعلم أن بين العلم والفقه عموم وخصوص؛ فالعلم له معنى أوسع وأشمل، فكل فقه علم وليس كل علم فقهًا، فالفقه الذى معناه: معرفة الأحكام بمعنى ظنها شامل للمطابق وغير المطابق، أما العلم فهو: معرفة المعلوم على ما هو به فلا يكون إلاَّ مطابقًا.

وقال بعض أهل الأصول وهو الصحيح: العلم هو مطلق الإدراك جازمًا أو لا، مطابقًا أو لا، فإن حمل العلم على المعنى الأول، فلا يكون إلا يقينًا وهو إدراك جازم قطعى واعتقاد مطابق وتصديق ثابت، وإن حمل على المعنى الثانى الذى أشرنا بصحته، فإن كان الإدراك جازمًا فهو على المعنى الأول: أى معرفة المعلوم على ما هو به فلا يكون إلاَّ مطابقًا، وإن لم يكن جازمًا فهو الظن إما مطابقة أو التزامًا وهذا هو معنى الفقه؛ لأن الإدراك هو اللحوق والوصول تصديقًا أو تصورًا؛ فإن تصوره على ما هو عليه فى الواقع فقد أدركه التزامًا.

أما إن طابقت الصورة الواقع تصديقًا فقد أدركه مطابقة، وأما إن تصوره على خلاف ما هو عليه فى الواقع فما أدركه لا مطابقة ولا التزامًا.

ومعنى ذلك أن فقه الشرائع يعلم يقينًا أو ظنًا، وقد تقرر أن معرفة الأحكام بمعنى ظنها يؤجر صاحبها أدرك أو لم يدرك، لأنه غلب على ظنه الإدراك مع استفراغ الوسع بالنظر فى الأدلة إبراءً للذمة، فمن أصاب فله أجرين ومن أخطأ فله أجر.

أما علم التوحيد: فلا يدخل فى الفقه والاجتهاد؛ لأنه لا يحصل بمجرد الظن، ولا يكون إلا إدراكًا جازمًا، واعتقادًا مطابقًا وتصديقًا ثابتًا؛ لأنه معرفة المعلوم على ما هو به فهو علم لا يغنى فيه إلا اليقين ولا تبرأ الذمة إلا به؛ لأنه عملة ذو وجه واحد، فالإيمان مثلاً عملة واحدة، والكفر عملة أخرى، فهما ضدين لا وجهين لعملة واحدة، بعكس الصحة والفساد فى مسائل فقه الشرائع فكلاهما وجهين لعملة واحدة، وقيل يحصل بالظن.

لذا قال الإمام أبو حنيفة: الفقه فى الدين – يعنى التوحيد – أفضل من الفقه فى العلم، يعنى علم الشرائع. وإن اختلفت الألفاظ بين ما ذكره المؤلف عن الإمام، وما تقرر فى علم أصول الفقه؛ فالاختلاف لفظى لا حقيقى، فالمقصود واحد والله أعلم، انظر «المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية».

أى ليوحدون؛ فالدين[(١)] هو التوحيد، والعلم هو الديانة - يعنى الشرائع - وهو بعد التوحيد، فالدين عقد على الصواب، والديانة مدبرة على الصواب.

ولكن العلم أفضل من العقل[(٢)] عند أهل السنة والجماعة؛ لأن العلم حاجة والعقل آلة كآلة العلم.

---

(١) ولكن هل تصلح الديانة - أى علم الشرائع - بغير دين، أى توحيد؟ اختلف العلماء فى ذلك، فمنهم من قال: إن الكفر مانع ولا يمكن الامتثال حال الكفر ولا بعده، وهو الموت لسقوط الخطاب.
ومنهم من قال: «بأنهم مخاطبون بأمر الإيمان؛ لأن الرسول ﷺ مبعوث إلى الكافة وبالمعاملات أيضًا، وهذا يعنى أنهم مؤاخذون بها فى الآخرة مع عدم حصول الشرط الشرعى وهو الإيمان، واستدلوا بالأوامر العامة كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ [البقرة: ٢١]. ونحوها، وبما ورد من الوعيد للكفار على الترك كقوله: ﴿ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين﴾ [القمر: ٤٢].
قال الشوكانى: لا يقال قولهم ليس بحجة؛ لجواز كذبهم لأنا نقول: لو كذبوا لكذبوا، واستدلوا بقوله سبحانه: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ [فصلت: ٧].
وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا﴾ [الفرقان: ٦٩].
والأدلة على ذلك كثيره جدًا.
أما الجواب على المعترضين الذين قالوا: إن الكفر مانع.
قلت: الكافر يتمكن من إزالة المانع وهو الكفر، فتصح منه العبادات والمعاملات فإن لم يزل المانع وهو امتناع وصفى لم يسقط بالمانع الخطاب الذى هو التكليف ولا ينفيه، وهو خطاب عام كما سبق أن أشرنا؛ وذلك لإمكانه الذاتى، فالامتناع الوصفى لا ينافى الإمكان الذاتى، وأيضًا حصول الشرط الشرعى وهو الإيمان ليس شرطًا فى التكليف.
وإمكانية إزالة المانع تنفى كونه مانعًا، فيصبح بذلك التكليف؛ لأنه لا مانع إلا عدم القدرة وقد انتفى، والله أعلم.

(٢) القول بأن: العقل أفضل من العلم، وتقديم المعقول على المنقول، هو قول المعتزلة ومن وافقهم من العقلانيين الذين يعرضون المنقول على المعقول، كالذى أبطل حديث الذبابة بهذا العرض الفاسد.
ومعلوم شرعًا وعقلاً فساد وبطلان هذا المذهب لوجوه ليس هنا موضعها، نذكر منها ما ذكر القرطبى فى «التذكرة»:
=

وقالت المعتزلة: العقل أفضل من العلم.

قلنا: إن معرفة الله ومعرفة صفاته، والانقياد بأوامره والاجتناب عن نواهيه لا يحصل ذلك إلا بالعلم، وإن العلوم كلها حسنة وأحسنها وأجلها علم الكلام[1]، والدليل عليه

= أن الشارع أوجب الغسل من الجنابة مع أن المنى طاهر بالاتفاق، ولم يوجب الغسل من البول والعذرة مع أنهما نجستان بالاتفاق، فلو عرض ذلك على العقل لأوجب العكس ولأبطل الشرع.

أما ما تقرر فى الأصول عند أهل السنة، وهو تقديم المنقول على المعقول، وعدم الفصل بينهما؛ لأن المنقول يعرف بالعقل، وهو معنى دلالة الاقتضاء عند الأصوليين، وهى دلالة اللفظ على ما يتوقف عليه الصحة العقلية بشرط ألا تخرج هذه الصحة العقلية عن المقاصد الشرعية أو عن المعانى اللغوية.

ومثال عدم خروج الصحة العقلية عن المقاصد الشرعية حديث: «إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان».

فالعقل المجرد عن المقاصد الشرعية يقضى أن الخطأ والنسيان لا يوجدان فى الأمة، والواقع يخالف ذلك، فالجزم على هذا المفهوم غير صادق، وهذا محال لصدوره عن الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق، إذن لابد من تقدير الكلام، وهو عدم المؤاخذة أو بمعنى آخر: رفع الإثم عن الأمة حال الخطأ والنسيان.

ومثال عدم خروج الصحة العقلية عن المعنى اللغوى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ فالتقدير أهل القرية؛ فإن لم تقدر لم تصح عقلاً.

ونرد عليهم أيضًا بأن المنقول فيه ما أبهم سببه ككثير من العبادات والعادات؛ فإن عرض الخطاب الذى أبهم سببه على العقل بحجة تَفَهُّم السبب وقعت الواقعة والمصيبة، فيقدم العقل القاصر على الخطاب الثابت، فلا يمتثل المكلف للخطاب ريبة أو نكرانًا، وكلاهما كفر نعوذ بالله من ذلك.

والجامع بين العقل والنقل هو أن يكون المكلف قادرًا على الفهم، فإن لم يكن قادرًا سقط التكليف؛ والفهم هو بلوغ القدر الذى يتوقف عليه الإمتثال إلى عقل المكلف من الخطاب؛ لأن العقل هو أداة الفهم والإدراك وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال والله أعلم. انظر «المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية».

(١) علم الكلام المسمى بأصول الدين هو: خلط من الفلسفة الجاهلية بالعقيدة الإسلامية: صنع منه ما يسمى فى عصرنا هذا بالفلسفة الإسلامية، وهو أحد مباحث الفلسفة الجاهلية المسمى «بالميتافيزيقا»؛ وهى تقوم بدراسة طبيعة الحقيقة النهائية، ويطلق عليها ما وراء الطبيعة، وتقوم بدراسة الطبيعة أو ما فوقها، أو بمعنى آخر: دراسة الإلهيات فجاءت بمصطلحات مبتدعة وخالفت طريقة الكتاب والسنة التى هى طريقة السلف.
=

أن درجة العلم بقدر المعلوم، كما أن درجة الصناعة بقدر المصنوع، ودرجة العالم بقدر العلم كدرجة الصانع بقدر الصناعة، فإذا كان المعلوم أشرف كان ذلك العلم في نفسه أفضل والعمل به أشرف.

ثم لا شك أن علم الكلام، والتوحيد أعلى منزلة وأرفع درجة من سائر العلوم، لأن

= ومن مصطلحاتها: الجوهر، والعرض، والواجب، والجهة، وغير ذلك وقد تسبب هذا العلم في اضطهاد علماء أهل السنة والجماعة ومحاربتهم وظهور أهل البدعة، وتسبب في إفساد كثير من العقول وإبعادها عن الكتاب والسنة بحجة إثبات وحدانية الله.

يقول الأستاذ «سيد قطب» في كتابه «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» (ص ١٠، ١١): فغاية علم الكلام: إثبات وحدانية الخالق، وأنه لا شريك له، ويظن المتكلمون أن هذا هو المراد بـ«لا إله إلا الله»، بينما المراد منها غير ذلك.

ثم إن علم الكلام يسعى لتحقيق المعرفة في الوقت الذي نجد فيه الطريقة القرآنية تهدف إلى الحركة من وراء المعرفة، فتحول تلك المعرفة إلى قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع، وتستجيش الضمير الإنساني بحق وجوده في الأرض حسب الخطة التي رسمها له التصور الرباني، وحينئذ ترجع البشرية إلى ربها، وتحيا حياة كريمة رفيعة تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان ا. هـ بتصرف.

ولقد زلت أقدام كثير ممن خاضوا في هذا العلم وقالوا ما تنكره الشرائع والعقول، وقد بينوا هذا بعد توبتهم وندمهم.

قال الشوكاني في «الرسائل السلفية»: ولقد تعجرف بعض علماء الكلام بما ينكره عليه جميع الأعلام، فأقسم بالله أن الله لا يعلم من نفسه غير ما يعلمه هذا المتعجرف، فيالله هذا الإقدام الفظيع والتعجرف الشنيع، وأنا أقسم بالله أنه قد حنث في قسمه وباء بإثمه وخالف قول من أقسم به في محكم كتابه: ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾ [طه: ١١٠].

ثم قال الشوكاني: ومن أعظم الأدلة الدالة على حظر النظر في كثير من مسائل الكلام: أنك لا ترى رجلاً أفرغ فيه وسعه، وطول في تحقيقه باعه إلا رأيته عند بلوغ النهاية، والوصول إلى ما هو فيه من الغاية، يفرغ على ما أنفق في تحصيله سن الندامة، ويرجع على نفسه في غالب الأحوال بالملامة، ويتمنى دين العجائز ويفر من تلك الهزائز، كما وقع من الجويني والرازي وابن أبي الحديد والسهروردي والغزالي وأمثالهم ممن لا يأتي عليه الحصر، فإن كلماتهم نظمًا ونثرًا في الندامة على ما جنوا به على أنفسهم مدونة في مؤلفات الثقات ا. هـ.

قلت: وقد أخطأ المؤلف في مدحه لعلم الكلام وجعله من أهم العلوم والدليل ما تواتر في مؤلفات علماء أهل السنة والجماعة من ذم هذا العلم، وجعل الكتاب والسنة هما أصل معرفة أصول الدين، والله أعلم.

المعلوم به ذات الله وصفاته، والله أعلى وأجل وأكبر وأعز، فكان العلم بذات الله وصفاته أعلى العلوم وأجلها وأشرفها [٥] وأعزها.

قال أبو مطيع: قلت لأبى حنيفة - رضى الله عنه - أخبرنى عن أفضل الفقه بعد الفقه في الدين؟

قال: أن يتعلم الرجل أحكام الإيمان والثبات عليه - يعنى علم الحال - فهذا يعرف العبد نفسه على أى حال هو، فيكون مستعدًا لإتيان ملك الموت، وعن هذا قال النبى عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»(١).

---

(١) لم أجده بهذه الزيادة: (ومسلمة).
وأخرجه ابن ماجه فى «المقدمة» باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم) (١/ ص ٨١،٨٢) حديث رقم (٢٢٤) من طريق حفص بن سليمان: حدثنا كثير بن شنظير عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك به.
وفيه زيادة: (وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب).
وفى الزوائد: إسناده ضعيف؛ لضعف حفص بن سليمان.
وقال السيوطى: سئل الشيخ محيى الدين النووى - رحمه الله تعالى - عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف - أى سندًا - وإن كان صحيحًا، أى معنى.
وقال تلميذه جمال الدين المزى: هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال: فإنى رأيت له خمسين طريقًا وقد جمعتها فى جزء ا. هـ كلام الإمام السيوطى.
وأخرجه الطبرانى فى «الصغير» (١/ ١٦) مختصرًا على الجزء الأول فقط: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».
من طريق الحكم بن عطية عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك.... به.
وقال: لم يروه عن عاصم إلا الحكم بن عطية ولا عن الحكم إلا العباس بن إسماعيل البصرى.،
أخرجه الطبرانى فى «الأوسط»: (١/ ص ٣٨) حديث رقم (٩)، من طريق حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن محمد بن سيرين عن أنس به. وقال: لم يروه عن محمد إلا كثير، ولا عن كثير إلا حفص بن سليمان.
وأخرجه أيضًا فى (٢/ ٣٥٢،٣٥٣) حديث رقم (٢٠٥١). من طريق: محمد بن عبد الله بن حسين عن على بن حسين بن على عن أبيه به وقال: لا يروى عن الحسين بن على إلا من هذا الوجه.
وأخرجه أيضًا فى: (٣/ ١١٨) حديث رقم (٢٤٨٣)، من طريق حبان بن على قال: حدثنا قسيم ابن سعيد عن زياد بن ميمون عن أنس.... به. =

.. ..

=وقال: «لم يرو هذا الحديث عن قسيم إلا حبان»، تفرد به الإمام مالك.

وأخرجه أيضًا فى: (٤/٤٢٤)، حديث رقم (٤٠٩٨) من طريق: أيوب بن عائذ عن إسماعيل ابن أبى خالد عن الشعبى عن ابن عباس .... به.

وقال: «لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أبى خالد إلا أيوب ولا عنه إلا عبد الله».

وأخرجه أيضًا فى: (٦/١٦١) حديث رقم (٥٩٠٨) من طريق، عثمان بن عبد الرحمن القرشى، عن حماد بن أبى سليمان عن أبى وائل عن عبد الله ..... به.

وقال: «لم يرو هذا الحديث عن حماد إلا عثمان بن عبد الرحمن، تفرد به الهذيل بن إبراهيم».

وأورده الهيثمى فى: «مجمع الزوائد» (١/١١٩، ١٢٠)، من حديث ابن مسعود قال: رواه الطبرانى فى «الكبير والأوسط»، وفيه عثمان بن عبد الرحمن القرشى عن حماد بن أبى سليمان، وعثمان هذا قال السخاوى: مجهول، ولا يقبل من حديث حماد إلا ما رواه القدماء شعبة، وسفيان، والثورى، والدستوائى، ومن عدا هؤلاء رووا عنه بعد الاختلاط.

ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد وقال الهيثمى: وفيه يحيى بن هاشم السحار كذاب.

وفى الأوسط أيضًا من حديث ابن عباس وفيه عبد الله بن عبد العزيز بن أبى داود؛ ضعيف جدًا.

وفى الصغير من حديث الحسين بن على وقال: فيه عبد العزيز بن أبى ثابت؛ ضعيف جدًا.

وأخرجه البيهقى فى «شعب الإيمان» (٢/ص ٢٥٤) حديث رقم (١٦٦٤ - ١٦٦٧) ا. هـ من طريق عن أنس. قلت: وجميعها لا يخلو فيها من مقال، وأورده ابن حجر فى «المطالب العالية» (٣/ص ١٣٠) من طريق الحسين بن عطية الكوفى عن أبى عاتكة.

أورده السيوطى فى «اللآلى المصنوعة» (١/ص ١٩٣) من طريق الحسن بن عطية الكوفى عن أبى عاتكة عن أنس .... به.

وقال: الحسن بن عطية، ضعيف، وأبو عاتكة منكر الحديث ا. هـ.

وقال العجلونى فى «كشف الخفا والالتباس» (ص ٥٦، ٢/٥٧): رواه ابن ماجه وابن عبد البر فى العلم له من حديث حفص بن سليمان عن أنس مرفوعًا بزيادة: «وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب».

قال فى «المقاصد»: وحفص ضعيف جدًا، بل اتهمه بعضهم بالوضع والكذب، لكن نقل عن أحمد أنه صالح، وله شاهد عن ابن شاهين وقال: إنه غريب.

قال: رويناه فى ثانى السمعونيات بسند رجاله ثقات عن أنس، بل يروى على نحو عشرين تابعيًا: كالنخعى، وإسحاق بن أبى طلحة، وسلام الطويل، وقتادة، والمثنى بن دينار، والزهرى، وحميد كلهم عن أنس، ولفظ حميد عنه: «طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم».

ورواه زياد عنه، وزاد: «والله يحب إغاثة اللهفان».

وقال: «اطلبوا العلم ولو كنتم بالصين»[١].

=ولأبى عاتكة فى أوله: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

وفى كل منهما مقال، وكذا قال ابن عبد البر: إنه يروى عن أنس من وجوه كثيرة، كلها معلولة، لا حجة فى شىء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد.

وقال البزار: إنه روى عن أنس بأسانيد واهية، وأحسنها ما رواه إبراهيم بن سلام بسنده عن أنس مرفوعًا، ومع ذلك فإبراهيم بن سلام لا يعلم روى عنه إلا أبو عاصم.

وفى الباب: عن أبى، وجابر، وحذيفة، والحسين بن على، وابن عباس، وابن عمر، وعلى، وابن مسعود، وأبى هريرة، وعائشة، وأم هانئ وآخرين.

وبسط الكلام فى ذلك العراقى فى «تخريجه الكبير على الإحياء».

ومع ذلك كله قال البيهقى: متنه مشهور وإسناده ضعيف، وروى من أوجه كلها ضعيفة.

وسبقه إلى ذلك الإمام أحمد على ما نقله عنه ابن الجوزى فى «العلل المتناهية» إذ قال: لا يثبت عندنا فى هذا الباب شىء، وكذا قال إسحاق بن راهويه، وأبو على النيسابورى، ومثل به ابن الصلاح للمشهور الذى ليس بصحيح، وتبع فى ذلك الحاكم، لكن قال العراقى: قد صحح بعض الأئمة بعض طرقه كما بينه فى تخريج الإحياء؛ وقال المزى: إن طرقه تبلغ رتبة الحسن. كذا فى المقاصد.

لكن قال الحافظ ابن حجر فى «اللآلى» بعد أن ذكر روايته عن على وابن مسعود، وأنس، وابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأبى سعيد من طرق فيها مقال: ورواه ابن ماجه فى سننه عن أنس مرفوعًا بلفظ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب». وهو حسن وقال المزى: روى من طرق تبلغ رتبة الحسن.

وأخرجه ابن الجوزى فى «منهاج القاصدين» من جهة أبى بكر بن داود، وقال: ليس فى حديث طلب العلم فريضة أصح من هذا. انتهى.

ومعنى الحديث كما قال البيهقى فى «المدخل» «العلم العام الذى لا يسع البالغ العاقل جهله أو علم ما يطرأ له خاصة، أو المراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه الكفاية، ثم أخرج عن ابن المبارك أنه سئل عن تفسيره؟ فقال: ليس هو الذى يظنون إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل فى شىء من أمر دينه، فيسأل عنه حتى يعلمه.

ثم قال فى «المقاصد»: وقد ألحق بعض المحققين «ومسلمة» بعد قوله: «مسلم»، وليس لها ذكر فى شىء من طرقه، وإن كانت صحيحة المعنى.

ونقل فى «الدرر» عن المزى أنه قال: هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن، وأطال الكلام على ذلك، ثم قال: وقد بينت مخارجها فى الأحاديث المتواترة.

(١) أخرجه ابن عدى فى «الكامل» (٤/ص ١١٨). والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٢/ص ٢٥٣،٢٥٤) حديث رقم (١٦٦٣).

=

.. ..

=وقال الألباني وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ص ١٠٦)، وابن علية في «الفوائد» (٢/ ص ٢٤١)، وأبو القاسم القشيري في «الأربعينية» والخطيب في «التاريخ» (١/ص ٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/٧، ٨).

والضياء في «المنتقى من مسموعاته بمرو» (١/ص ٢٨)، كذا قاله في السلسلة الضعيفة (٤١٦) جميعًا من طريق الحسن بن عطية عن أبي عاتكة، وطريف بن سليمان عن أنس مرفوعًا، وزادوا جميعًا: «فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

قال ابن عدي (٤/ص ١١٨): وقوله: «ولو بالصين». ما أعلم يرويه غير الحسن بن عطية عن أبي عاتكة، عن أنس.

قال الألباني: وكذا قاله الخطيب في «تاريخه» ومن قبله الحاكم، كما نقله عنه ابن المحب ومن خطه على هامش «الفوائد» نقلت، وفي ذلك نظر وقد أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١٩٦) عن حماد بن خالد الخياط قال: حدثنا طريف بن سليمان به، وقال: «لا يحفظ (ولو بالصين) إلا عن أبي عاتكة وهو متروك الحديث، و«فريضة على كل مسلم» الرواية فيها لين أيضًا متقاربة في الضعف.

قلت: قال البيهقي في «شعب الإيمان»: هذا الحديث شبه مشهور وإسناده ضعيف وقد روى من أوجه كلها ضعيفة. فآفة الحديث أبو عاتكة هذا، وهو متفق على تضعيفه، بل ضعفه جدًا العقيلي كما رأيت، والبخاري بقوله: «منكر الحديث»، والنسائي بقوله: «ليس بثقة»، وقال أبو حاتم: «ذاهب الحديث».

ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ص ٢١٥) وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، فأما الحسن بن عطية فضعفه أبو حاتم الرازي، وأما أبو عاتكة فقال البخاري: «منكر الحديث». قال ابن حبان: وهذا الحديث باطل لا أصل له.

وأورده الذهبي في «ميزانه» (١/١٠٧) من طريق ابن كدام: حدثنا أحمد بن عبد الله بن خالد الجويباري عن الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة... به.

قال ابن عدي: «الجويباري: كان يضع الحديث لابن كدام إلى ما يريده».

وقال ابن حبان: «هو أبو علي الجويباري دجال من الدجاجلة».

وأورده السيوطي في «اللآلي المصنوعة» (١/١٩٣) من حديث أنس بن مالك وقال: قال ابن حبان: «باطل لا أصل له، والحسن بن عطية ضعيف، وأبو عاتكة منكر الحديث.

وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ص ٢٥٨) حديث رقم (٢٨)، وقال: وأخرجه الحافظ العراقي والشافعي في «أماليه» من حديث أنس وهو حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قال: وهو مشهور من حديث أنس رويناه من رواية عشرين رجلاً من التابعين عنه. =

أراد به علم الحال، والحال هى التى يكون فيها عملاً ووقتًا فيعرف نفسه، وقال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[(١)].

والشرائع والسنن أراد به علم الحلال والحرام، وقوله: الحدود أراد به الاجتناب عن المعاصى والائتمار بالأوامر، قال الله تعالى: ﴿**ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**﴾ [الطلاق: ١].

وأما أسباب العلوم ثلاثة: فالحواس الخمس[(٢)]، والخبر الصادق، والنظر العقل[(٣)].

=قال: وقد ضعف جماعة من الأئمة طرقه كلها؛ فقال أحمد: «لا يثبت عندنا فى هذا الباب شىء».

وكذا قال أبو على النيسابورى الشافعى والبيهقى وابن عبد البر.

وذكره ابن الصلاح فى علوم الحديث مثلاً للحديث المشهور غير الصحيح ا.هـ بتصرف.

قلت: والحديث بهذا اللفظ باطل والله أعلم

(١) أورده السيوطى فى «الدرر المنتثرة» (ص ٢٢٨) حديث رقم (٣٩١).

وقال النووى: غير ثابت.

وأورده العجلونى فى كشف الخفا والالتباس (٢/ص ٣٤٣ - ٣٤٤) حديث رقم (٢٥٣٢).

قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووى قبله: ليس بثابت.

وقال أبو المظفر بن السمعانى فى القواطع: إنه لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازى، يعنى من قوله.

وقال ابن الغرس: بعد أن نقل عن النووى أنه ليس بثابت، قال: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث، كالشيخ محيى الدين بن عربى وغيره.

قال: وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازى الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطى: بأن الشيخ محيى الدين ابن عربى معدود من الحفاظ.

وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيى الدين قال: هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف.

وللحافظ السيوطى فيه تأليف لطيف سماه: «القول الأشبه فى حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه» وهو من الكتب الموجودة فى الحاوى للفتاوى للسيوطى (هامش) وقال النجم: قلت وقع فى: «أدب الدين والدنيا» للماوردى عن عائشة سئل النبى ﷺ: من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه.

(٢) ما ذكره المصنف هى الحواس الخمس الظاهرة، أما الحواس الخمس الباطنة التى قال بها الفلاسفة فهى: =

فالحواس الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق واللمس، فبكل حاسة منها يدرك لإدراكه، ومن الناس من أثبت فى النفس حاسة سادسة تدرك بها عوارض النفس: كالجوع، والشبع، والعطش، والرى.

والخبر الصادق على نوعين: أحدهما: خبر متواتر(١) ثابت على ألسنة قوم لا يتصور [٦] اجتماعهم على الكذب، والعلم به ثابت بطريق الضرورة؛ كالعلم بالملوك الخالية، والأمم السالفة فى الأزمنة الماضية، والبلدان النائية البعيدة.

والثانى: خبر الرسول المؤيد بالمعجزة والعلم به يوازى العلم الثابت(٢) بالخبر المتواتر،

= ١ - الحس المشترك؛ وهى القوة التى ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الظاهرة.
٢ - الخيال: وهى القوة التى تحفظ الصورة المرتسمة فى الحس المشترك.
٣ - الوهم: وهى القوة التى يدرك بها المعانى أو معانى الجزئيات كالعداوة التى تدركها الشاة من الذئب، والمحبة التى تدركها من أمها.
٤ - الحافظة: وهى القوة التى تحفظ المعانى التى يدركها الوهم.
٥ - المخيلة: وهى القوة المتصرفة فى الصور التى تأخذها من الوهم بالتركيب والتفريق، وسمى المفكرة.

(٣) النظر: هو ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول. انظر المداخل الأصولية.

(١) قلت: الخبر المتواتر: يفيد العلم الضرورى بشروط: الأول: أن يكونوا عالمين بما أخبروا به غير مجازفين، فإن كانوا ظانين لم يفد القطع.
الثانى: أن يعلموا ذلك عن ضرورة من مشاهدة أو سماع، وألا تكون المشاهدة والسماع على سبيل غلط الحس كما فى أخبار النصارى، وكذلك لو أخبروا متلاعبين أو مكرهين لم يوثق بخبرهم ولا يلتفت إليه.
الثالث: أن يبلغ عددهم إلى مبلغ يمنعهم فى العادة من تواطئهم على الكذب، ولا يفيد بعدد معين، بل ضابطه حصول العلم الضرورى به.
الرابع: وجود العدد المعتبر فى كل الطبقات فيروى ذلك العدد عن مثله إلى أن يتصل بالمخبر عنهم.
واعلم أن الخبر المتواتر: يحصل بخبر المؤمنين، والكفار، والفساق، والأحرار، والعبيد، والأطفال المميزين.

(٢) قوله: «والعلم به يوازى العلم الثابت بالخبر المتواتر» مردود؛ لأن الخبر الذى صح عن رسول الله ﷺ إما أن يكون متواترًا أو آحاد.
فالأول: إذا ثبت لفظًا أو معنى، فهو يفيد العلم واليقين مطلقًا، فهى قطعية الثبوت ومنكرها كافر. =

إلا أن الفرق بينهما أن هاهنا يحتاج إلى ضرب للاستدلال[(١)]؛ ليعرف كونه رسولاً مخبرًا صادقًا، وثمة لا يحتاج إلى ذلك.

وأما نظر العقل[(٢)]: فهو التأمل والتفكر فى حال الشىء للعلم به قطعًا[(٣)] والظن[(٤)]

=**والثانى:** وهو الآحاد أنواع؛ الأول: المشهور والمستفيض، وحكمهما أنهما مقطوعان بثبوتهما وورودهما عن الصحابة رضى الله عنهم، وأما ورودهما عن رسول الله ﷺ فمظنون، ولهذا فهى تفيد الظن القريب من اليقين، ومنكرها لا يكفر بل يفسق.

والثانى العزيز: إن صح فهو يفيد الظن لا اليقين؛ لعدم القطع بصدورها منه عليه الصلاة والسلام. ولهذا اختلف العلماء فى العمل بها فى الأمور الاعتقادية.

والثالث: الغريب الفرد: إن صح فالعلماء اختلفوا فى كونه حجة شرعية أم لا؟ والصحيح أنه حجة وهو يفيد الظن لا اليقين.

قلت: هذا ما ورد بعلمى أصول الفقه ومصطلح الحديث، فمن العجيب أن يزعم المؤلف رحمه الله أن خبر رسول الله ﷺ على إطلاقه العلم به يوازى العلم الثابت بالخبر المتواتر؟ والله تعالى أعلم.

(١) الاستدلال: هو طلب الدليل ليؤدى إلى المطلوب علمًا أو ظنًا.

(٢) قلت: هذه المسألة الثالثة عند المؤلف وهى نظر العقل تحتاج إلى بحث خاص بها ليس هنا موضعه، وحسبك ما ذكره علماء أهل السنة والجماعة على المتكلمين فى أصول الدين، لإثبات الصانع أو النفى عنه، فخرجوا عن الجادة وعن سبيل المؤمنين؛ لما سلكوه من تأويلاتهم للأدلة الدَّالة فى النفى والإثبات؛ فمنهم من كيف وشبه، ومثل، ومنهم من عطل، ومنهم من ألحد.

ولم يقنعوا بما جاء به الرسول ﷺ، الذى بين أصول الدين الحق، الذى أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله، وهى الأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك، قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه ﷺ دل الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية، والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الإلهية، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية.

ويكفى القارئ أن يرجع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى: «معارج الوصول»؛ ليستبين له أن الإعراض عن الكتاب، والسنة، واتباع الطرق الجدلية والاصطلاحات الفلسفية؛ كالجسم، والعرض، والجوهر، اتباع لغير سبيل المؤمنين واتباع للذين فى قلوبهم زيغ نعوذ بالله من ذلك والله أعلم.

(٣) القطعى يراد به: ما لا يحتمل الخلاف أصلاً، ولا يجوزه العقل ولو مرجوحًا.

(٤) الظن: هو تجويز راجح، بمعنى أن فيه حكم لحصول الراجحية ولا يقدح فيه احتماله للنقيض المرجوح.

به، ولا وجه إلى إنكار وقوع العلم بهذه الأسباب، فمن أنكر فقد عرف بنفسه عباد غيره.

وقوله: اختلاف الأئمة[1]، أراد به علم النظر بدقائق الأشياء

---

(١) اختلاف الأئمة فى العقيدة على قسمين؛ الأول: ما اختلفوا فيه مع غيرهم، والثانى: ما اختلفوا فيه فيما بينهم.

فالأول: ما اختلفوا فيه مع غيرهم من أهل الملل، كما فى: إثبات التوحيد لله، والعلم، والعدل، فالحق فيها واحد فمن أصاب أصاب الحق، ومن أخطأ فهو كافر، لأن القول القاطع الصواب قول أهل الإسلام؛ لأنه اعتقاد مطابق وتصديق ثابت بالكتاب المعروف بالإعجاز، وبالسنة التى هى كذلك أيضًا، وبالعقل الذى يستدل به على الآيات التى بها كونية كانت أو شرعية.

أما الاجتهادات من دونهم؛ كاليهود والنصارى فهى اعتقادات غير مطابقة، وتصديقات غير ثابتة، فمن صوب اليهود والنصارى وسائر الكفار فى اجتهاداتهم كفر إجماعًا؛ لأنه طابق الاعتقاد للمعتقد وصدق ما ليس بثابت، وقد ذكر العلماء: أن من نواقض لا إله إلا الله من لم يكفر الكافر، أو شك فى كفره، أو صحح مذهبه كفر إجماعًا.

والثانى: ما اختلف فيه المسلمون فيما بينهم من العقيدة، سواء من الأئمة، أو غيرهم من المسلمين، فالحق واحد أيضًا والصواب ملازمة ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه، والمخطئ من خاض فى الاجتهاد فى مسائل العقيدة؛ كمن خاض فى خلق القرآن، وغير ذلك مما يعظم خطره.

وليس لمجتهد أن يستفرغ جهده ووسعه فى مثل هذه المسائل التى لا طاقة لنا بها؛ لأنه غير مكلف بما لا يطيق؛ فإن سلك هذا المسلك الصعب فهو مخطئ، لا شك فى تأثيمه، وتفسيقه، وتضليله.

واختلف العلماء فى تكفيره، والظاهر عدم التكفير، وهو اختيار أغلب العلماء؛ قال الشوكانى: حكى إمام الحرمين عن معظم أصحاب الشافعى ترك التكفير وقال: إنما يكفر من جهل وجود الرب، أو علم وجوده ولكن فعل فعلاً أو قال قولاً أجمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر. انتهى.

والأئمة والحمد لله معافون من ذلك كله، ويدل على ذلك مؤلفاتهم وثناء علماء المسلمين عليهم سلفًا وخلفًا.

قال الشوكانى: واعلم أن التكفير لمجتهدى الإسلام بمجرد الخطأ فى الاجتهاد فى شىء من مسائل العقل عقبة كؤود؛ لا يصعد إليها إلا من لا يبالى بدينه، ولا يحرص عليه؛ لأنه مبنى على شفا جرف هار، وعلى ظلمات بعضها فوق بعض، وغالب القول به ناشئ عن العصبية، وبعضه ناشئ عن شبهة واهية ليست من الحجة فى شىء، ولا يحل التمسك بها فى أيسر أمر من أمور الدين فضلاً عن هذا الأمر الذى هو مزلة الأقدام، ورفضه كثير من علماء الإسلام. انظر: (إرشاد الفحول).

قياسًا[(١)]، واستحسانًا استنباطًا[(٢)] لا اختراعا من جهة هوى النفس، وهذا لأن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها.

فمن لم يعرف الكفر لا يعرف الإيمان، ألا ترى أن من قال: لا أعرف الكافر كافرًا فهو الكافر[(٣)]؛ لأنه لما لم يعرف الكفر لم يعرف الإيمان.

وكذلك لو قال: لا أدرى أين مصير الكافر؟ يكفر؛ لأن الله تعالى علمنا أن مصير الكافر، النار.

وكذلك من لم يعرف البدعة والضلالة لم يعرف الاهتداء والاستقامة، وقال النبى ﷺ: «من أحدث حدثًا فى الإسلام فقد هلك [٧] ومن ابتدع بدعة فقد ضل ومن ضل ففى النار»[(٤)].

---

(١) القياس: هو نوع من أنواع الاجتهاد، لا يلجأ إليه إلا عند عدم وجود نص من القرآن والسنة؛ لأنه لا اجتهاد مع النص، وهو مصدر هام من مصادر الشريعة الإسلامية، ومعناه: إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه؛ لعلة مشتركة بينهما.

(٢) الاستنباط: هو التتبع والطلب، ومنه قوله تعالى: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾. أى الذين يتتبعونه، ويطلبون علمه. انظر: المداخل الأصولية.

(٣) قرر العلماء أن من لم يكفر المشركين، أو صحح اعتقادهم كفر إجماعًا، إلا أنهم فرقوا بين الفعل والفاعل؛ فالفعل الذى يسمى كفرًا لا يطلق على فاعله إلا بشروط، وانتفاء موانع؛ فقد يكون معذورًا بجهله، أو مكرهًا على قوله، أو مخطئًا، وكذلك فاعل البدعة، والضلالة، أو الفسق، لا يسمى مبتدعا ضالاً ولا فاسقًا إلا بشروط وانتفاء موانع، والله أعلم.
انظر: المداخل الأصولية.

(٤) لم أجده بهذه اللفظ. وفى طبقات ابن سعد (٧/ ١٤٨) بلفظ: «من أحدث حدثا فى الإسلام فاقطعوا لسانه». وأخرجه أبو داود فى كتاب «الديات» باب «إيقاد المسلم بالكافر»، (٤/ ص ١٧٩) حديث رقم (٤٥٣٠).
والنسائى فى كتاب «القسامة»، باب (القعود بين الأحرار): (٨/ ص ٣٨٧ - ٣٨٨) حديث رقم (٤٧٤٨)، وأحمد فى مسنده (١/ص ١١٩، ١٢٢). جميعًا من حديث على بن أبى طالب حينما سألوه هل عهد إليك النبى ﷺ شيئًا؟ فأخرج إليهم كتابا.... وفيه: «من أحدث حدثًا فعلى نفسه أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».
وفى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». =

وقال عليه السلام: «لا تجتمع أمتى على الضلالة فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار»(١).

=أخرجه البخارى فى كتاب «الصلح» باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٥/ص ٣٥٥) حديث رقم (٢٦٩٧).

ومسلم فى كتاب: «الأقضية»، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧/٣/ ص ١٣٤٣).

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «الفتن» باب «ما جاء فى لزوم الجماعة»: (٤/ص ٤٠٥) حديث رقم (٢١٦٧) من طريق سليمان المدنى، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «إن الله لا يجمع أمتى» أو قال: «أمة محمد ﷺ على ضلالة ....» الحديث.

وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسليمان الذى هو عندى سليمان بن سفيان، وقد رواه أبوداود الطيالسى، وأبو عامر العقدى وغير واحد من أهل العلم.

قلت: وسليمان بن سفيان الذى قال الحافظ فى التقريب: ضعيف.

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب « الفتن»، «باب السواد الأعظم» (١٣٠٣/٢) حديث رقم (٣٩٥٠)، من طريق معان بن رفاعة السلامى، حدثنى أبو خلف الأعمى عن أنس ... بنحوه.

وفى الزوائد: فى إسناده أبو خلف الأعمى، واسمه حازم بن عطاء، وهو ضعيف.

وقد جاء الحديث بطرق فى كلها نظر، قاله شيخنا العراقى فى تخريج أحاديث البيضاوى.

قلت: بل قال الحافظ فى أبى خلف الأعمى: متروك الحديث. ورماه ابن معين بالكذب.

وأخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (٣٩/١) حديث رقم (٨٠)، من حديث ابن عمر، وفيه سليمان بن سفيان وهو ضعيف كما تقدم، وبرقم (٨٢) من طريق كعب بن عاصم الأشعرى وفى إسناده سعيد بن رزين وهو منكر الحديث، والحسن مدلس، وفى رقم (٨٣) من حديث أنس وفى طريقه مصعب بن إبراهيم منكر الحديث، وفى رقم (٨٤) من طريق أبى خلف الأعمى عن أنس، وتقدم الكلام فى أبى خلف الأعمى، وفى رقم (٨٥) من حديث أبى مسعود موقوفًا بلفظ: «عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة»، وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين.

وقال الهيثمى فى «المجمع» (٢١٩/٥): رواه الطبرانى من طريقين إحداهما رجالها ثقات.

وأورده ابن حجر فى « التلخيص» (١٤١/٣) حديث رقم (١٤٧٤) وقال: هذا حديث مشهور له طرق كثيرة لا يخلو واحد منها من مقال، وساق طرقه جميعًا.

وكذلك أورده العجلونى فى «كشف الخفا» (٤٧٠/٢)، وقال: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وابن أبى خيثمة فى «تاريخه» عن أبى نضرة الغفارى رفعه فى حديث: «سألت ربى أن لا تجتمع أمتى على ضلالة فأعطانيها». =

فدل قول النبى ﷺ أن أهل الأهواء والبدعة والضلالة أصناف شتى كلهم فى النار.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «افترقت بنو إسرائيل اثنتى وسبعين فرقة فهلكت إحدى وسبعين فرقة وتخلصت فرقة وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة فهلكت اثنتى وسبعين فرقة وتخلصت فرقة»(١).

=والطبرانى وحده، وابن أبى عاصم فى «السنة» عن أبى مالك الأشعرى رفعه: «إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعًا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة».

ورواه أبو نعيم، والحاكم، وأعله اللالكائى فى «السنة»، وابن منده، ومن طريقه: الضياء عن ابن عمر رفعه: «إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا، وإن يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم، فإن من شذ، شذ فى النار».

وكذا عند الترمذى لكن بلفظ: «أمتى»، ورواه عبد بن حميد وابن ماجه عن أنس رفعه: «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم».

ورواه الحاكم عن ابن عباس رفعه بلفظ: «لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة ويد الله مع الجماعة» والجملة الثانية عند الترمذى وابن أبى عاصم عن ابن مسعود موقوفًا فى حديث: «عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة». زاد غيره: «وإياكم والتلون فى دين الله».

وبالجملة فالحديث مشهور المتن، وله أسانيد كثيرة، وشواهد عديدة فى المرفوع وغيره فمن الأول: «أنتم شهداء الله فى الأرض»، ومن الثانى قول ابن مسعود: إذا سئل أحدكم فلينظر فى كتاب الله، فإن لم يجده ففى سنة رسول الله، فإن لم يجده فيها فلينظر فيما اجتمع عليه المسلمون وإلا فليجتهد.

وقال الألبانى فى «الصحيحة» (١٣٣١): حديث حسن بمجموع الطرق.

(١) حديث افتراق الأمم جاء من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة.

أخرجه الآجرى فى «الشريعة» (١٢٧/١) حديث رقم (٢٣) من حديث أنس، رضى الله عنه، بلفظ: «تفترق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة .... الحديث».

وفى طريقه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى فهو ضعيف فى حفظه كما فى التقريب.

وأخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب «السنة» (٣٣/١) حديث رقم (٦٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ: «تفرقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة . . . » **الحديث**.

من طريق محمد بن عمرو، وإسناده حسن رجاله كلهم رجال الشيخين، غير محمد هذا فهو حسن الحديث. =

وفى حديث آخر قال: «كلهم فى النار إلا أهل السواد الأعظم».

وذلك خط النبى ﷺ خطًا فقال: «هذا سبيل الله كما قال **﴿وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** [الأنعام: ١٥٣]»[1].

=وأخرجه أبو داود فى كتاب «السنة» باب «شرح السنة» (٤/ص ١٩٧) حديث رقم (٤٥٩٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة ....» الحديث.

وليس فيه كلمة «الهلاك» أو «الناجية»، واختصره على الافتراق فقط.

وفيه أيضًا من حديث معاوية بن سفيان بلفظ: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة .....» الحديث. وأخرجه ابن ماجه فى كتاب «الفتن» باب «افتراق الأمم» (٢/ص ١٣٢٢) حديث رقم (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك.

وفى الزوائد: إسناد حديث عوف بن مالك فيه مقال. وراشد بن سعد، قال فيه أبو حاتم: صدوق وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد سوى ابن ماجه. وليس له عنده سوى هذا الحديث.

قال ابن عدى: روى أحاديث تفرد بها.

وذكره ابن حبان فى الثقات وباقى الإسناد ثقات. وفيه أيضًا من حديث أنس رضى الله عنه (١٣٢٢/٢) حديث رقم (٣٩٩٢).

وفى الزوائد: إسناده صحيح: رجاله ثقات.

وأخرجه أحمد فى «المسند» (٢/ص٣٣٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بنحوه.

وأخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (١/ص ٣٢) حديث رقم (٦٣) من حديث عوف بن مالك الأشجعى، رضى الله عنه، وإسناده جيد.

وفيه أيضًا من حديث أنس ومعاوية وأبى هريرة وأبى أمامة، رضى الله عنهم، وأحاديثهم صحيحة، وأخرجه الآجرى فى «الشريعة» (١٢٦/١) حديث رقم (٢١ - ٢٢) من حديث أبى هريرة، رضى الله عنه، وإسنادهما حسن.

وأخرجه البيهقى فى «السنن الكبرى» (١٠/ ص ٢٠٨) من حديث أبى هريرة، رضى الله عنه.

وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٢٥٨/٧) من عدة طرق.

والحديث بالجملة وبطرقه وبشواهده صحيح إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه الدارمى فى «المقدمة» باب «فى كراهية أخذ الرأى»: (١/ص ٧٨) حديث رقم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه. وأخرجه ابن أبى عاصم فى: «السنة»: (١/ ص ١٣) حديث رقم (١٧) من طريق عاصم .... به وإسناده حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير عاصم وهو ابن أبى النجود وهو حسن الحديث. =

ثم خط خطوطًا عن يمينه وشماله فقال: «هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه».

=وأخرجه أيضًا الحاكم في: «المستدرك»: (٣١٨/٢) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
وأورده الهيثمي في: «مجمع الزوائد: (٢٢/٧)، وقال: رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف. وأخرجه أحمد في «المسند»: (٤٣٥/١) حديث رقم (٤١٤٢)، وأخرجه الآجرى في «الشريعة»: (١/ص ١٢٠) حديث رقم (١١،١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، والحديث صحيح لكثرة الطرق والله أعلم.
وقال الشيخ أحمد شاكر (٤١٤٢): إسناده صحيح ورواه الحاكم في «المستدرك»: (٣١٨/٢) من طريق أبى بكر بن عياش، ومن طريق حماد بن زيد، كلاهما عن عاصم، به، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
وطريق أبى بكر بن عياش ستأتى (٤٤٣٧) وقد نقله الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٢٧/٣، ٤٢٨) عن المسند من الطريق الآتية، ثم قال: «وكذا رواه الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبى بكر بن عياش به، وقال: صحيح ولم يخرجاه، وهكذا رواه أبو جعفر الرازى وورقاء وعمرو بن أبى قيس عن عاصم عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعا به نحوه.
وكذا رواه يزيد بن هارون، ومسدد، والنسائى عن يحيى بن حبيب بن عربى، وابن حبان من حديث ابن وهب، أربعتهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبى وائل عن ابن مسعود، به، وكذا رواه ابن جرير عن المثنى عن الحمانى عن حماد بن زيد، به، ورواه الحاكم عن أبى بكر بن إسحاق عن إسماعيل بن إسحاق القاضى، عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد، كذلك، وقال: صحيح ولم يخرجاه.
وقد روى هذا الحديث النسائى والحاكم من حديث أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبى بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر عن عبد الله بن مسعود به، مرفوعًا.
وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحمانى، عن أبى بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر، به، وقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين، ولعل هذا الحديث عند عاصم ابن أبى النجود عن زر وعن أبى وائل شقيق بن سلمة، كلاهما عن ابن مسعود به، وهذا تحقيق نفيس. ﴿وأن هذا صراطى مستقيما﴾: قرأ حمزة والكسائى بكسر همزة إن وباقى السبعة بفتحها. وقد أثبتناها هنا بكسر الهمزة؛ لأن الرواية جاءت في هذا الموضع دون ذكر الواو، وهو جائز في الاستشهاد، فينبغى كسر الهمزة، إذ يجب كسرها في بدء الكلام، انتهى.

وقال: «إذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم»(١).

وقال: «لكل شيء آفة وآفة هذا الدين الأهواء»(٢).

وقال: «فرقة ناجية والباقون في النار»(٣).

---

(١) هذا جزء من الحديث السابق وأوله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم».
أخرجه ابن أبي عاصم في: «السنة»: (١/٤١) حديث رقم (٨٤). وابن ماجه حديث رقم (٣٩٥٠)، وفي طريقه أبي خلف الأعمى وهو متروك، والحديث بهذا اللفظ إسناده ضعيف جدًا، والصحيح الشطر الأول منه: «لا تجتمع أمتي على ضلالة». وقد تقدم الكلام على هذا الشطر.

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣/٣٨٠) حديث رقم (٥٠٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود وفيه: «وآفة هذا الدين ولاة السوء».
وفي الهامش: رواه الحارث عن إسماعيل بن أبي إسماعيل عن إسماعيل بن عياش عن مبارك بن حسان عن الحسن البصري عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.
قال: ويروى: «وآفة هذا الدين بنو أمية».
وأورده المناوي في: «فيض القدير»، وقال: ولهذا كتب ابن عبد العزيز إلى الحسن البصري: «أشر عليَّ بأقوام أوليهم وأستعين بهم على أمور المسلمين. فكتب: يا أمير المؤمنين إن أهل الخير لا تريد ذلك، وأصحاب الدنيا لا نريدهم، فعليكم بتروى الأحساب؛ لأنهم لا يدنسون أحسابهم بالخيانات، فمن عف لسانه عن الأعراض ويده عن الأموال فهو أولى بالولاية، رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن مسعود، وفيه مبارك بن حسان، قال الذهبي: قال الأزدي: يرمى بالكذب.
قال القاري: هو من كلام بعض الأعلام، وأقول: قال النجم: «لكل شيء آفة»، رواه الحارث بن أبي أسامة عن ابن مسعود، وبلفظ: «لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء».
ورواه الديلمي عن أبي هريرة بلفظ: «لكل شيء آفة تفسده و أعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا وحبهم الدينار والدرهم، يا أبا هريرة لا خير في كثير من جمعها إلا من سلطه الله على هلكتها في الحق». ا.هـ.
وأورده العجلوني في «كشف الخفا» (٢/١٩١) حديث رقم (٢٠٦٤) بلفظ «لكل شيء آفة وللعلم آفات».

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب «الإيمان» (٥/ ص ٢٦) حديث رقم (٢٦٤١)، والآجري في «الشريعة» (١/ ص ١٢٨) حديث رقم (٢٤) من طريق عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن=

قيل: وما الناجية؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابى اتبعونى ولا تختلفوا علىَّ فإنما هلك من كان قبلكم [٨] باختلافهم على أنبيائهم [وصلوا كما رأيتمونى أصلى][(١)] [ومن اتبعنى حذو القذة بالقذة][(٢)] [ومن خالف الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه][(٣)].

=يزيد عن عبد الله بن عمرو، وفى إسناده بن أنعم وهو ضعيف. وأخرجه الطبرانى فى «الصغير» وقال الهيثمى فى: «مجمع الزوائد» (١/١٨٩): رواه الطبرانى فى: «الصغير» وفيه عبد الله بن سفيان.

قال العقيلى: لا يتابع على حديثه هذا، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال العراقى فى تعليقه على الإحياء (٣/١٩٩): أسانيده جياد.

وأورده الألبانى فى صحيحه: (١/٢٠٤/ ص ١٦).

(١) أخرجه البخارى فى كتاب «الأذان» باب «الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة»: (٢/١٣١،١٣٢) حديث رقم: (٦٣١)، والدارمى فى كتاب «الصلاة» باب من أحق بالإقامة: (١/٣١٨) حديث رقم (١٢٥٣)، وفى « الأدب المفرد» عند البخارى حديث رقم (٢١٣).

والبيهقى فى «الكبرى» (٢/٣٤٥) والدارقطنى فى «سننه» (١/٢٧٣). وأحمد فى مسنده (٣/٤٣٦)، (٥/٥٣) جميعًا من طريق أبى قلابة عن مالك بن الجويبرى .... به وأورده الألبانى فى «إرواء الغليل» (١/٢٢٧،٢٢٨).

(٢) قلت: لم أجده بهذا اللفظ، هذا لفظ غريب حيث إننى لم أجده بهذا اللفظ فى كتب السنة، ولم يرد بهذا اللفظ فى كتب العقيدة ولا فى غيرها.

قلت: لعله أراد الإشارة إلى حديث شداد بن أوس بلفظ: « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلو من قبلهم حذو القذة بالقذة».

رواه الآجرى فى «الشريعة»(١/١٣٤) حديث رقم (٣٦). رواه أحمد فى: «مسنده»: (٤/١٢٥) وفى طريقه شهر بن حوشب، قال الحافظ فى التقريب: كثير الإرسال والأوهام، صدوق.

ويشهد له حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعًا: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم». أخرجه البخارى فى كتاب «أحاديث الأنبياء» باب ما ذكر عن بنى إسرائيل (٦/ص ٥٧١) حديث رقم (٣٤٥٦)، ومسلم فى كتاب «العلم» باب «اتباع سنن اليهود والنصارى» (٤/٦/ ص ٢٠٥٤). وأحمد فى مسنده (٣/٨٤،٨٩،٩٤)، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (٢١٧٨)، وابن أبى عاصم فى: «السنة»: (١/٣٦) حديث رقم (٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب «السنة» باب فى قتل الخوارج: (٤/٢٤٢) حديث رقم (٤٧٥٨). وابن أبى عاصم فى: «السنة» (٢/٤٣٣، ٤٣٤) حديث رقم (٨٩٢). والحاكم فى «المستدرك»: (١/١١٧)، وأحمد فى «المسند»: (٥/١٨٠)، ومن طريق خالد بن وهب عن أبى ذر، وإسناده=

وقال أويس القرنى[١] لهرم بن حيان: «إياك أن تفارق السنة والجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر فتدخل النار يوم القيامة»[٢].

=ضعيف. وأخرجه الترمذى فى كتاب «الأمثال» باب «ما جاء فى الصلاة والصيام والصدقة» (١٣٧/٥) حديث رقم (٢٨٦٣) ضمن حديث طويل لأبى الحارث الأشعرى وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قال محمد بن إسماعيل: أبو الحارث الأشعرى له صحبة، وله غير هذا الحديث.

وقال الحاكم: خالد بن وهبان مجهول كما فى التقريب، لم يجرح فى رواياته وهو تابعى معروف إلا أن الشيخين لم يخرجاه، وقد روى هذا المتن عن عبد الله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما.

قال الذهبى فى التلخيص: خالد لم يضعف. ا. هـ.

قلت: وقد خالف الذهبى قوله ففى «ميزان الاعتدال»: (٦٤٤/١) قال: خالد بن وهبان عن أبى ذر، مجهول. وله شاهد من حديث ابن عمر، رضى الله عنه.

أخرجه الحاكم فى المستدرك: (٧٧/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى.

وأورده الهيثمى فى: «مجمع الزوائد» (٢١٧/٥) من حديث أبى مالك الأشعرى، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات رجال الصحيح خلا على بن إسحاق السلمى، وهو ثقة.

(١) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء (١٩/٤): هو أبو عمرو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى المرادى اليمانى سيد التابعين فى زمانه، روى عنه يسير بن عمرو، وعبد الرحمن الجبلى وغيرهم، حكايات يسيرة، ما روى شيئًا مسندًا، ولا تهيأ أن يحكم عليه بلين وكان من أولياء الله المتقين. قال عبد الله بن أحمد: حدثنى عثمان بن أبى شيبة، حدثنا أبو بكر بن عياش عن مغيرة، قال: إن كان أويس القرنى ليتصدق بثيابه حتى يجلس عريانًا لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة.

وقال أبو أحمد بن عدى فى «الكامل»: ثم قال: ولا يجوز أن يشك فيه.

وعن عطاء الخراسانى قال: قيل لأويس: أما حججت؟ فسكت. فأعطوه نفقة وراحلة فحج.

(٢) أورده أبو نعيم فى الحلية (٨٤/٢، ٨٥) من طريق: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد ابن العباس بن أيوب حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان حدثنا الهيثم بن جرموز عن حمدان عن سليمان التيمى عن أسلم العجلى عن هرم بن حيان العبدى قال: قدمت الكوفة ولم يكن لى هم إلا أويس أسأل عنه.... فلم يكن بنحوه ثم وصاه وحذره قائلاً: «وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر فتموت فتدخل النار».

قلت ترجمته فى: سير أعلام النبلاء (١٩/٤)، الحلية (٧٩/٢)، أسد الغابة (١٥١/١)، لسان الميزان: (٤٧١/١)، تاريخ الإسلام (١٧٣/٢)، طبقات ابن سعد (١٦١/٦)، الإصابة (ت ٥٠٠).

وقال الشعبى[1]: إنما سميت أهل الأهواء، لأنها تهوى بصاحبها فى النار.
وقد شرعنا فى شرح أصول الدين[2] موفقًا للصواب إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤): هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذى كبار، وذو كبار: علامة العصر.
قال ابن سعد: كان الشعبى ضئيلاً نحيفًا، ولد هو وأخ له توأمًا.
وقال أحمد بن عبد الله العجلى: سمع الشعبى من ثمانية وأربعين من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يرسل إلا صحيحًا.
وقال أبو شهاب عن الصلت بن بهرام قال: ما بلغ أحد مبلغ الشعبى أكثر منه يقول لا أدرى.
وقال أبو نعيم: حدثنا أبو الجابية الفراء قال: قال الشعبى: إنا لسنا بالفقهاء، ولكنا سمعنا الحديث فرويناه ولكن الفقهاء من إذا علم عمل.
وقال مالك بن مغول: سمعت الشعبى يقول: ليتنى لم أكن علمت من ذا العلم شيئًا.
وقال سليمان التيمى عن أبى مجلز قال: ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبى؛ لا سعيد بن المسيب، ولا طاوس، ولا عطاء ولا الحسن ولا ابن سيرين فقد رأيتهم كلهم.
وقال ابن فضيل عن ابن شبرمة: سمعت الشعبى يقول: ما كتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا ولا حدثنى رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده علىّ.
نوح بن قيس عن يونس بن مسلم عن وادع الراسبى عن الشعبى قال: ما أروى شيئًا أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهرًا لا أعيد. ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الشعبى قال: إنما سمى هوى؛ لأنه يهوى بأصحابه.
وأورده أبو نعيم فى الحلية: (٤/٣٢٠) بسنده من طريقين الأول: حدثنا محمد بن أحمد حدثنا أحمد بن موسى حدثنا إسماعيل بن سعيد حدثنا سفيان عن ابن شبرمة عن الشعبى قال: «إنما سميت الأهواء أهواء؛ لأنها تهوى بصاحبها فى النار».
والثانى: حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا الحسن بن على بن نصر حدثنا محمد بن عبد الكريم حدثنا الهيثم بن عدى حدثنا أُبىّ بن عبد الرحمن المرادى عن الشعبى قال: إنما سموا أهل الأهواء أهل الأهواء؛ لأنهم يهوون فى النار.
قلت ترجمته فى: سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٤)، حلية الأولياء (٤/٣٢٠)، وفيات الأعيان (٣/١٢)، تهذيب التهذيب (٢/١١٤) البداية والنهاية (٩/٢٣٠)، تذكرة الحفاظ (١/٧٤)، طبقات ابن سعد (٦/٢٤٦).

(٢) أصول الدين: الأصل ما بنى عليه غيره، ومعناه: الدليل الراجح والقاعدة العامة، الدين نظام حياة، ومعناه هنا التوحيد، وسبق أن بينا أن معرفة هذا العلم من كتاب الله وسنة رسوله لا من علم الكلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - [باب أول ما يجب على العبد]

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الأَمَالِي ... لِتَوْحِيدِ بِنَظْمٍ كَاللآلِي

اعلم أن الواجب على العبد أولاً أن يقر بلسانه، ويصدق قلبه بوحدانية الله تعالى، أنه واحد أحد(١)، صمد، فرد، وتر، لا شريك له، ولا ضد له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره(٢) ولا رب سواه.

---

(١) زاد المؤلف على قول الإمام الطحاوى لفظ «أحد»، قال: إنه واحد أحد وهذا القول أصوب وأحكم؛ حتى لا يترك لمبطل حجة، والله تعالى ذكر عن نفسه فى كتابه أنه واحد، وذلك فى ثلث التوحيد المفصل، وذكر عن نفسه أنه أحد وهو المجمل فى سورة الإخلاص؛ فأحكم الله المفصل بالمجمل؛ لقطع حجج المبطلين الذين يتكلمون بالاتحاد والحلول فلا يكون الواحد محتملاً لتأويلاتهم الفاسدة، كقول النصارى: بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين.
فالواحد هنا متعدد وهو ما يسمى بالاتحاد. ومثله عند غلاة الصوفية والطبيعيين وإن كان ما عندهم أعظم كفرًا من النصارى؛ لأنهم جعلوا الله يتحد فى كل شيء تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(٢) قوله: «ولا إله غيره» نفى وإثبات؛ تنفى أربعة: الآلهة، والأنداد، والأرباب، والطواغيت، وتثبت أربعة: القصد، والخوف، والرجاء والمحبة، والتقوى.
وشروطها سبعة، هى: العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة.
والنفى والإثبات لازمان فى كلمة التوحيد لنفى الاحتمالات الباطلة.
قال شارح الطحاوية على بن أبى العز الأذرعى: وذلك أنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطانى، هب أن إلهنا واحد، فلغيرنا إله غيره فقال تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾.
قلت: وهى نفى أيضًا لاحتمال وجود إله مساوى لله كما يقول به بعض المشركين الخبثاء، لا رب سواه، وهم يعنون بذلك لا رب مساوى لله، فقال تعالى نفيا للأرباب: ﴿لا إله إلا هو﴾، وتنفى أيضًا وجود آلهة أدنى من الله، وهو ما كان عليه مشركى العرب، ويدل عليه ما كانوا يهلون به حول الكعبة: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك ملكته وما ملك.
فأهل النبى ﷺ بقوله: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».
فقال تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ لا أعلى، ولا مساوى، ولا أدنى.

فكل مخلوق بخليقته الشاهد على أن خالقه واحد وهو غنى عن الشريك والنظير، والصاحب والوزير، وهو إله السماوات والأرض، وإله الخلق أجمعين كما قال الله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ [الأنبياء: ٢٢].

لأنه لو كان للعالم صانعان لا يخلو إما أن يكونا قادرين مخالفين، أو موافقين، [٩] أو عاجزين، أو يكون أحدهما قادرًا والآخر عاجزًا، لا وجه للأول؛ لأنه يؤدى إلى التمانع والتدافع، وذلك محض الفساد، ولا وجه للثانى والثالث والرابع؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، فإذا تعذر إثبات الصانعين ثبت أن الصانع واحد، بلا مثل، ولا حد، ولا شبيه، ولا عدو، بلا ضد ولا ند كما قال الله تعالى: ﴿**إنما الله إله واحد**﴾ [النساء: ١٧١].

وقال الله تعالى: ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ [البقرة: ١٦٣].

فالإيمان على الجارحتين[(١)]: يعنى على القلب واللسان لا غير، ولا ينفع تصديق

---

(١) قول المؤلف: «الإيمان على الجارحتين» يعنى على القلب واللسان لا غير هو قول الطحاوى ومن وافقه.

قال الأذرعى: وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوى: أنه إقرار باللسان، وتصديق بالجنان.

قلت: وهذا قول مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولما ذهب إليه جمهور أهل السنة كالشافعى، وأحمد، والأوزاعى، وإسحاق، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين إلى أنه: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

واعلم أننا لا نستطيع أن نشق الصدور لنطلع على الجنان، فلا يبقى من معرفة الإيمان عند المؤلف، ومن وافقه: إلا الإقرار باللسان، وهو مذهب الكرامية.

وذهبت الجهمية إلى أن الإيمان هو معرفة القلب، وهذا القول أظهر فسادًا من سابقه.

ووافقت المعتزلة قول الجمهور من أهل السنة والجماعة إلى أن: الإيمان قول وعمل؛ لكن بشروط ذكرها ابن حجر فى: «فتح البارى» (كتاب الإيمان).

والحاصل: أن الإيمان عند جمهور أهل السنة قول وعمل، ولا يذكرون القلب إلا للبيان؛ لأن لنا الظاهر والقلب من الأعمال الباطنة التى لا يعلمها إلا الله، ويرفع الإيمان عن صاحبه إذا ارتكب عملاً من الأعمال التى ذكرها النبى ﷺ حين ارتكابه للعمل كالزنا والسرقة.

ويبقى أصل الإيمان أو لا يبقى؟ وذلك متوقف على وجود شروط وانتفاء موانع؛ فإن قلنا: إن الإيمان قول فقط كان صوابًا لمن كان حديث عهد بالإسلام، أو الكافر قالها ابتداءً على أى =

القلب بغير اللسان إلا الأخرس، وكفاه التصديق بالقلب بلا خلاف على كل حال.

والتصديق هو معرفة الله تعالى بالقلب أنه واحد بلا كيف، فمن أقر بلسانه ولم يصدق بجنانه فهو منافق، والله تعالى سماهم كافرين، وقال تعالى: ﴿**وما هم بمؤمنين**﴾ [البقرة: ٨] و﴿**قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم**﴾ [المائدة: ٤١]،

أى لم يصدقوا بقلوبهم، إلا أنه يرتفع عنه السيف وحكمه حكم أهل الإسلام فى الظاهر؛ لأننا لم نكلف على علم الضمائر، وإنما كلفنا على علم الظاهر[1]، وهو فى

=حال، كما فى حديث أسامة، أو لمن مات أو قتل بعد القول مباشرة. ثم الإيمان قول وعمل بعد الدخول فيه ومعرفة أحكام الإسلام وشرائعه.

وقد ذكر محمد القحطانى صاحب كتاب: «الولاء والبراء فى الإسلام» ردود طيبة لابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب، وله على من زعم أن كلمة التوحيد لفظ فقط ليس هنا موضعها. انظر الولاء والبراء للقحطانى ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢) الطبعة الثانية دار الصفوة.

(١) علم الظاهر: المقصود به الإسلام، وهى الأعمال الظاهرة التى أمر الله ورسوله بها؛ كالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك مما أمر به الشارع أو نهى عنه.

ويدل عليه: حديث المرأة التى سألها الرسول ﷺ عن الله فأشارت إلى السماء فشهد لها بالإيمان.

وهذا الحديث أخرجه أحمد فى «المسند»: (٥/٤٤٧،٤٤٨)، والنسائى فى «السنن الكبرى: (١١٤١)، والبخارى فى «خلق أفعال العباد»: (ص ٢٦،٦٩،٧٠)، ومسلم: (٢/٧٠،٧١،٧/٣٥)، وأبو داود: (٩٣٠،٣٢٨٢،٣٩٠٩).

وقوله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» أخرجه أحمد (٣/٦٨)، وابن ماجه: (٨٠٢٩)، والبيهقى وابن حبان وابن خزيمة وأبو نعيم والحاكم.

غير أن بعض الأعمال الكفرية قد تظهر ممن ظهر منه الإيمان، فتنقضه وتلك المكفرات مجموعة فى مؤلفات علماء أهل السنة؛ كفعل من يظهر الإيمان بصلاة وزكاة وغيرها؛ لكنه لا يكفر الكافر، أو شك فى كفره، فهذا يكفر بالإجماع، أو كالذى يتحاكم إلى القوانين الوضعية الكفرية بإرادته ويعرض عن حكم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ والله أعلم.

وعلم الظاهر يشير إليه قول النبى ﷺ: «إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس وأشق بطونهم» الذى أخرجه البخارى فى كتاب «المغازى باب بعث على بن أبى طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع»: (٧/٦٦٥) حديث رقم: (٤٣٥١)، ومسلم فى كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/١٤٤/ ص ٧٤٢).

من طريق عبد الرحمن بن أبى نعيم قال: سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: بعث على بن أبى=

الحقيقة كافر يظهر كفره، ويهتك ستره بعد موته كقوله تعالى: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾ [النساء: ١٤٥].

[١٠] لأن إقرار الفرد لو كان إيمانًا لكان المنافقين كلهم مؤمنين قال الله تعالى: ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾ [المنافقون: ١].

ومن صدق بجنانه ولم يقر بلسانه فهو كافر؛ لأن معرفة الفرد لو كان مؤمنًا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين قال الله تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ [البقرة: ١٤٦].

فالصواب والحقيقة أن الإيمان إقرار باللسان بوحدانيته، وتصديق بالقلب بفردانيته بجميع ما أنزل الله على رسوله، وهما ركنا الإيمان بلا خلاف[١] حتى لا يصير العبد مؤمنا بدونهما، ومثاله كزرنيخ ونورة[٢] إذا اجتمعا يحلق الشعر وإن لم يجتمعا لم يحلق.

=طالب إلى الرسول ﷺ من اليمن بذهبة في أديم.... الحديث، وهو طويل وفيه (الجملة السابقة) وكذلك حديث أسامة بن زيد (رضى الله عنه) حينما قتل رجلاً من جهينة بعد أن نطق الشهادتين فيقول النبي ﷺ لأسامة: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟». قلت: كان متعوذًا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

الذي أخرجه البخاري في كتاب «المغازي» باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى المرقات من جهينة»: (٧/٥٩٠) حديث رقم: (٤٢٦٩)، ومسلم في كتاب «الإيمان» باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (١/١٥٨ - ١٦٠/ ص ٩٦ - ٩٧). ا. هـ

(١) قوله: «بلا خلاف»؛ قول غير صحيح؛ فالخلاف مشهور بين أهل السنة وغيرهم، وبين أهل السنة فيما بينهم كما سبق بيانه، إلا أن الأذرعي في شرحه لأصول العقيدة الإسلامية المعروف بالطحاوية قال: الاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة يقصد جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم اختلاف صوري؛ فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزء من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه نزاع لفظي؛ لا يترتب عليه فساد اعتقاد.

ثم قال: ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وقال: وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه أنه عاص لله ورسوله، مستحق للوعيد.

(٢) [الزرنيخ]: عنصر شبيه بالفلزات، له بريق الصلب ولونه، ومركباته سامَّة، يستخدم في الصلب، وفي قتل الحشرات.

[النورة]: حجر الكلس، وأخلاط من أملاح الكلسيوم والباريون، تستعمل لإزالة الشعر. انظر «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٣، ٢/ ٩٦٢).

كذلك إذا اجتمع الإقرار والتصديق، به يكون مؤمنا وإلا فلا، دليلنا على الإقرار والتصديق كلاهما فرض، قوله تعالى: ﴿ولكن حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم﴾ [الحجرات: ٧].

وقال: ﴿أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة: ٢٢]. أى أثبت.

وقال: ﴿ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾ [الحجرات: ١٤].

ولأن ضد الإيمان الكفر وهو التكذيب، والتكذيب والتصديق عمل القلب.

وقوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قابل الإيمان بالكفر، والكفر تكذيب وجحود وإنكار، وكذا الإيمان إقرار [١١] وتصديق وإخلاص، ودليل آخر قال الله تعالى وقت الميقات الذى أخذ الله تعالى من آدم وذريته حين أخرج من صلب آدم ذريته كالذر وأعطاهم العقل والخبرة(١)، ثم خاطب الكل فقال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فشهد الأنبياء والأولياء بوحدانية الله تعالى، وشهد محمد ﷺ أنه رسوله عن طوع فكان ذلك إيمانًا منهم، ثم قال الله تعالى لهم: ﴿أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى﴾ [آل عمران: ٨١] أى عهدى. ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾، يعنى قال لجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، فإنهم أقروا بلسانهم وصدقوا بقلوبهم، فتبين أن الإقرار والتصديق كلاهما فرض.

---

(١) وفى هذا إشارة إلى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً. قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾.
الذى أخرجه أحمد فى مسنده: (١/٢٧٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٤٥٥): إسناده صحيح.
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد: (٧/٢٥) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب «السنة» (١/٨٩) حديث رقم (٢٠٢) وقال: إسناده حسن.
وأخرجه الحاكم فى «المستدرك»: (١/٢٧) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقال: حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى بقوله: فيه إرسال.
وأخرجه الحاكم: (٢/٥٤٤)، والبيهقى فى: «الأسماء والصفات»: (ص ٣٢٦ - ٣٢٧) وابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (٩/٧٥) جميعًا من طريق كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وأورده الألبانى فى الصحيحة (١٦٢٣).

وقالت الخوارج: كل طاعة إيمان، وكل معصية كفر، فإذا وجدت طاعة ومعصية اتصف العبد بكونه كافرًا بمعصيته، ولا يتصف مؤمنًا بطاعته؛ لأن الكفر أغلب من الإيمان.

قلنا: هذا قبيح، لو كان المؤمن كافرًا بالمعصية، لما سمى الله تعالى العاصين بالإيمان حيث قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا**﴾ [التحريم: ٨]، وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ [النساء: ٤٣].

فالسيئات لا تمحى الحسنات، والحسنات تمحى السيئات قال الله [١٢] تعالى: ﴿**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقالت المعتزلة(١): الإيمان مجموع الطاعة نفلاً كان أو فرضًا، وبعضهم قالوا: اسم للفرائض دون النوافل.

وقالت الكرامية(٢): الركن هو الإقرار المجرد إذا لم يكن أخرسًا، ليظهر ذلك عند الناس فيجرى عليه حكم الإسلام.

وقال عامة المشايخ: الإقرار باللسان ركن لتصديق القلب، كما ذكرنا.

وقال الشافعى(٣) رحمه الله: خمسة أركان كما جاء فى الخبر.

---

(١) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء الذى اعتزل حلقة الحسن البصرى.
وهم يشاركون الجهمية فى نفى الصفات وتأويلها ويسمون ذلك «توحيدًا»، ويشاركون القدرية فى دعوى أن أفعال العباد لم يخلقها الله ولم يرد إلا ما أمر به شرعًا، وهم يسمون ذلك: «عدلا»، ويقولون بالمنزلة بين المنزلتين أى أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلقًا ولا بكافر مطلقًا، وينكرون رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ويشاركهم فى ذلك كثير من الشيعة وغيرهم.

(٢) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام السجزى، أسرفوا فى إثبات الصفات حتى انتهوا إلى التجسيم والتشبيه وهم يوافقون السلف فى إثبات القدر والقول بالحكمة، ولكنهم يخالفون المعتزلة فى وجوب معرفة الله تعالى بالعقل، وفى أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع، كما يعدهم الأشعرى وابن حزم من المرجئة لقولهم: إن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب. انظر: منهاج السنة (٤٣/١) وهامش المحقق «التبصير فى الدين» (٦٥ - ٧٠)، الفرق بين الفرق. (١٣٠ - ١٣٧)، المقالات (٢٠٥/١).

(٣) الإمام الشافعى محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن=

وقال بعضهم: الركن هو التصديق بالقلب، ويصير العبد مؤمنًا بينه وبين ربه بالتصديق المجرد، وهذا رواية عن أبى حنيفة رحمه الله، وهو اختيار أبى منصور الماتريدى السمرقندى، وقول جماعة من المتكلمين ثم إذا وجد من العبد الإيمان بالله بجميع صفاته التى وصف بها نفسه، وبملائكته، وكتبه، ورسله، ﴿**لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ [البقرة: ٢٨٥] أى لا نكفر ولا نكذب أحدًا منهم ونصدقهم جميعًا على ما جاءوا به، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره، من الله تعالى، والجنة والنار، والرؤية والصراط، والميزان والحساب، والكتاب والبعث والسؤال، وبجميع ما أمر به بالحد والحقيقة، ويعرف الحلال حلالاً والحرام حرامًا، فيؤمن بذلك [١٣] كله صار العبد مؤمنا للحال، حقًا على الثبات من غير شك(١) ولا شك بعده فى إيمانه كما

=غالب عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة. أخذ العلم ببلده عن مسلم بن خالد الزنجى، مفتى مكة، وسعيد بن سالم، وفضيل بن عياض وعدة، وارتحل وهو ابن نيف وعشرين وتأهل للإمامة وأفتى، حمل عن مالك «الموطأ» وصنف فى أصول الفقه وفروعه، قال يحيى بن معين: ليس به بأس، وعن أبى زرعة الرازى قال: ما عند الشافعى حديث فيه غلط.

وقال أبو داود السجستانى: ما أعلم للشافعى حديثًا خطأ.

قال المزنى: كان الشافعى ينهى عن الخوض فى الكلام، ويروى أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبى، وإذا صح الحديث فاضربوا بقولى عرض الحائط.

قال محمد بن داود: لم يحفظ فى دهر الشافعى كله أنه تكلم فى شىء من الأهواء ولا نسب إليه، ولا عرف به، مع بغضه لأهل الكلام والبدع.

قال الذهبى: قلت هذا أول شىء على أنه ثقة حجة حافظ وناهيك من قول هذين قال المبرد: كان الشافعى من أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات.

قلت: ترجمته فى: سير أعلام النبلاء: (٥/١٠)، معجم الأدباء: (٢٨١/١٧)، وفيات الأعيان: (١٦٣/٤ - ١٦٤) الوافى بالوفيات: (١٧١/٢ - ١٨١)، تهذيب التهذيب: (٢٥/٩)، الحلية: (٦٣/٩ - ١٦١).

(١) الشك: هو تردد الذهن بين الطرفين وهو لا حكم فيه بواحد من الطرفين لتساوى الوقوع واللا وقوع، فى نظر العقل، فلو حكم بواحد منهما لزم الترجيح بلا مرجح ولو حكم بهما جميعًا لزم الحكم بالنقيضين، انظر: «إرشاد الفحول».

والشك ضد اليقين الذى هو أحد شروط لا إله إلا الله، فمن شروطها اليقين المنافى للشك، والله أعلم.

والشك منافى لليقين، واليقين شرط من شروط لا إله إلا الله؛ لأن الإيمان لا يغنى فيه إلا علم اليقين لا علم الظن. انظر: «معارج القبول»: (٣٧٨/١).

قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات: ١٥]. يعنى لم يشكوا فى دينهم.

* * *

[الأول فصل: لا استثناء فى الإيمان] (١)

ولا يجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله ولكن يقول: أنا مؤمن حقًا.

والاستثناء فى الإيمان لا يجوز؛ لأن الاستثناء شك، والشك فى أصل الإيمان كفر وضلالة، وثباته والدوام عليه فمستحسن، قال الله تعالى: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾ [البقرة: ١٣١].

وما استثنا، وقال خبرًا عن السحرة: ﴿**آمنا برب العالمين رب موسى وهارون**﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]، من غير استثناء وقال النبى ﷺ : «من شك فى إيمانه فقد كفر» (٢).

---

(١) هذا العنوان لم يرد فى المخطوطة وهو من عندنا.

(٢) أخرجه ابن حبان كما فى الفوائد المجموعة: (ص ٤٥٣) وقال: موضوع. وأورده فى «اللآلى المصنوعة» (١/٤٢ – ٤٣)، وقال عن ابن حبان قال: حدثنا عثمان بن عبد الله الأموى حدثنا غنيم بن سالم عن أنس مرفوعًا: من شك فى إيمانه فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين. لا يصح: غنيم لا يحتج به، وعثمان يضع. ا. هـ.

قال السيوطى: قال فى الميزان: الظاهر أن غنيمًا هذا هو نعيم بن سالم أحد المشهورين بالكذب وإنما صغره بعضهم.

قال فى اللسان: وهو كذلك فقد أخرج ابن عدى فى أثناء ترجمة نعيم بن سالم من طريق عثمان عن عبد الله الأموى حدثنا غنيم بن سالم من ولد قنبر عن أنس حدثنا أنه هو. والله أعلم أ.هـ.

وأورده ابن عراق فى «تنزيه الشريعة»: (١/١٥٠/٩) وعزاه إلى ابن حبان من حديث أنس وقال: لا يصح، فيه عثمان بن عبد الله الأموى، وغنيم بن سالم. ورواه ابن الجوزى فى: «الموضوعات»: (١/١٣٥ – ١٣٦) وقال: حديث لا يصح.

قال ابن حبان: غنيم لا يحتج به؛ روى العجائب، قال: وعثمان يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتب حديثه إلا اعتبارًا.

وقال: «صنفان لا ينالهما شفاعتى: القدرية[١] والمرجئة[٢]»[٣].

---

(١) القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، وينكرون سلطان القدر الإلهى وإرادة الله ومشيئته فيما نهى عنه وهم الذين كانوا يخوضون فى القدر ويذهبون إلى إنكاره، وأول القدرية هو على الأرجح معبد الجهنى المقتول سنة ٨٠ هـ.
انظر: « منهاج السنة»: (٩/١) وهامش المحقق، «شرح مسلم للنووى» (١/١٥٠، ١٥١) وتبعه على ذلك غيلان بن مسلم الدمشقى المقتول فى عهد عبد الملك بن مروان. انظر: «الفرق بين الفرق» ٧٠، «المعتزلة»: تأليف زهدى جار الله القاهرة، (١٩٤٧) ص (٦،٧).
وقد ذكر الأشعرى فى مقالاته اختلاف الرافضة فى أصول الدين وبين أن بعضهم كانوا يتابعون المعتزلة والقدرية انظر المقالات (١/١٠٥، ١١٠، ١١٤، ١١٥) ونقل ابن تيمية بعض كلامه فيما يلى من هذا الكتاب: بولاق (١/٢١٤). وانظر أيضًا «ضحى الإسلام» لأحمد أمين: (٣/٢٦٧ - ٢٦٨) القاهرة، ١٩٤٩.

(٢) المرجئة: هم القائلون: لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة، ويرجئون الحكم على صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يحكمون عليه بأنه من أهل الجنة أو أهل النار.
وهم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، بمعنى أنهم كانوا يجعلون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له، والإقرار بوحدانيته، ولا يجعلون هذا الإيمان متوقفًا على العمل، وأكثر المرجئة يرون أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص، وبعضهم يقول: إن أهل القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصى.
انظر: «منهاج السنة» (١/٦٣)، وهامش المحقق، «انظر المقالات»: (١/١٩٧ - ٢١٥)، «الملل والنحل»: (١/١٢٥ - ١٣٠)، «الفرق بين الفرق»، ص ١٢٢ - ١٢٥، «الفصل »لابن حزم ٥/٧٣ - ٧٥، «التبصير فى الدين» (ص ٥٩ - ٦١).

(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب «القدر» باب «ما جاء فى القدرية»: (٤/٣٩٥، ٣٩٦) حديث رقم (٢١٤٩) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ: «ليس لهما فى الإسلام نصيب».
وقال أبو عيسى: وفى الباب عن عمر، وابن عمر، ورافع بن خديج، وهذا حديث غريب حسن صحيح.
وابن ماجه فى «المقدمة» باب فى الأعيان: (١(٢٤) حديث رقم (٦٢) بلفظ الترمذى.
وابن أبى عاصم فى «السنة» (١/١٤٧ - ١٤٨)، حديث رقم (٣٣٤ - ٣٣٥) بلفظ الترمذى، وأخرجه أيضًا فى: (٢/٤٦١) حديث رقم: (٩٤٦) بلفظ: «لا تنالهما شفاعتى».
وفى إسناده نزار، ذكره ابن حبان فى: «الضعفاء» وقال: يأتى على عكرمة بما ليس من حديثه، حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد لذلك، وابنه ضعيف، جميعًا من طريق ابن نزار عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس.... به. وأخرجه الطبرانى فى «الأوسط»: (٢/١٩٧)، حديث رقم=

وقال: قوم يقولون نحن مؤمنون إن شاء الله جعل هذا القائل من المرجئة؛ لأن الإرجاء هو التأخر، وهو أخر حصول الإيمان إلى المشيئة، قال النبي ﷺ: «من قال أنا مؤمن إن شاء الله تعالى فقد خرج من أمر الله تعالى ومن لم يكن مؤمنًا حقًا كان كافرًا حقا»(١).

=(١٦٤٨) من طريق محمد بن عطية عن الأوزاعى عن مكحول عن واثلة بن الأسقع.... به، وقال الهيثمى فى: «مجمع الزوائد» (٢٠٦/٧): وفيه ابن محصن وهو متروك، وفيه أيضًا من طريق بحر بن كثير السقا، كذا فى المجمع (٢٠٦/٧)، وبحر بن كثير متروك.
وفيه من حديث جابر من طريق يزيد بن سهل.
وقال الهيثمى: كذاب، ومن حديث أبى سعيد الخدرى وفيه عمرو بن القاسم بن حبيب التمار وهو ضعيف، وكذلك عطية العوفى. كذا كله فى «المجمع» للهيثمى (٢٠٦/٧، ٢٠٧).
وأورده الألبانى فى «الأحاديث الضعيفة» (٦٦٢) وفيه زيادة وقال: موضوع بهذا التمام.
والبخارى فى «التاريخ» : (١٢٣/٤) من طريق سلام بن أبى عمرة عن عكرمة..... به. وأورده الذهبى فى «ميزانه»: (١٨٠/٢) تحت ترجمة «سلام بن أبى عمرة» وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء.
وقال ابن حبان: سلام بن أبى عمرة لا يجوز الإصحاح به.
قلت: والحديث أسانيده ضعيفة جدًا كما تقدم.

(١) أورده السخاوى فى: «المقاصد الحسنة»: (ص ٤٢٠) بلفظ: «من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل».
رواه الطبرانى فى الأوسط بالشطر الثانى منه عن ابن عمر بسند فيه ليث بن أبى سليم، وفى الصغير بالشطر الأول من قول يحيى بن أبى كثير بلفظ: «من قال أنا فى الجنة فهو فى النار».
وسنده ضعيف، وهو عند الديلمى فى مسنده عن جابر بسند ضعيف جدًا، ورواه الحارث بن أبى أسامة من جهة قتادة عن عمر بن الخطاب موقوفًا عليه وهو منقطع.
وأورده السيوطى فى: «اللآلى المصنوعة» (٤٢/١) قال: وروى محمد بن تميم عن أنس مرفوعًا بلفظ: «من قال: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى فليس له فى الإسلام نصيب». وضعفه محمد بن تميم والله أعلم.
وأورده العجلونى فى «كشف الخفا» (٣٥٢/٢،٣٥٣) بلفظ: «من قال أنا مؤمن فهو كافر، ومن قال أنا عالم فهو جاهل».
وقال: رواه الطبرانى فى «الأوسط» بالشطر الثانى منه عن ابن عمر بسند فيه ليث بن أبى سليم.
وفى الصغير بالشطر الأول من قول يحيى بن أبى كثير بلفظ: «من قال أنا فى الجنة فهو فى النار»، وسنده ضعيف.
ورواه الديلمى عن جابر بسند ضعيف جدًا، ورواه الحارث بن أبى أسامة عن عمر بن الخطاب=

وقال عمر رضى الله عنه على المنبر: لو كان الأمر على ما يقول الشكاكى[١]: بأن الذنوب تنقص [١٤] الإيمان لأمسى أحد نام كان لا يدرى ما يذهب من إيمانه أقل أبقى منها أوما بقى فهو محال؛ لأن الإيمان عبارة عن إقرار وتصديق، وذلك ما لا يزيد ولا ينقص، ولو قال الكافر إبتداء: أنا مؤمن إن شاء الله وأراد الدخول فى الإسلام لم يكن داخلاً ولو وقّتَ، يعنى قال: آمنت بالله ورسوله إلى سنة، أراد بها التوقيت لم يصر مؤمنًا.

وقال الشافعى رحمه الله: يجوز الاستثناء[٢] واحتج بقوله عليه السلام أنه مر بمقبرة فسلم عليهم وقال: «إنا لاحقون بكم إن شاء الله تعالى»[٣].

=موقوفًا عليه وهو منقطع.

وقال الهيثمى فى فتاواه: هذا على ضعف، فقد وهمه الحفاظ على أن رافعه لم يجزم برفعه، مع أنه ضعيف مختلط. وقد ثبتت عن كثير من الصحابة وغيرهم ممن لا يحصى قول كل منهم: أنا عالم، وما كانوا ليقعوا فى شىء ذمه النبى ﷺ.

قال: وأبلغ منه قول يوسف عليه السلام: إنى حفيظ عليم.

وأورده الزبيدى فى الإتحاف: (٢/٢٧٦). وضعفه ونقل كلام السيوطى فى المقاصد.

(١) [الشكاكى] مفرد [الشَّكّاكُون] وهم: فرقة من الفلاسفة يترددون بين إثبات حقائق الأشياء وإنكارها، ويسمون فى الفلسفة الإسلامية «باللاأدرية»، وهم فريق من السوفسطائيين. انظر «المعجم الوسيط» (١/ ٤٩١) مادة [شكَّ]

(٢) مسائل العقيدة غير موقوفة على قول صحابى أو تابعى أو إمام من الأئمة ولكنها موقوفة على الكتاب والسنة ولم يثبت لا فى الكتاب ولا فى السنة دليلاً يجوز الاستثناء فى الإيمان والقول به بدعة، والعمل بالاستثناء كفر؛ لأنه شك كما بينه المؤلف، والله أعلم.

(٣) أخرجه مسلم فى «كتاب الطهارة»: باب «استحباب إطالة الغرة والتحميل فى الوضوء»: (١/٣٩/٢١٨) من طريق إسماعيل، أخبرنى العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة بلفظ: إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.... الحديث».

وأخرجه فى «الجنائز» باب «ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها» (٢/١٠٤/٦٧١) من طريق سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله اللاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية.

وأخرجه أبو داود فى كتاب: «الجنائز» باب «ما يقول إذا زار القبور أو مر بها»: (٣/٢١٦)=

فاستثنى فى الموت، أفترى الموت لا شك فيه، وكذلك نحن لا شك فى إيماننا، ويجوز الاستثناء للخاتمة كذلك يجوز فيه.

قلنا: الاستثناء للخاتمة فى الثبات على الإيمان وذلك مشكوك فيه وهو واجب فيه وإنما وقع كلامنا فى الاستثناء فى الإيمان فإذا بطل الاستثناء فيه فى حال، بطل فى جميع الأحوال، والذى روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى جواز الاستثناء، وهو محمول فى الثبات على الإيمان، كان ذلك زلة منه فرجع عنها، وسكوتكم خير لكم من نطقكم فى هذا الخبر؛ لأن النبى ﷺ [١٥] لم يستثن فى الموت وإنما استثنى فى اللحوق لأنه مشكوك فيه، إذ الفريق فريقان فى الجنة أو فى النار؛ لأن الإيمان عقد على الصواب فالاستثناء يبطله كسائر العقود، قال الله تعالى: ﴿**أولئك هم المؤمنون حقًا**﴾ [الأنفال: ٤].

وقال: ﴿**أولئك هم الكافرون حقًا**﴾ [النساء: ١٥١].

وقال: ﴿**مذبذبين بين ذلك**﴾ [النساء: ١٤٣]. فصاروا على ثلاثة أصناف، ولم يذكر الصنف الرابع[1].

قلنا: يقع الاستثناء[2] فى الأعمال المؤقتة لا المؤبدة، والإيمان معقود على الأبد من

=حديث رقم (٣٢٣٧) من طريق العلاء عن أبيه عن أبى هريرة.... به. والنسائى فى كتاب «الجنائز» باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين: (٣٩٦/٤ - ٣٩٩) حديث رقم (٢٠٣٦ - ٢٠٣٩) عن عائشة رضى الله عنها وبريدة وأبى هريرة رضى الله عنهم جميعًا وأخرجه ابن ماجه فى كتاب «الجنائز» باب (ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر): (٤٩٣/١ - ٤٩٤) حديث رقم (١٥٤٦، ١٥٤٧) من حديث عائشة وبريدة رضى الله عنهما. وأحمد فى «مسنده»: (٣٠٠/٢، ٣٧٥، ٤٠٨)، (٣٥٣/٥، ٣٦٠)، (٧١/٦، ٧٦، ١١١، ١٨٠، ٢٢١) من أحاديث أبى هريرة وعائشة وبريدة رضى الله عنهم.

(١) قلت: هذه الكلمة يجب أن تذكر نكرة بدون التعريف لأنه لم يوجد أصلاً صنف رابع، وقوله: «لم يذكر» الصنف الرابع، يعنى أن هناك صنفًا رابعًا ولكن الله لم يذكره، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وتنزه عن السهو والخطأ والنسيان، والله تعالى أعلم.

(٢) ذكرت هذه فى كتب وشرح العقيدة الطحاوية (٤٩٤/١٢) وما بعدها، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٩/٧ك٤٦٦). ومصادر أخرى كثيرة لأهل السنة والجماعة ولقد أصاب المصنف فيها وأوجز فلا حاجة لذكره والله أعلم.

غير توقيت؛ لأنه من كان مؤمنًا حقيقة عند الله لمن كان طويلاً أو قصيرًا يكون عند الله كذلك.

وقال الضحاك[1]: جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنه فقال له: أنا مؤمن حقًا أو أقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟ قال: آآمنت بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله؟ قال: نعم، قال: قل أنا مؤمن حقًا.

وروى عن عطاء[2] قال: أدركت أصحاب النبى ﷺ يقولون: نحن المؤمنون حقًا إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: أنا لا شك فى إيمانى وسؤالك إياى بدعة، وإذا سئل أحدكم فى إيمانه فلا يشكن فيه وليقل: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقد بين الله تعالى أن المؤمن مؤمن حقًا وأن [١٦] الكافر كافر حقًا فلا يجوز الاستثناء فى الكفر بالإجماع؛ لأن الاستثناء فى الكفر كفر مثله، فكيف يجوز الاستثناء فى الإيمان؟ فكل ما كان مشكوكًا فيه يجب الاستثناء عليه، كقوله تعالى: ﴿**ولا تقولن**

---

(١) الضحاك هو: الضحاك بن مزاحم الهلالى أبو محمد وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق فى نفسه وكان له أخوان؛ محمد ومسلم وكان يكون ببلخ وسمرقند. حدث عن ابن عباس وأبى سعيد الخدرى، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعن الأسود، وسعيد بن جبير، وعطاء وطاوس وطائفة.
وبعضهم يقول: لم يلق ابن عباس. فالله أعلم. حدث عنه عمارة بن أبى حفصة، وقرة بن خالد وآخرون وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، وحديثه فى السنن لا فى الصحيحين وله باع كبير فى التفسير والقصص. توفى الضحاك فى سنة اثنتين ومائة. وقيل غير ذلك.
ومصادره فى: سير أعلام النبلاء: (٥٩٨/٤)، تاريخ الإسلام: (١٢٥/٤/٤)، ميزان الاعتدال: (٣٢٥/٢)، البداية والنهاية (٢٢٣/٩)، غاية النهاية (ت ١٤٦٧)، تهذيب التهذيب: (٤٥٣/٤)، تاريخ البخارى (٣٣٢/٤).

(٢) عطاء بن أبى رباح: الإمام شيخ الإسلام مفتى الحرم أبو محمد القرشى مولاهم المكى يقال ولاؤه لبنى جمح، كان من مولدى الجند، ونشأ بمكة، ولد فى أثناء خلافة عثمان. حدث عن عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبى هريرة، وابن عباس وطائفة. وكان من أوعية العلم، حدث عنه الزهرى وقتادة والأعمش وأمم سواهم وقال ابن المدينى: كان ثقة فقيهًا عالمًا، كثير الحديث.
مصادر ترجمته فى: «سير أعلام النبلاء»: (٧٨/٥)، تهذيب التهذيب: (١/٣١/٣)، «وفيات الأعيان» (٢٦١/٣)، ميزان الاعتدال (٧٠/٣)، التاريخ الكبير ٤٦٣/٦، البداية والنهاية (٣٠٦/٩)، طبقات القراء (٥١٣/١)، طبقات الحفاظ (٣٠٩)، تاريخ الفسوى (٧٠١/١).

لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣].

وكل ما كان محققًا لا يجوز الاستثناء فيه؛ لأن الشيء يعد وجوده بوجود حده وحقيقته، فإدخال الشك فيه ضرب من التناقض كالقائم يقول: أنا قائم إن شاء الله، والقاعد يقول: أنا قاعد إن شاء الله.

أو قيل: أنت سميع وبصير.

قلت: أنا سميع وبصير إن شاء الله لا يحسن هذا القول وكذلك لا يجوز الاستثناء للحالة الماضية كقوله: أنا مؤمن أمس إن شاء الله والساعة أنا مؤمن إن شاء الله فلا يجوز كما ذكرنا وإن الاستثناء للحالة المستقبلية يجوز أن أقول: أنا أكون غدًا مؤمنًا إن شاء الله، جاز ولكن ذلك القول منه بدعة.

وأما الذى ما كان مشكوكًا فيه يجب فيه الاستثناء كمن قال: أنا أموت مؤمنًا إن شاء الله.

فهذا يجوز؛ لأنه لا يدرى على أى حال يكون خاتمته على الإسلام أم على الكفر، كم من المجتهدين والصالحين خرجوا من الدنيا على غير الإسلام [١٧] ولقوا الله تعالى بغير الإيمان.

* * *

الثاني فصل: خوف الخاتمة من الله فريضة

وخوف الخاتمة من الله فريضة فإنه من أهم الأمور؛ لقوله تعالى: **﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾** [الأعراف: ٩٩]. وقوله تعالى: **﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ﴾** [الحشر: ١٨]. وقال النبى ﷺ: «وكل ميسر لما خلق له»(١) «والأعمال بالخواتيم»(٢).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب «التفسير» باب ﴿فسنيسره لليسرى﴾ (٥٧٩/٨ – ٥٨٠) حديث رقم (٤٩٤٩)، من طريق أبى عبد الرحمن السلمى عن على، رضى الله عنه.... به.
وفى كتاب «التوحيد» باب قوله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾: (٥٣٠/١٢) حديث رقم: (٧٥٥١) من طريق مطرف عن عمران.... به.
ومسلم فى كتاب: «القدر» باب: كيفية الخلق الآدمى: (٧/٨) (ص ١٤٤٤ نووى) من طريق أبى عبد الرحمن السلمى عن على.... به. وفيه أيضًا: (٤٤٥/٩/٨) من طريق مطرف عن عمران ابن حفص.... به.
=

.. ..

=وأبو داود فى كتاب «السنة» باب فى القدر: (٢٢٨/٤) حديث رقم (٤٧٠٩) من طريق مطرف عن عمران ... له. وأخرجه الترمذى فى كتاب: «القدر» باب ما جاء فى الشقاوة والسعادة: (٣٤٥/٤) حديث رقم (٢١٣٦) من طريق أبى عبد الرحمن السلمى عن على ... به. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه فى «المقدمة»: باب فى «القدر»: (١/ ص ٣٠) حديث رقم (٧٨) من طريق أبى عبد الرحمن السلمى عن على. وأيضًا فى كتاب: «التجارات» باب الاقتصاد فى طلب المعيشة: (٧٢٥/٢) حديث رقم: (٢١٤٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد الأنصارى عن أبى حميد الساعدى .... به.

وقال فى «الإرواء»: فى إسناده إسماعيل بن عبيس، مدلس، ورواه بالعنعنة، وروايته عن غير أهله ضعيفة.

وأخرجه أحمد فى مسنده: (٦/١) (٤٢٧/٤،٤٣١) من حديث على وعمران رضى الله عنهم.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: «الرقاق» باب: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها: (٣٣٧/١١ - ٣٣٨) حديث رقم (٦٤٩٣) من طريق سهل بن سعد الساعدى ... به. وأحمد فى مسنده: (٣٣٥/٥). وأخرجه ابن حبان فى صحيحه: (٥٩/٦) (١٨١٨/ موارد. وأبو يعلى فى «مسنده»: (٧٣٦٢). والقضاعى فى «مسند الشهاب»: (١٩٧/٢ -١٩٨) برقم: (١١٧٥). وأبو نعيم فى «الحلية»: (١٦٢/٥) جميعًا من طرقه عن ابن جابر عن أبى عبد ربه عن معاوية ... به، بلفظ: «إنما الأعمال بالخواتيم: كالدعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله»، وإسناده جيد.

وأخرج ابن حبان أيضًا موارد حديث رقم (١٨٢٠) من طريق نعيم بن حماد: حدثنا عبد العزيز ابن أبى حازم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ: «إنما الأعمال بالخواتيم».

نعيم بن حماد والخزاعى والمروزى ترجمه البخارى فى الكبير ١٠٠/٨، ولم يورد فيه جرحًا ولا تعديلاً.

وقال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٤٦٤/٨): وسألته عنه - يعنى سأل أباه - فقال: «محله الصدق. قلت له: نعيم بن حماد، وعبدة بن سليمان أيهما أحب إليك؟ قال: ما أقربهما».

وقال ابن الجنيد فى سؤالاته برقم (٤٣٤): «سألتُ يحيى بن معين عن عبد الملك بن الصباح الصنعانى الذى روى عن بكار، عن وهب بن منبه؟ فقال: ثقة صدوق. وقد رأيته ولم أكتب عنه، من حدثكم عنه؟ قلت: حدثنا عنه نعيم بن حماد، قال: ثقة. وقال ابن الجنيد أيضًا برقم (٥٢٨): سمعت يحيى وسئل عن نعيم بن حماد؟ فقال: ثقة. قلت: إن قومًا يزعمون أنه صحح كتبه من على العسقلانى الخراسانى، فقال لى يحيى: أنا سألته فقلت: أخذت كتب العسقلانى وصححت منها؟ فأنكر. وقال: إنما كان شيء قد درس، فنظرت، فما عرفت، وما وافق كتابى=

وقد علم الله تعالى عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص وكذلك أفعالهم فيما علم منهم فيما يفعلوه، وقال ﷺ: «يقول الله تعالى لا أجمع على عبادي خوفين ولا أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ومن أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة»(١).

=غيرت».

وقال ابن الجنيد أيضًا برقم (٥٢٩): «وسمعت يحيى بن معين يقول: كان نعيم بن حماد رفيقي في البصرة».

وقال أبو زكريا أيضًا: «نعيم بن حماد صدوق، ثقة، رجل صدق، أنا أعرف الناس به، كان رفيقي بالبصرة»، نقلها ابن حجر في تهذيبه. وقال أحمد: «لقد كان من الثقات».

وقال النسائي: «نعيم ضعيف»، وقال في موضع آخر: «ليس بثقة». وقال محمد بن سعد: «طلب الحديث كثيرًا بالعراق والحجاز ثم نزل إلى مصر فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة المعتصم، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيب، فلم يزل محبوسًا بها حتى مات بالسجن».

وقال مسلم بن قاسم: «كان صدوقًا وهو كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة في الملاحم انفرد بها».

وقال أبو الفتح الأزدي: «قالوا: كان يضع الحديث في تقوية السنة، وحكايات مزودة في ثلب أبي حنيفة كلها كذب» وقال ابن حبان في «الثقات»: (٢١٩/٩): «ربما أخطأ ووهم».

وقال ابن عدي في «الكامل»: (٢٤٨٥/٧) بعد أن أورد أحاديث منكرة ليس هذا الحديث منها: ولنعيم بن حماد غير ما ذكرت، وقد أثنى عليه قوم وضعفه قوم، وكان ممن يتصلب في السنة ومات في محنة القرآن في الحبس، وعامة ما أنكر عليه هذا الذي ذكرته، وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيمًا».

وقال ابن حجر في: «تهذيب التهذيب»: (٤٦٣/١٠): «وأما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه، ولكن في حديثه أوهام معروفة، وقد قال فيه الدارقطني: إمام في السنة، كثير الوهم، وقال أبو أحمد الحاكم: ربما يخالف في بعض حديثه. وقد مضى أن ابن عدي يتتبع ما وهم فيه، فهذا فصل القول فيه».

انظر: «ميزان الاعتدال»: (٢٦٧/٤ - ٢٧٠)، معرفة أحوال الرجال: (١٥١/١ - ١٥٦)، (٢١/٢ - ٢٢)، هدى السارى: (ص ٣٣٧).

والحديث إسناده حسن الشاهد له حديث سهل بن سعد ومعاوية بن أبي سفيان السابقين.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٦)، من طريقين عن محمد بن يعلى حدثنا عمر بن صبيح عن ثور عن مكحول عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ به. وهذا إسناده ضعيف جدًا، عمر بن صبيح، قال ابن حبان وغيره: يضع الحديث. وقال الحافظ في «التقريب»: متروك،=

ومـن لـم يخـف وأمـن ولـم يتهيـأ لأسباب أجلـه فهـو: دهـرى[١]، وجـبرى[٢]،

=كذبه ابن راهويه.

وأخرجه عبد الله بن المبارك فى: «الزهد» برقم (١٥٧) من طريق عوف عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ، بنحوه وإسناده مرسل، ووصله يحيى بن صاعد فى زوائد الزهد: (١٥٨)، قال: حدثنا محمد بن يحيى بن ميمون بالبصرة قال: أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء قال: حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه.

وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: من الطريقين: المرسل عن الحسن، والموصول عن أبى هريرة وقال: رواهما البزار عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون، ولم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، وكذلك رجال المسند غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وأورده الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (٧٤٢) وقال: فالمسند ضعيف لجهالة محمد بن يحيى بن ميمون ولكنه يتقوى بمرسل الحسن البصرى؛ لأنه من غير طريقه، فيرتقى إلى وجه الحسن إن شاء الله تعالى.

(١) الدهرية: فرقة من الكفار ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث إليه كما أخبر الله تعالى عنهم فى قوله: ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾.
انظر: «منهاج السنة»: (١٤٩/١، ١٥٣، ١٦٨، ٢٣٤، ٤٠٩، ٤١٠، ٤٤٥، ١٤٣/٢، ١٥٢، ٢٨٧، ٣٨٥، ٣٨٦، ١٢٠/٣، ١٢٧، ٢٧٥، ٤٥٢، ٤٣٤/٥، ٢٤/٨).

(٢) الجبرية: هم الذين يقولون إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف وكالهاوى من أعلى إلى أسفل. وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصى كتكليف الحيوان البهيم بالطيران، وتكليف المقعد بالمشى، والأعمى بنقط الكتاب، وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم وأن ذلك كتعذيب الطويل لِمَ لَمْ يكن قصيرًا، والقصير لِمَ لَمْ يكن طويلاً، والأسود لِمَ لَمْ يكن أبيض، فسلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا فى عدله وشرعه فلا قيام عندهم لسوق الجهاد ولا معنى لإقامة الحدود، ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسل والكتب والتكليف فى غير وسع وتحميل ما لا يطاق، والظلم الذى حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرمًا فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيرًا. انظر: «معارج القبول»: (٩٤٦/٣).
وهم الذين لا يثبتون للعبد فعلا، ولا قدرة على الفعل أصلاً بل يضيفون الفعل إلى الله تعالى.
قلت: انظر «منهاج السنة»: (٩/١) وهامش المحقق، «الملل والنحل»: (٧٩/١ -٨٣)، «الفرق بين الفرق»: (١٢٦ - ١٣٠)، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»: (٦٨ -٦٩).

وجهمى[1]، وينبغى للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء[2]، فخوفه أن لا تقبل أعماله من عثراته وتقصيره، ورجاؤه أن تقبل منه بفضله وكرمه وتقديره، كما قال الله تعالى: ﴿**ويرجون رحمته ويخافون عذابه**﴾ [الإسراء: ٥٧]. فإذا كان الخوف والرجاء لازمًا فى العبادة، فينبغى أن يكون لأجل الخاتمة أشد منه؛ لأن العبد لا يدرى على أى حال يختم عمره.

ولذلك بكاء الخائفين كثير وألوانهم [١٨] من خوف الله صفر، فإن النبى ﷺ ليس عليه ذنب ولا هو محاسب يوم القيامة وهو يبكى ويقول لأصحابه: «ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن بكاءكم فى الدنيا ينفعكم يوم القيامة»[3].

فإن الله تعالى مدح الباكين، فى قوله تعالى: ﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما**

---

(١) الجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان أبى محرز مولى بنى راسب، وهو من أهل خراسان، وقد تتلمذ على الجعد بن درهم، كما اتصل بمقاتل بن سليمان من المرجئة. وكان الجهم كاتبًا للحارث بن سريج من زعماء خراسان، وخرج معه على الأمويين فقتلا بمرو سنة ١٢٨ هـ.
والجهمية تطلق أحيانًا بمعنى عام، ويقصد بها نفاة الصفات عامة وتطلق أحيانًا بمعنى خاص ويقصد بها متابعو الجهم بن صفوان فى آرائه وأهمها نفى الصفات والقول بالجبر، والقول بفناء الجنة والنار.
انظر: «منهاج السنة»: (٧/١) وهامش المحقق، «مقالات الأشعرى»: (١٩٧/١ - ١٩٨، ٢٢٤، ٣١٢).

(٢) سبق أن ذكرنا أن لا إله إلا الله تثبت أربعة منها: الخوف، والرجاء، والمؤلف جعله من لوازم العبادة لقوله تعالى: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ وهو رد على بعض غلاة الصوفية الذين يقولون القول المنسوب إلى رابعة العدوية: «اللهم إنى أعبدك لا طمعًا فى جنتك ولا خوفًا من نارك».

(٣) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: «إقامة الصلاة» باب فى حسن الصوت بالقرآن (٤٢٤/١) حديث رقم (١٣٣٧).
وفى كتاب «الزهد» باب الحزن والبكاء (١٤٠٣/٢) حديث رقم (٤١٩٦) من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أبو رافع عن ابن أبى مليكة عن عبد الرحمن بن السائب.... به.
وليس فيه قوله: «فإن بكاءكم» وفى الزوائد: فى إسناده أبو رافع اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك.
وأورده العجلونى فى «كشف الخفا»: (٢٩/١) ونسبه إلى ابن ماجه من حديث سعد.

لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٥].

وقيل: إن رسول الله ﷺ كان يبكى فنزل جبريل عليه السلام فقال: «لأى شىء تبكى وأنت حبيب الله عز وجل؟ فقال عليه السلام لجبريل: أنت لأى شىء تبكى وأنت أمين الله؟ قال: من ذلك اليوم الذى بدل الله صورة إبليس لعنه الله وغير اسمه إلى يومنا هذا فأنزل الله عليهما ملكًا ليقول لهما: ابكيا لا تأمنا من مكرى[1] ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون»[2].

فإذا ثبت أن خوف الخاتمة فريضة سمعًا وقولاً وأن [١٩] معرفته بها واجبة فهمًا وعقلاً.

* * *

الثالث فصل دلائل خوف الخاتمة بالسمع والعقل

فاعلم أن طريق الوصول إليه النظر فى الدلائل التى تدل على معرفته وهو أيضًا بالسمع والعقل، فالسمع قوله تعالى **﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾**

---

(١) قلت: لفظ الفعل «مكر وكيد» يطلق على الله كما ورد، ولا يجوز أن يشتق لله تعالى منه اسم، فلا يقال من أسمائه الماكر ولا الكائد؛ لأنه لم يرد.

وأما تسميته: «مكرًا وكيدًا»؛ فقيل من باب المقابلة نحو: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾، ونحو: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾.

وقيل: إنه على بابه فإن المكر إظهار أمر وإخفاء خلافه؛ ليتوصل به إلى مراده، وهو ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم، فالقبيح إيصاله إلى من لا يستحقه، وأما الحسن فإيصاله إلى من يستحقه عقوبة له.

فالأول: وهو المحمود منه نسبته إلى الله لا نقص فيها، وأما الثانى: وهو المذموم، فلا ينسب إلى الله فمن المحمود مكره سبحانه بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاءً لهم من جنس عملهم، وكذا يقال فى الكيد كما يقال فى المكر، والله إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً وحكمة.

انظر: «الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز محمد السلمانى».

(٢) هذا القول لم أجده فيما بين يدى من مصادر، والحديث إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة [الأعراف: ٩٩] ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.

قلت: ولقد أعيانى البحث عن هذا الحديث فى كتب التفسير فلم أجده والله أعلم.

[يونس: ١٠١] وقال ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف: ١٨٥]. وقال: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقًا﴾ [نوح: ١٥]. وقال: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

وأما العقل فإن معرفته لما كانت واجبة ولا حصول لذلك إلا بالنظر في الدليل؛ لأنه طريق موصل لها فكان واجبًا كوجوبها ضرورة، فالدليل أن النظر طريق موصل إلى معرفته؛ لأن العبد إذا نظر في ملكوت السماوات والأرض ورأى عجائب خلقتهما وبدائع فطرتهما وفطرة ما بينهما بأحسن ترتيب وأحكم تأليف يعرف ببديهة العقل أن هذه القدرة العجيبة، والصنعة البديعة لابد لها من صانع أحدثها، ومبدع أنشأها، ومقدر ألفها ومحكم أحكمها، فيستدل بحدوث المصنوعات ووجود المخلوقات على وجود الصانع فيعرفه عند ذلك حق [٢٠] معرفته بتعريفه إياه.

والعقل آلة(١) في ذلك كما في سائر العبادات، فإنّ العبد يأتيها بتوفيق الله وهدايته،

---

(١) قوله: «والعقل آلة». قال القرطبي في تفسيره: العقل المنع ومنه عقال البعير؛ لأنه يمنع عن الحركة ومنه العقل للدية، لأنه يمنع ولي المقتول عن قتل الجاني، ومنه اعتقال البطن واللسان، ومنه ما يقال للحصن معقل.

والعقل: نقيض الجهل، والعقل: ثوب أحمر تتخذه نساء العرب تغشى به الهوادج. ثم قال: اتفق أهل الحق على أن العقل كائن موجود ليس بقديم ولا معدوم؛ لأنه لو كان معدومًا لما اختص بالاتصاف به بعض الذوات دون بعض، وإذا ثبت وجوده فيستحيل القول بقدمه؛ إذ الدليل قد قام على أن لا قديم إلا الله تعالى وقد صارت الفلاسفة إلى أن العقل قديم، ثم منهم من صار إلى أنه جوهر لطيف في البدن ينبث شعاعه منه بمنزلة السراج في البيت، يفصل به بين حقائق المعلومات ومنهم من قال: إنه جوهر بسيط - أي غير مركب - ثم اختلفوا في محله، فقالت طائفة منهم: محله الدماغ؛ لأن الدماغ محل الحس.

وقالت طائفة أخرى: محله القلب، لأن القلب معدن الحياة ومادة الحواس.

وهذا القول في العقل: بأنه جوهر، فاسد من حيث إن الجواهر متماثلة فلو كان جوهرا عقلاً لكان كل جوهر عقلاً.

وقيل: إن العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعاني، وهذا القول وإن كان أقرب مما قبله فيبعد عن الصواب من جهه أن الإدراك من صفات الحي، والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل أن يكون ملتذًا ومتشهيًا.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني وغيرهما من المحققين:=

والأعضاء آلة فى ذلك، كذا هذا ثم لما عرف العبد ربه وجب عليه خوف [....][١] ويجتهد فى عبادته، ويجتنب عن معاصيه[٢].

ويكون أكثر تفكره وغمه فى خاتمة أمره ويقول: اجعل خاتمتى خيرًا لأن أكثر ما يسلب الإيمان عند المعاينة لأجل أعماله الخبيثة وترك الخوف من الخاتمة، والأمن من العقوبة، فكيف يأمن العبد من عقوبة الله تعالى وهو يقر أن الله شديد العقاب؟ فكيف يصبر العبد على عقابه حتى عصى له؟ ويأمن من مكره؟ وإذا أمن العبد من الخوف يكون مصرًا على الحرام كمن طلق امرأته ثلاثًا ثم يأخذه بغير حلة أو مزج الحرام ولم يخرجه.

أو كان مصرًا على أى حرام كان فجاءه الموت بغتة فلقنه الشيطان بالكفر وهو يشبه نفسه إلى أحب أصدقائه ويقول له: أنا اداديك[٣] فاسجد لى، ويلقنه بلفظة أخرى من

=العقل هو العلم؛ بدليل أنه لا يقال عقلت وما علمت أو علمت وما عقلت.

وقال القاضى أبو بكر: العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات، وجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات.

وهو اختيار أبى المعالى فى «الإرشاد»، واختار فى البرهان أنه صفة يتأتى بها درك العلوم، واعترض على مذهب القاضى واستدل على فساد مذهبه.

وحكى فى: «البرهان» عن المحاسبى أنه قال: العقل غريزة.

وحكى الأستاذ أبو بكر عن الشافعى، وأبى عبد الله بن مجاهد أنهما قالا: العقل آلة التمييز.

وحكى عن ابن العباس القلانسى أنه قال: العقل قوة التمييز. وحكى عن المحاسبى أنه قال: العقل أنوار وبصائر.

ثم رتب هذه الأقوال وحملها على محامل فقال: والأولى ألا يصح هذا النقل عن الشافعى ولا عن ابن مجاهد، فإن الآلة إنما تستعمل فى الآلة المثبتة واستعمالها فى الأعراض مجاز.

وكذا قول من قال: إنه قوة؛ لأنه لا يعقل من القوة إلا القدرة، والقلانسى أطلق ما أطلقه توسعًا فى العبارات، وكذلك المحاسبى، والعقل ليس بصيرة ولا نور، ولكن تستفاد به الأنوار والبصائر. أ.هـ.

(١) ما بين المعقوفتين كلمتان فى الأصل المخطوط، الأولى [الفرق] وبها بعض طمس، والثانية مطموسة تمامًا.

(٢) قوله: «ويجتنب عن معاصيه» رد على قوله فى فقرة لاحقة قال: «إنه لا يجوز إضافة المعصية إلى الله، وقد حققنا ذلك، وبينا خلاف قوله، وقوله هنا يؤيد ما ذهبنا إليه والله أعلم.

(٣) الكلمة مكتوبة فى الأصل هكذا [اداديك] وهى لا معنى لها ولعلها كلمة فارسية بمعنى «أنا=

ألفاظ الكفر وهو يظنه صادقًا فأجابه[1]، فهرب الشيطان وهو مات كافر بسبب أعماله الخبائث، ويندم بعد موته ويقول: ﴿يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً﴾ [الفرقان: ٢٨] ولا ينفعه الندامة فهذا هو الحسرة أشد الحسرة، وتلقين الشيطان للمؤمن بالكفر ليس بكاذب بالنص قوله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ [الحشر: ١٦].

وينبغى للمؤمن أن يستعيذ بالله من الشيطان، ويطلب من الله العصمة والغفران، ويتوب من العصيان، ويخاف من النيران فإذا آمن العبد بالاستثناء وعرف خوف الخاتمة، فوجب عليه أن يقر ويصدق بأن الإيمان والطاعة بتوفيق الله تعالى وفضله وعطائه، يعطى من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله؛ لقوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الحديد: ٢١] وقوله: ﴿يضل من يشاء ويهدى من يشاء﴾ [فاطر: ٨].

ويعلم أن الكفر والعصيان خذلان من الله، والخذلان ترك التبصرة عند الحاجة، ولا يجوز لأحد أن يقول: لا أؤمن ما لم يعط الله الإيمان، وليس لى فيه فعل ولا حركة[2]

=ربك» والله أعلم.

(١) يقال: إن الميت إذا حضرته الوفاة وعالج سكرات الموت جاءه الشيطان عن يمينه فيتصور له فى صورة أحب الناس إليه ويقول له: افعل كذا وكذا ليخرجه من دائرة الإيمان ثم يأتيه عن شماله فيقول له كذلك فإذا كان العبد صالحًا وأراد الله له بخاتمة السعادة لم يجبه، وإذا كان غير ذلك وأراد الله له بخاتمة السوء أجابه.

ويقال: إن هذه الواقعة وقعت لبعض العلماء منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه وقد ذكرها الذهبى فى سير أعلام النبلاء: (١١/٣٤١): وفى جزء محمد بن عبد الله بن علم الدين: سمعناه قال: سمعت عبد الله ابن الإمام أحمد يقول: لما حضرت أبى الوفاة جلست عنده وبيدى الخرقة لأشد بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بعد لا بعد، ثلاث مرات، فلما كان فى الثالثة قلت: يا أبه أى شىء هذا الذى لهجت به فى هذا الوقت؟ فقال: يا بنى، ما تدرى؟ قلت: لا، قال: إبليس لعنه الله قائم بحذائى، وهو عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتنى، وأنا أقول: لابعد حتى أموت.

وقال: فهذه حكاية غريبة تفرد بها ابن علم، فالله أعلم.

(٢) ثبت بالكتاب والسنة أن الله أعطى لعباده فعلاً ومشيئة لاختيار الأفعال، لا تخرج عن مشيئة الله قال الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، وقال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾.=

فمن قال هذا كان جبريًا وهو يقول: الخير والشر من الله وليس لى فيه فعل.

أضاف العبودية إلى الله ولو كان كقولهم لكان الكافر بكفرهم، والعاصى بمعصيتهم معذورين.

وهذه ضلالة عظيمة؛ لأنه يرى نفسه عند الذنوب من المعذورين.

ولا يقول: الإيمان ليس عطاء الله وهو فعلى وليس فيه [٢٢] فعل، فمن قال هذا كان قدريًا[(١)]، وهو يقول: الخير والشر منى، وليس لله فيه فعل.

وهو أضاف القدرة إلى نفسه ووصف الله بالعجز، فحاشا أن يوصف الله تعالى بالعجز، وينبغى أن يقول: الإيمان وقبول الهدى من العبد عطاء الله تعالى، والتوفيق والاستطاعة من الله تعالى، وقبول عطاء الله والجهد والتمسك على الهداية والتضرع إلى الله بقبول الهدى من العبد.

ويعلم أن الإقرار والتصديق بالإيمان للسابق المبتدئ فريضة، والتكرار والإعادة بعده سنة وهو جمع عند الله وتفريق بين العباد، وجمع فى القلب وتفريق بين الأعضاء، أنه إذا آمن العبد وقع نور الإيمان فى قلبه وانشرح فى جميع الأعضاء، [....][(٢)] إذا قطع العضو إلى أين يذهب؟ [...][(٣)] يذهب منها إلى القلب، فهذا صحيح لأن الذى فارقه الإيمان فى الجسد وهو لا يتحرى مقام بذلك المعنى.

فإذا سأل[(٤)]: إذا مات المؤمن أين يذهب إيمانه، مع روحه أو يكون مع جسده؟ فقل لا بهذا ولابذلك ولكن بالمعنى الذى صار به العبد أهلاً للإيمان، وبه صار صالحًا لعبادة

=وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿يضل من يشاء ويهدى من يشاء﴾ من شاء الضلالة أضله الله، ومن شاء الهدى هداه الله، فهم يتقلبون بين فضله وعدله.

(١) القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، وينكرون سلطان القدر الإلهى، وإرادة الله تعالى ومشيئته فيما نهى عنه. وهم الذين يخوضون فى القدر، ويذهبون إلى إنكاره وأول القدرية هو على الأرجح معبد الجهنى المقتول سنة ٨٠ هجرية. انظر: «منهاج السنة»: (٩/١) وهامش المحقق.

(٢) طمس فى الأصل غير واضح

(٣) طمس فى الأصل غير واضح

(٤) [فإذا سأل] هذا ما أثبتناه وهو مطموس فى الأصل.

ربه فى حال الحياة وجعله إيمانه صالحًا لعبادته.

وإذا سأل[١]: أين ذلك المعنى وبتوفيق الله [٢٣] خفية.

قال: فإن قيل أين يذهب سائر عمله؟ فقل: اتصلت بثواب الله أو بعقابه. فإن قيل: مخلوق أو غير مخلوق؟ قال بعضهم: مخلوق لقوله تعالى: ﴿**أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان**﴾ [المجادلة: ٢٢]. أى أثبته، وقوله: ﴿**وزينه فى قلوبكم**﴾ [الحجرات: ٧].

فالمثبت والمزين يكون مخلوقًا؛ ولأن الإيمان فعل العبد وهو تصديق القلب وإقرار باللسان، وهو بجميع أفعاله مخلوق إلا أنه يريد بذلك التوفيق والهداية من الله تعالى، فحينئذ لا يوصف بكونه مخلوقًا[٢]؛ لأنه صفة الله وصفته أزلية، قائمة بذاته، ولذلك قال بعضهم غير مخلوق.

وأصح الجواب أن يقال: إقرار وهداية، فالإقرار صنع العبد فهو مخلوق، والهداية صنع الله تعالى وهو غير مخلوق؛ لأن العبد إذا قال: لا إله إلا الله أو قرأ القرآن، فقوله وقراءته، وتحريك لسانه ما يلفظ فهو بجميع فعله مخلوق، والذى قال العبد بلسانه وحركته هو دال على قول الله تعالى وصفته، وهو بجميع صفاته غير مخلوق، فمن العبد المعرفة، والإقرار، والطاعة، ومن الله التوفيق، والتعريف. والاستطاعة وهى قدرة العبد على فعله، يعنى التى يجب بها الفعل من نحو التوفيق، لا يجوز أن يوصف مخلوقًا به.

[٢٤] فالعبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا فأفعاله أولى.

* * *

الرابع فصل التوفيق مع الطاعة والمعصية مع الخذلان

واعلم أن التوفيق مع الطاعة، والمعصية مع الخذلان مستوية، واستطاعة الفعل مع الفعل مقارنة لا قبله ولا بعده؛ لأن كل جزء من الاستطاعة مقرون بكل جزء من الفعل وهى عرض يحدث عند وجوده بالفعل مقارنة بخلق الله تعالى وهى غير سابقة على

---

(١) [إذا سأل] فى الأصل غير واضح ولعل ما أثبتناه صحيح.

(٢) قوله: «والهداية من الله تعالى فحينئذ لا يوصف بكونه مخلوقًا». قول مخالف للصواب، فالمصنوع مخلوق، والهداية من الله تعالى غير مخلوقة؛ لأنها أحد أركان اسم من أسماء الله، وهو الهادى، فالهداية أثر ذلك الاسم. (انظر العقيدة الواسطية).

الفعل فيحتاج إلى دليل إثباتها ومقارنتها، فالدليل على إثباتها قال الله تعالى: ﴿**ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**﴾ [هود: ٢٠].

ذمهم على ذلك، والذم يلحقهم بانعدام القدرة الحقيقية عند وجود سلامة الآلات، وصحة الأسباب، لا بانعدام سلامة الآلات والأسباب؛ لأن انتفاء تلك الاستطاعة لا يكون بتصنيعه بل الأصل بغير صنعة، فلم يلحقه الذم بالامتناع[1] عن الفعل عند انتفائها، قوله تعالى: ﴿**ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرًا**﴾ [الكهف: ٧٢].

عتابه على ترك الصبر إذ لو كان المراد بها سلامة الآلات، وصحة الأسباب، لما عاتبه على ترك الصبر.

وأما الحقيقة فإنا نجد إنسانًا سليم الجوارح ليس بذى آفة وهو قادر على حمل خمسين رطلاً، ووجدناه قادرًا على حمل مائة رطل، وأيضًا على العكس، ثم وجدناه [٢٥] فى حالة أخرى غير قادر على حمل شىء ما، مع أن سلامة الآلات وصحة الأسباب لم تختلف.

فعلم أن هاهنا أمرًا آخر غير استطاعة الحال وهو الذى نريده، وإذا ثبت وجوده بهذه الاستطاعة فنقول دليلاً على أنها مقارنة بالفعل؛ لأنه لو كان سابقة عليه لانعدمت عند وجود الفعل؛ لأنه لابد لها عند وجود الفعل؛ لأنها لو لم يكن عند وجود الفعل لكان وجود الفعل بدون القدرة محالاً ولا يتصور بقاؤها إلى وقت وجود الفعل لوجهين أحدهما: أن البقاء من قبيل الأعراض، والقدرة عرض، فلو بقيت إلى وقت وجود الفعل

(١) اعلم أن الامتناع نوعين: الأول: امتناع وصفى. والثانى: امتناع ذاتى، والامتناع الذاتى يسقط التكليف بقدر المانع، كعدم قدرة المصلى على القيام لعجز به، أما الوصفى فلا يسقط التكليف، وهو لعدم قدرة المصلى على القيام تكاسلاً لأن الامتناع الوصفى لا ينافى الإمكان الذاتى وكذلك إمكانية إزالة المانع تنفى كونه مانعًا ولا تسقط الحكم كالجنب والمحدث لأنهما مأموران بالصلاة حال تلبسهما بمانع فيجب عليهما إزالته لتصح منهما وإلا فالحكم قائم وكذلك الكافر يتمكن من إزالة المانع وهو الكفر فتصح منه العبادات والمعاملات فإن لم يزل المانع وهو امتناع وصفى لم يسقط بالمانع الخطاب الذى هو التكليف ولا ينافيه لإمكانه الذاتى أما إن كان المانع ذاتيًا فيلزم من وجوده منع الحكم أو منع السبب ولا يلزم من عدمه وجود الحكم ولا عدمه لذاته. (انظر المداخل الأصولية).

لقام به البقاء فيؤدى إلى قيام العرض بالعرض[1] وإنه محال.

والثانى: أن القدرة لو كانت باقية إلى وقت وجود الفعل لما تصور زوالها وفناؤها؛ لأنها لو كانت باقية لكانت باقية باعتبار ذاتها لا بمعنى آخر؛ لأن ذاتها يوجب بقاءها، فثبت أنها تحدث عند مقارنة الفعل بخلق الله تعالى.

قالت القدرية، والمعتزلة، والكرامية: استطاعة الفعل سابقة على الفعل، يعنى قبل الفعل وهى موجودة فى العبد استعملها كيف يشاء.

وقال بعضهم: الاستطاعة ليست إلا واحدة وهى سلامة الآلات وصحة [٢٦] الأسباب.

فقلنا: هذا يوجب استغناء العبد عن ربه حيث يختار لنفسه ما شاء والاستغناء عن الله تعالى كفر؛ لأنه لو كان قبله يكون العبد مستغن عن ربه، فلله الاستغناء، قال الله تعالى: ﴿**والله الغنى وأنتم الفقراء**﴾ [محمد: ٣٨].

وقالت الجبرية: بعده.

فقلنا: لو كان بعده لاستحال حصول الفعل به لاستطاعته فالعبد أعطى قوة العمل وكلف بذلك حتى يلزم الحجة، ولم يعط قوة التوفيق؛ لأن التوفيق صفة الرب تعالى.

وأما استطاعة الحال: وهى التى من جهة الصحة والتمكن وسلامة الأسباب والآلات يعنى الأعضاء السليمة والأسباب الصالحة فهى تتقدم قبل الفعل[2]، وهى المراد من قوله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿**فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا**﴾ [المجادلة: ٤]. وقوله: ﴿**لو استطعنا لخرجنا معكم**﴾ [التوبة: ٤٢] وصحة التكليف يعتمد على هذه الاستطاعة،

---

(١) لأن الأعراض لا تقوم بنفسها بل تقوم بغيرها لذا استحال المؤلف قيامها ببعضها، لأنها لا تقوم إلا فيما يقوم بنفسه وهى الأجسام، وسيأتى معنى العرض والجسم والجوهر بشىء من التفصيل فى موضعه إن شاء الله.

(٢) مذهب المؤلف هو مذهب كثير من علماء أهل السنة. انظر: الملل والنحل لابن حزم ٣/٢١، واعلم أنه إذا وجدت تلك الاستطاعة بصاحبها صار محجوجًا بها لوجود شروط الفعل وانتفاء موانعه والله أعلم.

كما قال الله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. أى طاقتها، وأن الاستطاعة التى يعمل بها العبد المعصية وهى بعينها يصلح عمل الطاعة، وهى تتعاقب فى صرف الاستطاعة التى أحدثها الله تعالى فيه، وأمر بأن يستعملها فى الطاعة لا إن حدث المعصية.

وقالت الجبرية والمعتزلة: الاستطاعة [٢٧] التى تصلح للشر لا تصلح للخير.

وهذا قريب أيضًا من مذهب السوفسطائية(١)، بل عين الخير؛ لأن استطاعة الشر لا تصلح للخير صارت خيرًا فى فعل الشر، هذا حد التكليف لا يظل على الإطلاق. ونرد عليهما بقوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**﴾ أى طاقتها، ففى تكليف ما ليس فى الوسع لازمًا قضية التكليف يتحقق مع العجز؛ لأن قضية كونه بحال لو أتى به يثاب عليه باعتبار كونه مطيعًا، ولو ترك يعاقب باعتبار كونه عاصيًا، وهذا لا يتحقق مع العجز. وعدم الدلالة فلا تعلق للخصم بالآيات والحديث؛ لأن ذلك ليس [تكليف بل هو](٢) إظهار قدرة الله تعالى، وتعجيز العجز عن ذلك، وأما الدعاء بوضع ذلك.

قلنا: عدم الطاعة على نوعين: نوع بالعجز وعدم القدرة، ونوع يكون شاقًا على البدن مشقة شديدة.

ويقال: لا طاقة لى بحمل هذا المتاع، أى يلحقنى تعب ومشقة عظيمة، والمراد فى

---

(١) السوفسطائية: هى فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات والنظريات، قالوا: لأن الحس يغلط بلفظ كالأحوال يرى الواحد اثنين، والصفراوى يرى الحلو مرًا، والراكب فى السفينة يرى الساحل متحركًا، فلا جزم، وكذلك لا جزم فى البديهيات والنظريات؛ لاختلاف آراء العقلاء فيها، وكل يجزم بحقيقة قوله.

قال ابن حزم فى «الفصل»: (١٤/١): ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف؛ فصنف منهم نفى الحقائق جملة، وصنف منهم شكوا فيها، وصنف منهم قالوا: هى حق عند من هى عنده حق، وهى باطل عند من هى عنده باطل.

وعمدة ما ذكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواس فى المحسوسات: كإدراك المبصر من بعد عنه صغيرًا، ومن قرب منه كبيرًا، وكوجود من به حمى صفراء حلو المطاعم مرًا، وما يرى فى الرؤيا مما لا يشك فيه رائيه أنه حق من أنه فى البلاد البعيدة ا. هـ.

انظر: «منهاج السنة النبوية»: (٢٤١/١)، (٢٨٧/٢)، (٥٥/٣).

(٢) ما بين المعقوفتين مطموس فى الأصل وما أثبتناه لعله يكون صوابًا.

النص هو الثانى دون الأول، عليه سياق الآية: ﴿**ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ألا ترى أنك إذا رأيت الدابة حملت حملاً ثقيلاً تقول جعلت فوق الطاقة.

وقالتا خبرًا [٢٨] عن المصطفى ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فلو كان الأمر قدر الطاقة، لا يجوز هذا السؤال منه كما قال: لا تظلمنا ولا تجر علينا.

قلنا: سؤال النبى ﷺ كان على سبيل التخفيف، لا على سبيل الطاقة أصلاً، دليله ما ذكرنا: ﴿**ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا**﴾.

فثبت أن تعلقهم بهذه الآية من قلة العقل والوغادة، أى سوء الخلق. فالجملة فى ذلك أن المكلف به لا يخلو إما أن يكون محالاً فى نفسه كالجمع بين الضدين، وتحصيل الجسمين فى مكان واحد، ونحو ذلك، أو يكون جائزًا فى نفسه إلا أن العبد لا يقدر عليه كتدلى الجبل، والطيران فى الهواء، ونحو ذلك.

فإن كان الأول لا يجوز التكليف[1] به أصلاً؛ لأنه محال فى نفسه، فكان تكليفه

---

(١) وشروط التكليف التى اتفق عليها علماء الأصول باستقراء الكتاب والسنة هى:

١ - أن يكون المكلف قادرًا على فهم ما كلف به بمعنى تصور الفعل ولا يشترط أن يفهم الخطاب أو دليل الفعل فهمًا تامًا، فهذا الفهم هو تصور الفعل بأن يفهم من الخطاب القدر الذى يتوقف عليه الامتثال لا بمعنى التصديق؛ لأن التكليف معناه استدعاء حصول الفعل على قصد الامتثال لا على قصد التصديق؛ لأن الكافر يستطيع الامتثال ولا يمتثل لعدم التصديق.

ويخرج من هذا الشرط ما أبهمه الشارع ولا يصح عرضه على العقل لقصوره فلا يمتثل المكلف للخطاب ريبة أو نكرانًا وكلاهما كفر.

٢ - أن يكون المكلف أهلاً للتكليف بمعنى صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه، وصدور التصرفات منه على وجه يعتد به شرعًا، وعدم توقفها على رأى غيره، وهى أهلية أداء كاملة للبالغ الرشيد الذى تصح منه جميع الالتزامات سواء له أو عليه، وتترتب على أقواله وأفعاله الآثار إلا إذا اعترضه عارض، والكلام عن الأهلية والعوارض طويل ليس هنا موضعه.

٣ - أن يكون المكلف غير مكره على ما كلف به، فإن أكره كافر على الإيمان بالله والامتثال لأوامره لم يصح منه فعل الإيمان ويأثم الحامل لقوله تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾.=

طلب المحال، وذا لا يجوز إلا إذا أراد الله تسخير العبد وتعذيبه على ذلك، ويجعله أمارة على أن يعذبه وما يعاقبه.

وإن كان الثانى ينظر إن كان بحال أراد العبد أن يفعل ذلك، فإن الله تعالى يقدره ويطيقه بالآلة يجوز التكليف؛ لأنه ليس تكليف ما ليس فى الوسع، وإن كان لا يقدره ولا يطيقه بالآلة لا يجوز التكليف به وقد ذكرنا [٢٩] عليه الدلالة.

* * *

الخامس: فصل أن الإيمان حقيقة لا مجاز

وبعد هذا ينبغى للعبد أن يعلم أن الإيمان حقيقة لا مجاز[1] يعنى يعرف إيمانه، بعد

=والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة ويخرج من ذلك حمل المسلم على ترك الكفر والبدع والضلالة، وحمله على الطاعة سواء كان ذلك بالدعوة والموعظة الحسنة، أو بالزجر، أو بالتعزير، أو بإقامة الحدود أو قتاله، فليس ذلك إكراها لما يجب عليه من فعل الطاعة والامتثال للأوامر التى كلف بها؛ لأنه الدين الذى ارتضاه واختاره، فإن امتثل وإلا جرت عليه أحكام الإسلام؛ إما تعزيرًا أو حدًا أو قتالاً، وليس فى ذلك إكراه بل هو ولاء ورحمة وإصلاح وتطهير للمجتمع من الفساد والضلال، والأدلة على ذلك كثيرة تحتاج إلى رسالة خاصة لطولها، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾. وقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾. إلى غير ذلك.

أما إن حمل كافر على كفر أعظم مما هو عليه فهو ممتنع بل ولا يصح منه فعل الكفر أكره أو لم يكره فإن بدل دينه مكرهًا لم يؤاخذ بفعله أما إن بدله برضاه وكان ذميا قتل لعموم الدليل. «من بدل دينه فاقتلوه».

أما إن أكره المسلم على الكفر قولاً وغلب على ظنه القتل أو القطع أو ضياع مال أو عرض فله أن ينطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان غير منشرح صدره لقوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾. انظر: (المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية).

(١) الحقيقة والمجاز: الحقيقة لفظة مستعملة فيما وضعت له فى اصطلاحات المتخاطبين وهو لا يحتمل التأويل، ولا يدل دليل على صرفه عن حقيقته التى وضعت له. أما المجاز: فهو ضد معنى الحقيقة لأنه لفظ مستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة فإن خفيت القرينة حمل على الحقيقة.
وسيأتى للمؤلف أن الإيمان لا يكون مجازًا والقول به بدعة بل هو على الحقيقة فى أهل الطاعة والمعصية على السواء مع التفاضل بينهم، وستأتى الأدلة على ذلك.

إخراج الشك عن قلبه [عطائيا لا عاريا][(١)]؛ لأنه من لم يكن له إيمان بالحقيقة كان له الكفر بالحقيقة.

ومن قال: من ترك عبادة الله تعالى وداوم على معصية الله كان إيمانه بالمجاز لا بالحقيقة صار مبتدعًا؛ لأنه لو كان الإيمان مجازًا بالمعاصى فكان كفر الكافر مجازًا بالعبادة. من قال: تَرْكَ المعصية فخرج من الكفر، قلت: بل لا يخرج من الكفر ما لم يؤمن بالأعمال الصالحة من الكفر الحقيقى، ولو فعل جميع عمل المفسدين[(٢)]، وترك جميع المعصية.

وكذا لا يخرج المؤمن من الإيمان الحقيقى بجميع المعصية، وترك جميع الطاعة ما لم يستحل المعصية وينكر العبادة أو يكفر بالله تعالى[(٣)]، ألا ترى أن الله تعالى ذكر أهل المعاصى باسم الإيمان وأمرهم بالتوبة فقال تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون**﴾ [النور: ٣١] سماهم مؤمنين بإيمان الحقيقة لا بالمجاز؛ لأن ذكر المجاز لا يكون إلا لأحد لا يعلم أنه مؤمن أو غير مؤمن، والله عالم أن هذا المذنب مؤمن بالحقيقة، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا**﴾ [التحريم: ٨]. [٣٠] ولم يقل يا أيها الذين كفروا توبوا.

ولا يكون إيمانًا مجازًا أبدًا؛ لأن العبد لا يخلو من أحد الأحوال الثلاثة: إما مؤمنًا أو كافرًا أو منافقًا.

قال: الكافر والمنافق من أهل النار خالدًا أبدًا، والمؤمن من أهل الجنة خالدًا أبدًا.

ولو كان عاصيًا إلا أنه كان مطيعًا أو تائبًا يدخل الجنة بلا عذاب، وإن كان غير تائب فى مشيئة الله تعالى إن شاء يرحمه وإن شاء يعذبه على قدر ذنبه بعدله ثم أدخله الجنة بفضله.

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين غير واضح بالأصل إلا بالشبه الذى أثبتناه.

(٢) كلمة [المفسدين] هنا لا يستقيم بها المعنى وهى هكذا بالأصل والصواب الذى يستقيم به السياق [المصلحين]. والله أعلم.

(٣) وهو قول جمهور أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون مسلمًا بمعصية ما لم يستحلها بل قال ابن تيمية: ولا بتأويل ولا بخطأ ولا بجهل ولا بنسيان. انظر (الرسائل والمسائل) لابن تيمية.

السادس فصل الإيمان أهله فيه سواء والتفاضل بينهم بالطاعة

ومن حكم أن أصحاب المعصية ليسوا من المؤمنين فهو خارجى؛ لأنهم لو كفروا لما سماهم الله مؤمنين، والله تعالى سمى هذه الأصناف الثلاثة بأسمائهم، فقال للمؤمن المخلص فى إيمانه: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم**﴾ [البقرة: ٢١]. و﴿**يا أيها المؤمنون أطيعوا**﴾ قد فرض العمل فى الإيمان على المؤمنين.

وقال للكافر الجاحد: ﴿**ويا أيها الكافرون آمنوا**﴾، قد فرض الإيمان عليهم. وقال للمنافق المداهن: ﴿**ويا أيها المنافقون أخلصوا**﴾ قد فرض الإخلاص عليهم.

ثم فى الإيمان الحقيقة المحسن والمسىء كلاهما سواء، وإيمان جبريل وميكائيل وجميع الملائكة والأنبياء وإيماننا سواء، فمن قال: إيمان المسىء أقل من إيمان المحسن لا يجوز.

وهو مذهب من قال: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإن [٣٠] دين الله تعالى واحد لا يزيد بانضمام الطاعة ولا ينقص بارتكاب المعصية؛ لأنه هو التصديق ذاته، وأهله فى أصله سواء والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى قال الله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا**﴾ [آل عمران: ١٨]. فهاهنا الملائكة والمؤمنون قالوا كما قال الله تعالى، فلا فرق بينهم بالإيمان إلا أن الأنبياء فضلوا علينا بالأعمال واليقين لا بالإيمان.

وقال أصحاب الحديث: يزيد وينقص كالأعمال وهو قول الشافعى.

قلنا: لا نسلم لأن النبى ﷺ قال: «الإيمان يحمل فى القلب زيادته ونقصانه كفر تام»[١].

ومن قال: الإيمان يزيد وينقص فليس له فى الإسلام نصيب[٢]؛ لأنه لا يتصور زيادته

---

(١) لم أجده فى كتب السنة ولا أدرى من أين جاء ولعله حديث باطل لا أصل له.

(٢) قوله: «ومن قال الإيمان يزيد وينقص فليس له فى الإسلام نصيب». قول فيه إجحاف ولم يوفق فيه إلى الصواب؛ لأن ممن قالوا بذلك أئمته وأصحابه الذى ينتسب إليهم وينقل عنهم كأبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد والطحاوى، وأيضًا ممن قالوا بذلك جمهور أهل السنة.
وقد رأيت باستقراء الأدلة موافقة له فى أن الإيمان لا ينقص خلافًا لقول جمهور أهل السنة وخلافًا لقوله الذى رد فيه الزيادة والنقصان بالكلية.
فالحق الذى أراه أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهذه هى الأدلة التى تناقلها أصحاب مذهب=

إلا بنقصان الكفر، ولا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر لأن الإيمان نور، والكفر ظلمة فمن نقص من نور الإيمان يدخل فيه ظلمة الكفر فهذا محال، فكيف يكون الكفر والإيمان فى عبد واحد مجتمعًا؛ لأن الإيمان عقد على الصواب فإذا انتقص شىء من العقد انحل كله. كما أن الإيمان بجميع القرآن واجب، وهو نزل على النبى ﷺ آية فآية وسورة فسورة، كما نزلت آية، إن كان يجب التصديق بها فمن لم يصدق بآية [٣٢] فقد كفر كما لو لم يصدق بجميع القرآن.

=الزيادة والنقصان ولكنها لا تدل إلا على الزيادة. من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾.

وقوله: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾، وقوله: ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا﴾.

وقد أخبر النبى ﷺ: أنه يخرج من النار من فى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.

وكان عمر رضى الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزداد إيمانًا.

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول فى دعائه: اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا.

وكان معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول للرجل من أصحابه: اجلس بنا نؤمن ساعة.

كل ذلك يدلَ على أن الإيمان يزيد، فأين ما يدل على قولهم بالنقصان؟ لا دليل.

وقول المؤلف لا يتصور زيادته إلا بنقصان الكفر، قول غير صحيح؛ لأنه لا مكان للكفر مع الإيمان؛ لأنهما ضدين لا يلتقيان فى محل واحد، فالإيمان أصل ثابت فى العبد يزداد بالعلم والمعرفة والطاعة، ولا ينقص بالمعصية، ولكنه يقف عند حده ويكون مؤمنا عاصيا أو يرفع بالكلية حين قيام العاصى ببعض المعاصى التى ذكرها النبى ﷺ كقوله: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن».

والإيمان بجميع القرآن واجب، فالمؤمن العاصى المؤمن بالقرآن ليس إيمانه كالعالم المؤمن بالقرآن، والعالم المؤمن بالله الذى ليس كمثله شىء المنزه عن الجهة، والإحاطة، والمثيل، والشبه، ليس كالعاصى المؤمن بالله الذى يتصوره فى مخيلته، فإيمان العالم أفضل من إيمان العاصى ولهذا وغيره مدح الله سبحانه العلماء فى غير ما موضع، فإذا كان إيمان العالم أفضل من إيمان العاصى فكيف بإيمان الأنبياء، وكذلك المحسن متفاضل فى إيمانه عن المسىء المؤمن، إلا أن المؤمنين فى أصل الإيمان الذى هو فى القلب سواء.

وأقول: بل هم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضى الله عنهم مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما فى القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته وما شرعه لعباده، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة ومن قال بقولهم والله المستعان.

وكذا الإيمان نور كامل لا ينقص منه شيء لأنه لو نقص منه شيء؛ لسكن في موضعه ظلمة الكفر، فكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد مؤمنًا وكافرًا في حالة واحدة؟ فالمؤمن مؤمن حقًا والكافر كافر حقًا، فليس في الإيمان شك وأيضًا ليس في الكفر شك لقوله تعالى: ﴿**أولئك هم المؤمنون حقًا**﴾ [الأنفال: ٤]. و﴿**أولئك هم الكافرون حقًا**﴾ [النساء: ١٥١].

وعامة أمة محمد ﷺ من أهل التوحيد كلهم مؤمنون حقًا، العاصون منهم وليسوا بكافرين.

والناس إنما يتفاضلون بعضهم بالأعمال واليقين لا بالإيمان، فمن آمن بما أنزل جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ كان مؤمنًا وإن كان عاصيًا ولا ينقص إيمانه بعصيانه ولا يكفر بكبائره.

ومن قال لا يكفر ولكن بفسقه يخرج من الإيمان وله منزلة بين الكفر والإيمان كان معتزليًا. ولا يجوز لأحد أن يقول إيماننا خير من إيمان الملائكة؛ لأن الله تعالى أعطاهم العقل ولا يعطيهم الشهوة والفرائض، وأعطانا العقل والشهوة والفرائض فإذا أدينا الفرائض كان إيماننا خيرًا من إيمانهم.

فهذا القول بدعة؛ لأن النبي ﷺ دعا الناس سنين أو عشر [٣٣] سنين إلى الإيمان فقال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا مخلصًا دخل الجنة»(١).

ثم جاء الأمر ببعض الطاعة فمن مات في تلك السنين مات بإيمان تام أم ناقص؟ فإن قال: مات مع إيمان تام فقد أقر أن الإيمان تام إيمان واحد، وقد دعا الناس على إيمان تام.

وإن قال: مات مع إيمان ناقص فقد حكم أنه من أهل النار؛ وقد أقر على أن النبي ﷺ قد دعا الناس على إيمان ناقص فهذا خطأ عظيم؛ لأن النبي ﷺ دعا إلى إيمانه لا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٥/٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٦) من طرق عن معاذ قال في إحداها: «ألا أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ﷺ لم يمنعني أن أحدثكموه إلا أن تتكلوا، سمعته يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا بها قلبه أو يقينًا من قلبه لم يدخل النار أو دخل الجنة» وقال مرة: «دخل الجنة ولم تمسه النار».

وإسناده صحيح على شرط الشيخين وأورده الألباني في: «السلسلة الصحيحة»: (٣/٢٩٨).

إيمان غيره، فمن آمن به فإيمانه وإيمان النبى ﷺ سواء[1]، ومن آمن بغيره فهو ليس بمؤمن، وقل لهذا القائل: قد فرض الله الإيمان أجبته بإيمان تام أم ناقص؟ فإن قال: أجبته بتام، فقد أقر بتام، وإن قال: أجبته بناقص، فقد أخطأ، وإن استدل بقوله: ﴿**ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم**﴾[2] [الفتح: ٤].

فقيل: تفسيره ليس على الظاهر. قال بعضهم: الإيمان هاهنا اليقين.

وقال بعضهم: التصديق ليس كل آية تفسيره على الظاهر، أما ترى قوله تعالى: ﴿**لأسقيناهم ماء غدقًا**﴾ [الجن: ١٦]. يعنى: لأعطيناهم مالاً كثير.

فانظر إلى تفسيره فى الظاهر [٣٤] ماذا وفى الباطن ماذا.

وقوله: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ [هود: ٨٧] يعنى سفيه أحمق تفهم تهتدى وإن احتج بقوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى**﴾ [المائدة: ٣].

علمنا أنه يزيد فقيل: الإيمان دين وليس كل دين إيمان، كما أن الكفر معصية وليس كل معصية كفر، وكما أن الصلاة طاعة وليس كل طاعة صلاة.

فالدين هاهنا أراد به الفرائض وهو على وجوه، قوله تعالى: ﴿**فى دين الملك**﴾ [يوسف: ٧٦]. أى فى حكم الملك.

---

(١) قوله: فمن آمن به فإيمانه وإيمان النبى ﷺ سواء قول غير صحيح؛ لأن الإيمان فضله وزيادته على قدر المعرفة بالله، فكيف يكون إيمان من يدخل النار ويخرج لأن فى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، بإيمان النبى ﷺ.

ولو لم يكن هناك تفاضل وزيادة فى إيمان المؤمنين لم يكن هناك تفاضل ودرجات فى الجنة.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز فى تعليقه على الطحاوية: وهذا فيه نظر وهو باطل فليس أهل الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون فيه تفاوتًا عظيمًا فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين كإيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين وهو قول أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة ومن قال بقولهم.

(٢) قوله: إن استدل بقوله ﴿ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾.

قلت: قول المؤلف مردود والدليل قائم بالزيادة؛ لأن ألفاظ الإيمان والتوحيد كلها واضحة الدلالة محكمة يجب العمل بها قطعًا، وهى لا تحتمل التأويل ولا التخصيص ولا نسخ وأيضًا هى ألفاظ حقيقية لا مجازية، وقد بين هو فيما سبق أن الإيمان لا يكون مجازًا بل هو على الحقيقة، فكيف يتأول الآية ويقول ليست على الظاهر وأين القرينة التى تصرف الآية عن ظاهرها؟.

قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٣]. أى قاضى يوم الحساب، قوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولى دينِ﴾ [الكافرون: ٧]. أى لكم كفركم ولى الإيمان بالخبر «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان»، فقد صح[(١)] أن الإيمان يزيد وينقص قلنا هل يكون الإيمان أقل من قوله: لا إله إلا الله»[(٢)].

فإن قال: لا، فقيل: هو أثقل أم ذرة.

وقد جاء الخبر: «لو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعت فى كفة الميزان وقول لا إله إلا الله فى كفة أخرى لكان أرجح من جميعها» وإنما هناك العمل لا الإيمان[(٣)].

---

(١) قوله «فقد صح» أى: فقد صح عند من قال: الإيمان يزيد وينقص، لأن [قد] إذا دخلت على الفعل الماضى أفادت التحقيق، أى: أن الأمر محقق الحدوث كما فى قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾. والمصنف يثبت التحقيق عند مخالفيه لا عنده لأنه لا يقول ولا يصح قول من قال: الإيمان يزيد وينقص، وسيأتى منه تفصيل ذلك.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب «التوحيد» باب كلام الرب عز وجل للأنبياء (١٣/٤٨١ -٤٨٢) برقم (٧٥١٠) من حديث أنس رضى الله عنه.
وأخرجه مسلم فى كتاب: «الإيمان» باب تحريم الكبر وبيانه: (١/١٤٨/٩٣) من حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه بلفظ: «لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ....» الحديث.
وأخرجه الترمذى فى كتاب «البر والصلة» باب ما جاء فى الكبر: (٤/٣١٨) برقم (١٩٩٩) من حديث أبى سعيد الخدرى بلفظه. وفى كتاب «صفة جهنم» باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد: (٤/٦١٥) برقم (٢٥٩٨).
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والنسائى فى كتاب «الإيمان» باب «زيادة الإيمان»: (٨/٤٨٦ -٤٨٧) حديث رقم (٥٠٢٥) من حديث أبى سعيد الخدرى ... به.
وأحمد فى «مسنده» (٢/٢٩٦) حديث رقم (٢٦٩٣) من حديث أنس رضى الله عنه. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد فى: «المسند»: (٢/١٧٠) برقم (٦٥٨٣) من طريق الصَقْعَب بن زهير عن زيد بن أسلم قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو....به. جزء من حديث طويل فمن وصية نوح عليه السلام والصَقْعَب، بفتح الصاد والعين المهملتين بينهما قاف ساكنة وآخره باء، ابن زهير بن عبد الله بن زهير الأزدى: ثقة وثقه أبو زرعة وغيره. =

ألا ترى ما جاء فى حديث آخر «إن الله تعالى يخرج من النار بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله [٣٥] محمد رسول الله»[(١)].

يغفر الله لهم بإيمان كامل أم ناقص وهو لم يعمل عملاً صالحًا، بل بإيمان كامل، ودليلنا على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص: فقد عصى آدم ربه ما نقص من إيمانه[(٢)]،

=وأخرجه أيضا البخارى فى: «الأدب المفرد»: (٨٠، ٨١) من طريق سليمان بن حرب ... بهذا الإسناد.

وأورده الحافظ ابن كثير فى: «البداية والنهاية»: (١/ ١١٩) وقال: إسناده صحيح ولم يخرجاه أى أصحاب الكتب السته.

وأورده الهيثمى فى: «مجمع الزوائد»: (٤/ ١٢٩ - ٢٢٠) وقال: رواه أحمد، ورواه الطبرانى بنحوه وزاد فى رواية: «وأوصيك بالتسبيح؛ فإنها عبادة الخلق»، رواه أحمد، ورجاله ثقات. وأشار إلى رواية البزار أيضًا ونقل أيضًا قطعتين منه. انظر: (٥م ١٣٣، ١٤٢) وقال فى الموضع الأول: رواه البزار وأحمد فى حديث طويل تقدم فى وصية نوح فى الوصايا، ورجال أحمد ثقات.

وقال فى الثانى: رواه أحمد فى حديث طويل تقدم فى وصية نوح عليه السلام، ورجاله ثقات.

ثم ذكره من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠/ ٨٤١) وقال: رواه البزار وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح.

وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وأخرجه أحمد فى مسنده مختصرًا عن الأول: (٢/ ٢٢٥) برقم (٧١٠١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بنحوه وإسناده صحيح.

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: «الإيمان» (باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (١/ ٣١٨/ ١٧٨) من حديث جابر رضى الله عنه، (١/ ٣٢٦/ ١٨٢ - ١٨٤) ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فى الشفاعة الكبرى وهو حديث طويل.

أخرجه ابن ماجه فى كتاب: «الزهد» باب ذكر الشفاعة: (٢/ ١٤٤٣) برقم (٤٣١٥) جميعًا من حديث عمران بن الحصين... به.

أخرجه البخارى فى كتاب «الرقاق»: باب صفة الجنة والنار: (١١/ ٤٢٥) برقم (٦٥٦٦) من حديث عمران بن حصين وفى آخره «يسمون الجهنميين» وأخرجه أبو داود فى كتاب «السنة» باب فى الشفاعة: (٤/ ٢٣٦) برقم (٤٧٤٠).

والترمذى فى كتاب «صفة جهنم» باب ما جاء أن للنار نفسين... (٤/ ٦١٦) برقم (٢٦٠٠).

وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

(٢) لم يقل أحد فى هذه الآية ومثلها أن آدم قد نقص إيمانه بالمعصية بل نقول ما قاله الله عنه ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ وكذلك لا يقال عن أهل المعاصى نقص إيمانهم كما يقول بعض المنتسبين إلى أهل السنة أو يقال: كفروا بمعصيتهم كقول الخوارج، أو يقال: هم بين المنزلتين كقول المعتزلة، أو يقال: بعدم الزيادة مطلقًا كما ذهب المؤلف.

وبزلة الأنبياء والمرسلين ما نقص من إيمانهم.

ولما أوجب الله تعالى على موسى ومحمد وأمتهما آناء الليل وأطراف النهار خمسين صلاة، والصوم ستة أشهر وسألا ربهما على قدر طاقة أمتهما، فرد الله تعالى من خمسين إلى خمسة، ومن صوم ستة أشهر إلى شهر[1] فهل نقص من إيمانهما بهذا النقصان؟ بل ما نقص وقد ظهرت الدلائل أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يجوز الكلام بالزيادة والنقصان فى الإيمان ولكن يجوز فى العقول؛ لأن عقول الأنبياء والمؤمنين والكفار ليسوا

---

(١) أخرجه البخارى فى «كتاب الصلاة»: باب كيف فرضت الصلوات فى الإسراء: (١/٥٧٤ - ٥٧٥) حديث رقم (٣٤٩) من حديث أنس رضى الله عنه. ولقد ثبت فى السنة أن الصلاة كانت كما قال المؤلف وأما الصيام فلا ندرى فيه حديثًا عن النبى ﷺ إلا كلامه ﷺ الذى أخرجه النسائى: (٤/٢٠٩) وذكره ابن حجر: (٤/٢٢١) وهذا عن صيام داود عليه السلام ومجموع صيام داود فى العام ستة أشهر، ولعل هذا ما ذهب إليه المصنف ولقد ذكر ابن كثير فى «تاريخه»: (٢/١٦) عن صيام الأمم والأنبياء السابقين فقال: روى الحافظ فى «تاريخه» فى ترجمة صدقة الدمشقى من طريق الفرج بن فضالة الحمصى عن أبى هريرة الحمصى عن صدقة الدمشقى: «أن رجلاً سأل ابن عباس عن الصيام؟ فقال: لأحدثنك بحديث كان عندى فى البحث مخزونًا إن شئت أنبأتك بصوم داود؛ فإنه كان صوامًا قواما وكان شجاعًا لا يفر إذا لاقى، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا».

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتًا يكون فيها وكانت له ركعة من الليل يبكى فيها نفسه ويبكى ببكائه كل شىء ويصرف بصوته الهموم والمحموم». وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان: «فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه بصيام».

وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى ابن مريم: «فإنه كان يصوم الدهر، ويأكل الشعير، ويلبس الشعر، يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد، ليس له ولد يموت ولا بيت يخرب وكان أينما أدركه الليل صفن - أى صف قدميه - بين قدميه وقام يصلى حتى يصبح، وكان راميًا لا يفوته صيد يريده، وكان يمر بمجالس بنى إسرائيل فيقضى لهم حوائجهم. وإن شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران: فإنها كانت تصوم يومًا وتفطر يومين». وإن شئت أنبأتك بصوم النبى العربى الأمى محمد ﷺ: فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول: «إن ذلك صوم الدهر».

وقد روى الإمام أحمد عن أبى النصر فرج بن فضالة عن أبى هريرة عن صدقة عن ابن عباس مرفوعًا فى صوم داود.

بسواء ومن قال عقولهم سواء كان مبتدعًا.

والعقول على خمسة أوجه: ضرورى، وتكليفى، وعطائى، وعقل من جهة النبوة، وعقل من جهة الشرف؛ فأما الضرورى فظاهر، وأما التكليفى فمن أكثر الجهد والجلوس مع العقلاء يصير أعقل قدر التكليف، وأما العطائى فليس للكفار فيه نصيب، والمؤمنون فى هذا العقل [٣٦] سواء.

وأما الذى من جهة النبوة فليس للمؤمن فيه نصيب، وهذا العقل خاصة للأنبياء، وأما الذى من جهة الشرف فليس للخلق فيه نصيب وهو محمد ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أعطاه العقل ولم يعطه لأحد وذلك قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم: ٤].

وقال وهب بن منبه(١): قرأت إحدى وسبعين كتابًا فوجدت فى كله لو جمع عقول جميع الخلائق من الأولين والآخرين ويوضع عند عقل النبى ﷺ كان عقولهم عند عقله مثل رملة عند رمال القيامة؛ لأن الله تعالى جعل العقل ألف جزء أعطى من ذلك تسعمائة وتسعة وتسعين لمحمد ﷺ وأعطى واحدًا لمن يشاء من عباده.

فمن قال عقل الكافر مع عقل محمد ﷺ سواء فهو مبتدع منافق، وفلاسف، وزنادق، وملعون ومخذول، والله أعلم.

* * *

---

(١) وهب بن منبه: ابن كامل بن سيج بن ذى كبار وهو الأسوارى الإمام العلامة القصصى الأخبارى، أبو عبد الله الأبناوى اليمانى الذمارى الصنعانى أخو همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه.

قال أحمد: كان من أبناء فارس وله شرف. وقال العجلى: تابعى ثقة. وقال أبو زرعة والنسائى: ثقة، ومن أقواله: احفظوا عنى ثلاثًا: إياكم وهوى متبعا، وقرين سوء، وإعجاب المرء بنفسه.

وعنه: دع المراء والجدل، فإنه لن يعجز أحد رجلين؛ رجل هو أعلم منك فكيف تعادى وتجادل من هو أعلم منك؟ ورجل أنت أعلم منه فكيف تعادى وتجادل من أنت أعلم منه ولا يطيعك.

وعنه: إذا سمعت من يمدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.

انظر ترجمته فى: «سير أعلام النبلاء» (٤/٥٤٤)، طبقات ابن سعد (٥/٥٤٣)، «وفيات الأعيان» (٦/٣٧)، الحلية (٤/٢٣) «تاريخ الإسلام» (٥/١٤)، «البداية والنهاية» (٩/٢٧٦)، «تهذيب التهذيب» (١١/١٦٦).

٢ - باب

إِلَـــهُ الخَلْــقِ مَوْلاَنَـــا قَدِيـــمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَـافِ الكمـــالِ

واعلم أن الله تعالى خلق الخلائق بلا مرا(١) قديم(٢)، مقيم بلا ابتداء قائم باقى بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد، ذو الكرم [٣٧] والأفضال، ذو الجود والجمال ذو المن والجلال، وله أوصاف الكمال - يعنى القدرة والعلم والحياة ونحو ذلك من صفات له - وهو أولى أزلى لا أول له، صانع العالم لا شريك له، لم يزل موصوفًا بصفة القديم، فويل لمن كان فى معرفته سقيم، ومعنى القديم أول ولا أول له وهو محدِث ليس بِمُحْدَثْ؛ لأنه لو كان محدثًا ولم يكن قديمًا لاقتضى محدثًا ثم كذلك مُحْدِثُهُ اقتضى آخر فيتسلسل ذلك إلى مالا نهاية له، أو ينتهى إلى صانع قديم محدث للكل، وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم وخالقه، وبارئه ومبدعه، تبارك وتعالى رب العالمين.

وإذا ثبت أنه قديم لا أول له، فاعلم أنه أبدى لا نهاية له، مستمر الوجود لا آخر له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لا يقضى عليه بالانفصال، وتصرم الآباد وانقراض الآجال ومضى الدهور.

دلالته أن ما ثبت قدمه استحال عدمه؛ لأنه لو انعدم إما أن ينعدم بنفسه، أو ينعدم بأضداده، لا وجه للأول؛ لأنه لا يتصور لمن ينعدم، دوامه بنفسه، لتصور أن يوجد شىء بنفسه كما يحتاج طرف الوجود إلى مُوجد [٣٨] هكذا يحتاج طرف العدم إلى مُعدم.

ولا وجه للثانى، لأن ذلك المعدم لا يخلو إما أن يكون قديمًا أو محدثًا. لا وجه للأول؛

---

(١) كذا بالأصل [بلا مرا] والمقصود [بلاَ مِراء]

(٢) قوله: «قديم»: موافق لقول الإمام الطحاوى ومن ذهب مذهبهم قول غير صحيح؛ لأن الأسماء والصفات توقيفية فما ذكره الله عن نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ذكرناه، ثم إن معنى القديم قال الشيخ عبد العزيز بن باز فى تعليقه على متن الطحاوية: القديم هو المسبوق كقوله تعالى: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾.

والله تعالى قال عن نفسه: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾.

لأنه لو كان قديمًا لما تصور وجود البارى جلت قدرته. ولا وجه للثانى؛ لأن المُحْدَث لا يصلح أن يكون مُعدِمًا للقديم؛ لأن الحادث يزيد قطع وجوده، والقديم يزيد دفعه.

ولا شك أن الدفع أصون من القطع، والقديم أقوى وأقدر من الحادث، والله تعالى محدث الحوادث، ومورث الموارث، وموصوف بصفات الوحدانية، ومنعوت بنعوت الفردانية وليس بمعناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود، واللغات، والأركان والأعضاء والأدوات.

ومن كانت فى قديميته مخالفة مارق من أهل الأهواء والفلاسفة، ومن خالف موصوف كماليته صارت معتزلة من أهل ضلالته. خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة.

وليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارى وله معنى الربوبية ولا مربوب، وله معنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيى الموتى بعد ما أحيى، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، وكما استحق اسم الأبدى بعدما أعدمهم، استحق هذا الاسم [٣٩] قبل إحداثهم. ومن قال: اسمه الأزل أقدم من اسمه الأبد كان فلسفًا ومنافقًا؛ لأن الأزل والأبد صفتان من صفاته وليس فى بعض صفاته أسبق من بعض.

ومن قال: صفات ذاته أسبق من صفات فعله صار كافرًا؛ لأن السبق صفة القدم، وما ظهر بعد السبق محدث، والمحدث لا يكون صفة القديم، والله تعالى منزه بجميع صفاته عن صفات الحدوث والنظير.

وذلك بأنه على كل شىء قدير وكل شىء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شىء: ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١]. خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا وضرب لهم آجالاً لم يخف عليه شىء بعد خلقهم، وعلم ما هم عاملون[١] قبل أن يخلقهم.

ومن قال: إنه لم يكن خالقًا قبل أن يخلق الخلق، فلما خلق الخلق صار خالقًا، فهو كفر محال، قال الله تعالى: ﴿**خالق كل شىء فاعبدوه**﴾ [الأنعام: ١٠٢].

---

(١) هذه العبارة من أول الباب إلى قوله: قبل أن يخلقهم هى عبارة الإمام الطحاوى.

وقال: ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم﴾ [الروم: ٤٠]. وكل ما سوى الله فهو مخلوق الله؛ النور والظلمة والسماوات وما فيها من الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب والبرق، والرعد، والأمطار، والأرضون وما عليها من الجبال، والبحار، والأشجار، وأنواع النبات، وأصناف [٤٠] الحيوانات الضار منها والنافع، لم يكن شىء من قبل كونه إلا بتكوين الله أصلاً ومادة، بل كون ذلك كله بلا أصل ومادة.

وكذلك الجنة والنار، والعرش والكرسى، واللوح والقلم، والملائكة والجن، والإنس والشياطين لم يكن شىء من ذلك كله فكانوا بتكوين الله تعالى؛ لأنهم كانوا محدثين عاجزين، وكذا صفات هذه الأشياء من الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، والألوان والطعوم والروائح، والعلم والجهل، والقدرة والعجز، والصمم والسمع، والبصر والعمى، والنطق والبكم، والصحة والمرض، والحياة والموت، والفرح والسرور، والغضب والرضا، والتبسم والضحك، والغم والهم والحزن، وأفعال العباد وأكسابهم.

ومن قال: إن أفعال العباد وأكسابهم غير مخلوقة فهو معتزلى ملعون[1].

---

(١) قوله: «معتزلى ملعون» فيه نظر؛ لأن المسميات وضعها الشارع الحكيم على فاعليها فهى متعلقة بها لا يجب نسبتها لغير متعلقاتها، ولا تتعلق تلك المسميات بفاعليها مطلقًا إلا إذا كانوا أنواعًا، وتتعلق بالأعيان بشروط وانتفاء موانع، وهذا كثير جدًا فى الكتاب والسنة فقد سمى الله على سبيل المثال الفاعلين بما فعلوا، فقال على مستحقى الكفر: كافرين وقال على مستحقى الإيمان: «مؤمنين»، ومستحقى اللعن بالملعونين كشارب الخمر، والواشمة والواصلة، وفاعلى النفاق بالمنافقين، أما الأعيان فقد سمى الله أبا لهب بأبى لهب فيحرم إطلاقه على غيره، وسمى رسول الله ﷺ عمرو بن هشام بأبى جهل فلا يطلق على غيره، وهكذا فلا يصح أن يطلق لفظ ملعون إلا على فعل استحق من الشارع الحكيم لعن صاحبه.

قال ابن تيمية: استفتى أبو القاسم ابن عساكر على من خالف الأشعرية واعتقد تبديعهم فى قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعرية وتكفيرهم ما الذى يجب عليهم فى هذا القول؟ الجواب وبالله التوفيق أن كل من أقدم على لعن فرقة من المسلمين وتكفيرهم فقد ابتدع وارتكب ما لا يجوز الإقدام عليه وعلى الناظر فى الأمور أعز الله أنصار الإنكار عليه وتأديبه بما يرتدع هو وأمثاله عن ارتكاب مثله، قال ابن تيمية: هذه الفتيا كتبت هى وجوابها فى فتنة ابن القشيرى لما قدم بغداد فإن ملك بغداد محمود بن سبكتكين كان قد أمر فى مملكته بلعن أهل البدع على المنابر فلعنوا وذكر فيهم الأشعرية وكذلك جرى فى أول مملكة السلاجقة الترك وكان الذين سعوا فى إدخالهم فى اللعنة فيهم من سكان تلك البلاد من الحنفية الكرامية وغيرهم ومن أهل الحديث=

وإن كانت أفعالهم حقيقة على طريق الاختيار لا بالجبر حتى يتعلق بها الأمر والنهي والمدح والذم والوعد والوعيد كلها مخلوقة الله تعالى، وفى ما لم يكن فكان فهو مخلوق الله لم يخلق غير الله.

ولله تعالى فى خلق كل شيء من ذلك حكمة، علم العباد أو لم يعلموا، وهو فعل ما شاء وما لم يشأ لم يفعل، له الحكم والأمر، ليس لأحد عليه أمر وحكم، [٤١] بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فهمه الخلق أو لم يفهموا خيرًا أو شرًا.

فكل ذلك منه عدلاً لا جورًا منه أبدًا: ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣]. من فعل الخير رضى الله عنه، ومن فعل الشر غضب عليه، نعوذ بالله من غضبه وخذلانه ونرجو أمن عفوه وثوابه ورضوانه.

* * *

=طوائف وجواب الدمغانى جواب مطلق فيه رضا هؤلاء وهؤلاء فإنه أجاب بأنه من أقدم على لعن فرقة من المسلمين وتكفيرهم فقد ابتدع وفعل ما لا يجوز وهذا مما لا ينازع أحد أنه من كان من المسلمين لا يجوز تكفيره إذا هو المكفر لشخص أو طائفة لا يقول إنهم من المسلمين ويكفرهم بل يقول: ليسوا بمسلمين.

انظر الفتاوى الكبرى (٥/٢٨٦،٢٨٦) بتصرف طبعة دار المعرفة.

٣ – باب فى معنى الغضب والرضى

وَهُــو يَرضَىَ لِعَبدهَ ويَغَضَــب   لكــن همـــا منــه بـِلاَ مثَـال

واعلم أن الله تعالى يغضب ويرضى؛ لأنه من لا يغضب ولا يرضى(١) لا يكون آمـرًا ولا ناهيًا، لا كأحد من الورى، معناه أن يصير العبد مستحقًا لرحمته أو عذابه لا أنه يحدث فى ذات البارى تغيرًا، وليس غضبه ورضـاه كغضب العبد ورضـاه؛ لأنهما إذا دخلا فى العبد غيرا عليه الحال؛ لأن غضب العبد ورضاه من صفاته وهو بجميع صفاته مخلوق، والمخلوق لا يخلو من تغير الحال وتبدل الأحوال(٢).

وأما غضب الله تعالى ورضاه لا غير عن حاله؛ لأنهما مـن صفاته لا هـو ولا غيره كما بينا وهو بجميع صفاته غير مخلوق.

ومن قال: غضب الله النار ورضاه الجنة سفسط وتزندق وابتدع(٣)؛ لأن الجنة والنار مخلوقتان، فالمخلوق لا يكـون [٤٢] صفـة الخـالق، إلا أن العقوبـة بغضبـه وثوابـه كـان

(١) قوله: «لأنه من لا يغضب ولا يرضى لا يكون آمـرًا ولا ناهيًـا». معنـاه أن يصير العبـد مستحقًا رحمته أو عذابه كلها تأويلات كلامية على غير طريقة أهل السنة والجماعة فهـم يثبتـون الغضـب والرضى بأسبابهما المستحقة لهما.
وهى أسباب دلت القرائن المذكورة بنفس الدليل عليهـا أو المتراخى عنهـا أمـا تأويله الغضـب والرضى بمعنى استحقاق العبد لرحمته أو عذابه، فيه مخالفة أيضًـا لأهـل السنة والجماعـة؛ لأنهـم يثبتون هاتين الصفتين وغيرهما من غير تأويل ولا تحريف وهم يجرون الصفات على ظاهرهـا مـن غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل وهو ما اشتهر عنهم وحكته مؤلفاتهم، والله أعلم.
(٢) اعلم أنه لا يلزم من اتحاد اسم الخالق والمخلوق التماثل فإن الله سمى نفسه ببعض أسـماء سـمى بها خلقه.
ووصف نفسه بصفات وصف بها بعض خلقه فلا يلزم من ذلك التشبيه قال تعالى: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ انظر العقيدة الواسطية وشروحها.
(٣) هذا صحيح ولكنها من غرائب المؤلف؛ فهو يجمع بين الرأى وضده، والدليل أنه قـال بمقالـة مـن وصفهم بالسفسطة، والزندقة، والبدعة.
فقال قبل أسطر أن معنى الغضب والرضى هو استحقاق العبد لرحمتـه وعذابـه، وقـد علقنـا علـى هذه العبارة التى قال بها ثم أنكرها على غيره بعد سطور قليلة فراجع وتأمل.

برضاه، وكذلك يجوز أن يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه[1]، فعقوبته نار وثوابه جنة وهما محدثان، فالمراد فى ذلك أن النار يستوجب بغضب الله، والجنة تستوجب برضا الله تعالى.

* * *

(١) تأويل رضا الله بثوابه، والثواب بالجنة باطل كبطلان أى تأويل للأسماء والصفات، فإن جاز فما ذهب إليه باطل؛ لأنه قد دل الدليل على أن رضا الله ليس الجنة مطلقًا، وهو قوله تعالى كما فى الحديث الشريف لأهل الجنة: هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى ... إلخ، فيقول سبحانه «أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» الحديث.
فدل أن الجنة ما يرضى به العبد من ربه، وأن رضوانه ليس الجنة وهو ما يحله على عباده بعد دخولهم الجنة، ولو كانت الجنة فما كان من هذا القول معنى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا، والله تعالى أعلى وأعلم.

٤ - باب

هُوَ الحَـيُّ المدَبِّـــرُ كُــلَّ أَمْــرٍ هُـوَ الحَــقُّ المقَــدِّرُ ذُو الجَـلاَلِ

واعلم أن الله تعالى حى وله حياة أزلية لا بروح وحركة[1]، عالم بـلا قلـب وفكـرة قادر بلا آلة، بصير بلا حدقة، سميع بلا أذن، متكلم بلا لسان، لا نفس يخرج منـه، ولا فناء يعرض لبقائه، ولا زوال يدخل فى حياتـه قولـه تعـالى: ﴿**الله لا إلـه إلا هـو الحى القيوم**﴾ [البقـرة: ٢٥٥]. وقولـه تعـالى: ﴿**وتوكـل على الحى الـذى لا يمـوت**﴾ لأن وجود هذا العالم صنيعته، أن لا يتصور إلا من حى ثبت أن لـه حيـاة، وعلمًـا، وقـدرة، وإرادة، وسمعًا، وبصرًا، وكلامًا.

إذ القول بعالم لا علم له، وقادر لا قدرة له، كالقول بمتحرك لا حركة لـه، وسـاكن لا سكون له، وأسود لا سواد له.

---

(١) اعلم أن هذه الألفاظ التى أوردها المؤلف فى هذا الموضع وغيره كالروح والقلب والآلـة والحدقـة والأذن واللسان والحدود والغايات والأركان والأعضاء مما يليك فـى القـراءة هـى: اصطلاحـات كلامية يجب الحذر منها عند قراءتها، لأن للفرق منها إطلاقات وأقوال تختلف باختلافاتهم.

قال الأذرعى فى شرحه للطحاوية: وللناس فى إطـلاق مثـل هـذه الألفـاظ ثلاثـة أقـوال: فطائفـة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف فلا يطلقون نفيهـا ولا إثباتهـا إلا إذا تبين ما أثبت بها فهو ثابت وما نفى بها فهو منفى؛ لأن المتأخرين قد صـارت هـذه الألفـاظ فـى اصطلاحاتهم فيها إجمال وإبهام كغيرها من الألفـاظ الاصطلاحيـة، فليس كلهـم يستعملها فـى نفس معناها اللغوى، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقًا وباطلاً مخالفًا لقول السلف، ولـمـا دل عليه الكتاب والميزان، ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنـا أن نصـف الله تعالى بما لم يصـف بـه نفسـه ولا وصفـه بـه رسـوله، نفيًـا ولا إثباتًـا، وإنمـا نحـن متبعـون لا مبتدعون.

فالواجب أن نثبت فى باب الصفات مـا أثبتـه اللـه ورسـوله، وأن ننفـى مـا نفـاه اللـه ورسـوله، والألفاظ التى ورد بها النص يعتصم بها فى الإثبات والنفى، وأما الألفاظ التى لم يـرد نفيهـا ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر فى مقصود قائلها - لاحظ - فإن كان معنى صحيحًا قبل.

ولكن ينبغى التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عنـد الحاجـة، مـع قرائـن تبيـن المراد والحاجة مثل: أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب به ونحو ذلك. ا. هـ. انظر: شرح العقيدة الإسلامية لعلى بن أبى العز الأذرعى (٨٠، ٨٤).

والقول: لا له [علم] بنا ولا قدرة له علينا لشنيع محال، ومن أنكر الحياة منه فهو معتزل وفلاسفة، [٤٣] ومن وصف الآلة والجوارح منه فهو ملاحدة.

واعلم أنه مدبر الأمور، وعليم بذات الصدور، حق ذاته بلا كيفية، فرد واحد بلا صورة، يبصر جميع الأكوان والألوان، من غير عين وأجفان، ويعلم صنوف اللغات من غير قلب وجنان، ولا يغيب عن بصره مرأى وإن دق فى العيان، يسمع أنواع الأصوات من غير أصمخة وآذان، لا يغيب عن سمعه وإن خفى فى البيان، فالسمع والبصر له صفتان فإثباتهما مدح وكمال، ونفيهما نقص وضلال. حق عالم، سميع بصير، مدبر متكلم، خالق رازق، فى الأزل والحياة، والعلم والقدرة، والسمع والبصر، والإرادة والكلام، والخلق والرزق، وهو التكوين صفاته، وصفاته قائمة بذاته.

والدليل على أنه قادر له قدرة، وهو على كل شىء قدير وعالم له علم أنزله بعلمه: ﴿**ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وخالق الأخلاق، ومدبر كل شىء ومقدر الأرزاق: ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ [هود: ٦].

قادر على جميع خلقه، وعلى الأمور كلها، قاهر جبار قوى، قدرته كاملة وقوته متينة دلالته: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ [الأنعام: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿**ذو القوة المتين**﴾ [الذاريات: ٥٨].

ولا يعتريه عجز ولا قصور، ولا يخرج [٤٤] عن قدرته مقدور، وليس فى السماوات العلى، ولا فى الأرضين السفلى قادر غيره ولا حاكم سواه؛ لأن حصول الأفعال للحكمة لا يتصور وجودها من قاهر قادر[1]، ويستحيل وجودها من عاجز.

وعلم البارئ واحد وكذا قدرته وسمعه وبصره وحياته وكلامه؛ لأن إثبات الصفة الواحدة لابد منها، وما زاد عليه فالقول متعارض، وعلمه ليس بكسبى ولا ضرورى[2]؛

(١) هذه العبارة أثبتناها كما فى الأصل، وهى غير مستقيمة بل يختل بها المعنى، والصواب أن نقول [لا يتصور وجودها إلا من قاهر قادر]. والله أعلم.

(٢) قوله: «وعلمه ليس بكسبى ولا ضرورى» سبق تعريف العلم الضرورى، والعلم المكتسب تعالى الله عن هذا التعريف الذى لا يليق إلا بالمخلوقات وعلمه سبحانه ليس كمثله شىء.

لأن ذلك من أمارات الحدث، وهو عالم بجميع السر والعلانية كلياتها وجزئياتها، لا يعذب عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، تفرد بعلم الغيوب؛ فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون جل عن السهو والنسيان والخطأ والطغيان، قوله تعالى: ﴿**والله يعلم ما تسرون وما تعلنون**﴾ [النحل: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير**﴾ [الأنعام: ٧٣]. لأنه لو لم يكن عالمًا لكان موصوفًا بضده وهو الجهل، وذلك نقص تعالى الله عن ذلك فمن أنكر بشىء من خلقه أو من الرزق فقال: لا أدرى من خالق هذا؟ أو من رازق هذا؟ فقد كفر.

ومقدور الله تعالى لا نهاية له، ففى قدرته لطف لو فعل ذلك بالكفار كلهم لآمنوا، ولما لم يفعل [٤٥] لم يؤمنوا، وكل أحد يأكل ويستوفى رزق نفسه، ولا يتصور استئثاره رزق غيره.

* * *

الأول: فصل القدر سر الله

وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه، ولم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان، وسيل الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة؛ فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن قرابه فقال: ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ومن سأل لم فعل(١)؟ فقد رد حكم كتاب الله تعالى، ومن رد حكم كتاب الله تعالى

(١) قول المؤلف: «ومن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم كتاب الله تعالى ومن رد حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين». قول صحيح عام لا يحمل إلا على الأنواع لا الأعيان، والخلط بين الأنواع والأعيان شبهة كثير من العوام، وأغلب المكفرة.

واعلم أن كل معلوم من الدين بالضرورة منكره كافر لا شك فى ذلك، ولا فرق فى ذلك بين النوع والعين، إلا أن دائرة الأحكام الشرعية والمعرفة بها تختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأشخاص، بل واختلاف الناس فى كون الفعل المحكوم به قطعى أم ظنى فلا يقال فيما اختلف فيه لا يقبل العذر بالجهل؛ لأن الفعل خرج عند فاعله عن كونه معلومًا من الدين بالضرورة لعدم علمه بدلالته القطعية فلا يكون كافرًا بذلك.

ويختلف أيضًا العلم بالأحكام من مكان عن آخر، وفى زمن دون زمن فقد يشيع فى مكان أو=

كان من الكافرين. فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهو درجة الراسخين فى العلم.

* * *

فصل: فى العلم الموجود والعلم المفقود

لأن العلم علمين: علم فى الخلق موجود، وعلم فى الخلق مفقود[١]، فإنكار العلم

=فى زمن ما حكما بين الخاصة والعامة حتى يصير فى ذلك الزمان والمكان معلومًا من الدين بالضرورة، ولا يشيع فى زمان أو مكان آخر فلا يقبل العذر فى الأول، ويقبل فى الثانى.
وكذا الحال لدى الأشخاص فقد يكون حكمًا معلومًا لدى شخص ومجهولاً لدى آخر فى زمان ومكان واحد لحداثة الثانى بالإسلام أو لسبب آخر لم يمكنه من العلم بالحكم.
هذا ولابد من التفريق بين الفعل وفاعله ولا يعلق مسمى الفعل بفاعله إلا بشروط وانتفاء موانع، فإن وجدت شروط وانتفت موانع فلا عذر له، ويأثم على تقصيره فى طلب العلم الواجب.
ومعلوم أن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».
فقد نرى رجلاً يتعجب من شيء فيقول: لا إله إلا الله، أو كافرًا متحضرًا من أوربا يميط الأذى عن الطريق، فهل نعلق تلك الأفعال بفاعليها فيكونوا مؤمنين؟ بالطبع لا؛ لأن الأول: قال كلمة التوحيد متعجبًا على سبيل العادة، والثانى أماط الأذى عن الطريق لا يريد إلا النظافة وكذا الحال فى الكفر وفاعله فقد يفعل مؤمنًا فعلاً من أفعال الكفر، وهو لا يدرى بأنه كفر، فالفعل لا شك فى أنه كفر أما فاعله فهو معذور، لا يكون كافرًا إلا بشروط وانتفاء موانع والأدلة على ذلك كثيرة جدًا: كحديث ذات أنواط الذى رواه مالك والنسائى والترمذى وصححه عن أبى واقد الليثى، وما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى ﷺ: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ قال: «نعم». وحديث الرجل الذى أوصى بإحراق نفسه بعد موته وغير ذلك من الكتاب والسنة مما يحتاج توضيحه فى رسالة مستقلة والله أعلم.

(١) قال ابن باز فى تعليقه على الطحاوية: مراده رحمه الله بالعلم المفقود هو علم الغيب وهو مختص بالله عز وجل، ومن ادعاه من الناس فقد كفر؛ لقول الله سبحانه: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ وقوله عز وجل: ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.
وقول النبى ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله ثم تلا قوله سبحانه ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾.
والأحاديث الصحيحة كثيرة وردت فى الباب تدل على أن النبى ﷺ لا يعلم الغيب مع أنه أفضل الخلق، وسيد الرسل، فغيره من باب أولى وهو ﷺ لا يعلم من ذلك إلا ما علمه إياه سبحانه،=

الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وتـرك طلب العلم المفقود.

* * *

=ولما تكلم أهل الإفك فى عائشة رضى الله عنها لم يعلم براءتها إلا بـنزول الوحـى، ولمـا ضـاع عقدها فى بعض أسفاره ﷺ بعث جماعة فى طلبه، ولم يعلم مكانـه حتـى أقـاموا البعـير فوجـدوه تحته، والأدلة من الكتاب والسنة فى هذا كثيرة والحمد لله.

قوله: «فهذا جملة ما يحتاج إليه» إلى «وترك طلب العلم المفقود» هى عبارة الإمام الطحاوى.

٥ - باب الرزق من الله حلاله وحرامه

وَإِنَّ السُّحْتَ رِزقٌ مِثْلُ حِلٍّ   وَلَمْ يَكْرَه مَقَالِي كُلُّ قَالِ

وكل ما أكل شيئًا من الحلال والحرام فذلك رزقه، دليلنا قوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ [هود: ٦].

بين أن رزق [٤٦] جميع الخلق عليه والواصل إليهم حلال أو حرام.

فمن قال الرزق ما يكون مملوكًا من الحلال دون الحرام كان معتزليًا، وقد خالف النص، فلو كان عبارة من الملك لما يتصور أن يرزق من ليس له ملك من بنى آدم، ومن الطيور والبهائم أيضًا؛ لأن الرزق عبارة عما يصل إلى العبد ويتغذى به، وذلك قد يكون حلالاً وقد يكون حرامًا.

ثم ينبغي للعبد أن يعلم أن الرزق من الله، ويطلب منه رزقًا من الحلال، ويجتهد فى نفسه من أكل الحرام؛ لأن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم الجنة على كل جسد غذى بحرام»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني فى «الصغير»: (١/٢٢٥) من طريق أبى إسحاق الهمدانى عن عاصم العدوى عن كعب بن عجرة الأنصارى.... به وقال: لم يروه عن أبى إسحاق إلا عقيل، تفرد به إبراهيم ابن طهمان ضمن حديث طويل فيه لفظ: «لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت».
وأورده الزبيدى فى «الإتحاف»: (٥/٢٢٦) بلفظ: «كل جسد نبت من حرام» وفى رواية: «من سحت فالنار أولى به».
وكذا قال فى القوت وقال العراقى: والحديث رواه البيهقى فى الشعب بلفظ: لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به ا. هـ.
قلت أى الزبيدى: وسيأتى هذا الحديث فى كتاب الحلال والحرام ووجد بخط الحافظ أنه رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى بكر وعائشة وجابر بلفظ: «كل جسد نبت من سحت». ونحوه من حديث ابن عباس فى الصغير للطبرانى ا. هـ.
قلت: أى الزبيدى: رواه البيهقى وأبو نعيم من حديث زيد بن أرقم عن أبى بكر رضى الله عنهما، قال زيد: كان لأبى بكر مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ثم قال: من أين جئت به؟ قال: مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم، فأعطونى. قال: أف لك كدت أن=

وقال: «إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطئوا الرزق واتقوا الله وأجملوا فى الطلب وخذوا ما أحل الله وذروا ما حرم عليكم»(١).

=تهلكنى، فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج قيل له: لا تخرج إلا بالماء، فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له كل هذا من أكل لقمة؟ قال: لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول... فذكره، وفى الإسناد عبد الواحد بن واصل، أورده الذهبى فى الضعفاء وقال: ضعفه الأزدى وعبد الواحد بن زيد.

قال البخارى والنسائى: متروك.

وروى ابن جرير من حديث ابن عمر: «كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به».

قيل: وما السحت؟ قال: «الرشوة فى الحكم».

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب «التجارات»، باب الاقتصاد فى طلب المعيشة: (٧٢٥/٢) حديث رقم (٢١٤٤). وفى الزوائد: إسناده ضعيف؛ لأن فيه الوليد بن مسلم وابن جريج وكل منهما كان يدلس، وكذلك أبو الزبير، وقد عنعنوه ولكن لم ينفرد به المصنف من حديث أبى الزبير عن جابر فقد رواه ابن حبان فى صحيحه بإسنادين عن جابر ا.هـ.

أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة: (١٨٣/١) حديث رقم (٤٢٠) من طريق الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر ... به. والحاكم فى «المستدرك»: (٤/٢).

وابن حبان فى «صحيحه»: (٤١٧/٣ -٤١٨)، حديث رقم (١٠٨٤/ موارد).

وفى الإحسان: (٩٨/٥) حديث رقم (٣٢٢٨).

والبيهقى فى «سننه»: (٢٦٤/٥ - ٢٦٥) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد ابن أبى هلال عن محمد بن المنكدر عن جابر ... به.

وأبو نعيم فى «الحلية»: (١٥٦/٣ -١٥٧) من طريق وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن محمد ... به.

وذكر أبو نعيم: حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنى يعقوب بن سفيان قال: حدثنى عمرو بن منصور البصرى حدثنا عبد الواحد بن زيد عن أسلم الكوفى عن مرة الطيب عن زيد بن أرقم؛ قال: كان لأبى بكر الصديق رضى الله عنه مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة؟ قال: حملنى على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى قال: إن كدت أن تهلكنى، فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج، فقيل له إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها.

قيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟! قال: لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها،=

الله تعالى وعد الرزق لعباده، هو خالق الأخلاق ورازق الأرزاق قوله تعالى: ﴿**الله الذى خلقكم ثم رزقكم**﴾ [الروم: ٤٠]. قوله تعالى: ﴿**وقدر فيها أقواتها**﴾ [فصلت: ١٠]. قوله تعالى: ﴿**وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾ [الحجر: ٢١]. قوله تعالى: ﴿**ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [الطلاق: ٣].

فالرزق مقسوم والأجل معلوم، ومن لم ير الرزق من الله تعالى فهو كافر ظلوم.

فينبغى للعبد بعد عرفانه أنه الرزق من ربه أن يجتهد فى طلبه [٤٧] بكسبه ويمتنع من السؤال، ويأكل من كديده؛ فإن الكسب بالعلم حلال، وجمع المال من الحلال حلال، ويعترض الكسب فى بعض الأوقات؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**وجعلنا الليل لباسًا وجعلنا النهار معاشًا**﴾ [النبأ: ١٠، ١١].

قال تعالى: ﴿**وهزى إليك بجذع النخلة**﴾ [مريم: ٢٥]. قال: طلب الحلال فريضة بعد أداء الفريضة[1].

=سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به».

فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه اللقمة.

ورواه عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بنحوه، والمنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر نحوه.

وقال الألبانى: حديث صحيح.

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب «السنن الكبرى» (١٢٨/٦) من طريق عباد بن كثير عن سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ... به.

وقال: تفرد به عباد بن كثير الرملى، وهو ضعيف.

وأخرجه أيضًا فى «شعب الإيمان»: (٤٢٠/٦) حديث رقم (٨٧٤١) من طريق عباد .. به.

وقال أبو عبد الله: تفرد به عباد بن كثير عن الثورى، وبلغنى عن محمد بن يحيى أنه قال: لم أكره ليحيى بن يحيى شيئًا قط غير رواية هذا الحديث.

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد: (٢٩١/١٠) وقال: رواه الطبرانى وفيه عباد بن كثير الثقفى وهو متروك.

وأورده السيوطى فى الجامع الصغير كما فى «فيض القدير»: (٢٧٠/٤) حديث رقم (٥٢٧١).

لفظ رواية البيهقى فى سننه، والديلمى فى الفردوس: «طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة» أى بعد المكتوبات الخمس كما أشار إليه الغزالى أو بعد أركان الإسلام الخمسة المعروفة عند أهل الشرع والمراد فريضته متعاقبة يتلو بعضها بعضًا أى لا غاية لها ولا نهاية؛ لأن طلب كسب=

وقيل لابن عباس رضى الله عنه: أى كسب هذا؟ قال: ولو كان نقل الحجارة من قلل الجبال، إنى أمقتُ الرجل أن أراه فارغًا ليس فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة.

* * *

الأول فصل: الكسب فريضة وتركه رخصة

وقال الفقيه: للكاسب خمسة أشياء: لا يؤخر الفرض لأجله، ولا يدخل النقص فى فرضه، ولا يؤذى أحدًا لكسبه، ويقصد به استعفافًا لـه ولعياله لا للجمع والكثرة، ولا يجتهد جدًا ولا يرى رزقه منه، ويراه من الله تعالى.

والكسب[1] سبب فالرزق لا يزيد بالكسب ولا ينقص بالترك، فالله تعالى كريم لا

=الحلال أصل الورع وأساس التقوى.

وروى النووى فى بستانه عن خلف بن تميم قال: رأيت إبراهيم بن أدهم بالشام قلت: ما أقدمك؟ قال: لم أقدم لجهاد ولا لرباط، بل لأشبع من خبز حلال.

وكذا الديلمى: عن ابن مسعود قال الهيثمى: فيه عباد بن كثير الثقفى وهو متروك.

وقال البيهقى عقب روايته: تفرد به عباد وهو ضعيف.

وفى الميزان عن أبى زرعة وغيره، ضعيف.

وعن الحاكم: روى عن الثورى أحاديث موضوعة وهو صاحب حديث «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة». ا. هـ.

وأورده المنذرى فى الترغيب (٥٤٦/٢) من حديث ابن مسعود ونسبه إلى الطبرانى والبيهقى.

وقال الشوكانى فى «الفوائد المجموعة» (ص ١٤٥) ذكره فى المختصر، وقال: ضعيف. وفى مسند الفردوس للديلمى: (١٨/٣) حديث رقم (٣٧٣١)، وفيه زيادة (وجهاد). وإسناده ضعيف مداره على عباد بن كثير.

قال ابن معين: ليس بشىء، وقال البخارى: تركوه.

(١) ميز المؤلف بين الرزق والكسب وهو صحيح؛ فالرزق هو: المأكل والمشرب والملبس والمخدع، وما زاد عن ذلك فهو كسب لا ينتفع به الإنسان، بل قد يكون كسبًا أو رزقًا لغيره فى حياته، أو بعد موته.

قال المؤلف: «والرزق لا يزيد بالكسب ولا ينقص بالترك».

هذا صحيح؛ لما ورد من الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

فإن قيل: بل يزيد رزق المحسن بإحسانه لقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وغيرها من الأدلة.

قلت: هذه الأدلة: ليست دليل على الزيادة، بل هى دليل على تيسيره فمن يتقى الله يأتيه رزقه=

ينقص من رزق المسيء بإساءته ولا يزيد رزق المحسن بإحسانه.

فتبين بهذه الدلائل: أن الكسب فريضة، وتركه رخصة، وإنكاره بدعة، ومن لم يره فرضًا كالصلاة كان كراميًا[1] ومباحيًا[2]؛ فإنهم تركوا العبودية والكسب وداوموا على

=المكتوب من غير حيلة منه، ولا شقاء كما ورد فى دعاء النبى ﷺ: «اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين». وقوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله». فالرزق المكتوب يأتى للمتقى بلا حول منه ولا قوة ولا حيلة ولا سبب يعرفه.

(١) كراميًا: أى من اتباع محمد بن كرام السجزى المتوفى سنة ٢٥١، وأسرفوا فى إثبات الصفات حتى انتهوا إلى التجسيم والتشبيه.

(٢) قوله: والكسب فريضة، وتركه رخصة، وإنكاره بدعة، ومن لم يره فرضًا كالصلاة كان كراميا ومباحيًا قول غير صحيح بل باطل؛ فالفرض والواجب بمعنى واحد عند الجمهور وهو الفعل الذى طلبه الشارع طلبًا جازمًا، فيمدح فاعله ويذم تاركه، إلا المخير لا يذم تاركه إلا إذا تركه مع الآخر، والكفاية لا يذم تاركها إذا قام بها غيره، وليست الصلاة كالكسب بل دلت الدلائل على فرضية الصلاة فى الكتاب والسنة، ودلت على كفر تاركها فضلاً عن منكرها، ولم يدل دليل على فرضية الاكتساب وكفر تاركه كما ذكر المؤلف بل هو من باب المباح الذى معناه فى الأصول: جواز الفعل والترك من غير ترجيح بينهما، وحكمه أنه لا يستوجب مدحًا، ولا ذمًا، ولا لومًا، ولا عتابًا.

واختلف العلماء فى فضل العمل بالاكتساب أو تركه، والأفضل منهما على حسب الحال.

قال أبو حامد الغزالى فى: «الإحياء»: التعفف والتستر أولى من البطالة، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية، وترك الكسب أفضل لأربعة: عابد بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن، وعمل بالقلب فى علوم الأحوال والمكاشفات، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به فى دينهم؛ كالمفتى والمفسر، والمحدث، وأمثالهم، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكلف بأمورهم كالسلطان والقاضى والشاهد، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب أ.هـ.

قلت: والأدلة التى ساقها المؤلف لا تدل على الوجوب؛ فهو يقتفى أثر أئمته فى المذهب الحنفى فى فرضية الاكتساب واستدلوا بآيات من كتاب الله لا تدل على أن الاكتساب فرض واستدلوا بأحاديث ضعيفة، لا تقوم بها حجة، وأشهر من صنف فى الاكتساب من الأحناف هو الإمام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة فقد جمع فى ذلك كتابًا أسماه: «الاكتساب فى الرزق المستطاب» وهذا الكتاب ذهب فيما ذهب من الذخائر الإسلامية ولم يصل إلى أيدينا غير أنه بقى لنا مختصره لتلميذه محمد بن سماعة، وبدء المؤلف كتابه بقوله: طلب الكسب فرض=

السؤال ودوران الأبواب، فإنهم أشر من الخنازير والكلاب، لأنهم أنكروا النص والأخبار.

ولو لم يكن الكسب فريضة لم يشتغل الأنبياء عليهم السلام بالحرف، فإن زكريا عليه السلام كان نجارًا، وسليمان عليه السلام كان قفافًا، فقال النبى ﷺ : «إن الله تعالى يحب كل مؤمن محترف بالعيال ولا يحب الفارغ الصحيح لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة»[(١)].. وقال: «عليكم بالبز، فإن أباكم إبراهيم كان بزازاً».

=على كل مسلم كما أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ثم شرع يستدل عليه بما ورد فى السنة عن رسول الله ﷺ، وبما روى من الآثار عن الصحابة والتابعين غير أن ما استدل به من أحاديث لا تقوم بها حجة لضعفها؛ لأن الفرض يستنبط من قطعى الدلالة، قطعى الثبوت، أو قطعى الدلالة ظنى الثبوت، أو ظنى الدلالة قطعى الثبوت على الأقل، وأحسن ما يستدل به فى هذا الكتاب حديث حسن لا يدل على فرضية الاكتساب وهو عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: «طلب الحلال واجب على كل مسلم»، أما ما صح فى هذا الباب فلا يدل على فريضة الاكتساب كالصلاة كما ذهب المؤلف ومن وافقه والله أعلم.

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط: (٩/٦٠) برقم: (٨٩٣٤) من طريق أبى الربيع السمان عن عاصم ابن عبيد الله عن سالم عن أبيه عن النبى ﷺ فذكره مقتصرًا على «الله يحب المؤمن المحترف».
وقال: لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا عاصم بن عبيد الله، ولا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو ربيع السمان.
وقال الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: (٤/٦٢) رواه الطبرانى فى الكبير أيضًا وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.
وأورده المنذرى فى «الترغيب والترهيب»: (٢/٥٢٤) وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير»، والبيهقى
قلت: أخرجه البيهقى فى الشعب: (٢/٨٨) حديث رقم (١٢٣٧). مختصرًا من طريق عاصم بن عبد الله بن عبد الله ....به.
وفى رواية «الشاب المحترف» وقال: تفرد به أبو الربيع عن عاصم وليسا بالقويين ا.هـ.
وأورده ابن عدى فى «الكامل»: (١/٣٧٨) من طريق أشعث بن سعيد وهو أبو الربيع بن السمان عن عاصم ... به.
والذهبى فى «الميزان»: (١/٢٦٣) تحت ترجمة أشعث بن سعيد.
قال أحمد: مضطرب الحديث، ليس بذاك.
وقال ابن معين: ليس بشىء. وقال النسائى لا يكتب حديثه. وقال الدارقطنى: متروك.
وأورده الزبيدى فى: « الإتحاف» (٥/٤١٥) وقال: وكذلك رواه الحكيم الترمذى والبيهقى وقال: تفرد به أبو الربيع عن عاصم وليسا بالقويين، وقال ابن الجوزى: حديثه لا يصح. =

وكان النبى ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حوائج أهله فيسأل منه فيقول: «أخبرنى جبريل عليه السلام من سعى على عياله ليكفيهم عن الناس فهو فى سبيل الله»[١].

وقال عليه السلام لشاب جلد: «إن يسعى على أبوين ليعفهما أو على أولاده الصغار أو على نفسه ليستغنى عن الناس فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى رياء وسمعة فهو للشيطان»[٢] وقال عليه السلام: «إياكم أن تكونوا عيابين أو مداحين أو طعانين أو

= وقال فى: «الميزان»: أبو الربيع بن السمان، قال أحمد: مضطرب الحديث، والنسائى: لا يكتب حديثه، والدارقطنى: متروك، وقال الحافظ السيوطى: فى سنده متروك، وقال السخاوى: لكن له شواهد.

قلت: ومنها ما يروى عن أبى هريرة مرفوعًا «إن الله تعالى يحب المؤمن المتبذل المحترف الذى لا يبالى ما لبس». رواه البيهقى عن طريق ابن نهيقى عن عقيل عن يعقوب بن عيينة عن المغيرة بن الأختر عن أبى هريرة قال: والصواب عن المغيرة مرسلاً.

(١) أخرجه الطبرانى فى: «الأوسط»: (٤/٤٧٢) حديث رقم (٤٢١٤) من طريق رباح بن عمرو القيسى، قال: حدثنا أيوب السختيانى، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة .....به.

وقال: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن سيرين إلا أيوب ولا رواه عن أيوب إلا رباح بن عمرو القيسى، ولا يروى عن أبى حريث إلا بهذا الإسناد، تفرد به أحمد بن يونس.

وأورده الهيثمى فى: «مجمع الزوائد»: (٨/١٤٤)، وقال: رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، وليس فى البزار قوله: «ومن سعى على عياله» وفيه رباح بن عمرو القيسى، وثقه أبو حاتم، وضعفه غيره ورجال رجاله الحديث.

وقال الزبيدى فى «الإتحاف» (٦/٦،٧): هكذا فى القوت.

قال العراقى: روى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة «من سعى على عياله فهو فى سبيل الله».

ولأبى منصور الديلمى فى «الفردوس»: «من طلب مكسبه من باب حلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين» وإسناده ضعيف.

قلت أى الزبيدى: والسياق الأخير رواه أيضًا الخطيب فى «التاريخ»: ولفظه: «من مال الحلال».

وفيه بعد قوله: «والصديقين» هكذا وأشار بالسبابة والوسطى.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب «الجهاد» باب الجهاد بإذن الأبوين: (٦/١٦٢-١٦٣) حديث رقم (٣٠٠٤).

وفى كتاب «الأدب» باب (لا يجاهد إلا بإذن الأبوين): (١٠/٤١٧) حديث رقم: (٥٩٧٢).

ومسلم فى كتاب: «البر والصلة» باب (بر الوالدين وأنهما أحق به) (٤/٥/١٩٧٥). =

متماوتين»[(١)]. يعنى يجعل نفسه كالميت ولا يشتغل بالكسب.

وقال عمر رضى الله عنه: يا معشر القراء ارفعوا رءوسكم واتجروا، وقد أوضح الطريق فلا تكونوا عيالاً على الناس[(٢)].

فهذه الدلائل كفاية لذوى العقول. ثم اعلم يا أخى أن من يرى الرزق من كسبه

=وأبو داود فى كتاب «الجهاد» باب (فى الرجل يغزو وأبواه كارهان): (١٧/٣)، حديث رقم (٢٥٢٩/٢٥٢٨).

والنسائى فى كتاب «الجهاد» باب (الرخصة فى التخلف لمن له والدان): (٣١٧/٦) حديث رقم (٣١٠٣). وأحمد فى «مسنده» (١٨٨،١٧٢،١٦٥/٢)جميعًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد فقال: «أحى والداك»؟ قال: نعم، قال: «فعليهما فجاهد» اللفظ للبخارى.

قلت: وهذا الحديث إشارة إلى الشطر الأول من كلام المؤلف، وأما الشطر الثانى فقد تقدم فى الحديث السابق.

(١) قلت: هذا الحديث لم أجده مجتمعًا فى نص واحد ولكن جاءت كلماته متفرقة فى أحاديث، فقوله: «عيابين» إشارة إلى قوله ﷺ: «إنه لا يجوز أن يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر الصائم فى السفر.

وكذلك حينما أنكرت السيدة عائشة رضى الله عنها عيب الناس فى الصلاة على الميت فى المسجد، فقالت: «ما أسرع الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به» عابوا علينا أن يمر بجنازة فى المسجد وما صلى، وأما عن «المدح». فقد نهى النبى ﷺ عن المدح، وذكر ابن حجر فى «الفتح»: (٤٩٣/٩) من حديث معاوية عن ابن ماجه وأحمد مرفوعًا بلفظ: «إياكم والمدح فإنه الذبح»، وأما قوله: «الطعان» فقد جاء عند أحمد والبخارى فى: «الأدب المفرد». والترمذى والحاكم وأبى نعيم فى: «الحلية» (٥٨/٥) والخطيب من طرق عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا بلفظ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا بالفاحش ولا بالبذىء». وصححه الألبانى والله أعلم.

(٢) أخرجه البيهقى فى: «شعب الإيمان»: (٨١/١ -٨٢) حديث رقم (١٢١٦ -١٢١٧) فى الحديث الأول قال: ورويناه ... به وفى الطريق الثانى قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، حدثنا أبو الحسين بن مانى الكوفى حدثنا أحمد بن حازم عن أبى غرزة، حدثنا طلق بن غنام عن المسعودى، عن جواب بن عبيد الله، عن المعرور بن سويد عن عمر رضى الله عنه ... به.

وأورده المتقى الهندى فى: «كنز العمال»: (١٨٥/١٦) حديث رقم (٤٤٢٠٠) ونسبه إلى العسكرى فى المواعظ، والبيهقى فى «الشعب» موقوفًا.

كان كافرًا[١]، ومن يراه من الله تعالى ومنه كان مشركًا كافرًا، ومن يراه من الله تعالى ويعصيه لأجله ولا يؤدى حقه[٢] كان فاسقًا، ومن يراه من الله تعالى ويؤدى حقه ولا يعصى الله تعالى لأجله، ويرى الكسب سببًا كان مؤمنًا مخلصًا صادقًا.

* * *

(١) تكفير من يرى أن الرزق أو الكسب منه أو من الله ومنه متوقف على ما ذكرناه سابقًا من وجود شروط وانتفاء موانع، فالعذر بالجهل أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وقد ذكرنا من أدلة ذلك أن عائشة شكت فى علم الله ولم يكفرها النبى ﷺ وبين لها أنه يعلم.

(٢) يقصد المؤلف بقوله: «ولا يؤدى حقه»: أى الزكاة المفروضة وعدم أدائها خروج على شريعة الإسلام يوجب الردة، وإن شهدوا الشهادتين وصاموا وصلوا.

قال ابن تيمية فى: «الفتاوى الكبرى» وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعى الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة فلهذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله أ. هـ. نيل الأوطار كتاب الزكاة: (٤/ ١٢٠).

٦ - باب فى الإيمان بالقضاء والقدر

مُرِيدُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ القَبِيحِ   وَلكنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالمُحَالِ[(١)]

واعلم أن تقدير الخير والشر كلها من الله تعالى حق، وهو خالق الخير والشر ومريدهما، وفعل الخير والشر من العبد، والعبد مختار فى فعله اختيار تميز، وتحصيل الاختيار مشيئة وقدرة، ليس يرضى بالمحال، يعنى بالكفر والقبائح والمعاصى مريدًا لها بمعنى أنه غير مضطر فى إيجادها وإبداعها واختراعها، بوجودها اختيارًا لحكمة بليغة فى تخليقها، ولا يكون شىء بغير قضائه، والعبد غير زائل من قضائه.

والقضاء ليس بحجة لفعل العبد، والله تعالى مريد[(٢)] الكائنات، ومدبر الحادثات ولا

---

(١) [المُحالُ]: ما اقتضى الفساد من كل جهة كاجتماع الحركة والسكون فى جسم واحد. ومن الأشياء: ما لا يمكن وجودُه. ومن الكلام: ما عُدِل به عن وجهه. ا.هـ. انظر: «المعجم الوسيط (١/ ٢١٠)

(٢) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا كانت الإرادة قد تقدمت فما منع جواز الاحتجاج بالقدر؟ فأجاب رحمه الله قال: بعد الحمد والثناء على الله، وإرادته قسمان: إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير، فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصى سواء وقعت أو لم تقع كما فى قوله: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم﴾.
وقوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.
وأما القسم الثانى: وهو إرادة التقدير فهى شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات، وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى الأول كما فى قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا﴾، وفى قوله: ﴿ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم﴾.
وفى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ونظائره كثيرة.
وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصى دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث، والسعيد من أراد منه تشريعًا ما أراد به تقديرًا، والعبد الشقى من أراد به تقديرًا ما لم يرد به تشريعًا.
والحكم يجرى على وفود هاتين الإرادتين، فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرًا، ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر، كان أعور مثل قريش الذين قالوا: =

يجرى فى ملكه قليل أو كثير خيرًا أو شرًا إلا بقضائه وقدرته وإرادته ومشيئته.

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[(١)]، **﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾**

=﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾.

وقال الله تعالى: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾. فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهى الإرادة القدرية فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده، قالوا: فيكون قد رضيه وأمر به، قال الله: هكذا كذب الذين من قبلهم بالشرائع من الأمر والنهى: ﴿حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ بأن الله شرع الشرك وتحريم ما حرموه، ﴿إن تتبعون فى هذا إلا الظن﴾ وهو توهمكم، أن كل ما قدره فقد شرعه، ﴿وإن أنتم إلا تكذبون﴾ وتقرون بإبطال شريعته. ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده وشريعته، ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلاً منه وإحسانًا، ويحرم من يشاء؛ لأن المتفضل له أن يتفضل وله أن لا يتفضل، فترك تفضله على من حرمه عدل منه وقسط، وله فى ذلك حكمة بالغة، وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدرية؛ فإن القدر كما يجرى بالمعصية جرى أيضًا بعقابها، كما أنه سبحانه وتعالى قد يقدر على العبد أمراضًا تعقبه آلامًا، فالمرض بقدره، فإذا قال العبد: قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم أو قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجى، أو قد تقدمت الإرادة بالضرب فلا يتألم المضروب، وهذا مع أنه جهل، فإنه لا ينفع صاحبه؛ بل اعتلاله بالقدر ذنب ثان يعاقب عليه أيضًا، وإنما اعتل بالقدر إبليس حيث قال: ﴿فبما اغويتنى لأزينن لهم فى الأرض﴾، وأما آدم فقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه، ومن أراد شقاوته اعتل بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ا. هـ.

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب «الأدب» باب ما يقول إذا أصبح: (٣١٩/٤) حديث رقم (٥٠٧٥) من طريق سالم الفراء حدثه أن عبد الحميد مولى بنى هاشم حدثه أن أمه حدثته وكانت تخدم بعض بنات النبى ﷺ كان يعلمها فيقول: «قولى حين تصبحين سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله ....الحديث».

وابن السنى فى: «عمل اليوم والليلة»: (ص١٧) حديث رقم: (٤٦).

والمنذرى فى: «الترغيب الترهيب»: (٤٥٥/١) حديث: (١٧)، والتبريزى فى «مشكاة المصابيح» (٢/ حديث برقم ٣٣٩٣).

=

[الإنسان: ٣٠]. فلأن فعله مرتب ولابد من أن يكون مريد التقديم ما تقدم، والتأخير [٥٠] ما تأخر، ولهذا وجدت الأشياء فى أوقاتها التى قدرها من غير تقديم ولا تأخير، إذ لو لم يكن مريدًا لوقعت المفعولات كلها على وقت واحد، على هيئة واحدة وصفة واحدة، خصوصًا عند تجانس المفعولات وتشابه المخلوقات.

ولو لم يكن مريدًا لما كان وقتًا لوجودها أو لا من وقت، ولا هيئة، ولا كيفية، ولا كمية، ولا من سواهما فإذا حدثت على الترتيب والتوالى، وعلى اتساع النظام، ومن غير توانى، وعلى الهيئات المختلفة، والصفات المتباينة على حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة، والقدرة المنيعة، والقدير الصائب، والتقدير الغالب كان دليلاً على اتصاف الفاعل بالإرادة التامة والمشيئة الكاملة فإن الاعتماد والإنكار على القضاء ضلالة، وكذلك الرد بقضائه ضلالة، والمسلك بين هذين إيمان واستقامة.

وتوسط أبو حنيفة مع أصحابه رضى الله عنهم وقالوا: الخلق فعل الله تعالى وهو أحدث الاستطاعة فى العبد، واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازًا.

والقدرى[1]: أنكر قضاء الله تعالى، ويرى الخير والشر من نفسه فضل به.

والجبرى[2]: اعتمد القضاء ويرى الخير والشر من الله [٥١] تعالى ولا يرى من نفسه فعلاً، وترك العبودية فضل به وقال: لا فعل للعبد أو له فعل على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة.

قلنا: قولكم يؤدى إلى إسقاط الرجاء والخوف عن العبد؛ لأنه لا يخاف من سوء فعله ولا يرجو على خير عمله، وهذا كفر صريح؛ لأن فى زوال الرجاء قنوط، قال الله تعالى: ﴿**لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ [يوسف: ٨٧]. وفى زوال الخوف إسقاط العبودية وتفويت الربوبية وهذا أشد من الأول.

=والحديث إسناده ضعيف فى إسناده أم عبد الحميد الهاشمية، قال المنذرى: لا أعرفها.

وأورده الألبانى فى: «ضعيف الجامع»: (٤١٢٥) وعزاه لأبى داود وقال: ضعيف.

(١) هو الذى يزعم أن كل عبد خالق لفعله، وينكر سلطان القدر الإلهى وإرادة الله ومشيئته فيما نهى عنه.

(٢) هو الذى يقول إن العبد مجبور على أفعاله وأن تكليف الإنسان بالطاعات ونهيه عن المعاصى كتكليف الطير بالطيران وغيره.

وقد ضل الفريقان جميعًا: القدرية بإضافة الفعل إلى نفسها، والجبرية بإضافة فعله القبيح إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

والمعتزلة والقدرية ينفيان إرادة الله ومشيئته وتقديره عن أفعال العباد إذا كان بمعصية.

قالت: هي لا بإرادته ومشيئته بل بكراهيته؛ لأن الله تعالى بين الطريقين وفوض الأعمال إلى العباد، إن شاء يختار الخير وإن شاء يختار الشر، وأفعالهم ليست بمخلوقة الله تعالى.

وقلنا: أفعال العباد مخلوقة الله[1] تعالى، لقوله تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ [الصافات: ٩٦]. وقال النبي ﷺ: «كل ميسر لما خلق له» وهو خالق [٥٢] الأفعال كما هو خالق الأعيان، والحاصل أن عندهما الإرادة مطابقة للأمر[2]، فكل ما أمر الله تعالى به فقد أراده، وكل ما نهى عنه فقد كرهه.

---

(١) قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي: الإيمان بأن الله سبحانه خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها.

وقال رحمه الله: وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم وأقوالهم وأعمالهم وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها، وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة وبحسب ما كلفوا عليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم، ولم يحملهم إلا طاقتهم، وقد أثبت ذلك لهم في الكتاب والسنة، ووصفهم به ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا ما أقدرهم الله تعالى عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله عز وجل، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين.

وقال رحمه الله: والمقصود أن الله سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة، والعبد منفعل حقيقة فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كفر كالقدرية، ومن أضافهما إلى الله تعالى كفر كالجبرية، ومن أضاف الفعل إلى الله حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة ا. هـ بتصرف. انظر «معارج القبول» (٣/٩٤٠، ٩٤٣).

وقال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد. ا. هـ الطحاوية وشروحها.

(٢) معنى الإراده مطابقة للأمر: أي أن الله لم يرد إلا الخير الذي أمر به لا الشر الذي نهى عنه، وهو معنى قول المبتدعة: الخير ما أراده الله وفعله والشر ما أراده العبد وفعله. والله أعلم.

وعندنا الإرادة مطابقة للعلم[1]، فكل ما علم الله فى الأزل أنه يوجد فقد أراد وجوده خيرا كان أو شرا، وما علم أنه لا يوجد فقد أراد أن لا يوجد، وما علم من فرعون الكفر لا الإيمان أراد منه الكفر وكذلك سائر العصاة الكفرة، واحتججنا بقوله تعالى: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ قلنا: هذه الآية وعيد من الله تعالى، ليست على سبيل تفويض الفعل، ألا ترى أنه قال: ﴿**إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها**﴾ [الكهف: ٢٩].

يدل قوله تعالى: ﴿**كلا إنه تذكرة**﴾ [المدثر: ٥٤]، أى عظة. ﴿**فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا إن يشاء الله**﴾ [المدثر: ٥٥، ٥٦].

وقالتا: إن معصية العاصى، وكفر الكافر ليس بمشيئة الله تعالى وإرادته وتقديره، ولأنه لو كان يقدر الله الفعل ويخلقه فلم يعذبه على فعل نفسه، ولو أراد معصية العاصى وكفر الكافر ثم عذبه عليهم كان ذا جورًا منه.

وعن هذا يسموننا أهل الجور وسموا أنفسهم أهل العدل، قلنا: الثواب والعقاب على استعمال الفعل المخلق لا على أصل الخلق هذا من سخافتكم [٥٣]، وجرأتكم على الله تعالى، وقلة عقلكم، وعدم فهمكم حيث غلّبتم إرادة المخلوق على إرادة الخالق، وحاشى أن تغلب إرادة الله تعالى، بل إرادته غالبة، ومشيئته نافذة، ولا يكون إلا

---

(١) وتفصيل ذلك أن الإرادة مطابقة للعلم فكل ما علم الله فى الأزل أنه يوجد فقد أراد وجوده خيرًا كان أو شرًا فأمر بالخير وهو الإيمان وتوابعه ونهى عن الشر وهو الكفر وتوابعه ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ وهو سبحانه هدى عباده إلى السبيل وجعل لهم مشيئة لا تخرج عن مشيئته، وإرادة لا تخرج عن إرادته قال تعالى: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا﴾ ولما لم يُرد فرعون الإيمان لم يخرج بذلك عن إرادة الله الغالبة وعلمه.

ولما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الإيمان لم يدخل إلا فيما أراده الله وعلمه منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإرادة فى كتاب الله نوعان؛ إرادة تتعلق بالأمر، وإرادة تتعلق بالخلق، فإرادته المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره، وأما إرادة الخلق فأن يريد ما يفعله هو، فإرادة الأمر هى المتضمنة للمحبة والرضا وهى الإرادة الدينية، والإرادة المتعلقة بالخلق هى المشيئة وهى الإرادة الكونية، فالكفر والفسوق والعصيان ليس مرادًا للرب بالاعتبار الأول، والطاعة موافقة لتلك الإرادة وموافقة للأمر المستلزم لتلك الإرادة، فأما موافقة مجرد النوع الثانى فلا يكون به مطيعًا ا.هـ. انظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص ١٢٦.

بإرادته، معصية العاصى، وكفر الكافر جائز إلا أنه بين لهم طريق الهدى والضلالة ومحدث لهم الاستطاعة ساعة فساعة.

وليس لهم أن يعرفوا حقيقة الإرادة، ولو عرفها لكان له مثال، وحاشى أن يوصف الرب جلت قدرته بجميع صفاته بالأمثال.

حجة المعتزلة: أن يرى الخير من الله والشر من نفسه لقوله تعالى: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ [النساء: ٧٩]. معناه: أى من فعل نفسك، وهو أن لا يضيف الشر إلى الله تعالى عند الانفراد مراعاة للأدب، وإن كان ذلك من العبد بتخليق الله تعالى إياه، لأن الإضافة على نوعين: إضافة تحقيق، وإضافة إكرام، فإضافة التحقيق مثل قوله: ﴿**ولله ملك السموات**﴾ [آل عمران: ١٨٩].

وإضافة الإكرام مثل قوله: بيت الله، ناقة الله، رسول الله.

فالطاعة والمعصية خارجتان عن إضافة التحقيق؛ لأن ذلك مذهب المجبرة، ثم الطاعة مكرمة مرضية جاز أن [٥٤] تضاف إلى الله تعالى عند الانفراد فيقال: الخير من الله، ثم المعصية ليست بمحل الإكرام حتى تضاف إلى الله عند الانفراد[1] بل عند الجملة كما قال الله تعالى: ﴿**قل كل من عند الله**﴾.

فإن أشكل هذا عليك فى الأفعال فاعتبر فى الأعيان؛ فإنه لا يقال: يا خالق الخنازير والحيات والعقارب مراعاة للأدب، بل يقال يا خالق كل شىء.

ثم مذهب أهل السنة والجماعة يقول: إن فعل الخير والشر من العبد، وتقدير الفعل من الله تعالى، والثواب والعقاب لا يجب بأفعال العباد إنما بتقدير الله تعالى لقوله تعالى: ﴿**ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾ [يس: ٥٤].

---

(١) قوله: «ثم المعصية ليست بمحل الإكرام حتى تضاف إلى الله عند الانفراد» .. إلخ قول صحيح إلا أننا نقول: بل يجوز إضافة المعصية لله لا على سبيل الإكرام بل على سبيل تفخيم الأمر المنهى عنه ولكونه صادر من الله.

وقد روى عن الكثير من الصحابة والتابعين والأئمة فى كلامهم إضافة المعصية إلى الله كما قال ابن مسعود رضى الله عنه عن التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله. وسيأتى للمؤلف فى كلامه فى غير هذا الموضع إضافة المعصية إلى الله، وقد أشرنا لذلك فى موضعه بعون الله، والله أعلم.

ثم الأعمال ثلاثة: فريضة، وفضيلة، ومعصية[(١)]؛ فالفريضة بأمر الله تعالى ومشيئته، وإرادته، ومحبته، ورضاه، وقضاه، وحكمه، وتقديره، وتخليقه وتوفيقه.

والفضيلة كذلك إلا أنها ليست بأمره والمعصية ليست بأمره ومحبته وتوفيقه ورضاه، بل تنهى عنها لكنها بمشيئته وإرادته، وتقديره، وتخليقه، وخذلانه، وقضائه، ولأن رضاه ومحبته إلى كون الشيء مستحسنًا عنده، وذلك يليق بالطاعات دون المعاصى.

والعبد مخاطب بمراعاة الأمر والنهى، وبالنظر إلى القضاء والقدر فيحصل له الخوف والرجاء والاجتهاد [٥٥] والرغبة وهو غير مسئول فى جانب القضاء ليثاب ويعاقب، بل هو مسئول فى جانب الأمر والنهى.

وليس للعبد أن يقول عاذرًا نفسه بأن القضاء والقدر هكذا أجرى علىَّ فآذانى، بل العبد ملزم بمراعاة الأمر والنهى فيقال له: إنك علمت لله تعالى الربوبية، وصدقته أن القضاء والقدر له فهلا سلمت له الأمر والنهى؟.

فكما عرفت أن القضاء والقدر كذلك الأمر ثم من هدى فمنه فضل، ومن خذل وحرم فمنه عدل وفضل.

فالفضل والعدل صفاته، فمن أعطاه الهدى فقد عامله بالفضل، ومن حرمه فقد عامله بالعدل، ولا يوصف بالجور والخطأ، إنما يظهر من المأمور لا من الآمر، والله تعالى ليس بمأمور بل هو آمر فمنع التوفيق ليس بعذر للعبد؛ لأنه عادل فى صنعه، متفضل فى إعطائه لكل وليه، وليس للعبد اعتراض ولا منه مهرب، قال الله تعالى: ﴿**قل كل من**

(١) قوله: «ثم الأعمال ثلاثة: فريضة وفضيلة ومعصية». المؤلف يشير إلى الحكم الشرعى وهو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتضاء أو التخيير أو الوضع. فالاقتضاء هو: طلب ترك إما جازمًا أو غير جازم، وهو أمر الله الذى يمدح فاعله ويذم تاركه، ويكفر منكره، وعليه الثواب أو العقاب.

ومعنى التخيير هو: جواز الترك أو الفعل مع المساواة بين الفعل وعدمه، ولم يأمر بها الله، ولم ينه عنها، وهو لا يستوجب مدحًا ولا ذمًا ولا لومًا ولا عتابًا ولم يدخل فى مسمى التكليف إلا تغليبًا.

أما الوضع فهو: وضع شىء لشىء آخر ليكون سببًا له، أو شرطًا، أو مانعاً منه، فمنه ما هو فى استطاعة المكلف كالسفر فى إباحة الفطر وكالربط بين الطهارة وصحة الصلاة، ومنه ما ليس فى قدرة المكلف مثل: زوال الشمس بالنسبة لوجوب الصلاة.

عند الله﴾ . وقال ﷺ: «القدر خيره وشره وحلوه ومره من عند الله تعالى»(١).

وروى أيضًا أنه قال عن الله تعالى: «قال الله تعالى: خلقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يديه الخير وويل لمن قدرت على يديه الشر»(٢).

فينبغي [٥٦] للعبد أن يرضى بجميع ما قضى الله عليه وقدره، ويلزم طريق الصبر والتسليم والتفويض ولا تخوضوا فى قضائه وقدره بفكر، أو وسوسة، أو مقال، فالله تعالى قد أخفى علم القدر عن عباده، ونهاهم عن مراده، ومنعهم عن الاعتراض عليه والسؤال عنه، قال النبى ﷺ: «لما خلق الخلق جعل طباعهم فى النهى متحركة فى الأمر ساكنة وأمرهم أن يسكنوا عند المتحركة وأن يتحركوا بالساكن ولا يجدون إلى ذلك سبيلاً إلا بحول الله وقوته».

واعلم أن ما أراد الله تعالى أن يكون فيكون لا محالة، طاعة كانت أو معصية، وما أراد أن لا يكون فلا يكون طاعة كانت أو معصية هو معنى قوله ﷺ: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن». وقوله تعالى: **﴿إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا﴾** [آل عمران: ١٧٨].

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى «المقدمة» باب فى القدر: (٣٤/١) حديث رقم (٨٧) قال: لما قدم عدى ابن حاتم الكوفة أتيناه فى نفر من فقهاء أهل الكوفة فقلت له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: «يا عدى بن حاتم أسلم تسلم».

فقلت: وما الإسلام؟ فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها حلوها ومرها».

وفى الزوائد: إسناده ضعيف.

قلت: ويشهد له حديث جبريل المشهود حينما جاء إلى النبى ﷺ فى صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر وفيه سأل النبى ﷺ عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»..... الحديث.

وأخرجه مسلم فى كتاب: « الإيمان» باب (الإيمان والإسلام والإحسان): (١/١) (ص ١٧٧ - ١٧٩) نووى.

(٢) أورده الزبيدى فى «الإتحاف»: (٦٥٢/٩) وقال: كذا فى «القوت» وقال العراقى: رواه ابن شاهين فى «شرح السنة» من حديث أبى أمامة بسند ضعيف.

قال الزبيدى: روى الطبرانى من حديث ابن عباس أن الله تعالى قال: «أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يديه الخير وويل لمن خلقت على يديه الشر».

وقوله: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقوله: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا**﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿**ولو شاء الله ما أشركوا**﴾ [الأنعام: ١٠٧]. ونظائره كثيرة.

هذه الدلائل كفاية لمن رزقه الله الفهم، ولأنه لو لم يكن بإرادته لم يكن مختارًا فى خلقه، بل يكون مضطرًا وأنه كافر ضال، ولو شاء من الكافر الإيمان، والكافر شاء من نفسه [٥٧] الكفر لكانت مشيئة الكافر أنفذ من مشيئة الله تعالى وهذا محال، وهو من أمارات العجز، تعالى الله عن ذلك.

وما علم الله تعالى أنه يكون أراد أن يكون فيكون، طاعة كانت أو معصية، وإن أمر بالطاعة وإرادته موافقة لعلمه لا لأمره ونهيه[1]، ومن هدى الله أى خلق فيه فعل الاهتداء يهتدى، وذلك في مشيئة الله تعالى قال الله تعالى: ﴿**يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء**﴾ [المدثر: ٣١] ويعصم[2] ويعافى فضلاً - أى حفظًا وتجاوزًا - ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلى عدلاً، وكلهم يتقلبون فى مشيئته وعدله، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده، فالقدر سر، والقضاء ظهور ذلك السر إلى اللوح، والحكم نزوله إلى العبد أى نزول أمره، فالحكم يقتضى التسليم، والقضاء يقتضى الرضا، والقدر يقتضى التفويض، والقدر فى علم الله لا وجه اللوح، والقلم الاطلاع عليه وإذا اطلع اللوح عليه يسمى قضاء، وإذا وصل إلى العبد يسمى حكمًا، والقدر مقدار فى صفته الذى علم وصوله إلى العبد إن شاء، والقدر صفته، والمقدور ملكه، والقدر ليس بمحدود، ولا معدود، والمقدور محدود ومعدود. فكذلك القضاء، [٥٨] وللمقضى، والحكم، والقدر ربوبيته، فمن غير ابتداء تصويبًا من الله تعالى، والقضاء ما صوبه، والحكم تعليق ما لزمه العبد.

---

(١) توسط المؤلف بعبارته هذه الموجزة بين مذهب أهل السنة والمبتدعة وقال: وإرادته موافقة لعلمه لا لأمره ونهية وكلمة «ونهيه» زيادة لم ترد فى قول المبتدعة وقد ذكر من قبل أن المبتدعة قالوا: إن الإرادة مطابقة اللأمر وقال: وعندنا الإرادة مطابقة العلم، وقد بينا مذهب جمهور أهل السنة بكلمات موجزة وأيدناها بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية فليراجع.

(٢) قوله: «ويعصم ويعافى» إلى «وأيقنا أن كلا من عنده» هى عبارة الإمام الطحاوى فى أصول العقيدة الإسلامية، المعروف بمتن الطحاوية.

فإن قيل: أمر الله تعالى بشيء ولم يشأ خلقه، أو شاء ولم يأمر خلقه، وقد ذكرنا أنه خلق الكفر ويشاء ولم يأمر وأمر بالإيمان ولم يشأ له.

فإن قيل: مرضية أو غير مرضية؟ قلنا: مشيئته مرضية، والكفر ليس بمرضى[1]. وإن قيل: إذًا يعاقب الله عباده على ما يرضى؟ قلنا: لا بل يعاقبهم على مالا يرضى؛ لأنه يعاقب الكافر على كفره، والعاصى على عصيانه، كلاهما غير مرضى.

وإن قيل: ألست قلت: إن المعصية والكفر بمشيئة الله تعالى، ومشيئته مرضية؟ قلنا: نعم إن المشيئة والإرادة والقضاء وجميع صفاته مرضية، غير أن الفعل الحاصل من العبد بمشيئة الله تعالى قد يكون مرضيًا نحو الطاعات، وقد يكون مسخوطًا غير مرضى كالمعاصى، اعتبر هذا بالأعيان أنه خلق نفس الكافر بلا خلاف وليس يرضى، وكذلك الخمر والخنزير، وجميع أفعال الشر.

وإن قيل: هل يقدر الله تعالى على أن يخلق الخلائق كلهم مطيعين؟ قلنا: نعم، لقوله تعالى: ﴿**فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾ [الأنعام: ١٤٩].

[٥٩] وقال تعالى: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم**﴾ [المائدة: ٤٨]. أى أعطاكم.

وقال: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ [السجدة: ١٣].

وأفعال العباد خلق للّه تعالى، وكسب من العباد، ولا يطيقون إلا ما كلفهم الله، أى إلا ما أمرهم الله به، ولا يأمرهم ولا يكلفهم إلا ما يطيقون، وهو تفسير قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

نقول: لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله تعالى[2] إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله تعالى والثبات عليها إلا بتوفيق الله، ومشيئته، وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا.

---

(١) لقوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾.

(٢) قوله: عن معصية الله تعالى هو ما أشرنا له من قبل، وهى إضافة المعصية إلى الله، وقد نفى المؤلف هذه الإضافة على الانفراد من قبل وهاهنا قد أضافها دون قصد وقد علقنا على ذلك سابقًا.

فإذا ثبت أن البارى سبحانه وتعالى خلق أفعال العباد، وأنه يستحيل أن يكون العبد موصوفًا بكونه خالقًا لأفعاله لوجهين:

أحدهما: أن من شرط التخليق ثبوت العلم للخالق بالمخلوق، والعبد لا علم له بنفس الأحداث، والاختراع، وماهية المخترع فى ذاته، وكيفية فعله، وصفته من كونه عرضًا وصفة، والقدر الذى يشغل من المكان عند تحريك يده، والقدر الذى يشغل من الزمان، وعدة [٦٠] الحركات التى توجد منه والأنفاس التى تخرج منه، والكلمات التى تحصل منه من نطقه وحروفها، ومن لا علم له بهذه الأشياء كيف يقدر على الإيجاد والخلق؟.

والثانى: أن العبد لو كان قادرًا على الإيجاد والخلق يقع فعله على الوجه الذى قصده، فإن الكافر يقصد إيقاع الكفر حسنا وطاعة، ويقع كفرًا ومعصية.

وكذلك الماشى يقصد المشى غير متعب وشاق على البدن، ويقع متعبًا وشاقًا، وكذلك الآكل يقصد إيقاعًا نافعًا غير مضر، ويقع مضرًا، فلو كان العبد هو الموجد لفعله أوقع فعله على الوجه الذى قصده.

ولا يقال: بأن أفعال العباد إذا كانت مخلوقة بخلق الله تعالى، ومن أفعالهم الكفر والمعصية والزنا والسرقة، فيكون الفاعل بهذه الأفعال هو الله تعالى، وهو الموصوف بها، والله هو المستحق ترجع إليه وهو كفر صريح.

قلنا: هذه الأفعال مخلقة بخلق الله، لا أن يكون فعلا له؛ لأن فعل الله تعالى قائم به، فكان الكافر والعاصى والزانى هو العبد الفاعل دون الخالق؛ لأن الكافر من كان الكفر فعلاً له لا من كان الكفر مخلوقًا له.

وخالفنا المعتزلة: فبعضهم قالوا بأن العبد محدث [٦١] وموجد، وليس بخالق لما يطلقون اسم المحدث، والموجد دون الخالق.

وبعضهم قالوا: هو خالق لأفعاله؛ لأن الإيجاد والإحداث والخلق كلها عبارات بمعنى واحد، فإذا جاز لفظ المحدث والموجد على العبد جاز إطلاق اسم الخالق عليه.

وقد ذكرنا الدلائل على بطلان قولهم، فإذا ثبت أن للعبد أفعالاً صاروا بها عصاة ومطيعين، وهى مخلوقة للّه تعالى، فتعلق الثواب والعقاب بفعلهم وقت تخليقها للّه تعالى.

وقالت المجبرة: لا فعل للعبد على الحقيقة، ولا اختيار له أصلاً، بل أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى، وإضافة الفعل إلى العبد بطريق التوسع والمجاز بمنزلة إضافة إلى المحل، كما يقال: طال الثياب، وابيض الثلج، وتحرك الشجر، ومات زيد.

دليلنا: أن للخلق أفعالاً وهو أكسابهم قوله تعالى: ﴿**وافعلوا الخير**﴾ [الحج: ٧٧].

وقوله: ﴿**فبما كسبت أيديكم**﴾ [الشورى: ٣٠].

وقوله: ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ [المدثر: ٣٨].

وقوله: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ [فصلت: ٤٠].

وقوله: ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾ [السجدة: ١٧].

وقوله: ﴿**من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها**﴾ [الجاثية: ١٥]. ونظائرها كثيرة.

أثبت لهم العمل لفعلهم اسم العمل والكسب، فثبت أن للخلق أفعالاً، ولأنه أمر [٦٢] ونهى قابلهما بالوعد والوعيد.

ومحال الأمر بالفعل بما لا فعل للمأمور، والنهى عنه بما لا فعل للمنهى عنه، وهو أن فعل الفاعل ما تحت قصده وإرادته، وداعية، ويمتنع دخوله تحت كراهية وصارفة.

وهذا تمام فى أفعال العباد فكانت فعلاً لهم؛ لأن العقلاء يسمون العبد: مؤمنًا أو كافرًا أو مطيعًا أو عاصيًا، فلو لم يكن للعبد فعل لما سموه بذلك، ولأضافوا الفعل إلى الله تعالى.

فثبت للعبد أفعال هى مخلوقة للّه تعالى، فيصح إضافته إليهم، ولم يصر العبد بخلق الله الفعل مجبورًا مضطرًا لما أنه خلق الاختيارى، فلم يصر به ضروريًا ودلالته أن للعبد فعلاً اختياريًا، إنا نجد تفريقه بين حركة الصحيح وحركة المرتعش.

فثبت بمجموع هذه الدلائل أن دخول مقدور تحت قدرتين: أحدهما قدرة الاختراع، والأخرى قدرة الاكتساب جائز، وإنما امتنع دخوله تحت قدرتين كل واحدة قدرة الاختراع والاكتساب.

وقد ثبت أن أفعال العباد مخلوقة للّه تعالى، وكذا التولد من فعل العبد مخلوق للّه

تعالى، ولا صنع للعبد فيه مثل: الألم فيالمضروب عقيب الضرب، وفي الانكسار عقيب الكسر، وفوات الحياة [٦٣] عقيب الموت، وحركة الماء عند تحريك اليد فيه، وحركة الخشبة عند إعقاد اليد عليها، ونحو ذلك.

وقالت المعتزلة: بأن هذه الآثار تولدت من فعل العبد، فإن فعل السبب هو فاعل للمسبب.

دليلنا ما ذكرنا[1] أن العبد لا يوصف بالقدرة في الإيجاد، والاختراع بل الله تعالى، هو الموصوف بذلك وقدرة الله تعالى قديمة، ولا يختص ببعض الحوادث دون بعض.

والثاني: أن هذه الآثار لو كانت فعلاً للعبد ينبغي أن يقدر العبد على الضرب، والامتناع عن الألم، وعلى تحريك اليد في الماء والامتناع عن حركة الماء، كذلك ما أشبهه، وحيث لم يقدر علم أنه غير مقدور له أصلاً.

والثالث: أن العبد قد يرمي ثم يموت من ساعته فيحصل الإصابة والجزع وفوات الحياة عقيب موته، ولو كان فعلاً له لما تصور حصوله بعد موته ولا وجه إلى القول بالوجود لا بموجود؛ لأنه يؤدي إلى تعطيل الصانع وتعجيزه، ثم قضاء الله تعالى على أربعة أوجه؛ قضاء الطاعة، وقضاء المعصية، والنعمة والشدة.

والمذهب المستقيم في ذلك: إذا قضى للعبد بالطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد والإخلاص، حتى يكرمه الله [٦٤] بالتوفيق لقوله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ [العنكبوت: ٦٩]. يعني الذين جاهدوا في طاعتنا، وفي ديننا لنوفقنهم لذلك، وإذا قضى بالمعصية فعليه أن يستقبله بالاستغفار والندامة حتى يرزقه المغفرة؛ لقوله تعالى: ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وإذا قضى بالنعمة فعليه أن يستقبله بالشكر والسخاء حتى يكرمه بالزيادة؛ لقوله تعالى: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) ذكر صاحب معارج القبول أن القضاء والقدر أربع مراتب جاء بها النبي ﷺ وأخبر بها عن ربه.

الأولى: علمه السابق لما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج للكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء.

وإذا قضى بالشدة فعليه أن يستقبله بالصبر والرضا، حتى يعطيه الله تعالى كرامة الآخرة لقوله تعالى: ﴿**إن الله مع الصابرين**﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ [الزمر: ١٠].

ثم إذا وقع فى المعصية يرى قضاء الوقوع من الله عدلاً لا جورًا، ولا يرضى من نفسه الوقوع فيه فيتوب ويستغفر؛ لأن الجبرى لا يرى الملامة من نفسه، والقدرى لا يرى عدلاً، والمعتزلة لا يرى المغفرة بغير توبة.

فإذا رأيت الوقوع من الله تعالى عدلاً فقد تبرأت من القدرى، وعلمت هذه الآية: ﴿**كل من عند الله**﴾ [النساء: ٧٨].

وإذا استوجبت الملامة لنفسك فقد تبرأت من الجبرى وعلمت هذه الآية: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا**﴾ [الأعراف: ٢٣].

وإذا ثبت منه واستغفرت ربك فقد تبرأت [٦٥] من المعتزلة وعلمت هذه الآية: ﴿**واستغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ [نوح: ١٠].

وإن قالوا نحن ما ننفى المشيئة، ولكن نقول: المشيئة على نوعين: جبر، ومشيئة تفويض.

مشيئة الجبر كخلق السموات والأرض وما بينهما، ومشيئة التفويض قوله تعالى: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء**﴾ [النحل: ٩٣]. وقوله «شاء» مشيئة جبر لو شاء لجبركم على الإسلام ولكن يضل من يشاء مشيئة تفويض، هذا اعتقاد القدرية العدلية الملعونة.

قلنا: العجب من ترهاتكم ووعادتكم حيث قسمتم مشيئة الله على قسمين كأنكم شركاء الله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، ثم نريكم قبح هذه المقالة: إن الرجل إذا خير إنسانًا بين أمرين وفق العمل بين طريقين يعنى الخير والشر، فإذا اختار الشركان معذورًا.

أجعلتم العباد معذورين فى ارتكاب المعاصى، وإذا اختار الخير يكون له منة على المفوض، والمخير إذا جعلتم للعباد منة على الله تعالى، ولا يتعلق الخصم بقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦].

أى ليكونوا عبادًا لى هم كانوا عبادًا له.

وهذا هو المنقول عن أئمة التفسير، وعلى تأويل العبادة تتخط [٦٦] الصبيان والمجانين، وتأويل الآخر إلا ليعبدون أى إلا ليوحدون ولا أمرهم بالعبادة فذكر الله التوحيد والعبادة ولم يذكر التفويض والجبر، وعلى هذا التأويل لا يقلق للمخالف بها وقال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ [البينة: ٥]. أى ليوحدوا الله تعالى، فأمر التوحيد والعبادة بالإخلاص، فأمر الكافر بالإيمان ليؤمن بالله، ونهى عن الكفر لينتهى عنه.

فأوجب الإيمان عليه وحرم الكفر فيترك الإيمان الواجب، ويقدر الكفر المنهى فيستحق بذلك العقاب، فيستحق بذلك عمله أنه يترك الإيمان الواجب، ويرتكب الكفر المحظور، فيصير بذلك أهلاً للتخليد فى النار، فيستحق بذلك عملاً، فإذًا كل ذلك لتحقيق عمله وإرادته.

والعبد لا يصير مجبورًا بعلم الله فى الأزل وإن كان لا يمكنه الخروج من إرادة الله تعالى؛ لأن الله تعالى أراد منه الأفعال الاختيارية من الإيمان والكفر؛ ليستحق به الثواب والعقاب لا الإيمان والكفر جبرًا.

والجبر على نوعين: جبر من الإجبار، وجبر من الجبروت، فالإجبار يزيل الأفعال، والجبروت يزيل الاستغناء.

والعبد ليس بمجبور إجبارًا يزيل الفعل، بل هو مختار فى الفعل تحت الجبروت [٦٧] ومفتقر إلى الله تعالى بورود التوفيق، ووجود الاستطاعة من جهة تخليق الأفعال، ومهما حصلت الأفعال بتخليق الله تعالى فهو فى استعمالها غير مجبور، بل هو مختار فى استعمالها؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعطى له التمييز متولدا من العقل والفهم والذهن ليس كشجرة تخرجها الريح، تسخير من غير تمييز كالسحاب والشمس والقمر وسائر المسخرات؛ لأن العبد مأمور منهى، والمجبورات غير مأمورات ولا منهيات، والعبد مثاب ومعاقب، والمسخرات لا ثواب ولا عقاب.

ثبت أن العبد غير مجبور إجبارًا يزيل الفعل، وليس بمستغن يقدر على الإيجاد؛ لأنه

ليس بخالق يبت[1] وحتم واجب يعرف ونهى عن منكر فى كل حال.

* * *

الأول فصل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يسقط فى زماننا فذلك فرض واجب بدليل قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [آل عمران: ١١٠]. يعنى أنتم خير أمة أخرجكم الله تعالى لأجل الناس، تأمرون بالمعروف يعنى بالطاعة، وتنهون عن المنكر يعنى يمنعون أهل المعاصى من المعصية.

وقوله تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [التوبة: ٧١].

وقوله ﷺ [٨٦]: «وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك»[2].

---

(١) هذه كلمة غير واضحة فى المخطوط وكذا رسمها.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: «السنة» باب فى القدر: (٢٢٥/٤) حديث رقم (٤٦٩٩).

من طريق وهب بن خالد الحمصى عن ابن الديلمى عن أبى بن كعب فذكره ضمن حديث طويل.

وأخرجه أيضًا برقم (٤٧٠٠) من حديث عبادة بن الصامت ....به.

والترمذى فى كتاب «القدر» باب: (ما جاء فى الإيمان بالقدر خيره وشره) (٤٥١/٤) حديث رقم (٢١٤٤) من طريق عبد الله بن ميمون عن حفص بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله .... به.

وقال أبو عيسى: وفى الباب عن عبادة وجابر وعبد الله بن عمرو.

وهذا حديث غريب لا يعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون، وعبد الله بن ميمون منكر الحديث.

وأخرجه أيضًا فى كتاب «القدر» باب (١٨) حديث رقم (٢١٥٥) من حديث عبادة بن الصامت .... به.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وابن ماجه فى «المقدمة» باب فى القدر (٢٩/١ - ٣٠) حديث رقم (٧٧) من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه.

وأحمد فى «مسنده»: (٣١٧/٥) وأبو داود الطيالسى (٧٩). =

وقال عليه السلام: «تأمرون بالمعروف وإن لم تعملوا بـه وتنهون عـن المنكـر وإن لـم تنهوا عنه»[١]. كل ما يقدر عليه غيره بيده.

وقـال عليـه السـلام: «إذا هـابت أمتـى الظـالم أن تقـول لـه أنت ظـالم فقـد تـودع منهم»[٢].

=وأخرجه الآجرى فى «الشريعة»: (١/٣٩١) حديث رقم (٤٥٠) مـن طريـق حنش الصنعـانى عن ابن عباس ... به. من حديث طويل أوله: «يا غلام احفظ الله يحفظك» الحديث.

قلت: وبالجملة فالحديث بشواهده صحيح، والله أعلم.

(١) أورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: (٧/٢٧٧) من حديث أنس بـن مـالك وقـال: رواه الطبرانى فى: «الصغير والأوسط» من طريـق عبـد السـلام بـن عبـد القـدوس بـن حبيـب عـن أبيـه وهمـا ضعيفان.

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف»: (٧/٥٠) وقال: قال العراقى: رواه الطبرانى فى «المعجم الأوسـط والصغير» وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه. ا. هـ.

قال الزبيدى: والراوى عن ابنه عبد السلام بن عبد القدوس ضعيف أيضًا، والمعنى أنه يجـب تـرك المنكر وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر، ولهذا قيل للحسن: فلان لا يعظ ويقول: أحلف أن أقول ما لا أفعل قال: وأيُّنا يفعل ما يقوله ودّ الشيطان لو ظفر بهـذا فلـم يـأمر أحـدًا بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الأمر والنهى عن الاجتناب لرفـع الأمـر بـالمعروف وتعطـل النهى عن المنكر وانسد باب النصيحة التى حث الشارع عليها.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٢/١٦٣)، والحاكم (٤/٩٦) من طريق أبـى الزبير عـن عبـد الله بـن عمرو، مرفوعًا... به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/٢٦٢)، وقال: رواه أحمد والـبزار بإسـنادين، ورجـال أحـد إسنادى البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد، إلاّ أنه وقع فيه فى الأصل غلط، فلهـذا لـم يذكره.

وأورده أيضًا فى (٧/٢٦٩)، وقال: رواه أحمد والـبزار والطبرانى، وأحـد أسـانيد الـبزار رجـال الصحيح، وكذلك إسناد أحمد، إلا أنه وقع فيه فى الأصل غلط، ثم قال: وعن جابر... به.

ورواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه سنان بن هارون وهو ضعيـف، وقـد حَسَّـن الـترمذى حديثـه، وبقية رجاله ثقات.

وقال الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند: والغلط فى إسناد أحمد الذى يشير إليه الهيثمى، هو أنه وقع فى نسخة: حدثنا الحسن بن عمرو، وهو خطأ يقينًا، وأثبتنا الصواب. أ.هـ. =

.. ..

=وأخرجه البيهقى فى الشعب (٦/٨٠، ٨١) حديث رقم (٧٥٤٦)، ومحمد بن مسلم هذا هو أبو الزبير المكى، ولم يسمع من عبد الله بن عمرو بن العاص، كذا قال يحيى بن معين وغيره. وقد روى ابن شهاب، عن الحسن بن عمرو، عن أبى الزبير، عن عمرو بن شعيب، عن عبد الله ابن عمرو، عن النبى ﷺ به.

وقال المناوى فى فيض القدير (١/٣٥٤): سبق أن ذكر الحديث وعزاه إلى مصادره، وقال: تعقب البيهقى الحاكم فى تصحيح الحديث وقال: إنه منقطع، حيث قال: محمد بن مسلم هو أبو الزبير المكى، ولم يسمع من ابن عمرو، ثم قال: وأخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر، وفيه سيف بن هارون ضعَّفه النسائى والدارقطنى.

وقال الهيثمى: رجال أحد إسنادى أحمد رجال الصحيح، وظاهر طبع المؤلف أنه لم يخرجه أحد من الستة والأمر بخلافه، فقد رواه الترمذى.

قلت: لقد تبع الشيخ الألبانى المناوى فى قوله: إن الحديث عند الطبرانى فى الأوسط من طريق سفيان بن هارون، ولقد وهما فى ذلك حيث أن الطبرانى أخرجه فى الأوسط (٨/٥١، ٥٢) حديث رقم (٧٨٢٥) وقال: حدثنا محمود، حدثنا زكريا بن يحيى بن رحمويه، حدثنا سنان بن هارون، عن الحسن بن عمرو، عن أبى الزبير، عن جابر... به.

فاتضح لك أن الراوى هنا هو: سنان بن هارون وليس سيف.

قال الحافظ فى التقريب: صدوق فيه لين، فيصح أن يكون شاهدًا للحديث الأول وليس شديد الضعف كما قرر شيخنا الألبانى فى الضعيفة (٢/٤٦) حديث رقم (٥٧٧)، فقال: نعم للحديث شاهد لولا شدة ضعفه لحكمت على الحديث بالحسن. عزاه السيوطى فى الجامع للطبرانى فى الأوسط عن جابر .

قال المناوى: وفيه سيف بن هارون ضعفه النسائى والدارقطنى.

قلت، أى الألبانى: قال الدارقطنى فى سؤالات البرقانى عنه (رقم ١٩٦ بترقيمى): ضعيف كوفى متروك.

قلت، أى الألبانى: فهو شديد الضعف والله أعلم. ا. هـ كلام الألبانى.

وقال الشيخ أحمد شاكر، رحمه الله، فى تعليقه على المسند: إن محمد بن مسلم رأى عبد الله بن عمرو، وقال: روى الذهبى فى الميزان (٣/١٣٥)، عن يحيى بن بكير: حدثنى ابن لهيعة، عن أبى الزبير قال: رأيت العبادلة يرجعون إلى صدور أقدامهم فى الصلاة: عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس.

وقال الألبانى: ابن لهيعة ضعيف لسوء حفظه؛ ولذلك ضعفه الجمهور فلا حجة فى روايته لهذه الرواية، ولو ثبتت الرواية، فإن أبا الزبير مدلس يروى عن بقية ما لم يسمع منه، وقصته فى=

وقال عليه السلام: «إذا رأى أحد منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»[١]. فقيل باليد للأمراء[٢]، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعامة،

=ذلك مع الليث بن سعد مشهورة، ولذلك فإنى أقطع بضعف الإسناد، والله أعلم، كذا قال الألبانى.

قلت: والأمر فى هذا الحديث بين تصحيح الشيخ أحمد شاكر وتضعيف الشيخ الألبانى، فإن الحديث عندنا حسن إن شاء الله تعالى، مع إقرارنا بأن أبا الزبير مدلس حتى ولو لم يسمع من عبد الله بن عمرو، ولكن جاء بالعنعنة، ولكن حديث جابر الذى هو فى الطبرانى بالأوسط شاهد للحديث حيث وهم فيه الشيخ الألبانى تبعًا للمناوى فى اسم سنان، فسماه سيف، والصحيح سنان، وبينا قول الحافظ فيه، فصلح الحديث وله شاهد، ويصير به حسنًا إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان، باب (بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان) (٧٨/١)، (٢٩٦، ٢٩٧/ نووى).

وأبو داود فى كتاب الملاحم باب (الأمر والنهى) (١٢٣/٤) حديث رقم (٤٣٤٠). والترمذى فى كتاب الفتن باب (ما جاء فى تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب) (٤٦٩/٤، ٤٧٠) حديث رقم (٢١٧٢). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

والنسائى فى كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان (٤٨٥/٨، ٤٨٦) حديث رقم (٥٠٢٣). وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (٤٠٦/١) حديث رقم (١٢٧٥). وأحمد فى مسنده (٢٠/٣، ٤٩). جميعًا من طريق طارق بن شهاب، عن أبى سعيد الخدرى... به.

وقوله: «فقد تودع منهم»، بضم التاء وكسر الدال المشددة المهملة من «التوديع»، قال الزمخشرى فى الفائق (١٥٢/٣): أى استريح منهم وخذلوا وخلى بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصى وهو من المجاز؛ لأن المعتنى بإصلاح شأن الرجل إذا يئس من صلاحه تركه ونفض منه يده، واستراح منه معاناة النصب فى استصلاحه، ويجوز أن يكون من قولهم: تودعت الشىء، أى صنته فى ميدع... أى فقد صاروا بحيث يتحفظ منهم ويتصون كما يتوقى شرار الناس.

قال المناوى: قال القاضى: أصله من التوديع، وهو الترك، وحاصله: أن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمارة الخذلان وغضب الرحمن. قال فى الإحياء: لكن الأمر بالمعروف مع الولاة هو التعريف والوعظ أما المنع بالقهر، فليس للآحاد؛ لأنه يحرك فتنة ويهيج شرًا. وأما الفحش فى القول كيا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن تعدى شره للغير امتنع، وإن لم يخف إلا على نفسه جاز بل ندب، فقد كانت عادة السلف التصريح بالإنكار والتعرض للأخطار.

(٢) فيه فروق بين الأمراء والعلماء والعامة فى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأيضًا بين المحتسب المعين والمتطوع. =

.. ..

=قال عبد الكريم زيدان:

أ – الاحتساب فرض متعين على المحتسب على الولاية، أى بحكم تعينه محتسبًا، أما فرضه على غيره فهو من فروض الكفاية، ومن ثم لا يجوز للمحتسب أن يتشاغل عما عين له من أمور الحسبة بخلاف المتطوع.

ب – وقالوا: إن المحتسب عين للاستدعاء إليه وطلب العون منه عند الحاجة، ومن ثم تلزمه إجابة من طلب ذلك منه بخلاف المتطوع إذ لا يلزمه من ذلك شيء.

ج – وقالوا: إن المحتسب عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة حتى يتمكن من إزالتها كما أن عليه أن يبحث عما ترك من المعروف الظاهر حتى يأمر بإقامته، أما المتطوع، فلا يلزمه ذلك.

د – وقالوا: للمحتسب أن يستعين على أداء مهمته بالأعوان، فيتخذ له من الأعوان والمساعدين بقدر ما يحتاج إليه لأداء مهمته التى عين لها، وليس للمتطوع ذلك.

هـ – وللمحتسب أن يقدر على المنكرات الظاهرة ولا يتجاوزها إلى إقامة الحدود وليس للمتطوع ذلك، وللمحتسب أن يأخذ على عمله أجرًا من بيت المال وليس للمتطوع ذلك.

ز – للمحتسب أن يجتهد فى المسائل المبنية على العرف فيقر منها ما يراه صالحًا للإقرار وينكر منها ما يراه مستحقًا للإنكار، وليس للمتطوع ذلك.

وقال: هذه الفروق بنيت على أساس التفريق بين المعين للحسبة وغير المعين لها، والواقع أن الحسبة من فروض الإسلام، فلا يتوقف القيام بها على التعين من قبل ولى الأمر، ومن ثم كان تسمية غير المعين بالمتطوع تسمية غير دقيقة؛ لأنها تشعر بأن القيام بالحسبة من قبل غير المعين لها هو من قبيل القيام بالأمور المستحبة غير الواجبة، ومع هذا فإن تنظيم الحسبة وضبطها من قبل ولى الأمر وتعيين الأكفاء لها، حتى لا تسود الفوضى فى المجتمع باسم الحسبة.

أقول: إن هذا التنظيم من الأمور الحسنة، ولكن بشرط أن لا يكون هذا التنظيم مانعًا من قيام الآخرين بواجب الحسبة على الوجه المشروع وعلى هذا لا نرى ما قاله الفقهاء من أن المحتسب له أن يتخذ أعوانًا. أما المتطوع فليس له ذاك؛ لأن اتخاذ الأعوان على الحسبة من التعاون على البر والتقوى فلا ينبغى منع من يقوم بالحسبة من هذا التعاون بحجة أنه غير معين من قبل ولى الأمر مادام صالحًا للحسبة وتتوفر فيه شروط الحسبة، وكذلك لا نرى منع المتطوع من التعزير على المنكرات الظاهرة أو على الأقل لا نرى منعه من التعزير مطلقًا؛ لأن التعزير درجات، فينبغى أن لا يمنع إلا من بعضها لا كلها كأن يمنع من الضرب والجلد. أصول الدعوة (١٧٧، ١٧٨).

قلت: ولما كان موضوع هذا الكتاب فى الاعتقاد وجب علينا بيان ما تجرى عليه الحسبة فى الأمور الاعتقادية خاصة. قال عبد الكريم زيدان: تجرى الحسبة فى أمور العقيدة، فمن أظهر عقيدة باطلة، أو أظهر ما يناقض العقيدة الإسلامية الصحيحة، أو دعا الناس إليها، أو حرف=

وقيل: كل من يقدر عليه يغيره بيده.

وقال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى الإيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله تعالى الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم، ثم ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»(١). وقال ﷺ: «قل الحق ولو كان مُرًّا»(٢).

=النصوص، أو ابتدع فى الدين بدعة لا أصل لها منع من ذلك، وجرت الحسبة عليه؛ لأن التقول على الله ودينه بالباطل لا يجوز ويناقض العقيدة الإسلامية التى من أصولها الانقياد والخضوع لله رب العالمين وشرعه، ويدخل فى ذلك رواية الأحاديث المقطوع ببطلانها وكذبها وتفسير كتاب الله بالباطل من القول كتفسير الباطنية الذى لا تحتمله النصوص ولا اللغة ولا الشرع ولا المنقول عن السلف الصالح. انتهى. أصول الدعوة (١٩٢).

قلت: ومن باب تغيير المنكر أيضًا صيانة الشريعة عن الكذبة والوضاعين وهو ما يسمى بجرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وقد ذكر الإمام النووى أن هذا الجرح من الغيبة المباحة لفرض شرعى فقال: وذلك جائز بالإجماع بل ويجب صونًا للشريعة.

قال الشوكانى: وكلامه صحيح واستدلاله بالإجماع واضح، فإنه مازال سلف هذه الأمة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة ومن الشهود على دماء العباد وأموالهم، وأعرافهم ويعدلون من يستحق التعديل ولولا هذا لتلاعب بالسنة الطاهرة، وكثر الكذابون واختلط المعروف بالمنكر ولم يتبين ما هو صحيح مما هو باطل وما هو ثابت مما هو موضوع، وما هو قوى مما هو ضعيف. الرسائل السلفية (٢١).

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال (٣٥٦/٢، ٣٥٧) حديث رقم (٦٩١٥). وقال أبو يعلى: عن رجل من خثعم.

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١٩١/١) حديث رقم (٩٤) تحت باب السؤال للفائدة، من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى، حدثنا أبى، عن جدى، عن أبى إدريس الخولانى، عن أبى ذر... به. وهو حديث طويل جدًا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًا، فإبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى. قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (١٤٢/٢، ١٤٣): سمعت أبى يقول: قلت لأبى زرعة: لا تحدث عن إبراهيم ابن هشام، وأظنه لم يطلب العلم، وهو كذاب.

وقال على بن الحسين بن الجنيد وقد سمع ما قاله أبو حاتم: صدق، وقال أبو حاتم: ينبغى أن لا يحدث عنه. وقال ابن الجوزى: قال أبو زرعة: كذاب، ووثقه ابن حبان، والطبرانى. وقال الذهبى فى الميزان (٧٢/١): إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى، وهو صاحب حديث أبى ذر الطويل، انفرد به عن أبيه، عن جده. وقال فى موضع آخر (٣٨٧/٤): إبراهيم بن=

وقال عمر بن عبد العزيز، رضى الله عنه: لا تعذب العامة بعمل الخاصة، ولكن إذا ظهرت المعاصى ولم ينكروها[(١)] فقد استحق القوم جميعًا العقوبة، كما أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون: إنى مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم، قال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما [٦٩] بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبى، فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم[(٢)]. وعلى هذا دلائل كثيرة، فمن لم ير الأمر

=هشام أحد المتروكين الذين وثقهم ابن حبان فلم يصب. وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٦٦ - ١٦٨) من طريقين عن إبراهيم بن هشام بن يحيى بهذا الإسناد. وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٤١٩)، وابن عدى فى الكامل (٧/٢٤٤) من طريق يحيى بن سعيد السعدى، حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبى ذر... به.

وقال: هذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبى ذر. وأورده العجلونى فى كشف الخفا والإلباس (٢/١٣٠، ١٣١)، وقال: رواه أحمد عن أبى ذر مرفوعًا، وهو صحيح وله شواهد، منها ما أخرجه البيهقى عن جابر بلفظ: «ما من صدقة أحب إلى الله من قول الحق». وقد صححه ابن حبان فى حديث طويل واشتهر على الألسنة: «قل الحق ولو على نفسك». وإليه يشير قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾. قلت: وقد تقدم القول فى إسناد ابن حبان، والله أعلم.

(١) قلت: بل هو حديث مرفوع.

أخرجه أحمد فى مسنده (٤/١٩٢) من طريق سيف بن أبى سليمان: سمعت عدى بن عدى الكندى يحدث عن مجاهد، قال: حدثنى مولى لنا أنه سمع جدى، يعنى عدى بن عميرة رضى الله عنه، يقول... فذكره. وأورده ابن كثير فى تفسيره (٣/١٥٤) من طريق أحمد فى المسند. وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/٢٦٧) من طريق مجاهد، وقال: رواه أحمد من طريقين إحداهما هذه، والأخرى عن عدى بن عدى: حدثنى مولى لنا، وهو الصواب، وكذلك رواه الطبرانى، وفيه رجل لم يسم، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وأورده فى موضع آخر (٧/٢٦٨) من حديث العرس بن عميرة، وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات. وأورده البغوى فى مصابيح السنة (٣/٤١٢) حديث رقم (٣٩٩٣). وأورده الزبيدى فى الإتحاف (٧/٩)، وقال: قال العراقى: رواه أحمد من حديث عدى بن عميرة، وفيه من لم يسم، والطبرانى من حديث أخيه العرس بن عميرة، وفيه من لم أعرفه. ا. هـ. وأخرجه ابن المنذر فى الزهد (ص ٣١٦) حديث رقم (١٣٥٢) من طريق عدى بن عدى... به. قلت: وفيه رجل لم يسم. وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع (١/١٠٧، ١٠٨) حديث رقم (١٦٧٥)، وقال: ضعيف.

(٢) أورده الغزالى فى الإحياء (٢/٤٨٤)، وأوقفه على حذيفة بن اليمان. قال: يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم، وأوحى الله إلى يوشع بن=

بالمعروف والنهى عن المنكر حقًا كان جبريًا ومنافقًا، قال الله تعالى: ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف**﴾ [التوبة: ٦٧]. فتبينَّ أن تركها علامة للمنافقين. وقال على، رضى الله عنه: أفضل الأعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وشيان المنافقين - يعنى بعضهم - فمن أمر بالمعروف فقد شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر فقد أرغم أنف المنافقين. وقالت الجبرية والفلاسفة: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس بواجب، واحتجتا بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ [المائدة: ١٠٥]. قلنا: الآية فى نفى المضرة وبه نقول: إنّ مضرة المعصية لا تعدو من العاصى، كما قال الله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وقال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه: إنكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يُعْمَل فيهم بالمعاصى لا يغيرونه إلاَّ يوشك أن يعمهم الله بعذاب منه»(١). [٧٠] وقال ابن مسعود، رضى الله عنه: عليكم أنفسكم ليس ذا زمان ذاك، ولكن إذا كثرت أهواؤهم وألفوا الجدال فعلى كل امرئ نفسه، فهذا تأويلها. قال عليه السلام: «إذا فشا فيكم حب الدّنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون فى غير سبيل الله فالقائمون يومئذ بالكتاب سرًّا وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»(٢).

=نون عليه السلام، الحديث.

وقال الزبيدى فى الإتحاف (١٣/٧): رواه ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمرو الصنعانى كما ذكره العراقى.

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب الأمر والنهى (١٢٠/٤) حديث رقم (٤٣٣٨ - ٤٣٣٩) من طريقين، الأول: عن إسماعيل، عن قيس قال: قال أبو بكر... فذكره. والطريق الثانى: عن ابن جرير، عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ... فذكره. وأخرجه الترمذى فى كتاب الفتن باب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (٤٠٦/٤) حديث رقم (٢١٦٨) من طريق إسماعيل... به، بلفظ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». أ.هـ. وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح. وابن ماجه فى كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (١٣٢٩/٢) حديث رقم (٤٠٠٩) من طريق عبد الله بن جرير، عن أبيه... به. وأحمد فى مسنده (٣٦٤/٤، ٣٦٦).

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، ولعله كلام من قبيل المصنف، وإن كان هذا القول يدل على أمران: الأول: عندما تفسد الأمم وتنتشر الرذائل، وتندثر الفضائل، وتظهر الفتن وتختفى السنن التى =

الثانى: فصل فى الهجرة

وقال عليه السلام: «من فر بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبرًا، وجبت له الجنّة، وكان رفيق أبيه إبراهيم عليه السلام»[(١)].

وإبراهيم هاجر من أرض حران إلى الشام، وهاجر محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، فمن اقتدى بهما فيكون رفيقهما فى الجنة[(٢)].

* * *

= أودعها الله فى أرضه ليهتدى بها الناس إلى ربهم اختفاء صادرًا عن صدودهم عن سبيل الله تعالى، وترك نهجه القويم، فحينئذ يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر محال وفاعله منبوذ كحال الأمم اليوم، والله نسأل السلامة والعافية.

الثانى: فحينئذ القائم على حدود الله تعالى كقابض على جمر وهو مأجور كأجر الصحابة الأول رضوان الله عليهم.

ولعل هذا ما يقصده المؤلف، وهذا له كثير من الأدلة فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه، أما لفظ المؤلف فلا نظنه، حديثًا، والله أعلم.

(١) أورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة (ص ٥١٠) حديث رقم (١٤٢٣) بنحوه. وقال: وفى إسناده وضاع.

وأورده القرطبى فى تفسيره (٣٤٦/٥) بلفظه، وسكت عنه القرطبى ومحققه. وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١٨٧/٢)، وقال: من حديث أبى الدرداء، وفيه مجاشع بن عمرو. ا. هـ.

قلت: ومجاشع بن عمرو ترجم له ابن عدى فى الكامل (٤٥٨/٦). وقال الذهبى فى الميزان (٤٣٦/٣) وأورد له مناكير: رأيته أحد الكذابين.

وقال العقيلى: حديثه منكر. وقال البخارى: مجاشع بن عمرو أبو يوسف، منكر مجهول. قال الذهبى: وهذا موضوع، ومجاشع هو راوى كتاب الأهوال والقيامة، وهو جزءان كله خبر واحد موضوع، رواه عن ميسرة بن عبد ربه، عن عبد الكريم الجزرى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وعنه على بن قدامة المؤذن شيخ لإسحاق.

وقال ابن حجر فى لسان الميزان فى ترجمة مجاشع بن عمرو (٢١/٥): وقال أبو أحمد الحاكم: منكر الحديث.

(٢) والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهى باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ الآية [النساء: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوى، رحمه الله: سبب نزول هذه الآية فى المسلمين الذين كانوا فى مكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها». (محمد بن عبد الوهاب، الأصول الثلاثة وأدلتها).

٧ – باب فى أنَّ الله لا هو ولا غيره

صِفَاتُ اللّـهِ لَيْسَـتْ غيْرَ ذَاتٍ وَلاَ غَيْـرًا سِـوَاهُ ذَا انْفِصَـالِ

واعلم أن الله تعالى بجميع صفاته ليس كالبشر، ومن وصف الله تعالى بمعنى من معانى البشر فقد كفر، فإن صفة الله مختصة بذاته[١]، لا هو ولا غيره عند أهل السنة والجماعة، وهى غير محدثة[٢] سواء كانت من صفات الذات أو من صفات الفعل.

---

(١) الصفات الذاتية هى التى لا تنفك عن الله، وصفات الله الفعلية هى التى تتعلق بالمشيئة والقدرة، ومثال الصفات الذاتية العين، والنفس، والعلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، والكلام، والقدم، واليد، والرجل، والملك، والعظمة، والكبرياء، والعلو، والغنى، والرحمة، والحكمة.

وضابط الصفة الذاتية أيضًا أن يقال: هى الملازمة للذات، ويقال: هى التى لا ينفك البارى عنها. والصفات الذاتية الفعلية مثل: الكلام، والرحمة، والمغفرة، ينطبق عليها حد الذاتية، ويصلح فيها تقدير إذا شاء، أما الصفات الفعلية فهى: الاستواء، والنزول، والمجىء، والعجب، والضحك، والرضى، والحب، والكره، والسخط، والفرح، والغضب، وهذا القسم قديم النوع حادث الآحاد، ويصلح أن يقدر فيها إذا شاء. (الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز المحمد السلمان).

(٢) قوله: «وهى غير محدثة»، إلى قوله: «فلا خلاف فى صفات الذات أنها أزلية، وصفات الفعل أيضًا عندنا». قول صحيح؛ لأن صفاته ليس كمثلها شىء سبحانه وتعالى عن الشبيه والنظير، فصفاته صفات كمال، فهو كما كان بصفاته أزليًا، كذلك لا يزال عليها أبديًا.

أما صفات المخلوقات فهى صفات نقص، لأسباب: الأول: أنها حوادث عليهم. الثانى: أنها مفقودة. الثالث: أنها ليست خلقهم، بل خلق الله، فكيف تقارن صفات الخالق التى ليس كمثلها شىء بصفات المخلوقين المخلوقة؟.

ويقال كما بيَّن المؤلف بعد هذه الفقرة عن المبتدعة: إنّا نرى فى الشاهد أنه لا يكون المكتوب مكتوبًا إلا بالكتبة. وقولهم أيضًا: إنه خالق بخلقه، ورازق برزقه، وآمر بأمره، وغير ذلك من إفكهم، وكل ذلك مردود.

قال على بن أبى العز الأذرعى: إن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفًا بالكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات الكمال، وفقدها صفة نقص ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده. =

.. ..

=والصفات الاختيارية وصفات الفعل كلها أزلية أيضًا، كالخلق والتصوير، والإحياء، والإماتة، والقبض، والبسط، والطى، والاستواء، والإتيان، والمجىء، والنزول، والغضب، والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التى هى تأويله، ولا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا.
كما قال الإمام مالك، رضى الله عنه، لما سُئل عن قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾، كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.
وإن كانت هذه الأحوال تحدث فى وقت دون وقت، كما فى حديث الشفاعة: «إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»؛ لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن الكاتب فى حالة الكتابة هو كاتب بالفعل، ولا يخرج عن كونه كاتبًا فى حال عدم مباشرته للكتابة.
وحول الحوادث بالرب تعالى المنفى فى علم الكلام المذموم: لم يرد نفيه، ولا إثباته فى كتاب ولا سنة، وفيه إجمال، فإن أريد بالنفى أنه سبحانه لا يحل فى ذاته المقدسة شىء من مخلوقاته المحدثة، ولا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفى صحيح. وإن أريد به نفى الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفى باطل.
وكذلك مسألة الصفة، هل هى دائرة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل. وكذلك لفظ الغير، فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له، ولهذا كان أئمة السنة لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه «غيره»، ولا أنه «ليس غيره»؛ لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفى قد يشعر بأنه هو.
إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل، فإن أريد به أن هناك ذاتًا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد بها أن الصفات زائدة على الذات التى يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، فهذا حق، ولكن ليس فى الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يعرض للذهن ذات وصفة، كُلٌّ وحده، ولكن ليس فى الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال، ولو لم يكن إلا صفة الوجود فإنها لا تنفك عن الوجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتًا ووجودًا، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر فى الخارج.
وقد يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره، وهذا له معنى صحيح، وهو أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التى يفرضها الذهن مجردة، بل هى غيرها، وليست غير الموصوف=

ولا يقال: هى هو، ولا بعضه، ولا هى أغيار له، بل هى صفات أزلية، ونعوت سرمدية، وأنه أحدى الذّات [٧١] سرمدى الصفات؛ لأن الحقيقة الغيرين ما يجوز وجود أحدهما مع عدم صاحبه، أو يجوز مقارنة أحدهما لصاحبه، وذلك فى صفاته محال، ولا يوصف بعضها بالسبق على بعض، وقوله فى الكتاب: ﴿**لكن سبقت مشيئته أمره**﴾، يعنى أمره.

وصفاته ليست بأعراض؛ لأن العرض لا يدوم وجوده؛ لأنه عارض فى محله وصفاته باقيات ببقائه، فبقاؤه بقاء له، وله صفات ذات، وصفات فعل، فلا خلاف فى صفات الذات أنها أزلية، وصفات الفعل أيضًا عندنا.

ويذكر فى مسألة التكوين: وقالت المعتزلة: هى ذاته، وقالت القدرية والأشعرية والكرامية: هى غيره. فإن قيل لك: صفات الله واحدة أو متغايرة؟ فقل: ليست بواحدة ولا متغايرة؛ لأن المشيئة صفة الشائى، والإرادة صفة المريد، والأمر صفة الآمر، والعلم صفة العالم، والكلام صفة المتكلم، فكيف يقول واحدة؟.

لأنه لو قلنا: هى واحدة، فقد غلطنا صفاته وهو مذهب القدرية والمعتزلة. إنهم يجعلون الإرادة، والمشيئة، والقضاء، والقدر، والحكم، كلها على معنى العلم، وعن هذا أنكروا الإرادة والمشيئة والقضاء على الشر، وكلام الله تعالى [٧٢] يرد عليهم، وقد بينا ذلك.

=بل الموصوف بصفاته واحد غير متعدد. فإذا قلت: أعوذ بالله، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التى لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه.

وإذا قلت: أعوذ بعزة الله، فقد عذت بصفة من صفات الله ولم تعذ بغير الله. وهذا المعنى يفهم من لفظ «الذات»، فإن «ذات» فى أصل معناها لا تستعمل إلا مضافة، أى ذات وجود، ذات قدرة، ذات عز، ذات علم، ذات كرم، إلى غير ذلك من الصفات، فـ «ذاتُ كذا» صاحبة كذا، من تأنيث «ذو»، هذا أصل معنى الكلمة، فعلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتًا مجردةً عن الصفات كما يفرض المحال.

وقد قال ﷺ: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر». وكذا قال ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق». وكذا قال ﷺ: «اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك». ولا يعوذ النبى ﷺ بغير الله. (أصول العقيدة الإسلامية مع منتخبات من شرح الأذرعى ص ٣٥، ٣٦، ٣٧).

وإن قلنا: هي متغايرة، فقد أوقعنا المغايرة بين الذات والصفة، وهو مذهب الأشعرية والكرامية. أنهم يجعلون صفات الفعل محدثة، وذلك لا يجوز، فكذلك المتغاير بين الصّفات وقالوا: بأن الله موصوف بهذه الصفات فهو قادر لذاته، وعالم لذاته، وكذا في سائر الصفات.

وعندنا هو موصوف بهذه الصفات المعان وراء الذات قائمة بالذات، والبارى لا يوصف بالأحوال ما تزول من الصفات، وذلك محال في صفات الله تعالى، وقالوا: إنا نرى في الشاهد أنه لا يكون المكتوب مكتوبًا إلاّ بالكتبة، ولا يحصل البناء إلاّ بفعل البانى، ولا المفعول إلاّ بفعل الفاعل، فكذلك في الغائب، وعن هذا قالوا: إنه خالق بخلقه، ورازق برزقه، وآمر بأمره.

ونحن نقول: خالق لم يزل خالقًا، ورازق لم يزل قادرًا، وسميع لم يزل سميعًا، وبصير لم يزل بصيرًا، ففي هذه الأربعة اتفاق؛ لأنها من صفات الذات ثم صفات الذات الجلال، والكبرياء، والقدرة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، وما سواها من صفات الفعل كالتخليق [٧٣] والترزيق، والتكوين، والتّعريف، والإحياء، والإماتة.

فالبان بان وإن لم يبن، والكاتب كاتب وإن لم يكتب، وليس ضرورة من [......][1] الكاتب كاتبًا أن يحصل منه فعل الكتابة، فكذلك جاز أن يكون الرب خالقًا وإن لم يخلق، ثم الدليل على ما قلنا إنه لو لم يكن خالقًا قبل خلقه ثم أحدث نفسه[2] فعل الخلق فخلق الخلق به بطلت تلك الصّفة عند فراغه من فعل الخلق، فبقى عاجزًا عن الخلق، تعالى الله عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾.

ولا الشيء المحدث بمحل التغير، فكما لا يجوز التغيير على ذاته وصفات ذاته، هكذا لا يجوز التغيير على صفات فعله، ولأنه لو كان محدثًا[3] له اسم وصفة، لكان تشبيهًا

---

(١) ما بين المعقوفتين غير واضح نهائيًا، وأظنه: وليس ضرورة من كون الكاتب كاتبًا. والله أعلم.

(٢) قد يستقيم السياق بلفظ: لنفسه. والله أعلم، وما أثبت هو ما بالمخطوط.

(٣) قال ابن أبي العز الأذرعي: وحلول الحوادث بالرب تعالى، المنفى في علم الكلام المفهوم لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال، فإن أريد بالنفى أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، ولا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفى صحيح.
وإن أريد به نفى الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه=

بخلقه، وهو ﴿**لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

ثم المذهب الصحيح أن الله تعالى موصوف بجميع صفاته فى الأزل ذاتية كانت أو فعلية، ولا يقال: صفاته قائمة مع ذاته ولا فى ذاته، ولا بواقعة، بل نقول: هى قائمة بذاته مختصة بذاته، وهى معنى وراء الذات، قائمة بالذّات، ولا تخالفه؛ لأنه يؤدى إلى المغايرة، والتغاير بينه وبين صفاته محال، ومعلوماته ومقدوراته ومراداته لا نهاية لها، [٧٤] لو كان لها نهاية لكان لأصله نهاية.

وإرادته نافذة فى مراداته يجوز يريد أن يكون فيكون، أو لا يريد أن لا يكون شيئاً فلا يكون[1]؛ لأن من جرى بسلطنته ما لا يريد كان ساهياً أو مغلوباً، وذلك نقص لا علم تعالى الله عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿**ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**﴾ [لقمان: ٢٧].

والبارى قائم بذاته، مستغن عما سواه؛ لأنه لو لم يكن قائمًا بذاته لكان مفتقرًا إلى غيره، تعالى الله عن ذلك، وأنه عظيم القدرة، والصفة، والعلو، والرّفعة، والكبرياء، والهيبة. ولا يقال: إنه عظيم الذات؛ لأن العظيم بالذّات لا يكون إلا بكثرة الأجزاء، وهو واحد لا ينقسم، تعالى الله عما يقول الظّالمون علوًّا كبيرًا[2].

=يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفى باطل.

وكذا مسألة الصفة: هل هى زائدة على الذات أم لا لفظها مجمل، وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته. ا. هـ.

(شرح أصول العقيدة الإسلامية) (ص ٣٦).

(١) جاء بالمخطوط: يجوز يريد كون فلا يكون. وصححناه ليستقيم المعنى.

(٢) الصحيح فى هذه المسألة الوقوف على الكتاب والسنة، فنذكر لله ما ذكره عن نفسه، فإن ذكر فيهما أنه سبحانه عظيم القدر أو العلو أوالذات، إلى غير ذلك قلنا به، وإلا فالإمساك عن هذا أسلم، وهو سبيل سلفنا الصالح.

ومن غرائب المؤلف أنه قبل هذه الفقرة بين أنه لا فرق بين الصفات الذاتية والفعلية، ثم هنا فرق، والذى عليه أهل السنة أنه لا فرق بين الصفات الذاتية والفعلية فى أنهما ينطبق عليهما ملازمة الذات، إلا أن الصفات الفعلية فقط يصلح فيها تقدير إذا شاء، وهو ما يهرب منه المؤلف؛ لاعتقاده بحدوث الفعل المقدر بالمشيئة، والحادث مخلوق، وهو قول مردود، فالكلام صفة قائمة=

وسُئل أبو منصور عن صفاته: ما هي؟ قال: لا هو ولا غيره[1] كالواحد من العشرة،

=بذاته سبحانه إذا شاء فعلها، كما بينا في غير هذا الموضع، وليس معنى فعل الفعل حدوث الصفة، ثم إن القول في الصفات لا يخالف القول في الذات في حد الذاتية.

قال عبد العزيز المحمد السلمان: القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أن لله ذاتًا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فالصفات فرع الذات يحذى حذوها، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض. (الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص ٦٩).

(١) قوله: سُئل أبو منصور عن صفاته: ما هي؟ قال: لا هو ولا غيره. سبق تفسيره في كلام العلامة علي بن أبي العز، فليراجع.

والجواب الكافي لمن سأل عن كيفية صفة من صفات الله تعالى كجواب الإمام مالك، رحمه الله: إن كان عن كيفية الاستواء فالاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإن كان عن غير الاستواء، فيحذى به حذو جوابه.

فمثلاً عندما يسأل عن كيفية السمع؟ فيقال: السمع غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وهكذا يقال في بقية الصفات من بصر، ورضى، وعجب أو سخط، ووجه، ويد، ونفس، وعلم، وحياة، وقوة، وضحك، ونزول، وفرح، ورحمة، ورجل، وأصبع، والكره، والحب، والمجيء... ونحوه.

وقيل لابن القيم، رحمه الله: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال: نقول فيها ما قال ربنا تبارك وتعالى، وما قال نبينا محمد ﷺ، نصف ربنا تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيهًا، فالمشبه يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، والموحد يعبد إلهًا واحدًا صمدًا ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنا نثبت ذاتًا لا تشبهها الذوات، كذلك نقول في صفاته إنها لا تشبهها الصفات، فليس كمثله شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا تشبه صفاته بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه صفة لأجل تشنيع المشنعين.

وأما القرآن فإنني أقول إنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. تكلم الله به صدقًا، وسمعه منه جبريل حقًا، وبلّغه محمدًا ﷺ وحيًا، وأنه عين كلام الله حقيقة، وأن جميعه كلام الله وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر، فقد كفر، والله يصليه سقر. ومن قال: ليس لله =

لا هو ولا غيره، وَكَلَوْنِ الشَّيءِ فلونه لا هو ولا غيره. ولم يرد بهذا تشبيهًا، وإنما أردنا به إيضاح الكلام، وقيل له: لا هو ولا غيره ما هو صفة لا مجاورة عنى هذا، ثم يجوز أن يقال: عالم بعلمه وقادر بقدرته، وكذلك فى جميع صفاته الذّاتية(١)؛ لأنها لما كانت

=بيننا كلام، فقد جحد رسالة محمد ﷺ، ونقول: إن الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه، ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته، ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته العلى الأعلى بكل اعتبار. ا. هـ. (الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز محمد السلمان).

(١) أنكر المؤلف على المبتدعة فى (ص ٧٢) قولهم: إنه خالق بخلقه ورازق برزقه وآمر بأمره. قال: ونحن نقول: خالق لم يزل خالقًا، ورازق لم يزل رازقًا، وسميع لم يزل سميعًا، وبصير لم يزل بصيرًا، ففى هذه الأربعة اتفاقٌ؛ لأنها من صفات الذات.

ثم قال ما فيه إشكال على القارئ، فيظن بأنه قال بما أنكره من قبل، فقال فى هذه الصفحة [٧٥] مخطوط: ثم يجوز أن يقال: عالم بعلمه، وقادر بقدرته، وكذلك فى جميع صفاته الذاتية. ا. هـ.

ولإزالة هذا الإشكال قلت وبالله التوفيق: إن الصفات تنقسم إلى قسمين:

١ - صفات ذاتية لازمة لا تنفك عن الله.

٢ - صفات ذاتية فعلية، وهى متعدية.

والصفتان تشتركان فى أنهما ينطبق عليهما حد الذاتية التى لا تنفك عن الله، ويختلفان فى أن الأولى لا يصلح فيها تقدير إذا شاء، كالعلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، والكلام، وغير ذلك من الصفات اللازمة.

وأما الثانية فيصلح فيها تقدير إذا شاء، كالكلام، والرحمة، والمغفرة، وصفة الخالق، مع التنبيه بأنها كالأولى لا تنفك عن الله شاء فعلها أو لم يشأ. ومقالة المؤلف فى هذه المسألة غايتها الانتهاء إلى هذه المعانى فى الصفات، إلا أن الألفاظ الكلامية الفلسفية المتأثر بها هى التى توهم بهذا اللبس والإشكال.

وحسبك ملازمة الكتاب والسنة فى ذكر الصفات؛ لأنها موقوفة عليهما، وأيضًا ما ذكره علماء أهل السنة والجماعة للرد على المبطلة والمعطلة والمشبهة وغيرهم من أهل البدع والفلسفة.

قال عبد العزيز محمد السلمان فى معنى أشرنا إليه، وهو اشتراك الذاتية والفعلية فى حد الذاتية قال: القول فى الصفات كالقول فى الذات، فكما أن لله ذاتًا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فالصفات فرع الذات يحذو حذوها، والقول فى بعض الصفات كالقول فى البعض. ا. هـ. (الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص ٦٩).

وقال الطحاوى فى الصفات الفعلية المقدرة بالمشيئة: وكما أنه مُحيى الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم. ا. هـ. =

أزلية من غير خلاف، لم يكن فى هذا اللفظ [٧٥] جدلاً.

وأما فى الصفات الفعلية، فلا يجوز أن يقال: خالق بخلقه، وقد بيّنا ما فيه اختلاف أصحاب الأهواء.

واختلف مشايخ سمرقند احترازًا عن هذا أيضًا، عالم وله علم، هو موصوف فى الأزل، وقادر وله قدرة هو موصوف فى الأزل، ومتكلم وله كلام هو موصوف فى الأزل. قالوا: لأن الباء توهم الآلة، كما يقال: قاطع بالسكين، وضارب بالسيف، وآخذ باليد، والله أعلم.

* * *

=وقال الأذرعى: يعنى أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه مُحيى الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، إلزامًا للمعتزلة ومن قال بقولهم، وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل ما يشاء. أ.هـ. (شرح أصول العقيدة الإسلامية ص ٤٠).

٨ - باب صفات الذات والأفعال ذاتية أبدية

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالأَفْعَالِ طُـرًّا[١] قَدِيمَاتٌ مَصُونَـاتُ الـزَّوَالِ

واعلم أنّ صفات الله تعالى وصفات أفعاله قديمات مصونات، أى محفوظات من الزوَّال ليس شىء من صفاته محدثًا، وهو ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا[٢].

والله بجميع صفاته وأفعاله غير مخلوق، والعبد بجميع صفاته مخلوق، ولأنّ العبد بجميع أفعاله لم يكن بل الله خالقها، فمن أنكرها كفر بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ [الصافات: ٩٦].

* * *

الأول: فصل فى خلق الله العباد للطاعة لا للهو واستماع الملاهى

ولأن العباد أعراض وأجسام خلقهم الله للطاعة، وأمرهم بالعلم والشهادة [٧٦] وما خلقهم للهو واللعب ولا يأمرهم بالمعازف والطرب، وهم يحلون الملاهى.

قلنا: إن النبى ﷺ نهى عن استماع الملاهى، وقال النبى ﷺ: «كل لهو لهى به المؤمن باطل إلاّ ثلاث: رميك عن قوسك، وملاعبتك مع أهلك، وتأديبك فرسك»[٣].

---

(١) [طُرًّا]: بمعنى مجموعة أو كلها، أو ظاهرة بائنة.

(٢) قوله: «مازال بصفاته» إلى «عليها أبديًا» هى عبارة الإمام الطحاوى.

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد، باب فى الرمى (١٣/٣) حديث رقم (٢٥١٣) من طريق خالد بن زيد عن عقبة... به.

والترمذى فى كتاب «فضائل الجهاد» باب (ما جاء فى فضل الرمى فى سبيل الله) (١٤٩/٣) حديث رقم (١٦٣٧) من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين... به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

والنسائى فى كتاب «الخيل» باب (تأديب الرجل فرسه) (٥٣٢/٦) حديث رقم (٣٥٨٠) من طريق خالد، عن عقبة... به.

=

وقال ﷺ: «عَلمِّوا أولادكم السباحة والرماية والفروسية ومروهم بالاختفا بين الأغراض»(١).

=وابن ماجه فى كتاب «الجهاد» باب (الرمى فى سبيل الله) (٢/٩٤٠) حديث رقم (٢٨١١) من طريق عبد الله بن الأزرق، عن عقبة بن عامر... به. والدارمى فى كتاب «الجهاد» باب (فى فضل الرمى والأمر به) (٢/٢٦٩، ٢٧٠) حديث رقم (٢٤٠٥).

وأحمد فى مسنده (٤/١٤٦) من حديث عقبة وأورده الألبانى فى ضعيف السنن، وقال: ضعيف وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب.

أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/٢٦٩) وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه المنذر بن زياد الطائى وهو ضعيف.

وله شاهد آخر من طريق عطاء بن أبى رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عبيد الله الأنصارى يرتميان، فمد أحدهما فجلس فقال له الآخر: سمعت رسول الله ﷺ... فذكر الحديث بنحوه، إلا أنه زاد: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير والبزار، ورجال الطبرانى رجال الصحيح، خلا عبد الوهاب بن بخت، وهو ثقة.

ولأبى هريرة، رضى الله عنه، أيضًا فى الأوسط للطبرانى كما فى المجمع (٥/٢٦٩) بنحوه، وفى إسناده سويد بن عبد العزيز. قال أحمد: متروك.

قلت: والحديث بلفظ: «كل لهو»، لا ينزل عن درجة الحسن بشواهده وطرقه، وتضعيفه للحديث هو لفظ: «ارموا واركبوا...» الحديث، والله أعلم.

(١) لم أجده بهذا التمام.

وأورده العجلونى فى كشف الخفا والالتباس (٢/٨٨) حديث رقم (١٧٦٢) بلفظ: «علموا بنيكم السباحة والرمى، ولنعم لهو المرأة مغزلها، وإذا دعاك أبوك وأمك فأجب أمك». ا. هـ.

وقال: رواه ابن منده فى المعرفة. والديلمى عن بكر بن عبد الله الأنصارى مرفوعًا، وسنده ضعيف، لكن له شواهد:

فعند الديلمى عن جابر مرفوعًا: «علموا أبناءكم السباحة والرماية والمرأة الغزل». إلى غير ذلك ما بينه السخاوى فى القول التام فى فضل رمى السهام.

وأورده أيضًا السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص ٢٩٥). بعد أن عزاه إلى المصادر السابقة وقال: وعند البيهقى عن ابن عمر مرفوعًا: «علموا أبناءكم السباحة والرمى، والمرأة المغزل». إلى غيرهما مما بينته مع حكمه فى «القول التام فى فضل الرمى والسهام». ا. هـ.

وأورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة (ص ١٣٧)، وقال فى المقاصد: ضعيف، لكن له شواهد. ا. هـ. وأورده الألبانى فى ضعيف الجامع، وقال: عند ابن منده فى المعرفة، وأبو موسى فى الذيل، والديلمى فى الفردوس، عن بكر بن عبد الله الربيع الأنصارى. وقال: ضعيف.

وضعف أيضًا حديث ابن عمر برقم (٣٧٢٩).

وقال ﷺ: «استماع الملاهى معصية، والجلوس عندها فسق، والتلذذ بها كفر»[١].
ونهى النبى ﷺ عن: الدف، والرّقص، والاستماع، والمزامير، والطّبول، والبرانط، والقينات، والمعازف، وعن شرب الخمر، وعن اللعب كله، ومن حضور الباطل، وعن ذى وتر كالعود وغيره، وعن الاستماع، وعن الغناء والنوح، وعن شرى المغنيات، وعن أجورهن وكسبهن، وكل شىء من القمار فهو ميسر حتى لعب الصبيان بالخذف والكعاب، والشطرنج[٢] وعن

---

(١) قلت: لم أجده.

(٢) ذكر الشوكانى فى نيل الأوطار الجزء (٢٢/١٠) أبواب السيف والرمى، باب ما جاء فى آلة اللهو. طبعة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

قال الشوكانى: واختلف فى الشطرنج. قال النووى: مذهبنا أنه مكروه وليس بحرام، وهو مروى عن جماعة من التابعين.

وقال مالك وأحمد: هو حرام، قال مالك: هو شر من النرد وألهى.

وروى ابن كثير فى إرشاده: أن أول ظهور الشطرنج فى زمن الصحابة، وضعه رجل هندى يقال له: صصه.

قال: وروى البيهقى فى حديث جعفر بن محمد، عن أبيه: أن عليًّا قال فى الشطرنج: هو من الميسر.

وقال ابن كثير: وهو منقطع جيد، وروى عن ابن عباس، وابن عمر، وأبى موسى الأشعرى، وأبى سعيد، وعائشة، أنهم كرهوا ذلك. وروى عن ابن عمر أنه شر من النرد.

كما قال مالك: وحكى فى ضوء النهار عن ابن عباس وأبى هريرة وابن سيرين وهشام بن عروة وابن الزبير وسعيد بن المسيب وابن جبير: أنهم أباحوه.

وقد روى فى تحريمه أحاديث: أخرج الديلمى من حديث واثلة مرفوعًا: «إن لله فى كل يوم ثلاث مائة نظرة، ولا ينظر فيها إلى صاحب الشاة». وفى لفظ: «يرحم بها عباده ليس لأهل الشاة فيها نصيب»، يعنى الشطرنج.

وأخرج من حديث ابن عباس يرفعه: «إن أصحاب الشاة فى النار الذين يقولون: قتلت والله شاهك».

وأخرج الديلمى أيضًا عن أنس يرفعه: «ملعون من لعب بالشطرنج».

وأخرج ابن حزم وعبدان: «ملعون من لعب بالشطرنج والناظر إليهم كالآكل لحم الخنزير» من حديث جميع بن مسلم.

وأخرج الديلمى عن على مرفوعًا: «يأتى على الناس زمان يلعبون بها ولا يلعب بها إلا كل جبار والجبار فى النار». وأخرج ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم، عن على كرم الله وجهه قال: «النرد=

الأنصاب[١]، وكل ذلك سحت؛ لقوله تعالى: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان**﴾ [المائدة: ٩٠]، إلا أن الشافعى قال: لا بأس باللعب بالشطرنج والسماع [٧٧] وصورة السماع اجتماع القوم فى مسجد أو فى بيت أو فى موضع آخر، ولا يكون فيهم أمرد، ولا امرأة، ولا رقص، ولا ركض الأرض، ولا المعازف، ولا يزعقون، ولا يلعبون، ولا يمتطون، إلا أنهم يكون ويصلون على النبى ﷺ، ويهللون ويسبحون، ويعظهم علماؤهم، ويقرأ الأشعار قوالهم.

وعن عبد الرحمن وعمرو، عن عرباض قالوا: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب[٢]، ولم يقل صرخنا، ولا زعقنا، ولا طرقنا

=والشطرنج من الميسر».

وأخرجه عنه عبد بن حميد أنه قال: الشطرنج ميسر العجم.

وأخرجه عنه ابن عساكر أنه قال: لا يُسَلّم على أصحاب النرد شير والشطرنج.

قال ابن كثير: والأحاديث المروية فيه لا يصح منها شىء. ويؤيد هذا ما تقدم من أن ظهوره كان فى أيام الصحابة.

وأحسن ما روى فيه ما تقدم عن على، رضى الله عنه، وإذا كان بحيث لا يخلو أحد اللاعبين من غنم أو غرم فهو القمار وعليه يحمل ما قاله على أنه من الميسر. والمجوزون له قالوا: إن فيه فائدة، وهى معرفة تدبير الحروب، ومعرفة المكائد، فأشبه بالسبق والرمى.

قالوا: وإذا كان على عوض فهو كمال الرهان. وقد تقدم حكمه ولا نزاع أنه نوع من اللهو نهى الله عنه.

ولا ريب أنه يلزمه إيغار الصدور، وتنشأ عنه العداوات وتنشأ منه المخاصمات، فطالب النجاة لنفسه لا يشتغل بما هذا شأنه، وأقل أحواله أن يكون من المشتبهات، والمؤمنون وقافون عند الشبهات.

(١) قلت: ليس هذا بحديث بهذا اللفظ، ولعل المؤلف لم يقصد به نصًا، إنما قصد به معنى أن النبى ﷺ نهى عن كذا وكذا، ولم يقصد أنه حديث بهذه الصورة، والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب السنة، باب فى لزوم السنة (٤/٢٠٠) حديث رقم (٤٦٠٧).

والترمذى فى كتاب العلم باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/٤٣) حديث رقم (٢٦٧٦).

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه فى المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/١٦) حديث رقم (٤٣). =

على رءوسنا، ولا ضربنا على صدورنا، ولا زعقنا، ولا رقصنا، كما يفعل الجهال عند الموعظة بغير خوف، ويزعقون ويتغاشون، وهذا كله من الشيطان يلعب بهم، وكله بدعة وضلالة؛ لأن النبى ﷺ أرق الناس، وأصحابه أرق الناس قلوبًا، وخير النّاس من جاء بعدهم ما صرخوا عند موعظته، ولا زعقوا، ولا رقصوا. ولو كان صحيحًا لكانوا يفعلوه بين يدى رسول الله ﷺ، ولكنه بدعة وباطل، ومنكر، فاعلموا ذلك، وتمسكوا بسنته، وسنن أصحابه، ومن يفعل بسنته، وسنة خلفائه الراشدين من [٧٨] بعده فهو بدعة وضلالة، ومردود على قائله وفاعله، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله إلاّ بالعلم، كيف يكون المرء متّقى ما يدرى ما يتّقى إلاّ بالعلم؟ فيتعلم العلم، ويسمع، ويجتهد فى حفظ ما علم وسمع حتى يكون زاهدًا وتقيًا.

وأما ضرب الدف(١) ليس له فلوس قيل: يجوز، وقيل: لايجوز، وأما عند أصحابنا:

=والدارمى فى المقدمة باب اتباع السنة (٥٧/١) حديث رقم (٩٥).

وأحمد فى مسنده (١٢٦/٤ - ١٢٧).

والحاكم فى مستدركه (٩٦/١ - ٩٧)، جميعًا من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمى عن العرباض بن سارية... به. وإسناده صحيح.

وقال الذهبى فى التلخيص: صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة.

(١) قال الإمام الشوكانى رحمه الله: وقد اختلف فى الغناء مع آلة من آلات الملاهى وبدونها، فذهب الجمهور إلى التحريم مستدلين بما سلف، أى أحاديث ما جاء فى آلة اللهو، وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة من الصوفية إلى الترخيص فى السماع، ولو مع العود واليراع.

وقد حكى الأستاذ منصور البغدادى الشافعى فى مؤلفه فى السماع: أن عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء بأسًا، ويصوغ الألحان لجواريه، ويسمعها منهن على أوتاره، وكان ذلك فى زمن أمير المؤمنين على، رضى الله عنه.

وحكى الأستاذ المذكور مثل ذلك أيضًا عن شريح القاضى وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبى رباح والزهرى والشعبى.

وقال إمام الحرمين فى «النهاية» وابن أبى الدم: نقل الأثبات من المؤرخين أنّ عبد الله بن الزبير كان له جوار عوادات، وأن ابن عمر دخل عليه وإلى جنبه عود، فقال: ما هذا يا صاحب رسول الله؟ فناوله إياه فتأمله ابن عمر، فقال: هذا ميزان شامى، وقال ابن الزبير: يوزن به العقول.

وروى الحافظ أبو محمد بن حزم فى رسالته فى السماع بسنده إلى ابن سيرين: أن رجلاً قدم=

.. ..

=المدينة بجوار، فنزل على عبد الله بن عمر، وفيهن جارية تضرب، فجاء رجل فساومه فلم يهو منهن شيئًا، قال: انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعًا من هذا؟ قال: من هو؟ قال: عبد الله بن جعفر، فعرضنا عليه فأمر جارية منهن فقال لها: خذى العود، فأخذته فغنت، فبايعه، ثم جاء إلى ابن عمر، إلى آخر القصة.

وروى صاحب العقد العلاّمة الأديب أبو عمر الأندلسى: أن عبد الله بن عمر دخل على ابن جعفر، فوجد عنده جارية فى حجرها عود، ثم قال لابن عمر: هل ترى بذلك بأسًا؟ قال: لا بأس بهذا.

وحكى الماوردى عن معاوية وعمرو بن العاص أنهما سمعا العود عند ابن جعفر. وروى أبو الفرج الأصبهانى: أن حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الغناء بالمزهر بشعر من شعره. وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك، والمزهر عند أهل اللغة: العود.

وذكر الأدفوى: أن عمر بن عبد العزيز كان يسمع من جواريه من قبل الخلافة. ونقل ابن السمعانى الترخيص عن طاووس. ونقله ابن قتيبة وصاحب الامتناع عن قاضى المدينة سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الزهرى من التابعين ونقله أبو يعلى الخليلى فى الإرشاد عن عبد العزيز ابن سلمة الماجشون مفتى المدينة.

وحكى الرويانى عن القفال أن مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف. وحكى الأستاذ أبو منصور والفورالى عن مالك جواز العود.

وذكر أبو طالب المكى فى قوت القلوب، عن شعبة: أنه سمع طنبورًا فى بيت المنهال بن عمرو المحدث المشهور.

وحكى أبو الفضل بن طاهر فى مؤلفه فى السماع: أنه لا خلاف بين أهل المدينة فى إباحة العود.

وقال ابن النحوى فى العمدة: قال ابن طاهر: هو إجماع أهل المدينة. قال ابن طاهر: وإليه ذهبت الظاهرية قاطبة.

قال الأدفوى: لم يختلف النقلة فى نسبة الضرب إلى إبراهيم بن سعيد المتقدم الذكر، وهو ممن أخرج له الجماعة كلهم.

وحكى الماوردى إباحة العود عن بعض الشافعية، وحكاه أبو الفضل بن طاهر عن أبى إسحاق الشيرازى. وحكاه الإسنوى فى المهمات عن الرويانى والماوردى.

ورواه ابن النحوى عن الأستاذ أبى منصور. وحكاه ابن الملقن فى العمدة عن ابن طاهر، وحكاه الأدفوى عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام. وحكاه صاحب الإمتاع عن أبى بكر بن العربى، وجزم بالإباحة الأدفوى، هؤلاء جميعًا قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة. =

.. ..

=وأما مجرد الغناء من غير آلة، فقال الأدفوى في الإمتاع: إن الغزالى فى بعض مصنفاته الفقهية نقل الاتفاق على حله. ونقل ابن طاهر إجماع الصحابة والتابعين عليه. ونقل التاج والفزارى وابن قتيبة إجماع أهل الحرمين عليه. ونقل ابن طاهر وابن قتيبة أيضًا إجماع أهل المدينة عليه.

وقال الماوردى: لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه فى أفضل أيام السنة المأمور فيه بالعبادة والذكر.

وقال ابن النحوى فى العمدة: وقد روى الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمر، كما رواه ابن عبد البر وغيره، وعثمان، كما نقل الماوردى وصاحب البيان والرافعى، وعبد الرحمن بن عوف، كما رواه ابن أبى شيبة وأبو عبيدة بن الجراح، كما أخرجه البيهقى وبلال وعبد الله بن الأرقم وأسامة بن زيد.

كما أخرجه ابن طاهر، والبراء بن مالك، كما أخرجه أبو نعيم، وعبد الله بن جعفر، كما رواه ابن عبد البر، وعبد الله بن الزبير، كما نقله أبو طالب المكى، وحسان، كما رواه أبو الفرج الأصبهانى، وعبد الله بن عمر، كما رواه الزبير بن بكار، وقرظة بن بكار.

كما رواه ابن قتيبة، وخوات بن جبير، ورباح المعترف. كما أخرجه صاحب الأغانى، والمغيرة ابن شعبة. كما حكاه أبو طالب المكى، وعمرو بن العاص، كما حكاه الماوردى، وعائشة والربيع، كما فى صحيح البخارى وغيره.

وأما التابعون، فسعيد بن المسيب، وسالم بن عمر، وابن حسان، وخارجة بن زيد، وشريح القاضى، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبى، وعبد الله بن أبى عتيق، وعطاء بن أبى رباح، ومحمد ابن شهاب الزهرى، وعمر بن عبد العزيز، وسعد بن إبراهيم الزهرى. وأما تابعوهم، فخلق لا يحصون، منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجمهور الشافعية. انتهى كلام ابن النحوى.

واختلف هؤلاء المجوزون، فمنهم من قال بكراهيته، ومنهم من قال باستحبابه، وقالوا: لكونه يرق القلب ويهيج الأحزان والشوق إلى الله.

قال المجوزون: إنه ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله من القياس والاستدلال ما يقتضى تحريم بمجرد سماع الأصوات الطيبة الموزونة مع آلة من الآلات. وأما المانعون من ذلك، فاستدلوا بأدلة، منها حديث أبى مالك، أو أبى عامر المذكور فى أول الباب.

وأجاب المجوزون بأجوبة:

الأول: ما قاله ابن حزم، وقد تقدم وتقدم جوابه.

والثانى: أن فى إسناده صدقة بن خالد، وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين أنه ليس بشىء. وروى المزى عن أحمد: أنه ليس بمستقيم، ويجاب عنه بأنه من رجال الصحيح.

الثالث: أن الحديث مضطرب سندًا ومتنًا، أما الإسناد فلتردد من الراوى فى اسم الصحابى =

.. ..

=كما تقدم. وأما متنًا، فلأن فى بعض الألفاظ يستحلون، وفى بعضها يرونه، وعند أحمد وابن أبى شيبة بلفظ: «ليشربن أناس من أمتى الخمر»، وفى رواية: «الحر»، بمهملتين، وفى أخرى بمعجمتين كما سلف.

ويجاب عن دعوى الاضطراب فى السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبى شيبة من حديث أبى مالك بغير شك. ورواه أبو داود من حديث أبى عامر وأبى مالك، وهى رواية ابن داسة عن أبى داود، ورواية ابن حبان أنه سمع أبا عامر وأبا مالك الأشعريين فتبين من ذلك أنه من روايتهما جميعًا.

وأما الاضطراب فى المتن، فيجاب بأن مثل ذلك غير قادح فى الاستدلال؛ لأن الراوى قد يترك بعض ألفاظ الحديث تارة ويذكرها أخرى.

والرابع: أن لفظة: «المعازف» التى هى محل الاستدلال ليست عند أبى داود، ويجاب بأنه قد ذكرها غيره، وثبتت فى الصحيح والزيادة من العدل مقبولة.

وأجاب المجوزون أيضًا على الحديث المذكور من حيث دلالته، فقالوا: لا نسلم دلالته على التحريم، وأسندوا هذا المنع بوجوه:

أحدها: أن لفظة: «يستحلون»، ليست نصًا فى التحريم، فقد ذكر أبو بكر بن العربى لذلك معنيين، أحدهما: أن المعنى يعتقدون أن ذلك حلال. الثانى: أن يكون مجاز عن الاسترسال فى استعمال تلك الأمور. ويجاب بأن الوعيد على الاعتقاد ويشعر بتحريم الملابسة لفحوى الخطاب. وأما دعوى التجوز، فالأصل الحقيقة ولا ملجأ إلى الخروج عنها.

وثانيهما: أن المعازف مختلف فى مدلولها كما سبق. وإذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة ولغير الآلة، فلم ينتهض للاستدلال؛ لأنه إما أن يكون مشتركًا والراجح التوقف فيه، أو حقيقة أو مجازًا، ولا يتعين المعنى الحقيقى. ويجاب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم، والظاهر الحقيقة فى الكل من المعانى المنصوص عليها من أهل اللغة، وليس من قبيل المشترك؛ لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة، بل وضع للجميع، على أن الراجح جواز استعمال المشترك فى جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر فى الأصول.

وثالثهما: أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هى المقترنة بشرب الخمر، كما ثبت فى رواية بلفظ: «ليشربن أناس من أمتى الخمر تروح عليهم القينات وتغدوا عليهم المعازف». ويجاب بأن الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط، وإلا لزم أن الزنا المصرح به فى الحديث لا يحرم إلا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالإجماع للزوم مثله.

وأيضًا يلزم فى مثل قوله تعالى: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين﴾،=

.. ..

=أنه لا يحرم عدم الإيمان بالله إلا عند عدم الحض على طعام المسكين. فإن قيل: تحريم مثل هذه الأمور المذكورة فى الإلزام قد علم من دليل آخر، فيجاب بأن تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضًا كما سلف على أنه لا ملجأ إلى ذلك حتى يصار إليه.

ورابعهما: أن يكون المراد يستحلون بمجموع الأمور المذكورة، فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد، وقد تقرر أن النهى عن الأمور المتعددة أو الوعيد على مجموعه لا يدل على تحريم كل فرد منها، ويجاب عنه بما تقدم فى الذى قبله.

واستدلوا ثانيًا بالأحاديث المذكورة فى الباب التى أوردها المصنف، رحمه الله تعالى، وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام فى أسانيدها. ويجاب بأنها تنهض بمجموعها ولاسيما وقد حسن بعضها، فأقل أحوالها أن تكون من قسم الحسن لغيره، ولاسيما أحاديث النهى عن بيع القينات المغنيات، فإنها ثابتة من طرق كثيرة، منها ما تقدم ومنها غيره، وقد استوفيت ذلك فى رسالة، وكذلك حديث «أن الغناء ينبت النفاق»، فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر، منه عن ابن عباس عند ابن صصرى فى أماليه، ومنه عن جابر عند البيهقى، ومنه عن أنس عند الديلمى، وفى الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسى، وابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقى بلفظ: «صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة، مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة».

وأخرج ابن سعد فى السنن عن جابر: أنه ﷺ قال: «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيب، ورنة شيطان». وأخرج الديلمى، عن أبى أميمة مرفوعًا: «إن الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الغناء».

والأحاديث فى هذا كثيرة قد صنف فى جميعها جماعة من العلماء، كابن حزم، وابن طاهر، وابن أبى الدنيا، وابن حمدان الأربيلى، والذهبى وغيرهم.

وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضعفها جماعة من الظاهرية، والمالكية، والحنابلة، والشافعية، وقد تقدم ما قاله ابن حزم، ووافقه على ذلك أبو بكر بن العربى فى كتابه الإحكام، وقال: لم يصح فى التحريم شىء، وكذلك قال الغزالى وابن النحوى فى العمدة، وهكذا قال ابن طاهر: إنه لم يصح منها حرف واحد، والمراد ما هو مرفوع منها، وإلا فحديث ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾، وقد تقدم أنه صحيح.

وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم، وقال: إنهم لو أسندوا حديثًا واحدًا فهو إلى غير رسول الله ﷺ، ولا حجة فى أحد دونه كما روى عن ابن عباس وابن مسعود فى تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس...﴾ الآية، أنهما فسرا اللهو بالغناء.

قال: ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾، وهذه صفة من فعلها=

حرام ضرب الدّف وإن لم يكن له فلوس، وكذلك الشطرنج حرام لقوله ﷺ «من لعب

=كان كافرًا، ولو أن شخصًا اشترى مصحفًا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوًا لكان كافرًا، فهذا هو الذى ذمه الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به عن نفسه لا ليضل به عن سبيل الله.

قال الفاكهانى: لم أعلم فى كتاب الله ولا فى السنة حديثًا صحيحًا صريحًا فى تحريم الملاهى إنما هى ظواهر وعمومات يستأنس بها لا أدلة قطعية، وقد استدل ابن رشد بقوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾، وأى دليل فى ذلك على تحريم الملاهى والغناء وللمفسرين فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها نزلت فى قوم من اليهود أسلموا، فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم.

والثانى: أن اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا من نعت النبى ﷺ أعرضوا عنه وذكروا الحق.

الثالث: أنهم المسلمون إذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا إليه.

الرابع: أنهم ناس من أهل الكتاب لم يكونوا يهودًا ولا نصارى، وكانوا على دين الله، كانوا ينتظرون بعث محمد ﷺ، فلما سمعوا أنه بمكة أتوه، فعرض عليهم القرآن فأسلموا، وكان الكفار من قريش يقولون لهم: أف لكم اتبعتم غلامًا كره قومه وهم أعلم به منكم. وهذا الأخير قاله ابن العربى فى أحكامه.

وليت شعرى كيف الدليل من الآية.

وساق كلامًا كثيرًا غير ذلك، وقال: معلقًا. وإذا تقرر جميع ما حرزناه من حجج الفريقين، فلا يخفى على الناظر أن محل النزاع إذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه، والمؤمنون واقفون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح. الحديث: «ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

ولاسيما إذا كان مشتملاً على ذكر القدود والخدود والجمال والدلال، والهجر والوصال، ومعاقرة العقار وخلع العذار الوقار، فإن سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية، وإن كان من التصلب فى ذات الله على حد يقصر عنه الوصف، وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطلول، وأسير بهموم غرامه وهيامه مكبول، نسأل الله السداد والثبات.

ومن أراد الاستيفاء للبحث فى هذه المسألة فعليه بالرسالة التى سميتها: إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع. انتهى كلام الشوكانى. انظر: نيل الأوطار (٩/٢٧ - ٣٢) طبعة طه عبد الرءوف سعد بالقاهرة. بتصرف.

بالنرد فقد عصى الله ورسوله»[١]. وقال ﷺ : «ملعون من لعب بالشطرنج والناظر إليه كآكل لحم الخنزير»[٢].

* * *

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير (١٧٧٠/١٠/٤) من طريق علقمة ابن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه، أن النبى ﷺ قال: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه». ا. هـ.
وقال النووى: قال العلماء: النردشير هو النرد، فالنرد: عجمى معرب، وشير: معناه حلو. أ.هـ.
وأخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب فى النهى عن اللعب بالنرد (٢٤٥/٤)، حديث رقم (٤٧٧٠)، كذا فى مختصر أبى داود للمنذرى بلفظ المصنف.
وأيضًا أخرجه ابن ماجه فى كتاب الأدب باب اللعب بالنرد (١٢٣٧/٢، ١٢٣٨)، حديث رقم (٣٧٦٢). وأخرجه مالك فى الموطأ (٦/٢/ ص ٩٥٨). والحاكم (٥٠/١)، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبى. وأحمد فى مسنده (٣٩٤/٤). جميعًا من طريق سعيد بن أبى هند، عن أبى موسى... به.
(٢) أورده العجلونى فى «كشف الخفا» (٣٦٣/٢).
وقال النووى: لا يصح، قال فى المقاصد: وهو كذلك، بل لم يثبت من المرفوع فى هذا الباب شىء كما بينته فى عمدة المحتاج، وقال القارى: قلت: قد ورد: «ملعون من لعب بالشطرنج، والناظر إليها كآكل لحم الخنزير». رواه السيوطى فى الجامع الصغير مرسلاً، وغايته أن سنده ضعيف يتقوى بأحاديث وردت فى ذم الشطرنج. ا.هـ. قلت: ولقد وردت عدة أحاديث عن تحريم اللعب بالشطرنج لم يصح منها حديث. كذا قاله المنذرى فى الترغيب (٤٩/٤). وقال: ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لا أعلم لشىء منها إسنادًا صحيحًا ولا حسنًا، والله أعلم.
وقال الزيلعى فى نصب الراية (١٨١/٦، ١٨٢) أحاديث الشطرنج: أخرج العقيلى فى ضعفائه، عن مطهر بن الهيثم، حدثنا شبل المصرى، عن عبد الرحمن بن معمر، عن أبى هريرة قال: مر رسول الله ﷺ بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: «ما هذه الكوبة؟ ألم أنه عنها؟! لعن الله من يلعب بها». انتهى. وأعله بمطهر بن الهيثم، وقال: لا يصح حديثه، وقال: وشبل وعبد الرحمن مجهولان. انتهى.
وذكره ابن حبان فى كتاب الضعفاء، وأعله بمطهر، وقال: إنه منكر الحديث، يروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات. انتهى.
ويرى ابن حجر الهيتمى: أنّ اللعب بالشطرنج كبيرة من الكبائر، وأوردها فى كتابه الزواجر تحت الكبيرة رقم (٤٤٥)، وجاء ببعض أقوال العلماء (جـ ٤٥٣/٢ - ٤٥٧).
قلت: والصحيح ما جاء عن النبى ﷺ فى الحل والتحريم.

٩ - باب فى أن الله شىء لا تحويه الجهات

نُسَمِّـى اللّهَ شَيْئًا لاَ كالأَشْيَـاء وَذَاتًا عَنْ جِهَـاتِ السِّتِّ خَـال

واعلم أنّ الله تعالى شىء، لأن الشىء اسم للموجود من غير تعرض بوصف العدم والحدوث، والله تعالى موجود فحق هذا الاسم؛ لأنه ليس كغيره من الأشياء؛ لأن ما سواه من الأشياء عالم مصنوع محدثة قابلة للفناء يشبه بعضها بعضًا، والله تعالى صانع العالم منزه عن ذلك، ولاتحويه الجهات الست، وهو منّزه عن الاختصاص [٧٩] بالجهات يعنى أنه ليس من جهة العليا[١] والسفلى ولا فى جهة الخلف والقدام واليمين

---

(١) قلت: بل ثبت عند أهل السنة والجماعة باستقراء الكتاب والسنة أن الله فى العلو، وهو معنى ما قالته المرأة حين سألها رسول الله ﷺ: «أين الله؟»، فقالت: فى السماء. وهذا سبق تخريجه.

قال عبد العزيز محمد السلمان: أما الجواب فى الجهة، فإن أريدها جهة علو تليق بجلاله وعظمته لا تحيط به وهى حق ثابتة لله تعالى، وإن أريد جهة علو تحيط به، فهى منتفية عنه، فإن الله عز وجل شأنه أعظم وأجل من أن يحيط به شىء من مخلوقاته. قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾.

وإن أُريدَ جهة سفل، فهى منتفية عنه أيضًا؛ لأن الله قد ثبت له العلو المطلق بذاته وصفاته. قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، .وقال تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ وقال تعالى: ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾. وقال: ﴿وهو العلى العظيم﴾.

وأما الأدلة من الكتاب والسنة على علو الله على خلقه: قال تعالى: ﴿ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ﴾، (بل رفعه إليه). ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ﴿ياهامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطّلع إلى إله موسى وإنّى لأظنه كاذبا﴾ ﴿أأمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير﴾ وقد تقدم ذكر أدلة الاستواء.

قلت: ثبت أن الله استوى على العرش فى سبع مواضع فى كتاب الله، كلها تدل على علو الله على خلقه ومن السنة: أخرج أبو داود فى كتاب الطب باب كيف الرقى؟ برقم (٣٨٩٢) من حديث أبى الدرداء بلفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذى فى السماء، تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ».

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٣٤٤، ٤/٢١٨) وحديث البخارى الذى أخرجه من =

.. ..

=حديث أبى سعيد الخدرى (٢٠٧/٥) والذى فيه لفظ «ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء...». الحديث وكذا أخرجه مسلم فى الزكاة (١٤٤).
وكذا أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٤/٣) وقوله: «والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه».
وقوله للجارية «أين الله؟ قالت: فى السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ قال: أعتقها فإنها مؤمنة». إلى غير ذلك من الأدلة.
انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٢٢٣،٢٢٤).
وله سبحانه العلو والفوقية بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة على عبارة فوقهم مستويًا على عرشه عاليًا على خلقه بائنًا منهم، والفطرة السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره. ولْنشِرْ إلى بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها وبالله التوفيق، فمن ذلك:
١ - أسماءه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معانى العلو تبارك وتعالى كاسمه الأعلى، والعلى، والمتعالى، والظاهر والقاهر. قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾. وقوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾.
٢ - ومنه التصريح بالاستواء على عرشه وقد ثبت ذلك فى سبع مواضع من كتاب الله كما ثبت بالسنة أيضًا.
٣ - ومنه التصريح بالفوقية لله تعالى . قال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾. [الأنعام: ١٨] وقال ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل ٥٠]. والأدلة من السنة كثيرة أيضًا.
٤ - ومنه التصريح بأنه تعالى فى السماء فى غير موضع من الكتاب والسنة.
٥ - ومنه التصريح ببعض الأشياء أنها عنده كقوله تعالى: ﴿إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ الأعراف (٢٠٦).
٦ - ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه قال تعالى: ﴿وما قتلوه يقينًا بل رفعه الله إليه﴾ [النساء ١٥٧، ١٥٨]. وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠].
وما فى الصحيحين: «واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».
٧ - ومنه صعود الأرواح المؤمنة إلى الله عز وجل.
٨ - ومنه عروج الملائكة والروح إليه.
٩ - ومنه التصريح بنزوله تبارك وتعالى ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة كما فى الصحيحين.
١٠ - ومنه تنزيل الملائكة ونزول الأمر من عنده وتنزيل الكتاب.
١١ - ومنه رفع الأيدى إليه والأبصار.
١٢ - ومنه ما قصه الله تعالى عن فرعون عليه لعنة الله فى تكذيبه موسى عليه السلام قال تعالى=

واليسار، وبنفى هذه الجهات لاينتفى وجود شىء وليس بقابل للجهات، والله تعالى منزّه عن الجهات والمكان، ولاينتفى بنفى الجهات، فهذه الجهات حادثة، وهو الذى خلقها وأحدثها فكان هو فى الأول، ولم يكن هذه الجهات الست فلو صار مختصًا بجهة بعد خلقه لكان بتخصيص قبله، وذلك باطل؛ لأن القديم لا اختصاص له ببعض الجهات دون البعض فمن وجد فى جهة بعينها فلا بد له من مخصّص فإنّ إثبات الجهات جمع متناقض، وتعيين جهة منها نفى مساواة غيرها إياها بدون تخصيص باطل.

والقول بتخصيص مخصص محال، وكذا لو كان فوق العالم أو بجهة منه لكان محاذيًا له، وكل محل جسم إما أن يكون مثله، أو أكبر منه، أو أصغر منه، وكل ذلك تقدير يحتاج إلى مقدر، تعالى الله عن ذلك.

وأما رفع الأيدى إلى السماء عند الدعاء، فإنها قبلة الدعاء[1]، كالتوجه إلى القبلة فى الصلاة، ووضع الجبهة على الأرض للسجدة، وإن لم يكن هو تعالى فى الكعبة معنا، ولاتحت الأرض.

وقد اختلفوا أربعة من أهل الأهواء: فالمشبهة [٨٠] والكرامية قالتا: العرش له مكان. وقالت المعتزلة والقدرية: إن الله تعالى فى كل مكان. واحتجتا بقوله تعالى: ﴿**وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله**﴾ [الزخرف: ٨٤].

قلنا: لا حجة لكم فى الآية، ولكن المراد منها ظهور آثار الألوهية فيهما، ونفوذ الألوهية فى السماء والأرض أى نفوذ أمره وحكمه فى أهل السماء والأرض، ليس المراد

=مخبرًا عن فرعون: ﴿فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحًا لعلى أطلع إلى إله موسى﴾ [القصص: ٣٨]. انظر معارج القبول بتصرف (١/٢١٢:١٤٧) فراجع ففيه ما يكفى لسد أفواه نفاة العلو، والله تعالى أعلم.

(١) قال شارح الطحاوية على بن أبى العز: وأجيب عن هذا الاعتراض من وجوه: أحدها: أن قولكم: إن السماء قبلة الدعاء: لم يقله أحد من سلف الأمة، ولاأنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.
الثانى: أن قبلة الدعاء هى قبلة الصلاة وكان النبى ﷺ يستقبل القبلة فى دعائه.
وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسدها من نقض، فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذ هو تحته. هذا لا يخطر فى قلب ساجد. انتهى. شرح أصول العقيدة الإسلامية لعلى بن أبى العز الأذرعى (ص ١١٩).

كالذى فهمتم من الضلالة، فقولكم أقبح من قول المشبهة والكرامية؛ لأنّ قولكم يـؤدى إلى أنّ الله تعالى فى أجواف السّباع والهوام والحشرات، تعالى اللـه تبـارك وتقـدس عـن ذلك علوًا كبيرًا[١].

* * *

(١) وخلاصة القول فى هذا الفصل الخاص بالجهة هو كما قال الأذرعى: وأما لفظ «الجهة» فقد يـراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلاَّ الخالق والمخلوق، فإذا أريد به الجهة أمر موجود غير الله تعالى الله عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر غير اللـه تعـالى كـان مخلوقًا، والله تعالى لا يحصره شىء ولا يحيط به شىء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك.

وإن أريد بالجهة أمر عدمى، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحـده، فـإذا قيـل: إنـه فـى جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه أنـه فـوق العـالم، حيـث انتهـت المخلوقـات فهـو فـوق الجميع، عال عليهم.

ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفى العلو يذكرون مـن أدلتهـم أن الجهـات كلهـا مخلوقـة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: إنه فى جهة يلزمه القول بقدم شىء من العـالم، وأنـه كـان مستغنيًا عن الجهة ثم صار فيها، وهذه الألفاظ ونحوهـا إنمـا تـدل علـى أنـه ليـس فـى شـىء مـن المخلوقات سواء سمى جهة أو لم يسم، وهذا حق ولكن الجهــة ليسـت أمـرًا وجوديًـا، بـل أمـر اعتبارى، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها وما لا يوجد فيها لا نهاية له فليس به وجود.

انظر: (شرح أصول العقيدة الإسلامية) (٨٣).

١٠ - باب في التسمية والاسم والمسمى والصفة والموصوف

وَلَيْسَ الاْسْـمُ غَيْـرَ اَلْمُسَمَّـى   لَدَى أَهْلِ الْبَصِيـرَةِ خَيْـرِ آلِ

اعلم أن هاهنا ألفاظ ثلاثة: التسمية، والاسم، والمسمى، ثم التسمية غير المسمى بلا خلاف بين الأئمة، وأما الاسم والمسمى هل هما واحد أم لا؟ قال أصحابنا أهل السنة والجماعة: هما واحد[(١)]، وما يقال إن لله أسماء والمراد المسميات أسماء الله تعالى. تؤخذ توقيفًا[(*)]، ولا يجوز أخذها قياسًا.

وقال أصحاب الحديث والمتأخرين من أصحابنا: الاسم والصّفة[(**)] واحد، ثم الصّفة

---

(١) نفى ابن حزم الظاهرى وغيره من علماء أهل السنة والجماعة كون الاسم والمسمى واحدًا والمؤلف نفسه وهو ممن ينسب نفسه لأهل السنة والجماعة نفى كون الاسم والمسمى واحدًا والصفة، ونسبه إلى أصحاب الحديث وأصحابنا على حد قوله وهم أيضًا من أهل السنة والجماعة وسيأتى بيانه بعد جمل قليلة.

إلا أن الإمام أحمد بن حنبل وأبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم، وأبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلى الراويين رحمهم الله نسب إليهم أنهم قالوا: إن الاسم هو المسمى.

قال ابن حزم: هؤلاء من الله عليهم وكانوا من أهل السنة من أئمتنا فليسوا معصومين من الخطأ ولا أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم فى كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله أراهم اختيار هذا القول، قولهم الصحيح: إن القرآن هو المسموع من القرآن المخلوط فى المصاحف نفسه، وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى. ا. هـ. الفصل (٥/٢٣، ٢٤).

(*) أسماء الله تعالى تؤخذ توقيفًا، معناه أنه لا يتجاوز بها الوارد فى الكتاب والسنة، فهى تتلقى عن طريق السمع لا بالآراء، فلا يوصف سبحانه إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا يسمى سبحانه إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، والله أعلم.

(**) اعلم أنّ كل أسماء الله دالة على معانيها وكلها أوصاف مدح، والوصفية فيها لا تنافى العلمية بخلاف أوصاف العباد، وهى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف لدلالتها على مسمى واحد وبالنظر إلى الصفات فهى من قبيل المتباين؛ لأن كل صفة غير الأخرى، والقول فى الصفات كالقول فى الذات، فكما أن لله ذاتًا لا تشبهها الصفات، فالصفات فرع الذات يحذى حذوها والقول فى بعض الصفات كالقول فى البعض. أ.هـ.

(الأسئلة والأجوبة الأصولية. بتصرف).

عندهم تنقسم على ثلاثة أقسام:

[٨١] صفة هي غير الموصوف نحو صفة الوجود للموجود، وصفة لا هو ولا غيره[(١)] كصفة الله تعالى، وصفة هي غير الذات كصفاتنا[(٢)].

وكذلك الاسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم هو المسمى كقولنا موجود ومعبود والله ووحيد، واسم الصّفة لا هو ولا غيره كالعالم والقادر، واسم للتسمية وهو ذكر الاسم، ولفظ الاسم فهو غير المسمى بلا خلاف بين الأئمة[(٣)].

ثم حد الاسم عند أصحابنا المتقدمين: لابد أن التسمية علمه الاسم، والموجود، والشيء والذات والمسمى كله واحد.

قولنا: ذات أزلي، واسم أزلي واحد، وعند أصحاب الحديث والمتأخرين من أصحابنا: الاسم ما لم يستحق ذات التسمية لأجله.

وقالت المعتزلة: التسمية والاسم واحد.

وإنما تظهر فائدة الخلاف في موضعين: أحدهما: أن من قال بأن الاسم والمسمى واحد يرجع إلى مسألة التكوين أزلية، كذلك اسم التخليق أيضًا صفة أزلية.

وأما من قال بأنَّ الاسم والصفة واحد، فإن صفات الله تعالى أزلية، وكذلك الاسم؛ لأنه إنما تستحق هذه الاسم لأجله.

وأما عند الأشعرية: الصفة على نوعين، صفة الذّات، وصفة الفعل[(٤)]، فما [٨٢]

---

(١) ذكرنا من قبل معنى لا هو ولا غيره من كلام على بن أبي العز الأذرعي فراجع، والله أعلم.

(٢) كمن يسمى بخالد وهو فان، أو مالك وهو مفلس، أو أمين وهو خائن.

(٣) هذا القول صحيح. قال ابنُ حزم: الاسم على المسمى، فهو شيء ثالث غير الاسم وغير المسمى، فذات الخالق تعالى هي المسمى والتسمية هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف، وهي غير الحروف؛ لأن الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك - بكسر الراء - والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا أمر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات. ا. هـ. الفصل (٥/٢٢).

(٤) تقسيم الصفة الذى ذكره المؤلف عن الأشعرية هو نفس تقسيم أهل السنة صفة ذات، وصفة فعل إلا أن الخلاف هو أن صفات الفعل عند أهل السنة ذاتية أيضًا، ويصلح فيها تقدير إذا شاء، وليست محدثة كما عند الأشاعرة كما صرح به المؤلف عنهم تعالى الله عن ذلك.

وصفة الذات لا تنفك عن الله، وصفات الفعل وهى التى تتعلق بالمشيئة والقدرة، صفات ذاتية أيضًا لا تنفك عن الله، والله أعلم.

كان من صفات الذات فهو أزلى، كالعلم، والقدرة، والحياة، وغير ذلك، وما كان من صفات الفعل فهو حادث كالتخليق، والإنشاء، والإبداع، والاختراع، ونحو ذلك.

وقالت المعتزلة: الاسم والتسمية واحد؛ لأنهم يقولون: الصفة والوصف واحد، كما يقال: وزنًا وزنة، وعدًا وعدة، وكذلك وصفًا وصفة؛ لأن الصفة وصف الواصف، ووصف الواصف حادث.

فإن قالوا: كيف يجوز موجود الذات بدون الوصف والاسم؟ قلنا: يجوز أن يكون الذات ولا يكون اسم، كما فى الشاهد: أن الطفل يولد ولا يكون له اسم ولا صفة، كذلك هذا.

إلا أنا نقول: هذا فاسد؛ لأنكم لما قلتم أن الله تعالى عالم لذاته قادر لذاته، فقد قلتم بالعلم الذى هو صفة أزلية؛ لأن العالم بدون العلم لا يتحقق: كالأسود بدون السواد لا يتحقق.

قوله: يتصور وجود الذات بدون الاسم والوصف. قلنا: هذا فاسد إذا كان موجودًا لا يتصور بدون الوصف، والمعدوم لا يكون موصوفًا، ولكن عندنا يسمى، وأما الطفل قلنا: له صفة.

وقوله: إنما يسمى بالتسمية. قلنا: تسميتنا حقيقة أم مجاز؟ إن [٨٣] كان حقيقة يكون مسمى قبل التسمية، وإن كان مجازًا يكون كاذبًا فى التسمية، وما ليس مستحقًا باسم يكون مسمى بالتسمية، كما إذا سمى الحمار عالمًا بالتسمية.

وهذا الخلاف إنما بيّنا بيننا وبينهم لما ألزمناهم فى مسألة الصفات.

وتعلق المعتزلة بإطلاقات الشرع، وبإطلاق الناس(١). أما إطلاق الشرع، قوله تعالى:

---

(١) قوله: «إطلاقات الشرع، وبإطلاق الناس» معناه تعلق المعتزلة بالدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، وهى ألفاظ موضوعة بوضع الشارع لا بوضع أهل الشرع، فهى توقيفية سواء كانت حقيقية أو مجازية.

أما إطلاق الناس، فهى الألفاظ العرفية الموضوعة لمعنى جرى بين الناس جميعًا، سواء كانت حقيقية أو مجازية، وكذلك الألفاظ اللغوية الموضوعة لاستعمال اللفظ فى معناه اللغوى لا فى غيره، والله تعالى أعلم.

﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ [الأعراف: ١٨٠]. والاستدلال بهذه الآية من وجوه:

أحدها: أن الله تعالى سمى نفسه اسمًا، والأسماء من طريق التعدد، فلو كان الاسم والمسمى واحدًا لكان له اسم واحد؛ لأن المسمى متحد.

والثاني: أن الله تعالى أضاف الأسماء إلى نفسه، والأسماء إنما تضاف إلى غيره لا إلى عينه، فلو كان الاسم والمسمى واحدًا لما صحت إضافته الأسماء إلى نفسه، والدليل عليه أن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، فمن أحصاها دخل الجنة»(1).

والإحصاء إنما يكون للأسماء لا للذات، فلو كان واحدًا لم يكن له تسعة وتسعين اسمًا، والإحصاء عبارة عن العد، ولو كان واحدًا لما آل إلى العد؛ لأن المسمى واحد. ولما روي عن النبي ﷺ: «إن لي خمسة أسماء أبو القاسم، محمد، أحمد، العاقب، الحاشر»(2).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب (ما يجوز من الاشتراط والصفات في الإقرار) (٤١٧/٥) حديث رقم (٢٧٣٦). وفي كتاب التوحيد باب (إن لله مائة اسم إلا واحدا) (٣٨٩/١٣) حديث رقم (٧٣٩٢).
والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٨٣) (٤٩٦/٥) حديث رقم (٣٥٠٦).
وأحمد في مسنده (٢٥٨/٢، ٢٦٧)، جميعًا من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (٦٤١/٦) حديث رقم (٤٨٩٦). ومسلم في كتاب الفضائل باب في أسمائه ﷺ (١٢٤/٤ - ١٢٥/ ح ١٨٢٨).
والترمذي في كتاب الأدب (باب ماجاء في أسماء النبي ﷺ) (١٢٤/٥) حديث رقم (٢٨٤٠).
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ومالك في موطئه (١/٢/ص ١٠٠٤). والدارمي في كتاب الرقاق (باب في أسماء النبي ﷺ) (٤٠٩/٢) حديث رقم (٢٧٧٥). جميعًا من طريق ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم... به. بلفظ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».
واللفظ للبخاري.
قلت: والحديث عند أهل السنة وغيرهم ليس فيه لفظ أبو القاسم ولا أعلم من أين أتى به المؤلف عفا الله عنه، حيث أن هذا ليس باسم وإنما هو كنيته، وكما جاء في صحيح البخاري أنه قال: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي». الأدب (٥٨٧/١٠) ح (٦١٨٧). وفي الفتح (٥٨٨/١٠)
وقال النووي: اختلف في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب:
الأول: المنع مطلقًا سواء كان اسمه محمدًا أو لا، ثبت ذلك عند الشافعي.
الثاني: الجواز مطلقًا: ويختص النهي بحياته ﷺ.
=

فلو كان [٨٤] الاسم والمسمى واحدًا لوجب القول بتعدد المسمّى، ولأن الناس يقولون: إنه يعبد الله، إنما يعبد ذات الله تعالى لااسمه، حتى أنه لو عبد اسمه دون ذاته يكفر، ولأنه إذا قال السكر أو العسل لايجد حلاوة العسل أو السكر في فمه، ولو كان الأمر كما ذكرتم لوجب أن يجد ذلك، وكذلك لايحترق فمه بقوله: النار: ولأن الكلام على ثلاثة أضرب: اسم نحو زيد[1]، وفعل نحو ضرب يضرب، وحرف نحو عن ومن، فدل بهذا أن الاسم غير المسمى.

وأما أهل السنة والجماعة: أطلقوا بإطلاقات الشرع أيضًا، وبإطلاق الناس، منها قوله تعالى: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾ [مريم: ١٢] فالله تعالى خاطبه بهذا الاسم، والخطاب للذات، والمراد من الحديث التسمية دون الاسم، حملناه على ذلك عملاً بما تلونا، وقوله: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٧٨].وقوله:

=الثالث: لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره. قال الرافعي: يشبه أن يكون هذا هو الأصح؛ لأن الناس لم يزالوا يفعلونه في جميع الأمصار من غير إنكار. قال النووي: هذا مخالف لظاهر الحديث وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثاني وكأن مستندهم ما وقع في حديث أنس المشار إليه سابقًا: أنه ﷺ كان في السوق فسمع رجلاً يقول: يا أبا القاسم، فالتفت إليه فقال: لم أعنك، فقال: «سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي» فهموا من النبي ﷺ الاختصاص بحياته للسبب المذكور وقد زال بعده ﷺ . انتهى ملخصًا.

(١) قول المؤلف: «ولأن الكلام على ثلاثة أضرب.. إلخ» أراد به الاستدلال على أن الاسم غير المسمى.

قال ابن حزم: وأول سطر في كتاب سيبويه بعد البسملة: «هذا باب علم ما للكلم من العربية، فالتكلم: اسم وفعل وحرف جاء معنى ليس باسم ولافعل، فالاسم رجل وفرس، فهذا بيان جلي من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على أن الأسماء هي في بعض الكلام.

وأن الاسم هو كلمة من الكلم ولاخلاف بين أحد له حس سليم في أن المسمى ليس كلمة، ثم قال بعد أسطر يسيرة، والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الإعراب وحروف الإعراب والأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين، وهذا منه بيان لاإشكال فيه أن الأسماء غير الفاعلين وهي التي تضارعها الأفعال التي في أوائلها الزوائد الأربع.

وما قال قط: من يرمي بالحجارة إن الأفعال تضارع المسمين، ثم قال: والنصب في الأسماء رأيت زيدًا، والجر مررت بزيد، والرفع: هذا زيد، وليس في الأسماء جزم لتمكنها وإلحاق التنوين، وهذا كله في بيان أن الأسماء هي الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لاالمسمون بها ولو تتبع هذا في أبواب الجمع، وأبواب التصغير والنداء وغيرها. (الفصل ٥/٢١).

﴿فسبح بحمد ربك﴾ [الحجر:٩٨].

والتسبيح والتنزيه والتقديس إنما يكون لذات الله لا لاسمه، فقد وصف الاسم بذلك دل أن الاسم والمسمى واحد(١)، وقوله:﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥] والعبادة إنما تكون لذات الله تعالى، ولكن أضاف إلى الاسم دل أنهما واحد، [٨٥] ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها﴾ [النجم:٢٣] سمى الأصنام أسماء، إنما يعبدون ذوات الأصنام . لا أسمائها فدل على أنها واحد. والدليل عليه أيضًا قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر(٢)

وكذلك يقال: ظل محمد فى الدار، ورأيت زيدًا فى الدار، وكذا حل فى الدار لا اسمه، فدّل أنهما واحد.

وكذا ذكر سيبويه الأسماء ذات الأشياء، وأما الأفعال أحداث الأسماء بحيث بذوات الأشياء، فدّل بهذه الدلائل أن الاسم والمسمى واحد(٣).

---

(١) سبق أن بينا من كلام الأذرعى أن الاسم والمسمى واحد، قال رحمة الله عليه: وإذا قلت أعوذ بعزة الله فقد عذت بصفةمن صفات الله، ولم تعذ بغير الله، فليراجع ذلك جيدًا والله الموفق للصواب.

قلت: التسبيح والتنزيه والتقديس إنما يكون لذات الله الذى هو ذاته؛ لأن الوصفيه لاتنافى العلمية، فالاسم هو الذات والذات هو الاسم بخلاف أوصاف العباد وهى لاتغير عددية الذات بل هى من قبيل المترادف لدلالتها على مسمى واحد وهو الله وهى أيضًا من قبيل المتباين لأن كل صفه غير الأخرى وكلها صفات مدح؛ والله أعلم.

(٢) قول لبيد هذا غير واضح رسمه بالمخطوط ولكنه موجود فى الفصل: (١٩/٥). قال ابن حزم: ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبى ﷺ.

ورد ابن حزم ما ادعوه على لبيد فقال: فكان اسم السلام فى بيت لبيد هو غير معنى السلام، فالاسم غير المسمى وبين أن قول لبيد حجة عليهم لا لهم. الفصل (١٩/٥، ٢٠، ٢١).

(٣) قال ابن حزم: وأما قول سيبويه إن الأفعال أمثلة أحدث من لفظ أحداث الأسماء فلا حجة لهم فيه فيقين ندرى أنه أراد أصحاب الأسماء، برهان ذلك قوله فى غير موضع من كتابه أمثلة الأسماء فى الثلاثى والرباعى والخماسى والسداسى والسباعى وقطعه أن السداسى والسباعى من الأسماء مزيدان، ولابد وأن الثلاثى من الأسماء أصلى، ولابد وأن الرباعى والخماسى من الأسماء يكونان أصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين، وأن الثنائى من الأسماء منقوص «يد» و«دم» ولو تتبعنا قطعه على أن الأسماء هى الأبنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها=

فإن قالوا: ما ذكرتم ويراد به المسمى فى هذا دليل قطعى حتى ينقطع الشبهة، فلابد من بناء هذه المسألة على مسألتين مسألة التكوين، والصفات؛ لأنهما دليل قطعى.

* * *

=المسميات لبلغ أزيد من ثلاثمائة موضع أفلا يستحى من يدرى هذا من كلام سيبويه إطلاقًا لعلمه بأن مراده لايخفى على أحد. الفصل (٥/٢١).

١١ - باب فى أن التكوين صفة للخالق

وَغيْـرَ أنَ المكوّن لاَ كَشَــئٍ   مَعَ التّكْـوِينِ خُـذْهُ لاكتمـالِ

اعلـم أنّ التكويـن غيـر المكـون عنـد أهـل السـنة والجماعـة؛ والتكويـن، والتخليـق، والترزيق، والإيجاد، والإحداث، والإبداء، والاختراع، يرجع إلى معنى واحد، وهو إيجاد الشىء من العدم إلى الوجود.

والبارى هو المكون الأزلى، وأنه لم يزل خالقًا، والتكويـن [٨٦] أزلى صفـة الخـالق، وهى صفة أزلية قائمة كالحياة والعلم والقدرة(١).

والمكون محدث والمحدث صفة للخلق، وتَرَاخَى عن فعل التكوين، وأما الخلـق صفـة الله تعالى بالحقيقة(٢) غير المخلوق إذا أضيفت إلى الله، وكذلك الرزق كقوله: خلق الله رزق الله.

وأما إذا أضيفت إلى العبد يصير معناه مخلوقًا، ومرزوقًا على وجه المجاز كقوله: خلق

---

(١) قلت: صفة التكوين صفة ذاتية فعلية، أما العلم والحياة والقدرة فهى صفات ذاتية لازمة، والفـرق بينها وبين الصفات الذاتية الفعلية، أن الذاتية اللازمة لايصلح فيها تقدير إذا شاء.
ويصلح فى الثانية فصفة العلم مثلاً أو الحياة لايصلح أن يقال: هو حى أو عليم إذا شاء؛ لأنهما من صفات الذات اللازمة التى لاتنفك عنه سبحانه، ويصلح أن يقال فـى التكويـن أو الكـلام أو التخليق إذا شاء؛ لأنها فعلية إذا شاء كوَّن وإن لم يشأ لم يكوِّن مع التنبيه بأن هذه الصفات لهـا حد الذاتية تحذو حذوها فى أنها لازمة لاتنفك عنه سبحانه فعل أولم يفعل. وقد سبق سـرد هـذا فى غير هذا الموضع، والله تعالى أعلى وأعلم.

(٢) قلت: الأسماء والصفات توقيفية ولاتطلق إلا على الحقيقة التى تليق بالله سـبحانه وتعـالى الـذى ليس كمثله شيء، ومحال أن نطلق لله حقيقةً ولغيره مجازًا.
والخلق ليس صفة الله تعالى لاستحالة حدوث صفة من صفاته سبحانه كما سبق أن بينا بـل هـى آياته الكونية الدالة عليه، وإضافة الخلق أوالرزق إلى اللـه كإضافـة الناقـة والبيـت إضافـة تكريـم، والله سبحانه رب الخلق، فكيف يكون رب صفة من صفاته، تعالى الله عن ذلك، والخـالق اسـم من أسماء الله، وكل اسم له أركانه: الأول: الإيمان بالاسم، والثانى: مـا دل عليـه المعنـى أن لـه خلق، والثالث: ما تعلق به من آثار وهو أنه سبحانه يخلق ما يشاء.

العبد ورزق العبد. يريد به صورته مخلوق، وما رزق له مرزوق. وكذلك الفعل إذًا فعل الله تعالى، وهو صفة الله تعالى، وإذا قلت: فعل العبد يكون صفة للعبد ثم الكلام أربعة: أحدها: التكوين غير المكون، وهو أن القول بإيجاد التكوين كالقول بأن الضرب هو عين المضروب، والقتل هو عين المقتول، وهذا محال.

والثانى: صفة البارى، فإذا ثبت أنه غير المكون فيكون صفته؛ لأننا بيّنا أن العالم محدث، وأن لا يكون محدثًا إلاّ وأن يكون حدوثه وتكونه بأحداثه وتكوينه، لكان هو المحدث والمكون.

والثالث: صفة قائمة بذاته لا يخلو إما أن يكون قائمًا لا فى محل أو فى محل أو قائمًا بذاته.

لا وجه للأول؛ لأن قيام صفة لا فى محل محال، ولا وجه [٨٧] للثانى؛ لأنه لو كان قائمًا فى محل آخر لكان المكون الخالق ما قام به التكوين، قد وجب كون ذلك المحل موصوفًا به، وهذا محال، فإذا بطل القسمان تعين الثالث.

أما الرابع: إذا ثبت أنه صفته فيكون أزليًا؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون حادثًا أو أزليًا، إذ لا واسطة بين القديم والحادث، لا وجه لكونه حادثًا؛ لأنه لو حدث بأحداث للزم فى الثانى والثالث والرابع مثله، وهذا محال، لامتناع ثبوت نهاية له، ولأنه لو كان حادثًا لكان ذات البارى محلاً للحوادث، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فإذا امتنع حدوثه ثبت أنه أزلى.

ولا يقال: إن قدم التكوين يوجب قِدَم المكوّن؛ لأنّا نقول ما تعلق بكونه بالتكوين يكون حادثًا ضرورة، إذ المحدث هو الذى يتعلق حدوثه بغيره، فأما قديم فهو مستغن فى وجوده عن غيره، وإذا كان حادثًا كان محالاً أن يقتضى غيره قدمه.

فثبت أن التكوين صفة قائمة بذات البارى جَلّ وعلا، وهو مكون بتكوينه جميع المحدثات وقت حدوثها عند اختيار حدوثها، كالقدرة، فإن قدم قدرته لا يوجب قِدم مقدوراته، وكذلك العلم [٨٧] والإرادة.

وقد تخالفنا المعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والفلاسفة، وغيرهم من أهل الأهواء،

قالوا: التكوين[1] عين المكون، والإيجاد عين الموجود، والفعل عين المفعول، ومنهم من قال: التكوين محدث ويحدث به آخر، وذلك التكوين محتاج إلى تكوين آخر.

ومنهم من قال: التكوين غير المكون، ولكنه محدث لا فى محل احتراز عن قول فيما يؤدى إلى ما لا يتنافى.

ومنهم من قال: التكوين حادث سابقًا على المكون، كما يقول فى الاستطاعة قبل الفعل.

ومنهم من قال: إنه حادث مقارنًا للمكون، كما يقول فى الأعراض القائمة مع الأجسام.

وقالت الكرامية: حادث ولكنه قائم بذاته فإنهم يجوزون أن يكون ذات الله تعالى محلاً للحوادث، وقد ذكرنا الدّلالة على بطلان قولهم.

* * *

(١) التكوين: صفة من صفات الله الذاتية الفعلية التى ينطبق عليها حد الذاتية ويصلح فيها تقدير إذا شاء، فهى قديمة النوع حادثة الآحاد يكون ويخلق ما يشاء وقتما شاء، سبحانه وتعالى، والله أعلم.

١٢ - باب فى أن الله تعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض

وَمَا إنْ جَوْهَرٌ رَبِّى وَجِسْمٌ   وَلاَ كُلٌ وَبَعْضٌ ذُو اشْتِمَالِ

واعلم أنّ الله تعالى موجود ليس بجوهر محدود مقدّر، وهو خالق الجواهر، تعالى عن أن يحدّه المقدار، ويحدّه الأفكار، وفهم يقدّره، ووهم يصّوره، وجوهر متحيّز يشبهه؛ لأن الجوهر متحيّز [٨٨] ومحله الحوادث والبارى تعالى ليس بمتحيز ولا محله الحوادث(١).

---

(١) قول أهل الأهواء الذى ذكره المؤلف عنهم: أن الله هو عين الوجود أو التكوين عين المكون أو الفعل عين المفعول، أو أنّ ذات الله تعالى محل للحوادث، هو قول الحلولية والاتحادية. قال صاحب معارج القبول: الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم فى كل مكان بذاته، وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وهؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث، كأحمد بن حنبل وغيره.

ولهذا قال جهم بن صفوان لما ناظره السمينة فى ربه وحار فى ذلك: ﴿ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر﴾، فقال: هو هذا الهواء الذى هو فى كل مكان، وكذلك كان يقول كثير من أتباعه، ولم يكن ولاهم يريدون ذلك، وإنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم الله، كلما أفصحوا به من نفى أسماء البارى وصفاته وكلامه ورؤيته فى الدنيا والآخرة وأفعاله وحكمته وغير ذلك.

والاتحادية: هم القائلون إن الوجود بأسره هو الحق، وإن الكثرة وهم، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارفة الكل شىء واحد وهو معبودهم فى زعمهم.

وهم طائفة ابن عربى الطائى صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم، وغيرهم مما حرف فيه الكلم عن مواضعه، وتلاعب فيه بمعانى الآيات، وأتى بكفر لا يشبه كفر اليهود الذين قالوا: ﴿عزير ابن الله﴾، ولا النصارى الذين قالوا: ﴿المسيح ابن الله﴾.

وقالوا: هو ثالث ثلاثة، فإن النصارى وأشباههم خصوا الحلول والاتحاد بشخص معين، وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود، فلم يكفر هذا الكفر أحد من الناس، وكان هذا المذهب الذى انتحله ابن عربى.

قلت: وهو غير ابن العربى المالكى الأندلسى، أحد أئمة أهل السنة والجماعة، ونظمه ابن الفارض فى تائيته «نظم السلوك»، وأصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن=

وقد ثبت قِدَمه، فينتفى كونه جوهرًا، فلا يتمثل بأمثال فى الفهم ولا يدخل كيفية وجوده فى الوهم، خلافًا للنصرانى والمجوسى؛ لأن الجوهر فى اصطلاح المتكلمين اسم لما لا يتجزأ، وهو واقع بجهة، وقابل للكيفيات المتضادات كالحركة والسكون ونحو ذلك، والله تعالى غير متجزئ؛ لأنه غير متحيز ولا موصوف بالكيفيات.

وكذلك الله تعالى ليس بجسم ولا عرض، وهو خالق الأعراض والأجسام، فلا يوصف بها؛ لأن الجسم عند المتكلمين هو الأجزاء المركبة، والله تعالى منزه عن وصف المركب.

وكذلك لا يوصف بالكل والبعض؛ لأن الكل اسم جملة تركبت عن جوهر فصاعدًا، والله تعالى ليس بمتركب، والفرق بين الجوهر والعرض: فالجوهر ما يقوم بنفسه، والعرض ما يقوم بغيره.

وقالت المشبهة والكرامية: هو جسم لا كالأجسام كما يقال هو شيء لا كالأشياء.

قلنا: الله تعالى منزه عن الشبيه والنظير، والجسم اسم لذات الصورة، والله تعالى لا صورة له، وهو خالق الصورة لقوله تعالى: ﴿**وصوركم فأحسن صوركم**﴾ [غافر: ٦٤].

[٩٠] وكل ما تصور فى وهم فالله تعالى بخلافه.

وأما التسمية(١) للشيء عبارة عن الوجود، ونفيه نفى الوجود، فذلك لا يجوز، ألا

=نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسى الرقوطى، نسبة إلى رقوطة، بلدة قريبة من مرسية. ولد سنة أربع عشرة وستمائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له الإلحاد من ذلك، وصنف فيه، وكان يعرف السيمياء ويلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعم أنه حال من أحوال القوم، وله من المصنفات كتاب البدو، وكتاب اللهو. (معارج القبول (١/ ٣٧٠، ٣٧١).

وانظر: منهاج السنة والرسائل، والمسائل السلفية لابن تيمية، ففيها ردود وافية قاطعة لشبهات القائلين بالاتحاد والحلول.

(١) قال ابن حزم: وهذه الأقوال ليس شيء منها لمن ينتمى إلى الإسلام، وإنما هى للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى فى تسميتهم البارى تعالى جوهرًا، فإنهم سموه فى أمانتهم التى لا يصح عندهم دين لملكى، ولا لنسطوى، ولا ليعقوبى، ولا لهارونى إلاَّ باعتقادها، وإلا فهو كافر بالنصرانية قطعًا.

ترى أنه لا يقال للكلام: جسمًا، ويقال: شيء؛ لأنه عبارة عن وجوده دلائل أهل الحق على أن العالم محدث، والصانع قديم، فالعالم سمى عالمًا لكونه علمًا على وجود الصانع، وإنه أقسام ثلاث عند الفقهاء والمتكلمين، أجسام(*) وأعراض(**) وجواهر(***)، إلاّ أن بعض المتكلمين قالوا: هذه التسمية فاسدة؛ لأنها متداخلة، والتداخل في القسمة عيب.

وبيان التداخل: وهو أن الجوهر داخله يجب اسم الجسم؛ لأن الجسم جواهر مركبة بعضها ببعض(١)، فإذا قال: أجسام، قال: جواهر. ضرورة، فكانت هذه القسمة من

=حاشا تسميته البارى تعالى جوهرًا، فإنه للمجسمة أيضًا، وحاشا القول بأن النفس جوهرًا لا جسم، فإنه قد قال بها العطار، أحد رءوس المعتزلة.

وأما المنتمون للإسلام، فإن الجوهر ليس جسمًا ولا عرضًا، ليس عندهم شيءٌ إلا الأجزاء الصغار التى لا تتجزأ إليها تنحل الأجسام بزعمهم، وقد ذكر هذا عن بعض الأوائل أيضًا، فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدًا سمى جوهر ليس جسمًا ولا عرضًا، وغيرها إلا أن قومًا جهالاً يظنون فى القوى الذاتية أنها جواهر، وهذا جهل منهم؛ لأنها بلا خلاف محمولة فيما هى غير قائمة بنفسها، وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف. ا. هـ. الفصل (٤/٤٤).

(*) الأجسام، قال أبو محمد: القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسمًا.

(**) الأعراض، قال أبو محمد: واتفقنا على أن سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضًا؛ لأنه عرض فى الجسم وحدث فيه.

(***) قال أبو محمد: وذهب قوم من المتكلمين إلى إثبات شيء سموه جوهرًا ليس جسمًا ولا عرضًا، وقد ينسب هذا القول إلى بعض الأوائل وحد هذا الجوهر عند من أثبته أنه واحد بالذات، قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزأ وحدّه بعض من ينتمى إليه الكلام بأنه واحد بذاته لا طول له ولا عرض ولا يتجزأ، وقالوا: إنه لا يتحرك وله مكان وأنه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضًا واحدًا فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسمة. ا. هـ. الفصل (٤/٤٢، ٤٣، ٤٤).

(١) قال ابن حزم: وأما نحن فنقول: إنه ليس فى الوجود إلاّ الخالق وخلقه، وإنه ليس الخلق إلاّ جوهرًا حاملاً لأعراضه، وأعراضا محمولة فى الجوهر لا سبيل إلى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم، وكل جسم جوهر، وهما اسمان معناهما واحد، ولا مزيد، وبالله تعالى التوفيق. ا. هـ. الفصل (٥/٤٤).

قلت: أما الأعراض، فليست متداخلة فى الأجسام ولا هى أبعاضه، بل هى عرض على الأجسام وحدث فيها، فإذا زالت وفنيت لم تفن بفنائها وزوالها الأجسام، راجع معنى الأعراض والأجسام يتضح لك فساد القول بأن الأعراض متداخلة فى الأجسام، والله أعلم.

هذا الوجه فاسدة، فالجواهر أصل الأجسام ومادتها؛ لأنها تركبت منها.

والصحيح ما قال أبو منصور: بأن العالم قسمان أعيان وأعراض، فالأعيان ما تقوم بأنفسها، والأعراض ما تقوم بغيرها.

فالأعيان أيضًا قسمان: مركبة ومفردة، فالمفردة جوهر، والمركبة الجسم، فبيان الجوهر فى اللغة عبارة عن الأصل، يقال: ثوب جوهرى إذا كان [٩١] محكم الصنعة جيد الأصل، ويقال: لفلان جوهر شريف، أى أصل غالٍ، وجوهر الزجاجة والنحاسة أصلها، أى ما تتخذ منه الزجاج والنحاس.

وفى عرف بيان المتكلمين والفقهاء أئمة الدين: ما شغل الحيز وهو أن يمنع دخول غيره فيه، وأن اجتماع الجزئين فى حيز واحد غير بخلاف الأعراض، فإن اجتماعها متصور فى جسم واحد.

وقال بعضهم: الجوهر هو القائم بالذّات، وأنه ليس بجوهر، وهذا على أصل النصارى، فإنهم يقولون بأن الله جوهر(١).

وقال بعضهم: الجوهر هو القائم بالذات، القابل للأعراض، وهذا من وجه صحيح مطرد(٢)، فإنه يحدّ على هذا الحد العرض، فإنه ليس بقائم بالذات، وليس بقابل للأعراض، إلا أن هذا الحد باطل على أصل أصحاب الحديث، فإنهم لا يرون تحديد المركب عن وصفين، وهاهنا مركب عن وصفين.

وعلى أصلنا: صحيح ولكن بشرطين لا يستغنى أحد الوصفين عن الآخر، وهاهنا مستغن، فإنه لو قال: الجوهر ما يقوم به الأعراض، والقابل للأعراض يكفى ولا حاجة

---

(١) ومن أقوالهم: إن المسيح له طبيعتين، لاهوتية وناسوتية، فإذا كان فى السماء فهو الجوهر الإله الكامل، وإذا كان على الأرض فهو الإنسان الكامل، وهذه الطائفة هى التى تقول بالحلول، حلول اللاهوت فى الناسوت.

ومنهم من يقول بالاتحاد، أى اتحاد الأقانيم الثلاثة، الآب والابن والروح القدس، تعالى الله سبحانه عن إفكهم، والله أعلم.

(٢) [مُطَّرِدٌ]: أى متتابع ومسلسل لأنه يجرى مجرى واحد متسق فيدور الحكم فيه مع الوصف وجودًا وعدمًا، هذا فى اللغة. وفى الاصطلاح، قال صاحب المحصول: [الطرد] المراد منه: الوصف الذى لم يكن مناسبًا ولا مستلزما للمناسب إذا كان الحكم حاصلا مع الوصف فى جميع الصور المغايرة لمحل النزاع. ا.هـ.

إلى قول القائل: القائم بالذات، فإذا كان هذا استغنى عن [٩٢] الوصف الآخر لا يكون بهذا التحديد صحيحًا، فالجسم مشتق من الجسامة، وهى الضخامة.

ويقال: هذا جسيم من ذلك، أى أعظم جثة منه، وفلان جسيم، أى عظيم الجثة.

وعند المتكلمين: الجسم هو الأجزاء المتركبة واختلفوا فى مقداره، فعند أصحاب الحديث ومشايخنا المتأخرين: أدناه مركب من جزئين فصاعدًا، وعند المعتزلة والحساب: الجسم ما له طول وعرض وعمق، وأدناه عن ستة أجزاء إن كان مثلثًا، وإن كان مربعًا أدناه عن ثمانية أجزاء، وبيانه: أن الجزء الواحد يسمى نقطة عندهم، فإذا ضم إليه جزءٌ آخر يسمى خطًا؛ لأنه صار طويلاً، والخط ما له طول فقط[١]، فإذا كان جزءان آخران من جانب يسمى سمكًا، ويكون هذا مع الأول طولاً وعرضًا، فإذا وضع عليه أربعة أجزاء أخر صار جسمًا؛ لأنه حصل الطول والعرض والعمق، والجسم اسم لذلك المطلق بالإجماع[٢]، إلا أن أصحابنا قد أبطلوا الحد الذى قالت المعتزلة والحساب.

والصحيح ما قلنا: أدناه من جزئين فصاعدًا على ما بينا؛ لأنه يقال للشخص إذا أسمن غيره أنّ هذا الجسم من ذلك، ولو كان استحقاق اسم الجسم باعتبار الأشياء الثلاث وهو: الطول والعرض والعمق [٩٣]، ينبغى أن لا يترجح، ولا يتحقق الترجيح إلاّ بعدم وجود الزيادة فى الأشياء الثلاث، ومع هذا بوجود الزيادة فى واحد منها، وهو العرض، جاز أن يقال: إن هذا جسم، دلّ أن هذا الحدّ باطل، والصحيح ما قلنا: إنّ الجسم للمتركب المؤلف وأدناه من جزئين فصاعدًا على ما قلنا.

وقال بعضهم: الجسم المؤلف، وهذا ليس بصحيح؛ لأن شرط صحة الحد أن يكون

---

(١) قال ابن حزم: من توهم أن الأجسام مركبة من السطوح، وأن السطوح مركبة من الخطوط، والخطوط مركبة من نقط.

وهذا خطأ على كل حال؛ لأن السطوح المطلقة فإنما هى تناهى الجسم وانقطاعه فى تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط، وأما الخطوط المطلقة فإنما هى تناهى جهة السطح وانقطاع تماديها، وأما النقط فهى تناهى جهات الجسم منْ أحد نهاياتها كطرف السكين ونحوه.

فكل هذه الأبعاد إنما هى عدم التمادى، من المحال أن يجتمع عدم فيقوم منه موجود، وإنما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة، فإنما هى أبعاض الجسم وأجزاؤه، ولا تكون الأجزاء أجزاء إلا بعد القسمة فقط. ا. هـ. الفصل (٥/٤٣، ٤٤).

(٢) قلت: دعوى الإجماع باطلة كما ترى من تعدد الأقوال؛ لأن الإجماع لا ينعقد بوجود خلاف، وهاهنا خلاف، والله أعلم.

لفظ الحد مطابقًا للفظ المحدود، وهذا مخالف، فإنّ لفظ الحد زيادة أمر هناك، فإنّ المؤلف مستثن عن المؤلف، والفاعل لفظًا، والجسم لا يستثنى عن الفاعل، فإن لم يكن لفظ الحد مطابقًا للمحدود، فلا يكون حدًّا، والصحيح ما قلنا.

وقال بعضهم: الجوهر اسم للذى لا يتجزأ، والله أعلم.

* * *

١٣ - باب فى الجسم هل هو أجزاء وفى الهواء والروح

وَفى الأَذْهَـانِ حَـقٌّ كَـوْنُ جُـزْء بِلاَ وَصْفِ التَّجَزِّى يَا ابْـنَ خَـالِ

واعلم أن الجزء الذى لا يتجزأ وجوده وتصوره حق عند عامة العقلاء.

أما عند الدهرية[(١)] والثنوية[(٢)]، وهو قول هشام بن الحكم[(٣)]، والنظام[(٤)] من المعتزلة

---

(١) الدهرية: فرقة من الكفار ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث إليه، لما أخبر الله تعالى عنهم فى قوله تعالى: ﴿إن هى إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدَّهر﴾.

(٢) الثنوية: هؤلاء أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام بتساويهما فى القدم، واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان. الملل والنحل للشهرستانى (٦٥/٢).

(٣) هشام بن الحكم: وكان فى هذا الحين المتكلم البارع هشام بن الحكم الكوفى الرافضى المشبه المعثر، وله نظر وجدل وتواليف كثيرة.

قال ابن حزم: جمهور متكلمى الرافضة كهشام بن الحكم وتلميذه أبى على الصكاك وغيرهما، يقولون بأن علم الله محدث، وأنه لم يعلم شيئًا فى الأزل، فأحدث لنفسه علمًا.

قال: وقال هشام بن الحكم فى مناظرته لأبى الهذيل: إنّ ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه.

قال: وكان داود الجواربى من كبار متكلميهم يزعم أنّ ربه لحم ودم على صورة الآدمى.

قال: ولا يختلفون فى رد الشمس لعلى مرتين، ومنهم من يقول: إن القرآن مبدل زيد فيه ونقص منه إلا الشريف المرتضى وصاحبيه.

قال النديم: هو من أصحاب جعفر الصادق، هذب المذهب، وفتق الكلام فى الإمامة، وكان حاذقًا حاضر الجواب. ثم سرد أسماء كتبه منها فى الرد على المعتزلة، وفى التوحيد وغير ذلك.

ترجمته فى:سير أعلام النبلاء (٥٤٣/١٠)، الفهرست (٢٢٣،٢٢٤)، لسان الميزان (١٩٤/٦)، آمالى المرتضى (١٧٦/١).

(٤) النظّام: شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضُّبعى البصرى المتكلم. تكلم فى القدر، وانفرد بمسائل وهو شيخ الجاحظ .

وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادرًا لكنا لا نأمن وقع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لايقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق.

قلت أى الذهبى: والقرآن والعقل الصحيح يكذبان هؤلاء ويزجرانهم عن القول بلا علم، ولم يكن النظام مما نفعه العلم والفهم وقد كفره جماعة. =

والحُسَّاب: لا يتصور له، بل كل جزء قابل للتجزئة إلى ما لا يتناهى وإلى أن ينعدم، وإن قلّ فى نفسه؛ لأن قولكم هذا فى جهة أولا، وفى الجملة فهو باطل، لأن المحدث لابد له من جهة يتمكن [٩٤] فيه، وإن قام فى جهة ففى جهة واحدة أم فى جهات ست؟ لا يكون فى جهة واحدة، بل يكون فى ست جهات، لكل جهة جزء؛ لأن هذه الجهةَ غير تلك الجهة، فالجزء الذى يقابله هذه الجهة غير ذلك الجزء.

وإذا ثبت هذا جاء ما قلنا: إن الجزء الذى لا تصور له، بل الجزء الذى إلى ما لا يتناهى وإلى أن ينعدم، وعامة أهل الحق قالوا: بأن الجسم هو الأجزاء المجتمعة المتركبة، والتّركّب والاجتماع والمتركب والمجتمع لأشكال بأنه ثبت بخلق الله تعالى. أما قولكم: إن الله يقدر أن يخلق الافتراق مكان الاجتماع وأن يرفع الاجتماع. إن قلتم: لا يقدر، فهذا باطل؛ لأنه تعجيز البارى جلّت قدرته - تعالى الله عن ذلك - وإن قلتم: يقدر أن يخلق الافتراق، فقد سلمتم وجود الجزء الذى لا يتجزأ هو الجزء المفترق والمنفرد الذى لا اجتماع، وأما الهواء ليس بجوهر ولا عرض بل جسم لطيف(١).

وقالت المعتزلة: بأنه ليس بشىء، بل هو مكان الأجسام. وقال الأشعرى: بأنه ريح ساكن. قلنا: كيف يحكم الهواء؟ لأن الريح يحرك الهواء حتى يسمع صوت من هبوب الريح.

وأما الروح(٢): هل هو جسم؟ قال بعض أهل [٩٥] السنة والجماعة: إنه جسم

=وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويخفى ذلك وله نظم رائق، وترسل فائق، وتصانيف جمّة منها: كتاب الطفرة، وكتاب الجواهر والأعراض، وكتاب حركات أهل الجنة، وكتاب الوعيد، وكتاب النبوة، وأشياء كثيرة لاتوجد.

ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران فمات فى خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين.

وترجمته فى: سير أعلام النبلاء (٥٤١/١)، طبقات المعتزلة (٢٩-٤٤)، الفهرست لابن النديم (٢٠٣، ٢٠٤)، لسان الميزان (٤١٣/٥، ٤١٤).

(١) قال ابن حزم: وقد نجد جسمًا طويلاً عريضًا عميقًا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركة. أ هـ (الفصل: ٤٣/٥).

(٢) قال ابن القيّم: هذه المسألة لا تكاد تجد من تكلم فيها، ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولاغير طائل، ولا سيما على أصول من يقول بأنها مجردة عن المادة وعلائقها، وليست بداخل =

.. ..

=العالم ولا خارجه ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص، فهذا السؤال على أصولهم مما لا جواب لهم عنه.

وكذلك من يقول: هى عرض من أعراض البدن فتميزها عن غيرها مشروط قيامها ببدنها، فلا تميز لها بعد الموت، بل لا وجود لها على أصولهم، بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن، كما تبطل سائر صفات الحى، ولا يمكن جواب هذه المسألة إلا على أصول أهل السنة التى تظاهرت عليها أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل؛ والقول إنها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجىء وتتحرك وتسكن وعلى هذا أكثر من مائة دليل. أ هـ. (كتاب الروح ص٥٤).

وقال فى موضع آخر من نفس المرجع السابق: قال حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده: إن الناس اختلفوا فى معرفة الأرواح ومحلها فى النفس.

فقال بعضهم: الأرواح كلها مخلوقة، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر، واحتجوا بقول النبى ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة.

وقال بعضهم: الأرواح من أمر الله، أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربى﴾.

وقال بعضهم: الأرواح نور من أنوار الله تعالى وحياة من حياته، واحتجوا بقول النبى ﷺ: «إن الله خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره». رواه الترمذى فى الإيمان (١٨)، وأحمد فى مسنده (١٧٦١٢).

ثم ذكر الخلاف فى الأرواح هل تموت أم لا؟ وهل تعذب فى الأجساد فى البرزخ وفى مستقرها بعد الموت؟ وهل هى النفس أو غيرها؟

وقال محمد بن نصر المروزى فى كتابه: تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض فى روح آدم ما تأولته النصارى فى روح عيسى، وما تأوله قوم من أنّ الرّوح انفصل من ذات الله فصار فى المؤمن، فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعًا؛ لأن عيسى عندهم روح من الله صار فى مريم فهو غير مخلوق عندهم. وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض: إن روح آدم مثل ذلك أنه غير مخلوق، وتأولوا قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحى﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾.

فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق.

كما تأول من قال: إن النور من الرب غير مخلوق قالوا: ثم صاروا بعد آدم فى الوصى بعده، ثم هو فى كل نبى ووصى إلى أن صار فى على ثم الحسن والحسين ثم فى كل وصى وإمام فيه،=

لطيف وهو ريح مخصوص، خلافًا للأشعرية.

وقال بعض أئمتنا: نهى الكلام فى الروح؛ لقوله تعالى:﴿يسألونك عن الروح قل

=يعلم الإمام كل شىء ولا يحتاج أن يتعلم من أحد.

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التى فى آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بنى آدم، كلها مخلوقة الله خلقها، وأنشأها، وكونها، واخترعها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه قال تعالى:﴿وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعًا منه﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: روح الآدمى مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة.

وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزى الإمام المشهور الذى هو من أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف.

وكذلك أبو محمد بن قتيبة قال فى كتاب «اللفظ لما تكلم على الروح»، قال: النسم الأرواح، قال: وأجمع الناس على أن الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة، أى خالق الروح.

وقال أبو إسحاق بن شاقاد فيما أجاب به فى هذه المسألة: سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة، هى أو غير مخلوقة؟ قال: وهذا مما لا شك فيه من وفق للصواب أنّ الروح من الأشياء المخلوقة.

وقد تكلم فى هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة.

قلت: ثم ذكر ابن القيم بعد كلام ابن تيمية اثنى عشرة وجهًا يدل على خلق الروح، فلتراجع فى مكانها، ثم ذكر ردودًا ترد حجج المبطلين من أهل البدع تذكر فيها.

وأما قوله تعالى: ﴿قُل الرُّوح مِنْ أمر ربى﴾، فمعلوم قطعًا أنه ليس المراد هاهنا بالأمر الطلب الذى هو أحد أنواع الكلام، فيكون المراد أن الروح كلامه الذى يأمر به، وإنما المراد بالأمر هاهنا المأمور وهو عرف مستعمل فى لغة العرب، وفى القرآن منه كثير، كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللّهِ﴾، أى مأموره الذى قدره وقضاه، وقال له كن فيكون، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنَهْمُ آلهتهم الذى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك﴾.

أى مأموره الذى أمر به من إهلاكهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾.

وكذلك الخلق يستعمل بمعنى المخلوق، كقوله تعالى للجنة: «أنت رحمتى»، ليس فى قوله تعالى: ﴿قُل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، ما يدل على أنها قديمة غير مخلوقة بوجه ما، وقد قال بعض السلف فى تفسيرها جرى بأمر الله فى إيجاد الخلق وبقدرته استقر، ثم ذكر ابن القيم الخلاف بين السلف والخلف عن المراد بالروح التى سئل عنها رسول الله ﷺ، فقيل: إنها روح الإنسان، وقيل: بل هو الروح الذى أخبر الله عنه فى كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم. فليراجع ذلك فى كتاب الروح لابن القيم من (١٩٣ - ٢١٠).

الروح من أمر ربى﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن قال: الروح أمر الله كان كافرًا؛ لأن الروح من أمر الله وليس عين الروح أمر الله، فالأمر صفة الله تعالى وصفته ليست بمخلوقة، وهى قائمة وداخلة فى الأجسام، ولم يبينه أى شىء هو، ونهى الكلام فيه.

وقال أكثر المشايخ: لابأس بالتكلم فيه، وإنما لم يتكلم النبىﷺ ؛لأن ذلك كان دلالة نبوته، كما أن الله تعالى جعله أميًا لايعلم الكتابة والقراءة دلالة على نبوته، ولم يمنع غيره عن الكتابة والقراءة.

فقيل: إنَّهُ دمى وإذا دخل استيقظ وجسدى وإذا خرج مات، والكلى بشرى وشهوتى ومعرفتى فليس فى الصبيان روح شهوتى ولا فى الملائكة روح شهوتى ولا الكلى وبشرى، وليس فى الكافر روح معرفتى.

وأما هل للدواب والطيور والوحوش أرواح؟ اختلف أهل السنة والجماعة قال بعضهم: ليس لها أرواح ولكن لها حياة وتمييز، تعلم الضار والنافع.

وقال بعضهم: لها أرواح ولكن لا كأرواح بنى آدم.

فهذا هو المختار [٩٦] والأصح، والله تعالى أعلم.

* * *

١٤ - باب فى أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته

وَمَا الْقُرْآنُ مَخْلُوقًا تَعَالَى كَلَامُ الرَّبِّ عَنْ جِنْسِ المَقَالِ

اعلم أنّ القرآن كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمدًا ﷺ شفيع المذنبين، لايساويه شىء من كلام المخلوقين وهو كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله وصفته، قديم أزلى، قائم بذاته ليس بمحدث والله تعالى متكلم بكلام أزلى فى الأزل، فمن قال: مخلوقًا كفر بالله تعالى.

ومن قال: وحيًا لاكلامًا ولا مخلوقًا يكون نجاريًّا وجهميًّا وواقفيًا.

ومن قال لاأدرى مخلوقًا أم غير مخلوق، فهو أشر ممن قال مخلوقًا كما أنه يقول: المؤمن خير أم الكافر.

وقالت المعتزلة: بأنه محدث مخلوق، والله تعالى متكلم بكلام حادث، خلق الكلام فصار متكلمًا حال خلقه لا فى الأزل.

والذى نسميه قرآنًا ما هو عند المعتزلة نفس هذه الحروف والأصوات المقطعة بتقطيع خاص الذى يسمع كلام الله فى الشاهد والغائب جميعًا، ولهذا قالوا: إن كلام الله محدث مخلوق(١).

---

(١) قال ابن تيمية: وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخى الشافعى فى كتابه الذى سماه الفصول فى الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوى البدع والفضول، وذكر اثنى عشر إمامًا هم: الشافعى، ومالك، والثورى، وأحمد، والبخارى، وابن عيينة، وابن المبارك، والأوزاعى، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، وأبو زرعة، وأبو حاتم قال فيه: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرائينى يقول: مذهبى ومذهب الشافعى وفقهاء الأمصار أن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعًا من الله تعالى، والنبىﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول اللهﷺ وهو الذى نقوله نحن بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما فى صدورنا مسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا ومنقوشًا، وكل حرف فيه بالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. الفتاوى الكبرى (٥/٢٨٣، ٢٨٤).

وقالت الروافض[1] والقرامطة[2]: الحروف المنظومة [٩٧] قرآن، وهى ليس بمخلوق.

وقال أهل السنة والجماعة: عند أهل النحو أقسام ثلاثة: اسم وفعل وحرف. وقيل: حروف منظومة تدل على المعنى.

وهذا الحد لا يستقيم فى كلام الله تعالى، معنى قائم بذاته قديم أزلى كسائر الصفات نحو: العلم والقدرة والحياة، وغيره لا يقبل الانفصال فى الافتراق إلى القلوب والأوراق، وهذه الحروف المنظومة الذى نسميه قرآنًا عبارات دالة على كلام الله تعالى، ونسمى العبارات كلام الله تعالى على معنى أنها عبارات إلى كلامه الأزلى القائم بذاته، وهو المعنى فى قولنا: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ونقرأه، هذا كلام الله يصير مفهومًا ومعلومًا أن مراد الله ماذا.

---

(١) الروافض: هم المخالفون لجمهور المسلمين فى ولاية أبى بكر وعمر وأكثر الصحابة، ويدعون العصمة لقبر رسول الله ﷺ، مع أن الذين يدعونها لهم لم يدعوها لأنفسهم ويرون أن مصادر تشريع، وميزان الجرح والتعديل عندهم فى الرواية الحب والبغض والإسراف فى التشيع، وإن تهاون الراوى فى أمر الأمانة والصدق.
وسبب تسميتهم بالرافضة أنهم جاءوا إلى زيد بن على بن الحسين وطالبوه بأن يتبرأ من أبى بكر وعمر، فقال لهم: بل أتولاهما وأبرأ ممن يبرأ منهما، فقالوا له: إذن نرفضك، فسميت فرقتهم الرافضة، ويدور كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية على بيان ضلالتهم وبسط الأدلة فى فسادها.

(٢) القرامطة: هم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن كل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويل، ولهم ألقاب كثيرة سوى الباطنية على لسان قوم، فبالعراق يسمون: الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان: التعليمية والملحدة، وهم يقولون: نحن إسماعيلية؛ لأنا تميزنا عن فرقة الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص، وهو إسماعيل بن محمد بن إسماعيل التام، وإنما تم دور السبعة به.
ثم أن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج. انظر الملل والنحل للشهرستانى (٢/٢٦).

ولهذا قال مشايخنا: بأنّ القرآن مكتوب فى مصاحفنا، محفوظ فى صدورنا، مقروء بألسنتنا، مسموع بآذاننا، غير حال فيها من غير مزايلة عن الموصوف، أى غير نازلة.

وتفسيره ما بيننا: أنها دلالات على كلام الله تعالى، معناه أن القراءة دالة عليه بألسنتنا، والكتابة دالة عليه فى مصاحفنا، وحفظ الألفاظ دالة عليه فى صدورنا.

كما تقول: الله مذكور بألسنتنا، معبود فى محاربنا، غير حال فيها، معناه أن الذكر [٩٨] دال عليه بألسنتنا، والعبادة دالة على وجود وحدانيته فى محاربنا.

وكذا نقول: الله مكتوب على هذا الكاغد، يريد به كتابة الحروف الدالة على ذاته المنزهة، ولا نرى حلول ذاته فى الكاغد، وكذا القرآن.

ولهذا أنّ من سأل عن هذا هل هو كلام الله تعالى؟ لا يجاب على الإطلاق، بل يقال له: معنى هذا إن عنيت القرآن الحروف المنظومة المكتوبة فى المصاحف، فليس هذا كلام الله وأنه حادث، وإن عنيت به ما يصير مفهومًا بذكر هذا فهو كلام الله تعالى.

فكذلك ما فى اللوح المحفوظ وما فى الكتاب الذى أنزله الله تعالى من آدم عليه السلام إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه، دلالات كلامه، وهو مائة وأربع كتب، أنزل خمسين صحيفة على «شيث» عليه السلام، وثلاثين على «إدريس» عليه السلام، وعشرًا على «موسى بن عمران» عليه السلام قبل التوراة، ثم أنزل عليه التوراة، وأنزل الزبور على «داود» عليه السلام، والإنجيل على «عيسى» عليه السلام، والقرآن العظيم على محمد ﷺ[1]، فمن شك بحرف أو بلفظة من جميعها على دالتها كفر، ولا شك فى كفره.

---

(١) إشارة إلى قول: كم كتابًا أنزل؟ أخرجه ابن حبان فى صحيحه موارد من كتاب الإيمان باب السؤال للفائدة (١/١٩١:١٩٦).

من طريق ابراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى عن أبيه عن جده عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فقال:«يا أبا ذر إن للمسجد تحية..الحديث».

بطوله وفيه قوله: قلت يا رسول الله كم كتاب أنزل؟ فقال:«مائة كتاب، وأربعة كتب: أنزل على شيث خمسون صحيفة.. الحديث بطوله. وأورده الزبيدى فى الإتحاف (٩/٣٩).

وقال: روى عبد بن حميد وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر من حديث أبى ذر..به. =

فإن قال [٩٩] قائل: القرآن هو الذى جاء به إلى محمد، والذى فى المصحف مكتوب والذى نحن نقرأه.

فقل: قد بيّنا أن المسموع، والمكتوب، والقراءة، دلالات عليه، ثم إن الله تعالى متكلم بكلام أزلى(١)، قائم بذاته، ليس بصوت محدث من انصكاك هواء أو اصطكاك أجرام، ولابجد ينقطع بإطباق حرف وتحريك لسان، وقد قال بلا هجاء بعد هجاء، وبلا حرف بعد حرف، وبلا تعليم بعد تعليم، وبلا نغمة بعد نغمة، وبلا صوت بعد صوت، وبلا وقت بعد وقت.

وكلام الله تعالى ليس من جنس الحروف والهجاءات، والنغمة والأصوات بل هو صفة أزلية(٢) منافية للسكوت والآفات والخرس، والله متكلم بهذه الصفة، والحروف،

=قلت: وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/١٦٦:١٦٨). من حديث أبى ذر. من طريقين عن إبراهيم بن يحيى بهذا الإسناد. وأخرجه الطبرانى مختصرًا فى الكبير (١٦٥١). جميعًا من طريق إبراهيم.

وهذا إسناد ضعيف جدًا لأجل إبراهيم هذا. قال الذهبى فى ميزانه: إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين وثقهم ابن حبان فلم يصب. وقال ابن الجوزى: قال أبو زرعة: كذاب.

(١) كلام الله قديم النوع حادث الأحاد وأنه لم يزل يتكلم ولا يزال يتكلم بما شاء، إذا شاء، كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من الله من غير واسطة ومن أذن له من ملائكته ورسله ويكلم المؤمنين ويكلمونه فى الآخرة. والله أعلم.

(٢) واعلم أن كلام الله سبحانه وتعالى أنواع: بواسطة وبغير واسطة وكونى قدرى، ودينى شرعى.
أما ما كان بلا واسطة فكلامه لموسى ولآدم وحواء وجبريل.
وأما ما كان بواسطة إما بالوحى إلى الأشياء وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم من أمره بما شاء.
وأما الكونى القدرى فهو الذى توجد به الأشياء كقوله تعالى:﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾.
وأما الدينى الشرعى كقوله تعالى:﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾، وقوله:﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾. والشرعى هو الذى فيه الكتب المنزلة على رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأعظمها القرآن العظيم وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات.
منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، ولا يجوز إطلاق القول بأنه عبارة عن كلام الله كما هو قول الأشاعرة، ولا إطلاق قول إنه حكاية كما هو قول الكلابية،=

والهجاء، والألوان، والقلم، والكاغد، والمداد، والحركات بالذقن، واللسان، والنغمة، والأصوات كلها محدثة مخلوقة عبارة عن كلامه ودالة عليه، ونعتقد ما بين الدفتين والدفتين كلام الله تعالى، وكلامه غير مخلوق لكى لا يقع على الحروف والهجاء واللون، فبهذه الصفة أسمع الله تعالى جبريل عليه السلام بلا حرف ولا هجاء، وسمع جبريل عليه السلام بحرف وهجاء، وقرأ على محمد [١٠٠] ﷺ بحروف وهجاء، وقرأ محمد ﷺ على الصحابة بحروف وهجاء، ويقرؤن ويكتبون فى المصاحف بحروف وهجاء.

فهى عبارة دالة على كلام الله تعالى لا يزاد فيه حرفٌ ولا ينقص، ليس الفرق الذى سمع جبريل عليه السلام، وجاء به إلى محمد ﷺ ، وقرأ محمد ﷺ على الناس، وبين الذى كتب فى المصاحف وبين الذى قرأته منا فالحروف فى كلها واحد إنها مخلوقات دلالات على كلام الله تعالى.

فالحاصل أنّ المعتزلة والقدرية قالوا بأن القرآن مخلوق، وعنوا بالحروف المنظومة، والأصوات المقطعة، وقالوا: إنه كلام الله تعالى حال فيها.

وعند أهل السنة والجماعة: هذا مخلوق أيضًا، وليس كلام الله تعالى بل دلالات على كلامه، وكلامه معنى قائم بذاته؛ لأن كلامه صفته وصفته لايزال عن الموصوف، وصفته ليست كصفة المخلوقين، إنما أطلق على هذا القرآن اسم الكلام بطريق المجاز، لا بطريق الحقيقة بيان الحقيقة.

وإنما الكلام فى الشاهد ما هو؟ بعض المشايخ لم يفرقوا بين الشاهد والغائب[1]،

=بل إذا قرأه الناس أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أنه يكون كلام الله تعالى حقيقة فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا لا من قاله ملقيًا مؤديًا وهو كلام الله حروفه ومعانيه.

(١) قوله: «لم يفرقوا بين الشاهد والغائب» يقصد بالغائب: كلام الله الذى أسمع الله جبريل عليه السلام بلا حرف وهجاء.
أما الشاهد فهو ما سمعه جبريل عليه السلام بحرف وهجاء، وقرأ على محمد ﷺ بحروف وهجاء، وقرأ محمد ﷺ على الصحابه بحروف وهجاء.
قلت: وهذه الأقوال ومثيلاتها المذكورة عن المشايخ الذى يشير إليهم فى غير موضع إشارة مبهمة فلا هم بأسماء كأسماء الأئمة المعروفين، ولا هم بمذاهب أو فرق كما يشير فى غير موضع عن غيرهم بقوله قال الشافعى أو قال أهل السنة أو المعتزلة أو المرجئة إلى غير ذلك،=

وقالوا فى الشاهد والغائب جميعًا الكلام معنى قائم بالمتكلم لايزيله، والذى يقرأ دال [١٠١] عليه.

وبعض المشايخ فرقوا وقالوا: بأن الكلام فى الشاهد اسم للحروف المنظومة حقيقة، وفى الغائب بخلافه على ما بينا والعبارات دالة عليه.

والدليل على أن الحروف مخلوقة[(١)]؛ لأنها إن شئت طولت مكتوباتها فى المصاحف، وإن شئت قصرت، والتطويل والتقصير صفة المخلوق، وكلام الله تعالى ليس بمخلوق، ولا حرف؛ لأن الحروف فى أنفسها متضادة فلا توجد دفعة واحدة إلاَّ تعاقبًا، وذلك يوجب الحدوث وكذا الأصوات مخلوقة محدثة، وهى أعراض لا دوام لها، وهى قائمة بمحلها التى هى اللسان واللهوات والحلق؛ لأنها مرة تكون طاعة ومرة تكون معصية إذا

=فالمشايخ الذى يشير إليهم فى غير موضع نوع مبهم لا نعرفه، والحاصل أن كلامه هذا وكلام المشايخ المعروفين لديه باطل وليس من كلام أهل السنة، باستثناء القول بأن الحروف المنطوقة على الألسن المكتوبة بالمداد على الورق والورق المكتوب عليه بالمداد هذه الحروف لاشك أنها كلها مخلوقة أما القرآن فهو كلام الله وصفة من صفاته بحرف وهجاء وصفته سبحانه غير مخلوقة وكلام علماء أهل السنة واضح ومستقيم وله دلائل لا تحصى والله سبحانه هو الموفق للصواب وهو أعلم بالمتقين.

(١) ثبت من الأدلة أن الله سبحانه وتعالى كلم موسى تكليمًا أى بحرف وصوت، وأنه إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ومعلوم هنا «كن» هنا حروف إلا أن هذه الحروف هى كلام الله غير مخلوقة خلافًا لما ذكره المؤلف على أن الحروف مخلوقة واستدل بقوله: لأنها إن شئت طولت مكتوباتها فى المصاحف وإن شئت قصرت والتطويل والتقصير صفة المخلوق.

قلت: وهذا مردود بأن التطويل والتقصير هى رسمها المكتوب، فأنت مثلاً إذا كتبت على الورق الله وطولت أو قصرت فى حروفها فهل معنى ذلك أن الله مخلوق؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى: ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذى أنزله بعلمه وشهد به ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونشهد رسوله الذى أنزل عليه وبلغه إلى الأمة ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به. أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عز وجل وتنزيله، وأنه تكلم به قولاً وأنزله على رسوله وحيًا، ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله عز وجل أو عبارة بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين على محمد خاتم المرسلين، وكل منهما مبلغ عن الله عز وجل والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا أ هـ. (معارج القبول١/٢٦٦،٢٦٧).

كان القارىء جنبًا، ومرة طابت ومرة لا تطيب.

والمفرد دال على كلامه فثبت أن كلامه صفة أزلية قائمة بذاته[1] وهو غير مخلوق، فكلامه بدءًا بلا كيفية قولاً، وأنزله على نبيه وحيًا، وصدق المؤمنون على ذلك حقًا، وأثبتوا أنه كلام الله تعالى على المعنى الذى قلنا بالحقيقة، صفة أزلية لا كلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فلا شك أنه قد كفر[2]، وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده عذابه حيث قال: ﴿**سأصليه سقر**﴾ [المدثر:٢٦].

فلما أوعد الله تعالى بسقر لمن قال:﴿**إن هذا إلا قول البشر**﴾ [المدثر: ٢٥].

علمنا [١٠٢] أنه قول خالق البشر، ولا يشبهه قول البشر، فمن أنصر هذا اعتبر.

وعن مثل قول الكفار: انزجر طوبى لمن صدّقه، وويل لمن كذّبه، واعلموه حقًا، وأَعْلِمُوا به حقيقًا فهو كتاب حكيم كلام المالك الكريم وهو أصلح للعباد مما اختاروا لأنفسهم. فإن قيل لك: هل قال الله تعالى؟ قل: نعم.

فإن قيل: متى؟ فقل: بلا متى، وإن قيل أين؟ فقل: بلا أين، وإن قيل كيف؟ فقل: بلا كيف، وإن قيل: فلم؟ فقل: بلا لم، فإن قيل: غليظًا أم خفيفًا أم دقيقًا؟ فقل: لا غليظ ولا خفيف ولا دقيق، فإن قيل: بصوت أم بغير صوت؟ فقل: بلا صوت، لأن الأصوات تدرك تجانسها بالجنس، فلو كان كلامه صوتًا لكان من جنس هذه الأصوات[3]، وذلك محال.

---

(١) قوله: «كلامه صفة أزلية قائمة بذاته وهوغير مخلوق». ذكرنا من قبل أن الكلام صفة من صفات الله الذاتية الفعلية ينطبق عليها حد الذاتية ويصلح فيها تقدير إذا شاء، فحد الذاتية هى التى يقرها المؤلف، أما تقدير إذا شاء فهى التى ينفيها المؤلف عن الله؛ لأنه يتوهم حدوثها، والحوادث بطبيعة الحال مخلوقة، وهذا وهم منه، والأدلة من الكتاب والسنة دالة بوضوح وبألفاظ حقيقية ومحكمة على معانيها أن الله يتكلم مع من شاء وقتما شاء بصوت وحرف، ولم يوجد عند المانعين دليل على نفى إبطال هذه الأدلة المستفيضة إلا السفسطة والكلام الذى ليس عليه برهان، قال الله تعالى:﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ والله أعلم.

(٢) قوله: «فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فلا شك أنه كفر»، يقصد من سمع القرآن الذى هو عبارة عن كلام الله أو دلالة على كلام الله على حسب اعتقاده، وهو مذهب باطل كما أوضحنا، والحق أنه كلام الله حقيقة لا مجاز وليس عبارة أو دلالات عليه كما زعم، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فلا شك أنه قد كفر وقوله هذا حق أريد به باطل، والله أعلم.

(٣) هذا باطل لأنا نعلم وندرك بيقين أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا فى صفاته الذاتية ولا الفعلية ونعلم أنه كلم موسى تكليمًا وسيأتى خلاصة ما عليه أهل السنة فى هذه المسألة.

لا قتضائه الحدوث فكلامه كلام واحد غير متجزئ، وهو ليس من جنس الحروف والأصوات، والكتاب منزل بحق لا بهزل، وما فيهن من الحروف، والكلمات، والآيات دلالات على كلامه، وهن آلات القراءة لحاجة العباد.

وكلامه قائم بذاته أما معناه مفهوم بهذه الأشياء، وكلامه ليس بمخلوق ولا حادث ولا محدث، ولا حرف ولا لفظ ولا لغة ولا نغمة ولا صوت ولا آية ولا سورة، فاللفظ والصوت والحرف والكلمة والآية وسورة راجعة إلى قراءة القارئ[1]، وكذلك كلامه

(١) قال ابن قدامة المقدسى: ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾، وقال سبحانه: ﴿يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى﴾.
قلت: لو لم يكن كلامه سبحانه لموسى عليه السلام بصوت وحرف لم يكن للاصطفاء معنى، وقال سبحانه ﴿منهم من كلم الله﴾، وقال سبحانه: ﴿ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب﴾. وقال تعالى: ﴿فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك﴾، وقال: ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾، وغير جائز أن يقول هذا إلا الله.
وقال عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه: إذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء.
وروى ذلك عن النبى ﷺ، وروى عبد الله بن أنيس عن النبى ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة حفاة عراة بهما، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان». رواه الأئمة واستشهد به البخارى.
وفى بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته وفزع منها ناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت: لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: «أنا فوقك، ووراءك، وعن يمينك، وعن شمالك»، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغى إلا لله تعالى، قال: فكذلك أنت يا إلهى، أفكلامك أسمع أم كلام رسولك، قال: بل كلامى يا موسى.
ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، بلسان عربى مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات، ومن قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة محفوظ فى الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب فى المصاحف فيه محكم متشابه، ناسخ ومنسوخ وخاص وعام، وأمر ونهى، ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾. ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾.
وهذا هو الكتاب العربى الذى قال فيه الذين كفروا: ﴿لن نؤمن بهذا القرآن﴾، وقال بعضهم: =

ليس [١٠٣] بعربى ولا سريانى ولا عبرانى ولا قبطى؛ لأن هذه اللغات أوصاف اللفظ المركب من الحروف، بل هن عبارات عن كلام، وهذه العبارات حروف وأصوات وهى مخلوقة محدثة فى محالها، وهى الألسنة واللهوات.

وإنما تسمى قرآنًا لجمع الجمع، وتسمى كلام الله تعالى؛ لأن الكلام سارٍ بها قوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا**﴾ [يوسف: ٢].

منصرف إلى العبارات دون القائم بذاته، والقراءة بالعربية تسمى قرآنًا، وبالسريانية

=﴿إن هذا إلا قول البشر﴾، فقال الله سبحانه: ﴿سأصليه سقر﴾، وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾.

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنًا لم يبق شبهة لذى لب فى أن القرآن هو هذا الكتاب العربى الذى هو حروف وكلمات وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

قلت: لم يقصد ابن قدامة بالحروف والكلمات والآيات المداد الذى على الورق، أو الورق الذى عليه المداد، أو الصوت المسموع من القارىء، ففى كلامه إجمال يحتاج إلى تفصيل ليس هنا موضعه، وقد سقنا هذا التفصيل لغيره من علماء السنة كابن تيمية لإتمام الفائدة فى غير هذا الموضع من المؤلف، فراجعه.

وقال الله تعالى: ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل.

وقال الله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى﴾. فأثبت أن القرآن هو الآيات التى تتلى عليهم، وقال تعالى: ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ وقال: ﴿إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون﴾، بعد أن أقسم على ذلك وقال: ﴿كهيعص﴾، ﴿حم عسق﴾، وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال للنبى ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة»، حديث صحيح.

وقال عليه السلام: «اقرؤا القرآن قبل أن يأتى قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه».

وقال أبو بكر، رضى الله عنه: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

وقال على، رضى الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين فى أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفى هذا حجة قاطعة على أنه حروف. أ.هـ. لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسى (ص ١٥ - ١٨).

تسمى «إنجيلاً»، وبالعبرانية تسمى «توراة»، وبالقبطية تسمى «زبورًا»، وتكون الكل كلام الله تعالى على معنى أنه يتلى باللغات، يُسَمَّى المقروء قرآنًا، كما يسمى المشروب شرابًا.

والاستعمال فيه جعل حقيقة لا يعرف عند الإطلاق، وكلامه واحد كالعلم والإرادة؛ لأن الواحد لابد من إثباته، والعدد يتعارض القول فيه، ولا يدخل العدد فى ذاته، كذلك لا يدخل العدد فى صفاته، فالواحد أولى من العدد، وتسمية كلامه «قرآنًا» و«توراة» و«إنجيلاً» و«زبورًا»، لا يقتضى كثرة كلامه، كما يسمى بالعربية الله جل وعلا، وبالعجمية خُدَاى، وهما واحد، فكذلك كلامه، وفى كلامه أمر، ونهى، وخبر، واستخبار، وخطاب، ونداء، ووعد، ووعيد، وقصص، وأمثال، وموعظة، فكله [١٠٤] كلام الله تعالى.

وكلامه يجوز أن يسمع على المعنى الذى ذكرنا، وقد سمع موسى عليه السلام كما سمع جبريل عليه السلام[(١)]، وكذا المراد من الآيات هو المعنى الذى ذكرنا، فثبت أن كلامه ليس من الحوادث، وإنما الحوادث هى الحروف والأصوات الدالة عليه[(٢)]،

---

(١) يقصد غفر الله لنا وله: أن موسى عليه السلام سمع من الله بلا صوت وحرف، وهو الغائب كما عبر عنه من قبل، وسمع موسى عليه السلام بصوت وحروف هجاء، وهو ما عبر عنه بالشاهد، وهو ما حدث مع جبريل عليه السلام بزعمه، ومذهبه فى هذه المسألة باطل مخالف لعقيدة أهل السنة، والله أعلم.

(٢) أخطأ المؤلف فى هذه العبارة وغيرها من العبارات الدالة على نفيه كون كلام الله قرآنًا وغيره حروفًا، وكلامًا بل هى على المعنى سمعها موسى وجبريل على المعنى لاعتقاده أن الحروف والألفاظ من الحوادث واستحالة أن تكون صفة من صفات الرب حادثة؛ لأن الحادث مخلوق وهو قول فيه خلط ولم يوفق فيه المؤلف لوجوه:

الأول: ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وهى لا تحصى، بل القرآن من فاتحة الكتاب إلى البقرة يدل على أن القرآن كلام الله حرفًا وهجاء، إلا أن ذلك يحتاج إلى تفصيل، وسيأتى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

الثانى: أننا ذكرنا أن الكلام صفة ذات فعلية، أى ينطبق عليها حد الذاتية ويصلح فيها تقدير إذا شاء، وهذا ينفى قول المؤلف، قال: لو لم يكن متكلمًا لكان موصوفًا بضده وهو الخرس.
فالله سبحانه من صفاته الذاتية القديمة أنه متكلم، وهو يتكلم متى شاء كيفما شاء لمن شاء،=

ويستحيل أن يكون البارى جلّت قدرته محلاً للحوادث، داخلاً تحت التغيير، بل تحت الصفات من نعوت القدم ما تحت الذات، وهو لم يزل فى قدمه موصوفًا بمحامد الصفات، كذلك لا يزال فى أبده منزهًا عن تغيير الحالات، دلالته أنه متكلم بالسمع والعقل، أما السمع[1]، قوله تعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليما**﴾.

=كما كلم موسى وجبريل وآدم وحواء، وكما ورد فى حديث النزول، والرجل الذى أحرق نفسه وغير ذلك من الأدلة الكثيرة. انظر: معارج القبول (١/٢٥٨، ٣٠٤).

الوجه الثالث: أن المؤلف لم يفرق بين كلام الله بحروفه ﴿آلم﴾ ﴿ص﴾ ﴿ق﴾ وغيرها التى بدئت من الله وإليه تعود، وبين المداد المكتوب به، كما قال شيخ الإسلام فى الفتاوى (٥/١٤٦). عارضه آخرون من المثبتة، فقالوا: بل القرآن هو الحروف والأصوات، وتوهم قوم أنهم يعنون بالحروف المداد، وبالأصوات أصوات العباد، وهذا لم يقله عالم، والصواب الذى عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخارى صاحب الصحيح فى كتاب خلق أفعال العباد، وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم اتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس ذلك كلامًا لغيره، ولكن أنزله على رسله، وليس القرآن أسماء لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما.

وقال رحمه الله فى موضع آخر من نفس المرجع (٥/١٤٨): وقلت فى جواب الفتيا الدمشقية وقد سئلت فيها عن رجل حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت، وأن الرحمن على العرش استوى على ما يفيده الظاهر ويفهمه الناس من ظاهره، هل يحنث هذا أم لا؟ فقلت فى الجواب: إن كان مقصود هذا الحالف أن أصوات العباد بالقرآن والمداد الذى يكتب به حروف القرآن قديمة أزلية، فقد حنث فى يمينه، وما علمت أحدًا من الناس يقول ذلك، وإن كان قد كره تجريد الكلام فى المداد الذى فى المصحف وفى صوت العبد لئلا يتذرع بذلك إلى القول بخلق القرآن.

ومن الناس من تكلم فى صوت العبد، وإن كنا نعلم أن الذى نقرؤه هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، وأن الذى بين اللوحين هو كلام الله حقيقة، ولكن ما علمت المكتوب به، وصوت العبد بالقرآن بأنه قديم، ولكن الذين فى قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان فى باب صفات الله تعالى إلا المعانى التى تليق بالخلق لا بالخالق. أ.هـ.

(١) هذه الأدلة التى يستدل بها حق أريد بها باطل، فهو يستدل بها على مذهبه الفاسد الذى قال فيه: إن القرآن عبارات ومعانى كلام الله، أو دلالات على كلام الله، وهو باطل يستدل عليه بحق، والله أعلم.

وقال الشيخ أحمد بن حافظ الحكمى: وليس كلام الله المعانى دون الحروف، ولا الحروف دون المعانى، بل حروفه ومعانيه عين كلام الله. (معارج القبول (١/٢٦١)).

وأما العقل، فلو لم يكن متكلمًا لكان موصوفًا بضده وهو الخرس، تعالى الله عن ذلك.

الصحيح أن الكلام معنى قائم بالمتكلم ينافى السكوت والآفة والطفولية والخرس، وقيل: صفة تصير الذات بها متكلمًا، وهذا الحد صحيح يشمل الشاهد والغائب جميعًا.

وكلامه قديم غير مخلوق السمع والعقل، فالسمع قوله تعالى: ﴿**قرآنًا عربيًا غير ذى عوج**﴾. أى غير مخلوق، وقال النبى ﷺ: «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر بالله العظيم»[1].

---

(١) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة (ص ٣١١، ٣١٢)، حديث رقم (٧٦٦). وقال الديلمى من حديث أبى هاشم عبد الله بن أبى سفيان الشعرانى، عن الربيع بن سليمان، قال: ناظر الشافعى حفصًا الفرد أحد غلمان بشر المريسى، فقال فى بعض كلامه: القرآن مخلوق، فقال الشافعى: كفرت بالله العظيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن أنس رفعه: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فاقتلوه فإنه كافر».

قال الشافعى: وحدثنا ابن عيينة، عن الزهرى وسعيد بن المسيب، عن رافع بن خديج وحذيفة ابن اليمان وعمران بن حصين، قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ قرأ آية، ثم قال: «فمن قال غير هذا فقد كفر». انتهى.

والمناظرة دون الحديث صحيحة، وتكفير الشافعى لحفص بن ثابت أورده البيهقى فى مناقب الشافعى، ومعرفة السنن وغيرهما من تأليفه، ولكن الحديث من الوجهين، بل ومن جميع طرقه باطل، والسندان مختلفان على الشافعى.

قال البيهقى فى الأسماء والصفات: ونقل إلينا عن أبى الدرداء مرفوعًا: «القرآن كلام الله غير مخلوق»، وروى ذلك أيضًا عن معاذ وابن مسعود وجابر مرفوعًا، ولا يصح شىء من ذلك أسانيده مظلمة، لا ينبغى أن يحتج بشىء منها، ولا أن يستشهد بها، وسرد من الأدلة المرفوعة لمعنى كون القرآن كلام الله غير مخلوق ما فيه الكفاية، وكذا ساق عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ما فيه مقنع.

قال: وعلى هذا مضى صدر الأمة لم يختلفوا فى ذلك، ثم نقل عن جعفر بن محمد الصادق فيمن قال: إنه مخلوق أنه يقتل ولا يستتاب. وكذا عن ابن المدينى ومالك: إنه كافر، زاد مالك: «فاقتلوه».

وعن ابن مهدى وغيره أنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

وقال البخارى: فى خلق الأفعال تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ: «أن القرآن كلام الله، وإن أمر الله قبل مخلوقاته». قال: ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان=

.. ..

=خلاف ذلك، وهم الذين أدوا إلينا الكتاب والسنة قرنًا بعد قرن، ولم يكن بين أحد من أهل العلم فيه خلاف إلى زمن مالك والثورى وحماد وفقهاء الأمصار، ومضى على ذلك من أدركناه من علماء الحرمين والعراقين والشام ومصر وخراسان، إلى آخر الكلام، وأطال أبو الشيخ وغيره من كتب السنة وغيرها يذكر الآثار فى ذلك، ولكن الاختلاف فى تكفير المتأولين المخطئين من أهل الأهواء شهير، ولبسط ذلك مع تمامه فى غير هذا المحل، وروينا فى جزء الفيل عن أبى بكر يحيى بن أبى طالب، قال: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن الإيمان مخلوق فهو مبتدع، والقرآن بكل جهة غير مخلوق.

وفى غيره عن عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: كل شىء دون الله مخلوق ما خلا كلامه، فإنه منه وإليه يعود.

وقال العجلونى فى كشف الخفا (١٢٤/٢): وقد حكم بوضع هذا الحديث ابن الجوزى وتبعه الصنعانى، وقال النجم: يروى عن أنس وأبى الدرداء ومعاذ وابن مسعود وجابر بأسانيد مظلمة لا يحتج بشىء منها، كما قال البيهقى فى الأسماء والصفات.

والأدلة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق كثيرة، وعليه أطبق أهل السنة من السلف والخلف، وكَفَّر من قال بخلافه جماعة، منهم: جعفر بن محمد الصادق، ومالك، وعلى بن المدينى، والشافعى، ومحنة الإمام أحمد فيه مشهورة، وهى فى مناقبه مذكورة. انتهى.

وأورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة (ص ٣١٢) حديث رقم (٥٤١٩٨٤)، وقال: روى عن جابر مرفوعًا. وفى إسناده محمد بن عبد الله بن عامر السمرقندى، وَضَّاع. وروى عن ابن عدى، عن أبى هريرة مرفوعًا: «القرآن كلام الله لا خالق ولا مخلوق، من قال غير ذلك فهو كافر»، وهو موضوع.

ورواه الخطيب بنحوه عن ابن مسعود مرفوعًا، وفى إسناده مجاهيل.

وقال فى الميزان: موضوع. وقد أورده صاحب اللآلى فى أول كتابه، وذكر له شواهد وأطال فى غير طائل، فالحديث موضوع، تجرأ على وضعه من لا يستحى من الله تعالى، عند حدوث القول فى هذه المسألة فى أيام المأمون، وصار بذلك على الناس محنة كبيرة وفتنة عمياء صماء.

وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١٣٤/١، ١٣٥)، بلفظ: «القرآن كلام الله عز وجل ليس بخالق ولا مخلوق، فمن زعم غير ذلك فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ونسبه إلى الخطيب من حديث ابن مسعود من طريق مجالد، عن الشعبى، عن مسروق... به، وقال الخطيب: منكر جدًا وفى إسناده مجاهيل.

وقال السيوطى: قال الذهبى: هو موضوع على مجالد. قال ابن عراق: يعنى لأن مجالدًا روى له مسلم مقرونًا بغيره، والله أعلم. =

والعقل أنه لو كان [١٠٥] مخلوقًا لكان الله تعالى متغيرًا فى الأزل عن الكلام، وكلامه قديم كذلك؛ لأنه يستحيل أن يكون متكلمًا بكلام غيره.

وقالت الأشعرية والكرامية: ما فى المصحف ليس عبارة عن كلامه، وإنما حكاية عنه، وعن هذا جَوَّزوا إحراق المصحف.

وعندنا لا يجوز إحراقه؛ لأنه عبارات ودلالات على كلام الله، ومن جوز إحراق ما فى المصحف كان كافرًا(١)، ونحن نقول: هو كما أكثر من هو من المعتزلة؛ لأن المعدوم

=وأورده السيوطى فى اللآلى المصنوعة (٤/١)، من طريق محمد بن هارون النهروانى: حدثنا محمد بن عمر، وعبد الله بن عامر السمرقندى، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبى الزبير... به.

قال السيوطى: لا يصح محمد يكذب ويطبع، وأورده من طريق أحمد بن محمد بن حرب... بإسناده إلى أبى هريرة... فذكره.

وقال: موضوع، آفته ابن حرب وشيخه أيضًا كذاب، وهو محمد بن حميد بن حبان، وجاء بعده طرق وروايات كلها واهية وموضوعة.

ورواه ابن عدى فى الكامل (٤١٨/٤)، قال: حدثنا يحيى بن سليم الطائفى، عن الأزور بن غالب، عن سليمان التيمى، عن أنس به... موقوفًا.

قال ابن عدى: وهذا الحديث وإن كان موقوفًا على أنس فهو منكر؛ لأنه لا يعرف للصحابة الخوض فى القرآن.

قلت: وفى طريقه أزور بن غالب، وهو منكر الحديث كما فى الضعفاء لابن عدى، وكذلك قال البخارى: أزور بن غالب، عن سليمان التيمى، منكر الحديث.

(١) بلى يجوز إحراق المصحف ودفنه لضرورة تقتضى ذلك كتلف أصاب الورق والمداد المكتوب به، أو كما فعل أمير المؤمنين عثمان، رضى الله عنه، بعدما جمع الناس والأمصار على المصحف الذى جمعه والصحابة فى عصره وهى الجمعة الثانية. ولقد عاب قتلة عثمان، رضى الله عنه، والخارجين عليه هذا الفعل، ومنهم من كفَّره بذلك، وهذا هو مذهب المصنف غفر الله لنا وله كما ترى، كفَّرَ على العموم من جوَّز حرق المصحَف دون أن يعين أحد.

وقد وقف صحابة رسول الله ﷺ فى وجه هذه الدعوة الباطلة، أى دعوى التكفير، وعلى رأس هؤلاء الصحابة على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، ورضى الله عنه. قال القرطبى فى مقدمة تفسيره: وذكر أبو بكر الأنبارى فى كتاب الرد عن سويد بن غفلة، قال: سمعت على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله، وإياكم والغلو فى عثمان وقولكم: حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأٍ منا - أصحاب محمد ﷺ. =

معلوم، بعلم الله تعالى أَفَتَرى أن صفة العلم غير زائلة بكون المعدوم معلوم، فكذا الكلام لا يوصف بالمزائلة بظهور المكتوب فى المصاحف.

ونقول: المكتوب دال على الكلام غير حال فى المصاحف حتى لا يكون قولاً بالمزائلة، والمعتزلة والدهرية احتجوا بالنصوص والمعقول، أما النصوص قوله تعالى: **﴿آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾** [البقرة: ١، ٢]. ولو كانت مكتوبات القرآن مخلوقة مجازة في المصاحف لما قال: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾**، وقال: **﴿نزل الفرقان على عبده﴾** [الفرقان: ١]، وقال: **﴿آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾** [الحجر: ١].

ولو أنزله حقيقة، فالنبى ﷺ أدى إلينا حقيقةً لا مجازًا، ولو أدى مجازًا فقد كتم الحقيقة، وهذا [١٠٦] لا يجوز. وإن قيل: بعضها بالحقيقة وبعضها بالمجاز، فقد صار القرآن قرآنين، وهذا محال.

فتبين بهذه الدلائل أن القرآن مخلوق حال فى المصاحف؛ لأن الله تعالى قال: **﴿إنا جعلناه قرآنًا عربيًا﴾** [الزخرف: ٣]، والجعل إنما هو الخلق[1]، ونحن نقول: هذا

=وعن عمر بن سعيد، قال: قال على بن أبى طالب، رضى الله عنه: لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان. قال أبو الحسن بن بطال: وفى أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التى فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها وصيانة عن الوطء بالأقدام، وطرحها فى ضياع من الأرض. روى معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: أنه كان يحرق الصحف إذا اجتمعت عنده الرسائل فيها بسم الله الرحمن الرحيم، وحرق عروة بن الزبير كتب فقه كانت عنده يوم الحرة، وكره إبراهيم أن تحرق الصحف إذا كان فيها ذكر الله تعالى، وقول من حرقها أولى بالصواب، وقد فعله عثمان، وقد قال القاضى أبو بكر لسان الأمة: جائز للإمام تحريق الصحف التى فيها القرآن، إذا أداه الاجتهاد إلى ذلك. ا.هـ.

(١) قوله: بأن القرآن جعل، والجعل إنما هو الخلق، نرد عليه قائلين: قال الأذرعى: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنًا عربيًا﴾، فما أفسده من استدلال، فإن «جعل» إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعولين، كقوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾، وقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.

وإذا تعدى إلى مفعول واحد لم يكن بمعنى خلق، قال تعالى: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾، وقال تعالى: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾. ونظائره كثيرة، فكذا قوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون﴾. انظر: شرح أصول العقيدة الإسلامية لعلى ابن أبى العز الأذرعى (ص ٦٠).

سَمْكًا[1] أن الجعل ينبىء عن الخلق، ألا ترى إلى قوله تعالى خبرًا عن الملحدين: ﴿**جعلوا القرآن عضين**﴾ [الحجر: ٩١]، ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا**﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال: ﴿**وجعلوا لله شركاء**﴾ [الرعد: ٣٣، الأنعام: ١٠٠]، إن الجعل هاهنا خبر عن الخلق، ولو جعل القرآن محدثًا لجاز الخرس عليه قبل إحداث الكلام، فحاشا أن يوصف الله عز وجل بالخرس؛ لأن الأخرس عاجز لا يصلح أن يكون أميرًا، فكيف يصلح أن يكون ربًا؟!.

والذى قلتم المكتوب والمسموع والمقروء قرآن حال حقيقةً لا مجازًا، فحقيقة القرآن صفة الله وصفته قائمة بذاته بلا كيف ولا كيفية ولا مثل، كما أن ذاته توصف بلا كيف ولا كيفية ولا مثل، وقد أقمتم الدليل من رأيكم وضلالتكم وأبدعتم بجبه أقوالكم ووصفتم صفة الله تعالى بالكيف، فحاشا أن يوصف الله تعالى بالكيف، فحاشا أن يوصف ذات الله تعالى أو صفاته بالكيف. واحتجوا بقوله تعالى: [١٠٧] ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه**﴾ [الأنبياء: ٢].

أجمع أهل التفسير على أن المراد من الذكر المذكور فى الآية كلام الله تعالى، فالله تعالى أخبر أن كلامه محدث، فمن قال: إنه قديم، فقد خالف النص، وكذلك قال: ﴿**ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته**﴾ [فصلت: ٤٤].

والجعل والخلق واحد، أخبر أنه مخلوق، وقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة مباركة**﴾ [الدخان: ٣].

وصفة كونه منزلاً، والمنزل يكون حادثًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة: ٦]. والمسموع هذه العبارات وهذه الحروف محدثة، وقد سمى الله تعالى هذه الحروف كلام الله، وهذه الحروف محدثة ومخلوقة، ولهذا قيل: التصنيف، والتعشير، والتثليث، والتسبيع، ويقال: نصف القرآن وربعه وعشره وسبعه.

والمحدث يقبل هذه الأشياء، دل أنه مخلوق وليس بأزلى قديم؛ ولأن فى كتاب الله

(١) [سَمْكًا]: أى مرفوع. انظر «المعجم الوسيط» (١/ ٤٥٠)

تعالى أمرًا ونهيًا وأخبارًا واستخبارًا، أما الأخبار قوله تعالى:﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾ [طه:١٢١] وكذلك قوله:﴿**فألقى عصاه**﴾ [الأعراف:١٠٧]

ولو كان كلامه أزليًا لتمكن الخلف فى خبر الله تعالى؛ لأن الإخبار يستدعى وجود المخبر به، وفى الأزل لم يكن آدم [١٠٨] موجودًا ولا موسى، ومعنى الأخبار غير معنى الاستخبار، ومعنى النهى غير معنى الأمر بل متضادة، قالوا: كيف تكون أمرًا ونهيًا وأخبارًا واستخباراً؟ والمعنى الواحد كيف يشتمل على معان مختلفة متضادة؟ وكذلك التوراة والإنجيل والزبور والصحف كلام الله تعالى، والقرآن كذلك الذى هو عندنا كلام الله وعندكم عبارات دالة على الكلام، ما قولكم أن الكلام كلام واحد أم كلمات؟ إن قلتم: كلمات فقد أبطلتم كلامكم؛ لأن عندكم كلام الله تعالى واحد، وإن قلتم: الكل كلام واحد فباطل أيضًا؛ لأنه إذا كان واحدًا فما أنزل على محمد ﷺ يكون منزل على موسى وعيسى عليهما السلام، وما أنزل عليهما يكون منزلاً على محمد ﷺ.

وإجماع الناس بخلافه، ولأن عندكم لما كان الكلام أزليًا والله تعالى [١٠٩] متكلم فى الأزل، فلا يخلو إما أن يكون متكلمًا للاستئناس والتوكيد والتحفظ، فإنّ فى الشاهد متكلم وحده لا يخلو عن هذين الوجهين لا جائز أن يكون متكلمًا للاستئناس، وأنّ ذلك لإزالة الوحشة ولا يتحقق فى حق الله تعالى، بل هو محال فى حقه.

ولا جائز أن يكون للتوكيد؛ لأن السهو والغفلة والنسيان لا يجوز فى حق الله؛ ولأن الله تعالى لو كان متكلمًا فى الأزل لا يخلو إما أن يكون كلامه موافقًا كما فى الشاهد أو مخالفًا، إن كان موافقًا جاء ما قلنا، وإن كان مخالفًا فى الشاهد لا يجوز؛ لأنه لما جاز أن يكون موصوفًا بكلام خلاف ما فى الشاهد جاز أن يكون متحركًا بحركة أو ساكنًا بسكون خلاف ما فى الشاهد، وفى حق الحركة والسكون لا يجوز، فكذلك فى حق الكلام.

فالحجة لأهل السنة والجماعة: وهو أنا اتفقنا أن الله تعالى متكلم حقيقة وقت التكلم، وإن اختلفنا فى الأزل ولا يخلو إما أن يكون متكلمًا بكلام هو قديم، ولا يجوز أن يكون متكلمًا بكلام هو حادث. [1] وجب القول ضرورة: إنه متكلم بكلام وهو

---

(١) كل ما ذكره المؤلف فى نفى حدوث كلام الله تعالى مطلقًا مخالف لما ذكره علماء أهل السنة =

قديم لم يزل أوّلا ولا واسطة بين القديم والحادث، والدليل على أنه لا يجوز أن [١١٠] يكون متكلمًا بكلام حادث؛ لأنه لو كان كلامه حادثًا. وقبل التكلم لا يكون كلامًا أو يكون متعريًا عن الكلام ولا يخلو إما أن يكون متعريًا[1] عن الكلام لذاته أو للمعنى، فلو كان متعريًّا عنه لذاته لما يصير ضرورته متكلمًا مع قيام ما يوجب التعرّى عن الكلام، ولو كان متعريًّا عن الكلام لمعنى لا يخلو أيضًا إما أن ينعدم ذلك المعنى وقت التكلم، أو لم ينعدم ذلك المعنى، فإن لم ينعدم بحدوث الكلام وجوده مع وجود المعنى الموجب للتعرّى، يكون محالاً، وإن انعدم ذلك المعنى ثبت أنه محدث ثبت قبل العدم؛ فإن المحدث ما جاز عليه الوجود والعدم.

وإذا كان المعنى حادثًا كان الله تعالى محل الحوادث، ولا يجوز أن تكون ذات الله تعالى محل الحوادث؛ لأنها ما لا تخلو عن الحوادث يكون حادثًا تعالى الله عن ذلك، ولأن كلام الله تعالى لو كان حادثًا إما إحداثه فى ذاته أو فى محل آخر أو لا فى محل، لا جائز أن يحدث فى ذاته؛ لأنه حينئذٍ يكون محل الحوادث، والقديم لا يكون محل الحوادث على ما بينا، ولا جائز أن يحدث فى محل آخر؛ لأنه حينئذٍ يكون ذلك المحل موصوفًا بصفة كونه متكلمًا كالحركة والسكون [١١١] وغير ذلك لا الله.

=والجماعة فى مصنفاتهم، وسبق أن ذكرنا أن الكلام صفة ذاتية قائمة أزلية وصفة ذاتية فعليه يتكلم بما شاء وقتما شاء لمن شاء كما استفاضت الأدلة بذلك،(راجع ما ساقه صاحب معارج القبول من أدلة الجزء الأول (٢٥٨:٤:٣٠٤).

والواضح أن المؤلف متأثر بل ومولع بعلم الكلام كما ذكر فى أول كتابه هذا أن علم الكلام من أحسن العلوم وهو رحمه الله وغفر الله لنا وله قليل التمسك بظاهر الكتاب والسنة، كثير التعلق باصطلاحات وتعبيرات أهل الكلام المذمومين فى مصنفات علماء الأمة كالعرض، والجوهر، والعدم والحدوث وغير ذلك مما لا يرد إلا فى كلام المتفلسفة، والحق أن كثيرًا من علماء الأمة المحققين كابن تيمية وابن القيم وغيرهم يتكلمون باصطلاحات المتكلمين لا على أنها أصل فى كلامهم يخالفون به طريقة سلف الأمة بل للرد على المتكلمة المتفلسفة بطريقتهم ولغتهم.

أما المؤلف رحمه الله فقد جعل اصطلاحات المتكلمة أصلاً له فى التعبير عن علم التوحيد الذى يسمونه أصول الدين، مع أن ظاهره فى مؤلفه هذا أنه محارب لأهل الكلام المتفلسفة داحض لحجج المبتدعة حاملاً راية أهل السنة والجماعة ينقل عن أئمته من الحنفية.

(١) متعريًا عن الكلام: أى زوال صفة الكلام الذاتية أو زوال المعنى الدال على الكلام عند التكلم تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

إذ الموصوف بالصفات محلّها التى يقومها لا خالقها، ولا جائز أن يحدث لا فى محل؛ لأنّ الكلام المحدث عرض(١) ووجود العرض لا فى محل محال؛ إذ القول يؤدى إلى قلة الحس، فإن الفرق بين العرض والجوهر هذا أنّ الجوهر ما يقوم بنفسه والعرض ما يقوم بغيره، فالقول بقيام العرض بنفسه قول يؤدى بقلة الحس وهو محال.

فإن قيل قولكم بأن الله متكلم بكلام حادث أو بكلام قديم؟.

قلنا: بكلام حادث.

قولكم: بأنه لو كان متكلمًا بكلام لا يخلو إما أن أحدث فى ذاته أو فى محل آخر أو لا فى محل على ما قلتم.

قلنا: أحدث فى محل لا فى ذاته، ولا فى محل.

قولكم: إذ أحدثه فى محل، فالموصوف بكونه متكلمًا ذلك المحل لا الخالق كما فى سائر الأعراض.

قلنا: شرط كون المحل موصوفًا بذلك الوصف لا الخالق أن يكون قائلاً لذلك الوصف، والمحل الذى أحدث الله الكلام فيه، وهو الجماد ليس بقابل للتكلم؛ لأن الجماد لا يقبل التكلم، فاتصاف الله بكونه متكلمًا لا للمحل؛ لانعدام شرطه بخلاف الحركة والسكون وغيره، حيث اتصف المحل به لا الخالق؛ لأن المحل قابل لهذه الأوصاف، ولأن فى خلق الحركة والسكون وغيره من الأعراض فى مَحَال(٢) [١١٢] إنما يتصف المحل بكونه موصوفًا لا الخالق؛ لأنه يستحيل إضافة هذه الأوصاف إلى الله تعالى؛ لأنه من أوصاف النقص.

أما ليس فى إضافة الكلام إلى نفسه استحالة؛ لأن الكلام من صفاته، فجاز أن

(١) سبق الكلام عن العرض والجسم والجوهر.
وكلام المخلوقات أعراض تقوم بغيرها، وهى المخلوقات وكلام الله سبحانه ليس كمثله شىء وليس بأعراض تعالى الله عن الأعراض فكل صفاته سبحانه قائمة بذاته أزلية لا تنفك عنه وهو موصوف بصفات الكمال، والأعراض من صفات النقص؛ لقيامها بغيرها، وحدوثها وفنائها عن ما قامت به، وكما أن الكلام صفة ذاتية لا تنفك عن الله، فهى صفة فعل يصلح فيها تقدير إذا شاء، وليس ذلك عرض تعالى الله عن ذلك وقد فصلنا هذا فى غير هذا الموضع، والله أعلم.
(٢) قوله: محال، لا يقصد به استحالة الفعل، بل معناه جمع مَحِلْ، والله أعلم.

يتصف الله به بخلاف الحركة والسكون على ما بينا، والذى يوجد من العبد كلام باعتبار ذلك كلامه لا كلام الله تعالى.

فالجواب قلنا: الكلام على ما بيّنا أنَّ الله تعالى متكلم بكلام على الحقيقة فى الحال.

وإن اختلفنا فى الأزل، فلا يخلو إما أن يكون متكلمًا بكلام هو حادث، لما بينا أنه لو كان حادثًا لا يخلو إما أن يكون قابلاً لذلك، وهاهنا المحل ليس بقابل؛ لأن الله تعالى خلق الكلام فى الجماد وليس الجماد بقابل، فلم يتصف بكونه متكلمًا.

قلنا: ما نعنى بعدم القول أنه يستحيل وجود الكلام، وقيامه به أولاً، يستحيل أن يكون يعنى بعدم القول الاستحالة، يعنى يستحيل أن يوجد الكلام باللّوح فما خلق الله تعالى فيه لا يكون كلامًا إذ استحال وجود الكلام فيه، وإذا لم يكن كلامًا، فالله تعالى كيف يكون موصوفًا بكونه متكلمًا بخلق ليس بكلام وإن كان يستحيل وجود الكلام فى اللوح وقيامه به أيضًا بكونه متكلمًا، ومع هذا لا يوصف [١١٣] المحل بكونه متكلمًّا؛ لما بينا أنه متكلم فى الأزل، وكلامه قديم أزلى.

وأما قوله بأنّ الحركة والسكون لا يجوز إضافته إلى الله تعالى؛ لأنه من أوصاف النقص، أمّا الكلام فى أوصاف الكمال فيجوز إضافته إليه.

قلنا: كما أن إضافته إلى الله تعالى ليس يستحيل، ويجوز أن يوصف المحل بكونه متكلمًا كما يجوز أن يصف الخالق بكونه متكلمًا، ما أضفتم إلى الله تعالى وما أضفتم إلى المحل وإضافته أولى؛ لأنه صفة قائم به ومع هذا أضيف إلى الله تعالى، علمنا أن إضافته إلى الله تعالى بطريق الذى قلتم إنه من أوصاف الكمال.

فأمّا الجواب عن تعلقهم بالآيات لنا قوله تعالى: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه**﴾ [الأنبياء: ٢].

قلنا: إنّ المراد من الذكر الوعظ، فإن النبى ﷺ كان يعظهم، وهم كانوا يمنعون ولا يتعظون بعظته ولا يستمعون، ووعظ النبى ﷺ محدث.

وجواب آخر: هب أنَّ المراد من ذكر المذكور فى الآية القرآن، ولكن القرآن ليس غير كلام الله تعالى؛ لأن كلام الله تعالى معنى قائم بذاته على ما بينا، أما القرآن فعل القارئ والمقرؤ والمتلو هذه الحروف التى هى فى المصحف وهو محدث وليس [١١٤]

بقديم، وهذا هو الجواب عن قوله: ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا﴾ [فصلت: ٤٤].

قلنا: القرآن بهذه العبارات الدالة على كلام الله تعالى، وأنها محدثة والمنزل هو الحروف المنظومة أيضًا وهو محدث لكن بهذه الآيات من الوجه الذى بينا.

وأما قوله: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦].

قلنا: قد بينا أن كلام الله معنى قائم بذاته ليس بمسموع[1]، والمسموع هذه الحروف

---

(١) هذا قول باطل، قال الأذرعى ردًا على هذا القول وما يشبهه: هذه الآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله فإنه تعالى قال: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾، ولم يقل: حتى سمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل: الحقيقة، ومن قال: إن المكتوب فى المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالا.

وكلام الطحاوى يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وإن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوى رحمه الله يقول: «كلام الله منه بدًا» وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: «منه بدا، وإليه يعود» وإنما قالوا: منه بدا، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام فى محل، فبدا الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: منه بدا، أى: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز﴾ [الزمر: ١]، وقال سبحانه: ﴿ولكن حق القول منى﴾ [السجدة: ١٣].

ومعنى قوله: «وإليه يعود» أى: يُرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى فى الصدر منه آيةٌ ولا فى المصاحف، كما جاء ذلك فى عدة آثار. وقوله: «بلا كيفية» أى: لا يعرف تكلمه به قولاً ليس بالمجاز، وأنزله على رسوله وحيا، أى: أنزل إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك وقرأه على الناس.

قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥].

وقوله - أى الطحاوى: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية» ردٌ على المعتزلة وغيرهم. وفى قوله: «بالحقيقة» رد على من قال إنه معنى واحد قائم بذات الله لم يُسمع منه وإنما هو الكلام النفسانى، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام ولم يتكلم به: إن هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلما، ولزم أن لا يكون الذى فى المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هى كلام الله.ا.هـ. وللكلام فى هذه المسألة=

المنظومة والأصوات المقطوعة، ومع هذا قال: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾. عرف أنه أراد به هذه الحروف المنظومة(١)؛ لأن المسموع هذه الحروف وإنّما أطلق اسم الكلام بطريق المجاز والمجاز متعارف.

فإن قال: الكلام على حقيقته حتى يقوم الدّليل على المجاز.

قلنا: بلى قد قام لنا الدليل، هو ما بينا(٢).

وأما الجواب عما قالوا: إن فى كتاب الله تعالى أخبارًا وأمرًا ونهيًا نحو قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١]، وقوله: ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ [يوسف:

=بقية ستأتى إن شاء الله، وراجع هذه المسألة فى كتب المحققين كابن تيمية، وابن قدامة وغيرهما. انظر: «أصول العقيدة الإسلامية» صـ(٦١: ٦٢).

(١) هذه الردود التى يذكرها المؤلف تأويلات باطلة غير مستساغة لوجوه:

الأول: أن هذا التأويل يصرف الكلام عن ظاهره إلى معنى غير ظاهر منه لا يحتمله ولا يوجد دليل عليه.

والثانى: مخالفته للعلوم الشرعية واللغوية.

والثالث: مخالفته لعمل الصحابة وإجماع الأمة.

الرابع: أن الألفاظ المبينة للعقيدة فى الكتاب والسنة ألفاظ لا تحتمل التأويل كالمحكم والحقيقى والمفسر، ويجب العمل بها قطعًا أو هى من قبيل المتشابه، والمتشابه أيضًا لا يؤوّل وحكمها الوقف وتفويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى.

(٢) قلت: لم يأت المؤلف بدليل كما زعم على أن قوله تعالى: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾، أراد به هذه الحروف المنظومة؛ لأن المسموع هذه الحروف، وإنما أطلق اسم الكلام بطريق المجاز كما يعتقد.

قلت: والدليل الذى يصرف الكلام عن معناه الحقيقى إلى المجاز هو القرينة؛ لأن المجاز لفظ مستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة، والقرينة إما أن تكون شرعية أو عرفية أو لغوية، وقد دلت الدلائل الشرعية المستفيضة من الكتاب والسنة على أن القرآن كلام الله حقيقة لا مجازًا، ولم يأت المؤلف بقرينة تصرف الكلام عن معناه الحقيقى.

كما أن كل لفظ حقيقى وضعه الشارع، لا أهل الشرع، كالأسماء التى أجريت على الأفعال، كالصلاة، والصوم ونحو ذلك، والأسماء التى جرت على الفاعلين كالمؤمن والكافر والفاسق وغير ذلك، وأيضًا الأسماء والصفات التوقيفية كلها حقائق شرعية لا يجوز صرفها إلى الحقائق اللغوية أو العرفية، فضلاً عن صرفها إلى المجاز كما زعم المؤلف؛ لأن هذه الحقائق موضوعة بوضع الشارع لا بوضع أحد، سواء أهل الشرع أو اللغة أو العرف، فإذا قال الله: «يد الله»، قلنا: إن له يدًا ليس كمثلها شىء؛ لأنها حقيقة شرعية صرفت الحقائق لغوية كانت أو عرفية لأنها موضوعة بوضع الشارع، فلا يجب صرفها إلى غيرها، والله أعلم.

٥٩]، ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ [يوسف: ٥٨]. ولو كان إخباره أزليًا يكون سابقًا عليها، ويكون قبل وجود المخبر به، فيكون كذبًا.

قلنا: بعض أصحابنا قالوا بأن كلام الله تعالى ليس بأخبار، وإنما يصير أخبارًا عند وجود المخبر به [١١٥] هذا خرج ما قالوا.

وعند بعض أصحاب الحديث ومشايخنا: كلام الله إخبار، وأنه أزلى ولكنه إخبار مطلق[١]، ولا يتعلق بالزّمان، وإنما المطلق المخبر به، وإن كان لم يوجد بعد ما كان الإخبار إخبارًا أنه يوجد، وإذا وجد كان إخبارًا أنه للحال موجودًا أو انقضى كان إخبارًا أنه فيما قبل، والتغير على المخبر لا على المخبر والإخبار الأزلى، فيعتبر بالعلم، فإنه يعنى كان فى الأزل عالمًا أنَّ آدم يوجد، وحين وجد كان عالمًا أنه للحال موجود، وحين انقضى أنه كان قبل هذا موجودًا، والتغير على المعلوم لا على العلم عندنا، بل العلم فى جميع الأحوال واحد، فكذلك هذا.

وقوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾، عبارة دالة على إخبار الله لا عين إخبار الله تعالى، فإن كان هذا موجودًا قبل عصيان آدم، ومجىء إخوة يوسف، ولا يكون فى الخبر خلف، وإن لم يكن موجودًا يكون بمعنى يعصى، ويجوز أن يذكر الماضى ويراد به المستقبل، فإن له نظائر كثيرة.

وأما الأمر والنهى، قلنا: أحد الجوابين عنه ما بينا أن بعض أصحاب الحديث قالوا: بأن كلام الله ليس بأمر، وإنّما يصير أمرًا عند صيرورة المأمور عاقلاً بالغًا عندنا [١١٦] وعند بعض أصحاب الحديث كلام الله تعالى أمر وإيجاب، ولكن الإيجاب[٢] ليجب به عند وجود صيرورته عاقلاً بالغًا ليس بسفيه[٣]، أما الإيجاب على المعدوم لووجب[٤]

---

(١) قوله: مطلق، المعنى هنا أنها أخبار موضوعة لتدل على مخبر عنهم غير مقيدة بزمان، فإن جاء زمان الخبر قيد للحال وحمل المطلق على القيد، فإن انقضى الزمان، صار إخبارًا على قيد مضى، والله أعلم.

(٢) الإيجاب: هو الحكم الشرعى التكليفى الذى يتعلق به فعل المكلف المطلوب منه طلبًا جازمًا من الشارع ويسمى هذا الفعل بالواجب.

(٣) السفه: صفة تعترى الشخص، فتحمله على العمل باختياره على خلاف موجب الفعل رغم وجوده، ولا ينافى الأهلية، وقد عرفه الفقهاء بأنه عدم الإحسان فى التصرفات وتبذير المال وإنفاقه على خلاف مقتضى العقل، سواء أنفقه فى وجوه الخير أم فى وجوه الشر، وحكم=

عليه وهو معدوم سفه، وعلى أنه كم من شيء يكون سفهًا فى حق الشاهد ولا يكون سفهًا فى حق الغائب، فإنّ المولى إذا رأى عبده يزنى بأمته وسكت ولم يمنعهما عن ذلك، يسمى هذا سفهًا، وفى حق الله تعالى مع أن الله تعالى خالق القدرة والجملة فى الآلة لا يسمى سفهًا، ففى ما نازعنا[1] فيه يكون كذلك، كيف؟ وأنه ليس بسفه ما على ما بينا.

ويجوز أن يكون الإيجاب موجودًا، والوجود متأخرًا كما فى أحكام الشرع، فالله تعالى أمر ونهى حتى إذا وجد العبد وبلغ إليه الأمر والنهى بتبليغ الرسول فيمتثل وينتهى، ويحصل ما هو المراد من الآمر والنّاهى، ولا يكون سفهًا ولا شيء بل يكون هذه حكمة كما فى الشاهد إذا مال للآخر إذا ولد لى ولد فقل له حتى يعمل كذا، لا يكون هذا الأمر سفهًا، فكذلك هاهنا.

وأما الجواب عما قالوا إن كلام الله تعالى لا يخلو أن يكون على وفاق كلام فى الشاهد أو على خلاف، وأى ما كان فلا وجه إليه على ما قالوا.

قلنا: [١١٧] الكلام فى الشاهد والغائب جميعًا سواء، ولا خلاف، ولكن يحتاج إلى معرفة ماهية الكلام ليظهر أنه هل يختلف فيقول الكلام معنى قائم بالمتكلم، وإن ينافى الخرس والسكوت، وهذه العبارات المسموعة دالة على ما فى القلب، ويكون المتكلم باللسان مترجمًا لما فى قلبه بلسانه إذا أراد بخبره ما فى قلبه، إلاّ أنَّ فى الشاهد المعنى الذى تسميه كلامًا حادثًا، وفى حق الله تعالى قديم أزلى، ثم الدليل على أن الكلام ما قلنا: النّص، والمعقول، واللغة، والعرف.

وأما النّص فقوله تعالى: ﴿**ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**﴾ [المجادلة: ٨]، سمّى الله تعالى ما فى النفس قولاً، والكلام والقول واحد[2]، وكذلك

=السفه أنه لا يوجب خللاً فى الأهلية ولا يمنع شيئًا من أحكام الشرع، فالسفيه أهل لمباشرة التصرفات والعقود ومطالب بأداء العبادات المختلفة. محاضرات فى أصول الفقه الإسلامى، د/ محمد وفاء (ص ٩١).

(٤) جاء بالمخطوط: ليحب، وما أثبتناه يقتضيه السياق، والله أعلم.

(١) جاء بالمخطوط: ما لنا زعنا، وما أثبتناه يقتضيه السياق.

(٢) قال أبو محمد: واختلفوا فى كلام الله عز وجل بعد أن أجمع أهل الإسلام كلهم أن لله تعالى=

.. ..

=كلامًا، وعلى أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام، وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، فكل هذا لا اختلاف فيه بين أحد من أهل الإسلام.

ثم قالت المعتزلة: إن كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق، وقالوا: إن الله عز وجل كلم موسى بكلام أحدثه فى الشجرة.

وقال أهل السنة: إن كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل وأنه غير مخلوق، وهو قول الإمام أحمد ابن حنبل وغيره، رحمهم الله.

وقالت الأشعرية: كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة، وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى، وهو غير علم الله تعالى، وأنه ليس لله إلا كلام واحد.

قال أبو محمد: واحتج أهل السنة بحجج، منها أن قالوا: إن كلام الله تعالى لو كان غير الله، لكان لا يخلو من أن يكون جسمًا أو عرضًا، فلو كان جسمًا لكان فى مكان واحد، ولو كان ذلك لكنا لم يبلغ إلينا كلام الله عز وجل، ولا كان يكون مجموعًا عندنا فى كل بلد كذلك، وهذا كفر، ولو كان عرضًا لاقتضى حاملاً، ولكان كلام الله تعالى الذى هو عندنا هو غير كلامه الذى عند غيرنا، وهذا محال، ولكان أيضًا يغنى بغناء حامله، وهذا لا يقولونه، وبالله التوفيق.

قالوا: ولو سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى من غير الله تعالى لما كان له عليه السلام فى ذلك فضل علينا؛ لأننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره، فصح أن لموسى عليه السلام مزية على من سواه، وهو أنه عليه السلام سمع كلام الله بخلاف من سواه، وأيضًا فقد قامت الدلائل على أن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه، ولا بمعنى من المعانى، فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقًا، وجب ضرورة أن يكون كلام الله تعالى ليس مخلوقًا وليس غير الله تعالى كما قلنا فى العلم سواء بسواء.

قلت: ثم ساق ابن حزم حججًا أخرى لغير أهل السنة كالأشعرية، وأبطل مقالتهم، ثم قال بعد ذلك: والذى نقول به، وبالله تعالى التوفيق، هو ما قاله الله عز وجل ونبينا محمد ﷺ، لا نزيد على ذلك شيئًا، وهو أن قول القائل: القرآن وقوله كلام الله كلاهما معنى واحد، واللفظان مختلفان، والقرآن هو كلام الله عز وجل على الحقيقة بلا مجاز، ونكفر من لم يقل ذلك، ونقول: إن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى على الحقيقة على قلب محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾.

ثم نقول: إن قولنا: القرآن، وقولنا: كلام الله، لفظ مشترك يعبر به عن خمسة أشياء، فتسمى الصوت المسموع الملفوظ به قرآنًا، ونقول إنه كلام الله تعالى على الحقيقة، وبرهان ذلك هو قول الله عز وجل: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، وقوله تعالى: ﴿فاقرؤا ما تيسر من القرآن﴾، وأنكر على الكفار وصدق مؤمنى الجن فى قولهم: ﴿إنا سمعنا=

قول الله تعالى: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون: ١] وما كانوا كذبة بلسانهم؛ لأنهم قالوا إنه رسول الله بلسانهم، والأمر كما قالوا: علمنا أنهم إنما كانوا كذبة بكلام قلوبهم وسمّاهم كذبة قلوبهم؛ لأنه كان فى قلوبهم خلاف ما فى لسانهم.

وأما ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى عفا عن أمتى ما حدثت به

=قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد﴾، فصح أن المسموع وهو الصوت الملفوظ به هو القرآن حقيقة، وهو كلام الله تعالى حقيقة من خالف هذا فقد عاند القرآن، ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآنًا، وكلام الله على الحقيقة، فإذا فسرنا الزكاة المذكورة فى القرآن والصلاة والحج وغير ذلك، قلنا: فى كل هذا كلام الله، وهو القرآن، ونسمى المصحف كله قرآنًا، وكلام الله.
وبرهاننا على ذلك قول الله عز وجل: ﴿إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون﴾، وقول رسول الله ﷺ، إذ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض الحرب لئلا يناله العدو، وقوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة فيها كتب قيمة﴾.
وكتاب الله تعالى هو القرآن بإجماع الأمة، فقد سمى رسول الله ﷺ المصحف قرآنًا، والقرآن كلام الله تعالى بإجماع الأمة، والمصحف كلام الله تعالى، برهاننا على ذلك قول رسول الله ﷺ، إذ أمر بتعاهد القرآن، وقال عليه السلام: «إنه أشد تقصيا من صدور الرجال من النعم من عقالها». وقال الله تعالى: بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم.
فالذى فى الصدور هو القرآن، وهو كلام الله على الحقيقة لا مجازًا، ونقول كما قال رسول الله ﷺ: «آية الكرسى أعظم آية فى القرآن، وأن أم القرآن فاتحة الكتاب، لم ينزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الإنجيل مثلها، وأن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن».
وقال الله عز وجل: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾، فإن قالوا: إنه يتفاضل الأجر على قراءة ذلك.
قلنا لهم: نعم ولا شك فى ذلك، ولا يكون التفاضل فى شىء مما يكون فيه التفاضل إلا فى الصفات التى هى أعراض فى الموصوف بها، وأما فى الذوات فلا، ونقول أيضًا: إن القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه، وليس شيئًا غير البارى تعالى، برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾، وقال تعالى: ﴿وتمت كلمت ربك صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته﴾.
وباليقين يدرى كل ذى فهم أنه تعالى إنما عنى سابق علمه الذى سلف بما ينفذه ويقضيه. ا. هـ.
الفصل فى الملل والنحل لابن حزم (٣/٣ - ١٠).

أنفسهم ما لم يفعلوا أو يتكلموا»[(١)]. [١١٨] سماه حديث النفس، والحديث والكلام واحد.

وأما اللغة، شعر الأخطل، بيت:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال لبيد شعر:

وأكذب النفس إذ حدثتها إن صدق النفس يذوى بالأمل

والعرف: هكذا فإنهم يقولون فى قلبى كلمات لا يمكننى إظهارها، وقد قيل بلسان الفارسى:

بيت دردل من سخنا نست كنما تواثم كفت[(٢)]

والمعقول: هكذا فإنه إذا تكلم باللسان من غير أن يريد فى قلبه معنى يظهر بكلامه هذيانًا ولغوًا دل أن الكلام حقيقة معنى قائم بالمتكلم وهذه العبارات دال عليه

فإن قيل: ما قلتم تفسير العلم لا تفسير الكلام.

قلنا: بل تفسير الكلام، قال الله تعالى سماه قولاً فكيف يكون تفسير العلم الإقرار به

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق، باب الطلاق فى الإغلاق والكره...» (١٠/٣٠٠)، حديث رقم (٥٢٦٩) من طريق قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبى هريرة... به.
ومسلم فى كتاب الإيمان، باب (تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر) (١/٢٠١/ص ١١٦)، (١/٢٠٢/١١٧).
وأبو داود فى كتاب «الطلاق»، باب فى الوسوسة بالطلاق (٢/٢٧١)، حديث رقم (٢٢٠٩).
والترمذى فى كتاب «الطلاق»، باب (ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امرأته) (٣/٤٨٠) حديث رقم (١١٨٣).
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وابن ماجه فى كتاب الطلاق، باب من طلق فى نفسه ولم يتكلم به (١/٦٥٨) حديث رقم (٢٠٤٠).
وأحمد فى مسنده (٢/٢٥٥، ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٧٤)، جميعًا من طريق قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبى هريرة... به.

(٢) هذا البيت فارسى ومعناه: إن قلبى به مشاعر ولا يمكن إظهارها ولا الكلام بها.

شرط ليكون الكلام حسنًا مفيدًا، أما العلم[١] معنى وراء الكلام غير الكلام كإدراك البصر معنى وراء العلم لا عين العلم.

فإن قال: على اعتبار ما قلتم يكون الأخرس والساكت متكلمًا؟ قلنا: إن كان الخرس فى اللسان دون القلب أو السكوت فى اللسان دون القلب يكون متكلمًا بالكلام فى النفس، إنما لا يكون متكلمًا فى اللسان بوجود [١١٩] ضده وهو الخرس؛ وهذا لأن الكلام نوعان: باللسان وبالقلب، والخرس والسكوت نوعان أيضًا: باللسان وبالقلب.

والخرس آفة تحل فى اللّسان فيمنعه عن التكلم، والخرس آفة تحل فى القلب فيمنعه من التفكر والتأمل، فوجود الخرس فى أحد المحلين لا يتحقق فى المحل الآخر، ويكون متكلمًا بذلك الكلام إذ التضاد والتنافى إنما يتحقق فى محل واحد لا فى محلين مختلفين.

وأما ما قالوا: إن على أصلكم لما كان كلام الله تعالى واحدًا إن الواحد كيف يكون أمرًا ونهيًا وأخبارًا واستخبارًا على ما قالوا؟

قلنا: يجوز أن يكون الكلام الواحد، أمرًا، ونهيًا، وأخبارًا، واستخبارًا[٢]، وأى حالة فى هذا أليس أن فى الشاهد الكلام الواحد هذه الأشياء إذا تواضعوا على شىء قال واحد لطائفة إذا قلت: قم واشتر اللحم، فهو أمر لك بشراء اللحم، ولصاحبك هذا نهى عن شراء الخبز، وللآخر إخبار عن موت فلان.

أليس أنه إذا قال بعد ذلك قم تحصل هذه ويفهم منه الأمر، والنهى، والأخبار، والاستخبار، والكلام كلام واحد[٣]، وكذلك السلطان إذا خرج مع العسكر وتواضع

---

(١) سبق أن عرفنا العلم.

(٢) الاستخبار: هو طلب سماع الأخبار من الغير وتقصيها كقوله تعالى:﴿فسألوا أهل الذكر﴾.

(٣) قلت: فى القرآن أخبار وأمر ونهى بكلام واحد، والأخبار التى معناها الأمر والنهى مثل قوله تعالى:﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك﴾.
ومعنى ذلك لا تنكحوا زانية ولا مشركة.
والأخبار التى معناها الأمر كقوله تعالى:﴿تزرعون سبع سنين دأبا﴾.
ومعناه ازرعوا.
ومثل قوله تعالى:﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها﴾. يعنى الروح.
ومثل قوله تعالى:﴿ولكن رسول الله﴾، أى قولوا له: يا رسول الله، والله أعلم.

معهم أن كل فرقة معدة لأمر كذا، وعلامة ذلك صوت الطبل [١٢٠] إذا ضرب الطبال الطبل، أليس يفهم من ضرب الطبل أشياء والضّرب ضرب واحد؟ فإذا جاز هذا فى الشاهد لم لا يجوز فى الغائب وأنه أمر ونهى وأخبار واستخبار، وهذه العبارات بواسطة تبليغ الرسول يكون دليلاً على ذلك بمنزلة المواضعات إذا قُرِىء بينهم فيه الأمر والنهى والأخبار والاستخبار وكلام الله تعالى واحد كما فى حديث من الأمثلة، وعلى هذا عندنا اللفظ الواحد يجوز أن يكون عندنا علمًا على معنيين مختلفين كالأمر والنهى، فإن الأمر عندنا نهى عن ضده والنهى عن الشىء كذلك.

وأما ما قالوا: إن كلام الله أمر ونهى[١]، والأمر للمعدوم والنهى للمعدوم عن شىء، أو الإيجاب والخطاب ولا مخاطب ما الحكمة فيه؟

قلنا: الحكمة[٢] إنما تطلب فى المحدثات لا فيما يكون أزليًا إذا أحدث، لتستقيم أن يقال: ما الحكمة فى إحداث هذا؟

أما ما كان أزليًّا لا يطلب فيه الحكمة لا يقال: ذات الله تعالى لم يكن موجودًا دَلَّ ما قالوا ليس بشىء، وعلى أن فى الوجوب بعد صيرورة المحل[٣] عاقلاً بالغًا، وبعد وجود النصاب وحولان الحول فائدة[٤] وهو نيل الثواب، وإقامة الصلاة، وآداء الشكر وزيادة المال بعد آداء الزكاة فكان فيه [١٢١] حكمة من هذا الوجه، أما الإيجاب الذى هو أزلى لا يطلب فيه الحكمة.

---

(١) الأمر: هو الطلب الجازم مع الاستعلاء وهو حقيقة فى الوجوب فلا تكون لغيره كالندب والإباحة إلا بقرينة تصرفه عن الوجوب، وكذا صيغة افعل وما فى معناها.
والنهى: هو القول الطالب للترك ويقتضى الكف، ومعناه المنع، ومعناه الحقيقى عند الجمهور التحريم، وعند الأحناف التحريم إذا كان بدليل قطعى، والكراهة إذا كان بدليل ظنى.

(٢) الحكمة: هى وصف ظاهر غير منضبط يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، وهى لا تصلح لتكون معرفة للحكم شرعيًا كان أو وضعيًا، وكذلك لا تصلح لتكون معرفة لإرادة الله وأفعاله التى أبهم أسبابها، وكذلك غير معرفة لأسباب ما استأثر الله به من علم وغيره وإن احتهد فى ذلك المجتهدون ولا تكون الحكمة إلا فائدة أو ثمرة تجنيها المجتمعات من خلال تطبيق الأحكام الشرعية والله أعلم.

(٣) يقصد بالمحل: الشخص الذى تعلق الخطاب الشرعى بفعله وهو المكلف.

(٤) والفائدة هنا هى التى أشرنا إليها من قبل وهى الثمرة التى تجنيها المجتمعات من تطبيق الأحكام الشرعية.

وأما ما قالوا: إن الكلام لا يخلو إما أن يكون للاستئناس أو التأكدات والتحفظ، وكل واحد منهما مستحيل فى حق الله، فلا يكون كلامه أزليًا؟

قلنا: الكلام فى الشاهد والتكلم فى الشاهد قد يكون لهذا حتى لو كان غرضه من المتكلم هذا يكون حكمة، ولو لم يكن لكلامه عاقبة حميدة ولا يكون فيه غرض يكون لغوًا وهذيانًا، أما كلام الله تعالى أزلى قائم به وهو من الصفات اللازمة للذات.

أما ما قالوا: إنه يسمى توراة وإنجيلاً وزبورًا، وكذا.

قلنا: هذه كلها عبارات دلالات على كلام الله تعالى، غير أن العبارات يسمى بعضها قرآنًا بلسان العرب، وبعضها زبورًا بلسان سريانية، وكذا التوراة بالعبرانية، أما الكل عبارات دلالات[1] على كلام الله عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون.

* * *

(١) قوله: أما الكل عبارات دلالات على كلام الله عز وجل. هو خلاصة اعتقاد المؤلف فى القرآن وكذا فى الكتب المنزلة من قبل ومعناه كما ترى من فحوى مقالاته فى هذا الفصل أن القرآن ليس بكلام الله بل هو عبارات دلالات على كلام الله، وهو خلاف اعتقاد أهل السنة والجماعة كما أشرنا إلى بعض أقوالهم، وكما هو مستفيض عنهم فى مؤلفاتهم والله الهادى إلى سواء السبيل.

١٥ – باب فى أن الله على العرش استوى
منزه عن المكان والزمان ليس كمثله شىء](١)

وَرَبُّ العَرْشِ فَوْقَ العَـرْشِ لكِـنْ   بِـلاَ وَصْـفِ التَّمَكُّـنِ وَاتِّصَـالِ
وَمَا الـتَّشْبِيـهُ لِلـرَّحْمنِ وَجْهـًا   فَصُنْ عَـنْ ذَاكَ أَصْنَـافَ الأَيَالِى

إنه يقال التَّشبه شىء من خلقه خلافًا للمشبّهة فإنَّهم ما قدروا الله حق قدره، ودليل أهل السنة:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾.

نكتة الرحمن [١٢٢] اسم مختص بالله لا يستعمل فى غيره.

فإن قلت: قد أطلق فى قول أبى حنيفة رضى الله عنه على مسألة أنـه رحمـن اليمامـة قول الشاعر بيت:

وأنت غيث الـورى لا زلت رحمـان

قلت: المختص المعرف بالألف واللام دون غيره.

وأما جواب الزمخشرى: أنه من باب تعنتهم فغير مستقيم والله أعلم.

واعلم أن الله تعالى على العرش اسـتوى(٢) مـن غير أن يكـون لـه حاجـة؛ لأنـه هـو الموجد والحافظ للعرش، خلق العرش والكرسى كمـا بـين فـى كتابـه وهـو جـل جلالـه مستغن عنه، وما دونه محيط بكل شىء وعلمه فوقـه، وقـد أعجـز عـن الإحاطـة خلقـه،

(١) هذا العنوان من عندنا لأن الكتاب ليس به عناوين فوضعنا لكل فصل عنوان ليسهل الرجوع إليه وليمكن عمل فهرست له.

(٢) عقيدة أهل السنة فى الاستواء أن الله فوق سماواته مستوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته علىٌّ على خلقه بائن منهم محيط بكل شىء وأدلة ذلك فى سبع مواضع مـن كتـاب الله فى سورة الأعراف، وفى سورة الرعد، وفى طه، وفى الفرقان، وفى السجدة، وسورة الحديد.
ومسألة الاستواء فيها على معتقد المؤلف الذى ينفى عن الله صفاته الذاتية الفعليـة كمـا بينـه فـى مسألة كلام الله السابقة والاستواء صفة فعل استوى عليه بعد ما خلقه وبعد خلق السماوات والأرض فالله يفعل ما يشاء وقتما شاء، والله أعلم.

وإرادة الفوق نفوذ أمره فوق كل شيء[1] خلق العرش بإرادته ليس لاحتياجه.

فلو كان محتاجًا إليه لجهته لما قدر على إيجاده وحفظه وتدبير العالم مثل: المخلوقين.

والعرش ليس له مكان وقرار، فمن قال: إنَّ العرش له مكان وقرار فهو كذب وافترى[2]، فلو كان له إليه فقبله أين كان تعالى الله عز وجل علوًا كبيرًا، والله تعالى ليس على مكان، ولا فى مكان[3]، ولا فى الجهات ولا فى الزمان، بل كان ولا مكان ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان ولا يحويه زمان ولا ينتابه زمان.

ورفع الأيادى إلى السماء عند الدعاء تَعَبُّدًا له [١٢٣] محض؛ لأن الله سبحانه وتعالى

(١) لما ذكر العرش والكرسى ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ليبين أن خلقه للعرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له فى ذلك حكمة اقتضته، وكون العالى فوقًا للسافل لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالى، محيطًا به، حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه، فانظر إلى السماء كيف هى فوق الأرض وليست مفتقرة إليها فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه وهى حمله بقدرته للسافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به وحصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق، ونفاة العلو أهل التعطيل لو فصلوا بهذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل، والأمر فى ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

انظر:(شرح العقيدة الإسلامية١١٤).

(٢) ربما لم يصل إلى علم المؤلف ما فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن تبارك وتعالى».

بل وقد ثبت أن له قوائم تحمله الملائكة وذلك بما روى فى الصحيحين عنه ﷺ:«إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور؟».

وثبت فى كتاب الله عز وجل أن العرش له مكان قبل ذلك بقوله:﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧]. والله أعلم

(٣) قوله: وأن الله تعالى ليس على مكان قول باطل لأن الله على العرش استوى الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

ولا نقول: ليس على مكان أو فى مكان بل على العرش والله أعلم.

ليس فى السماء(*) كالتوجه إلى الكعبة فى الصلاة، لكن الكعبة قبلة الصلاة والسماء قبلة(١) الدعاء، ولا يوصف له جلوس والحضور فى الذّهاب والمجىء(٢)؛ لأن هذه الصفات التى لا ترى فيقرب حتى ترى الذى لا يسمع، والذى لا يقدر فيقرب حتى يقدر، وأنه سميع بصير قادر بقدرته لا يحتاج إلى المجىء والذهاب.

ولأنَّ تمام الإيمان أن تعرف أن الله واحد لا شريك له ولا كيف ولا كيفية، كما قال لموسى عليه السلام: «أن يا موسى اعلم أنى إله ولا تعلم كيفيتى ولا لى كيف، وإنى رازق ولا تعلم من أين أرزق، وإنى لست فى مكان ولا على مكان، والعرش قائم بقدرتى»(٣).

لأن الله تعالى لا يحل فى شىء، ولا يحل فيه شىء، وكيف يحل فيه شىء ما منه؟

(*) قوله: لأن الله تعالى ليس فى السماء. باطل، فالأدلة من الكتاب والسنة لا تحصى على أنه سبحانه فى السماء أى فى العلو ولم يرد لا فى الكتاب ولا فى السنة أن السماء هى قبلة الدعاء قط، بل قال تعالى فى غير ما موضع: قال تعالى:
﴿أأمنتم من فى السماء﴾ وغيرها من الأدلة التى تعنى أن الله فى السماء دون التصريح أو التلميح بأن هذه الآيات تعنى أن السماء هى قبلة الدعاء كما سبق من كلام الأذرعى.

(١) قال الإمام الأذرعى:
إن قولكم: إن السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.
ثانيًا: أن قبلة الدعاء هى قبلة الصلاة وكان النبى ﷺ يستقبل القبلة فى دعاءه وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض فإن وضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له لا بأن يميل إليه إذ هو تحته هذا لا يخطر فى قلب الساجد. أ هـ
انظر شرح أصول العقيدة الإسلامية (١١٦).

(٢) ورد فى كتاب الله لفظ مجىء دون الذهاب قال تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفا﴾ كما ورد لفظ الاستواء.
وورد فى السنة لفظ النزول وغير ذلك من الصفات الفعلية الموقوفة على الكتاب والسنة وكلها معلومة منهما بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف والله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد من غير حاجة والله أعلم.

(٣) لم نقف على هذا فى كتب الحديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، ولعل هذا من هفوات المؤلف التى يذكرها فى هذا الكتاب، والله أعلم.

وكيف وهو أنشأه؟ تعالى الله عن أن يحويه مكان أو يحده زمان وهو لا فى شىء ولا على شىء[(١)] ولا من شىء، فمن زعم هكذا فقد كفر؛ لأنه لو كان فى شىء لكان محصورًا، ولو كان على شىء لكان محمولاً، ولو كان من شىء لكان محدثًا، تعالى الله عن ذلك.

وأما الآية بالإتيان مثل قوله تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾ قال بعض المفسرين: أى وجاء[(٢)] أمر ربك، وقوله: ﴿**هل** [١٢٤] **ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك**﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أى يأتيهم أمر الله[(٣)].

---

(١) سبق بيان أنه على العرش استوى، والعرش شىء لا عدم وليس معنى أن الله سبحانه على العرش أنه محمول، تعالى الله عن ذلك، ولا يقول إن الله محمول على العرش إلا من شبه استواء الخالق بالمخلوق، نعوذ بالله من التشبيه والتمثيل، بل نؤمن بما أخبر به عن نفسه فى كتاب بأنه استوى على عرشه.

قال على بن أبى العز الأذرعى: لما ذكر العرش والكرسى ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ليبين أن خلقه للعرش لاستوائه عليه ليس لحاجته إليه، بل له فى ذلك حكمة اقتضته، وكون العالى فوقًا للسافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالى محيطًا به حائلاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه، فانظر إلى السماء كيف هى فوق الأرض وليست مفتقرة إليها، فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهى حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به، وحصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق، ونفاة العلو أهل التعطيل لو فصلوا بهذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل والأمر فى ذلك كما قال الإمام مالك، رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول. ا.هـ. (١١٤)، وهذا القول سبق ذكره فى هذا الباب.

(٢) قلت: عند أهل السنة والجماعة: الإتيان والمجىء المضافين إلى الله نوعان، مطلق ومقيد، فإذا كان مجىء رحمته وعذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما فى قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾، وكما فى الحديث: «حتى جاء الله بالرحمة والخير».

النوع الثانى: الإتيان والمجىء المطلق، فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه، كقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾. انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (١٦٤).

(٣) للرد على من أول النزول بنزول الأمر، والمجىء بمجىء الأمر كما ذهب إلى ذلك المؤلف =

.. ..

=والأشاعرة ونحوهم من أهل البدع ما يلى:
ذكر الإمام المحقق ابن القيم، رحمه الله، على قوله تعالى: ﴿وجاء﴾، وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾، وقوله: ﴿أو يأتى ربك﴾.
قيل: إنه من مجاز الحذف تقديره: وجاء أمر ربك، وهذا باطل من وجوه:
أحدها: أنه إضمار ما لا يدل عليه اللفظ بمطابقة ولا تضمن ولا التزام، وادعاء حذف «ما» لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب ويطرق كل مبطل على ادعاء إضمار «ما» يصحح باطله.
ثانيها: صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.
ثالثها: أنه إذا لم يكن فى اللفظ دليل على تعيين قول على المتكلم بلا علم وإخبار عنه بإرادة «ما» لم يقل دليل على إرادته، وذلك كذب عليه.
رابعها: فى السياق ما يبطل هذا التقدير وهو قوله تعالى:
﴿وجاء ربك والملك﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك وكذلك قوله:
﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك﴾.
ففرق بين إتيان الرب وإتيان بعض آيات الرب، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدا فتأمله.
قلت: وذكر وجوهًا يطول ذكرها.
قال: وأما من قال يأتى أمره وينزل رحمته فإن أراد أنه سبحانه إذا نزل وأتى حلت رحمته وأمره، فهذا حق وإن أراد أن النزول والمجيء والإتيان للرحمة والأمر وليس إلاَّ ذلك، فهو باطل من وجوه عديدة تقدمت. ونزيدها وجهًا آخر منها أن يقال: أتريدون رحمته وأمره وصفته القائمة بذاته، أم مخلوقًا منفصلاً سميتموه رحمة وأمرًا؟ فإن أردتم الأول فنزوله يستلزم نزول الذات ومجيئها قطعًا، وإن أردتم الثانى، كان الذى ينزل ويأتى لفصل القضاء مخلوقًا محدثًا لا رب العالمين، وهذا معلوم البطلان قطعًا، وهو تكذيب صريح، فإنه يصح معه أن يقال: لا ينزل إلى السماء الدنيا ويأتى لفصل القضاء، وإنما ينزل ويأتى غيره.
ومنها كيف يصح أن يقول ذلك المخلوق لا أسأل عن عبادى غيرى ويقول: من يستغفرنى فأغفر له، ونزول أمره مستلزم لنزوله سبحانه ومجيئه، وإثبات ذلك للمخلوق مستلزم للباطل الذى لا يجوز نسبته إليه سبحانه مع رد خبره صريحًا.
ومنها أن نزول رحمته وأمره لا يختص بالثلث الأخير ولا بوقت دون وقت ينزل أمره فلا تنقطع رحمته، ولا أمره عن العالم العلوى والسفلى طرفة عين. =

وقال بعضهم: نصدق بالآيات المتشابهات(*) ولا نفسرها(١)، فمن فسر برأيه فقد

=قال عبد العزيز المحمد السلمان انتهى من مختصر الصواعق، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية(١٦٦:١٦٨).

(*) قلت: الآيات والأحاديث الدالة على ذات الله وفعله أسماء كانت أو صفات لم تكن من المتشابهات بل هى كما قال محمد السلمان: من قبيل المحكم لأن معانيها واضحة فى لغة العرب وإنما الكنه والكيف مما استأثر الله بعلمه.

قلت: لأن صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى تليق بجلاله ليس كمثلها شيء واللفظ المحكم الذى جاء به الخبر عن ذات الله وصفاته وأفعاله يدل بصيغته على معناه الظاهر المتبادر المقصود أصالة وسيق الكلام من أجله ولم يخبر الله عن نفسه وصفاته بلفظ متشابه لأنه لفظ خفيت دلالته على المقصود منه ولم توجد قرينة تدل عليه وتعذرت معرفته لأن الشارع لم يبينه واستأثر بعلمه كفواتح السور لأن الشارع نقل العباد عنه كالمنسوخ أو ما ضربه الله من أمثال كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ﴾.

وحكم المتشابه الوقف وتفويض علمه لعالمه سبحانه، ومنه الكنه والكيف لصفات الله وأفعاله مما استأثر الله بعلمه والله أعلم.

(١) قلت: لم يكن مسلك المؤلف فى آيات الصفات هو التفسير بل هو التأويل ولو كان تفسيرًا لما خالف اعتقاد أهل السنة والجماعة وزلت قدمه فى وعكات المتكلمين، وقد توهم البعض أن التفسير والتأويل بمعنى واحد وهو خطأ، وغالب الظن أن المؤلف يعلم الفرق بينهما لأنه لم يعبر بلفظ التأويل بل التفسير. أما الفرق بينهما هو أن الألفاظ المحتملة لصرفها عن ظاهرها إذا افتقرت إلى البحث والنظر والتأمل حتى توجد قرينة أو دليل يدل على هذا الاحتمال فهو من قبيل المؤول، أما إن وجدت قرينة أو دليل يدل على هذا الاحتمال من غير بحث نظر وتأمل فهو من قبيل المفسر، والتفسير على هذا المعنى جائز.

أما التأويل فممتنع عند أهل السنة و الجماعة ونضرب للمفسر والمؤول أمثلة ولن نخرج عن موضوع هذا الفصل وبالله التوفيق.

صفة المجيء ففى الحديث الشريف«حتى جاء الله بالرحمة والخير» فكلمة الرحمة قرينة للفظ جاء فعلم أن المجيء هنا هو الرحمة فيسمى ذلك تفسيرًا.

أما قوله سبحانه:﴿وجاء ربك والملك﴾ لم تأت قرينة أو دليل معها أو متراخيًا عنها تصرف المجيء عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمل أن يكون.

فالبحث والنظر والتأمل هنا يسمى تأويلاً وهو جائز فى الفروع ممتنع فى العقيدة خاصة الأسماء والصفات فهى عقبة كئود ولا يصعد إليها إلا من لا يبالى بدينه ولا يحرص عليه. لأنه مبنى على شفا جرف هار، وعلى ظلمات بعضها فوق بعض فالحذر الحذر من تأويل الأسماء والصفات=

كفر ودخل فى مذهب التعطيل؛ لأن التفسير نقل من أصحاب النبى ﷺ، والأئمة الثقات، ولا يجوز لغيرهم أن يفسروا برأيهم، وقد قال النبى ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فقد كفر»(١).

وأما الخبر بنزول البارى إلى السماء الدنيا فذلك أمره وفضله ورحمته لا نقول: وحركته، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

=فهو مذلة الإقدام ودحضته كثير من علماء الإسلام وحسبى وحسبك الكتاب والسنة والله الهادى إلى سواء السبيل والله أعلم.

(١) أورده الشوكانى فى الفوائد المجموعة (٣١٧) بلفظ: «من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار». قال: وقال فى الذيل: فى إسناده أبو عصمة مشهور بالوضع.

وقال ابن عراق فى تنزيه الشريعة (١/٢٧٤)

وقال: من حديث ابن عمر وفيه أبو عصمة نوح بن أبى مريم. وأورد حديثًا آخر بلفظ: «وهو على وضوء فليعد وضوءه»

وقال: من حديث أبى هريرة، وفيه عثمان بن مطر.

وقال الزبيدى فى الإتحاف: (١/٢٥٧) قال العراقى: أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود فى رواية ابن العبد، وعند النسائى فى الكبير أ هـ .

قلت، أى الزبيدى: أخرجه الترمذى وصححه وابن الأنبارى فى المصاحف والطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى الشعب كلهم من رواية عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «من قال فى القرآن بغير علم» بدل قوله: «برأيه».

وأخرجه أبو داود والترمذى وقال: غريب، والنسائى فى الكبير، وابن جرير، والبغوى، وابن الأنبارى وابن عدى، والطبرانى، والبيهقى كلهم من رواية سهيل بن أبى حزم القطيعى عن ابن عمران الجونى عن جندب بن عبد الله: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» وفى رواية للترمذى وغيره: «من قال فى كتاب الله» وفى رواية: «من تكلم فى القرآن» وفى الباب عن ابن عمر وجابر وأبى هريرة فحديث ابن عمر لفظه «من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم».

ولفظ حديث جابر: «من قال فى القرآن برأيه فقد اتهمنى» ولفظ حديث أبى هريرة: «من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه».

أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الأخير منكر جدًا.

هما صفتاه يد خلق وقدرة [لا][(١)] يـد بطـش وجارحـة، وكـذا النفـس والعـين ومـا أشبهه صفة لا جارحة.

فينبغى للمؤمن أن يؤمـن بـه ولا يفسـره برأيـه، وكذلـك الوجـه صفتـه وجـه رضـاء وإكرام وإقبال لا وجه مقابلة ومواجهة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ولا يقال: البارىء ما هو؟[(٢)]؛ لأن «ما هو؟» سـؤال عـن الجنـس ولا جنـس لـه، ولا

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس بالمخطوط، ووضعناه ليستقيم السياق.

قلت: عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات اليدين لله سبحانه وأنهما حقيقتان خلافًا عن من أَوَّلَهما بالقوة أو القدرة أو النعمة كالجهمية والمعتزلة، والأشاعرة أصحاب البدع، أو كما أَوَّلها المؤلـف بقوله: هما صفتاه يد خلق، وقدرة، وقوله:« وكذا النفس والعين وما أشبهه صفة لا جارحة»

قلت: ولم يقل أحد من أهل السنة أنهما جوارح بل يثبتونها كما أتت فى كتـاب الله أو علـى لسان رسوله ﷺ ويمرونها على ظاهرها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، فسـبحانه عن الشبيه والنظير﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾.

وكل ما ذكرناه عن اليدين وغيرهما من صفات الله الذاتية هو رد على المؤلف فى دعواه الباطلـة بأن الوجه رضاء وإكرام على ما يأتى منه، وأهل السنة يثبتون الوجـه علـى الوجـه اللائـق بجلالـه وعظمته كما ورد فى كتابه العزيز وكما صح عن النبى ﷺ أنه استعاذ بوجه الله وكان يقول فـى دعائه: «أسالك لذة النظر إلى وجهك» والله أعلم

(٢) قوله: ولا يقال: البارى ما هو؟. هذا السؤال يسميه علماء الكلام وغـيرهم بالمائيـة، وهـو سـؤال السائل بما هو، وهذا سؤال عن حقيقة الشىء ذاته فمـن أبطـل المائيـة فقـد أبطـل حقيقـة الشـىء المسؤول عنه.

قال ابن حزم:والذى نقول به وبالله التوفيق أن له مائية هى نفسها وأنه لا جواب لمن سأل ما هو البارى إلا ما أجاب به موسى عليه السلام إذ سأله فرعون(وما رب العالمين)

ونقول: إنه لا جواب هاهنا لا فى علم الله تعالى - يقصد العلم الذى بين أيدينا - ولا عندنـا إلا ما أجاب به موسى عليه السلام لأن الله تعالى حمد ذلك منـه وصـدق فيـه ولـو لـم يكـن جوابًا صحيحًا تامًا لا نقص فيه لما حمده الله.(١٣٣/٢).

وذكر السيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول فيما أخرجه الـترمذى والحـاكم وابـن خزيمة من طريق: أبى العالية عن أبى بن كعب.

والطبرانى وابن جرير مثله، من حديث جابر بن عبـد اللـه: أن المشـركين قـالوا لرسـول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى:﴿قل هو الله أحد﴾.

وأخبر غيرهم أنه ﷺ سئل من اليهود قالوا: يا محمد صف لنا ربك الذى بعثك فأنزل﴿قل هو الله أحد﴾. والله أعلم.

يقال له كيف؟ لأن كيف يستخبر عن الهيئة والحال ولا هيئة له ولا حال فذلك القول محال، ولا يقال له أين؟؛ لأن أين يستخبر به عن المكان، ولا مكان له.

ولا يقال له: كم؟؛ لأن كم يستخبر به عن العدد، ولا عدد له.

ولا يقال [١٢٥] له: متى؟؛ لأنَّ متى كان، سؤال عن الزمان، ولا يجرى عليه زمان، ولا يقال له: «لم فعل؟»؛ لأن «لم» يقال لمن يفعل لعلّة أو حاجة أو ضرورة، والله تعالى منزه عن ذلك، وعن العالمين ولا حاجة له، ولا نسيان ولا سهو، ولا مشورة له، ولا شهوة ولا نوم، ولا سنة ولا حزن، ولا سرور، ولا هم له ولا غم، ولا غرور، وهو مالك الممالك، ومنجى الخلائق من المهالك، المؤمن المهيمن الملك القدوس، لا قيام له ولا قعود ولا جلوس، ولا أكل ولا شرب، ولا تشبهه النفوس لا آفة ولا مسافة، ولا غدر له ولا طلب المعافاة، ولا مشى له ولا مرور له ولا سكنى له ولا عبور له ولا صورة له ولا ظلمة له ولا نور، وهو عليم بذات الصدور، ولا فكر له ولا ضيق ولا ضنك، ولا قهقهة له ولا تبسم ولا ضحك(١) ولا حاجب له ولا وزير ولا صاحب له ولا نظير، لا مدبر له ولا مشير يدبر له ولا يشير ولا حافظ له ولا قرين ولا ناصر له ولا معين، ولا مغير له من حال إلى حال، ولا تبدل له ولا نوال؛ لأن هذه الأشياء من أمارات الحدث، وهو قديم منزه عن جميع الحادثات.

وكذلك لا صاحبة له ولا ولد، ولا والدة له ولا والد؛ [١٢٦] لأن الزوجة من جازت بقلبه الشهوة وهو منزّه عنها؛ ولأن الوالدين سبب لحدوث الولد، وهو قديم لا محدث له، والولد مأخوذ من ذرّت الوالدين وهما مادة الأولاد، ولا مادة للقديم تبارك جل جلاله وهو محدث المادات ومنشيء الجوارح والآلات.

فإن قال لك المبتدع: زعمت ليس لله حاجة للمكان والجوارح صف لى ربك؟

فقل: إنّ الله تعالى خالق المكان والجوارح وصفته: ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

---

(١) ثبت فى غير موضع من السنة أن الله يضحك ويعجب، ضحكًا وعجبا يليق بجلاله عز وجل، والكلام فى الصفات كالكلام فى الذات إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. انظر: الحديث الذى أخرجه البخارى رقم (٣٧٩٨، ٤٨٨٩)، وفتح البارى (٧/ ١١٩) والبغوى (٧/٦٣).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولا علة لصنعه ولا ظلم فى أفعاله ولا زيغ فى أحكامه، ولا ميل فى قدره وقضائه، بل هو موصوف بصفة العدل، ومنعوت بنعوت الفضل، ولا يقدر فى فهم، ولا يصوّره وهم، ولا يدركه بصر، ولا يعقله خطر، ولا يبلغه علم، ولا يزول مذ حكم، ولا يقوم بذاته ولا يدخل تغير فى صفاته، وكل ما خطر أنه كذلك، وهو قادر أن يخلق مثل ذلك، تبارك الله رب العالمين.

قال أبو حنيفة رحمة الله عليه: من قرأ: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: ٥]، ثم قال: [١٢٧] أقول هذه الآية، ولكن لا أدرى أن العرش فى السماء أم فى الأرض؟ وقال: لا أعرف الله تعالى فى السماء أم فى الأرض؟ فقد كفر؛ لأن هذا القول يوهم أن يكون له، فكان له شركاء.

وقال: لا أدرى فى الأنبياء رسل؟ أم قال: لا أدرى موسى وعيسى مرسلين أو غير مرسلين، فقد كفر أيضًا؛ لأنه أنكر النص.

وقالت الكرامية والمشبهة والشيعة بأن الله تعالى على العرش علوًا مكان وسكن، وأن العرش له مقعد.

يصفونه بالنزول والمجيء والذهاب، وفسروا الاستواء بالجلوس على العرش برأيهم، ونحن نرد عليهم فنقول: العرش لم يكن مكانًا بتكوينه، بل كوَّنَهُ لإظهار عظمته وجبروته على خلقه، ولا حاجة إليه ولا يكون لاحتياجه إلى القعود عليه؛ لأنّ المحتاج لا يكون خالقًا؛ لأنه مقهور بحاجته، فالمقهور لا يكون أميرًا، فكيف يكون ربًّا؟!.

ثم معنى الاستواء عند أهل السنة والجماعة: استولى[1]، وقيل: استوت المملكة له، أى استيلاء للمملكة.

---

(١) ما نسبه المؤلف لأهل السنة والجماعة فى أن معنى استوى عندهم استولى، خطأ، بل باطل، وكل من اطلع على مؤلفات أهل السنة علم أنهم ينكرون هذا التأويل على المبتدعة، وهم يقولون فى الاستواء ما سبق أن ذكرناه عنهم، وأول من عرفت عنهم هذه البدعة بعض الجهمية والمعتزلة، ودليلهم قول بعض الشعراء:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

وقولهم هذا هو ما ذهب إليه المؤلف ونسبه كعادته إلى أهل السنة والجماعة، وهم منه براء.

وقيل: الاستيلاء دون الاستقرار والتمكن، دلالته أنه لو كان المراد من الاستواء الاستقرار والتمكن للزم كون التمكن جسمًا، فساوى المكان أو أكبر أو أصغر منه، وذلك [١٢٨] مستحيل على البارئ جلَّ جلاله تعالى عن التمكن والاستقرار، وأن يحل العرش والكرسى، بل العرش وحملته محمولون بإظهار إرادته، مقهورون فى قبضة قدرته، وكل شىء مقدور العرش، والعرش مقدور الرب[١]، وهذا كما يقال: فلان استوى على سريره، يعنى بذلك استولى أمور الولاية وانقطاع المنازعة فى الإمارة عنه، وقيل: معنى استوى استواء خلقه على عرشه كما قال: «إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش»[٢] أى استغنى عن فعل التخليق على عرشه، ومعنى قوله: ﴿**على العرش**﴾. أى استغنى عن فعل التخليق على عرشه، ومعنى قوله: على العرش، وفوق العرش، وفوق كل شىء عظمته.

وقوله: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]. قهرًا على عظمته، وربوبّيته، وقربته لا علو ارتفاع مكان ومسافة، فالفوق والتعلّى من حيث القهر والغلبة لا الكيف والكيفية، فوقيته لا يريد قربًا إلى العرش والسماء وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، قربة لا تماثل قرب الأجسام، كما لا يقابل ذات الأجسام، قربة كرامة وبُعْدَة إهانة، علوّهُ من غير تَرَقٍّ، ومجيئه من غير تَنَقُّل، وروى فى الحديث: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ بأَمَةٍ سوداء قال [١٢٩]: وجبت علىّ عتق رقبة أفتجوز هذه؟ قال لها النبى ﷺ: «أمؤمنة أنت؟»، فقالت: نعم، قال: «أتعرفين الله؟» فأشارت إلى السماء، فقال: «اعتقها فإنها مؤمنة»[٣].

---

(١) هذه العبارة شاذة لا نعلم أهى وقعت خطأ بالمخطوط من النساخ أم لا. والمؤلف مهما بلغ به الكلام والتأويل لا يمكن أن يقول مثل هذه العبارة، ولعله تحريف أو تصحيف أصاب المخطوط وجرى النسخ على ذلك والعبارة تصح بهذا السياق: «وكل شىء والعرش مقدور الرب». والله أعلم.

(٢) من الآية (٥٤) سورة الأعراف.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٤٤٧/٥، ٤٤٨) من طريق: إسماعيل بن إبراهيم، حدثنى الحجاج بن أبى عثمان، حدثنى يحيى بن أبى كثير، عن هلال بن أبى ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن معاوية بن الحكم السلمى، فذكره. وأخرجه أبو داود فى السنن فى «كتاب الصلاة»، باب تشميت العاطس فى الصلاة برقم (٩٣٠) من طريق: مسدد، حدثنا يحيى (ح) وحدثنا=

والمعتزلة تنكر الخبر ونحن نصدقه، ولكن لا نقول: الإشارة للجهات[(١)]، لأنّ الجهات حادثة هو الذى عَلّقها، والبارئ لا يوصف بكونه متمكنًا فى المكان. دلالته أنه كان فى الأزل غير متمكن، فلو تمكن بعدما خلق المكان لتغير عما كان عليه، والحديث فيه مماسة وهو من أمارات الحدث تعالى الله عن ذلك، ومتى نفيتم البارئ عن الجهات والأمكنة وكونه جورًا[(٢)] وجسمًا وعضوا فنفى صفات الحدث عنه لا تكون نفيًا له، ولا يقال: وجود شىء بجوهر، ولا جسم، ولا عرض، ولا فى جهة، ولا مكان لا يدخل تحت الوهم.

قلنا: الوهم من مناتج الحس فما هو محسوس يدخل تحت الوهم، وما ليس بمحسوس لا يدخل تحت الوهم، وكذلك العلم والقدرة، فالوهم نفسه ليس بموهوم وهو معلوم؛ فإنه ليس بمحسوس ولكنه موجود معلوم منزه عن الحوادث والعوارض وعن ما لا يليق بذاته القديم وصفته الأزلية.

فيجب كذلك [١٣٠] [تأويل][(٣)] الآيات والأخبار لإثبات الصانع وصفاته من باب

=عثمان بن أبى شيبة، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، المعنى عن الحجاج الصواف، حدثنى يحيى بن أبى كثير، عن هلال بن أبى ميمونة، عن الحكم السلمى... فذكره وفيه ذكر الجارية. وذكره فى (٣٢٨٣، ٣٩٠٩).

وأخرجه النسائى فى الكبرى كتاب الصلاة، باب الكلام فى الصلاة برقم (١١٤١) من حديث معاوية بن الحكم السلمى. وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٢٦، ٦٩، ٧٠) من حديث معاوية بن الحكم. وأخرجه مسلم (٧٠/٢، ٧١، ٣٥/٧) من حديث معاوية بن الحكم. وأخرجه مالك فى الموطأ من طريق: «عمرو بن الحكم» بدل: «معاوية بن الحكم»، وهو خطأ منه. والله أعلم.

(١) قلنا: بل جاء فى الحديث الإشارة إلى السماء ولكن لم يحدد الجهة كما ظن المؤلف إنما وجود الله عز وجل فى السماء أمر اتفق عليه أهل السنة والجماعة على زمن النبى ﷺ وأصحابه والتابعين والسلف الصالح وكذلك جاءت أحاديث كثيرة تشير أن الله فى السماء، وآيات تدل على ذلك كقوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن﴾، وكقوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب...﴾ الآية، وكقول النبى ﷺ: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا»، والله أعلم.

(٢) كذا بالأصل [جورًا] وهو خطأ واضح من الناسخ والصحيح [جوهرًا] والله أعلم.

(٣) هذه الكلمة غير واضحة بالمخطوط وأظنها والله أعلم كذلك.

العقليات، وسبيل القطع ولا يبيح الاستدلال بالظاهرة المحتملة للتأويل[(١)]، ومتى قامت الدلالة العقلية لنفى الجهة والمكان، فلابد لهذه الآيات من تأويل؛ صيانة للدلائل عن التناقض، فبيَّنا تأويله ومراده لكى لا يقع أحد فى تفسيره بالرأى.

وأما الاستواء يرد تفسيره فى الظاهر ماذا وفى الباطن ماذا.

* * *

---

(١) بينا من قبل الفرق بين التفسير والتأويل وقلنا بجواز تفسير آيات الصفات، والمنع من تأويلها على ما بينا من معنى التفسير والتأويل والمؤلف هنا يخالف طريقة السلف، وما عليه أهل السنة والجماعة فينفى الاستدلال بظاهر الآيات والأخبار، ولا يجريها على ظاهرها فلا يثبت لله ما أثبت لنفسه ولا ينفى عن الله ما نفاه عن نفسه، بل يفتح لنفسه باب الاستدلال والبحث والنظر فى الجاهليات التى يسمونها عقليات. فيصرف الآيات والأخبار عن المعنى الظاهر منها، الذى أراده الله ورسوله إلى معنى غير ظاهر منه محتمل بل وغير محتمل أيضًا بل إن كل الاحتمالات العقلية لا تليق بجلال الله وعظمته؛ لأنه ليس كمثله شىء، وسبق أن قلنا إن هذه الطريقة هى التى تسمىَ بالتأويل، وهى ممتنعة عند أهل السنة والجماعة فى الأصول دون الفروع، وسبق أيضًا أن قلنا إن آيات الصفات والأسماء غير محتملة للتأويل لأنها من قبيل المحكم لأن معانيها واضحة فى لغة العرب، أما الكنه والكيف مما استأثر الله بعلمه فهو من قبيل المتشابه وحكمه التوقف وعدم التأويل وتفويض علمه إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

وسيأتى فى غير هذا الموضع لعدم الإطالة كلام عن التأويل وشروطه ولنا فى التأويل كتاب اسمه «معايير التأويل والمتأولين، للعامة والمقصرين والمجتهدين» ،ط. دار الكتب العلمية. وضحنا فيها معنى التأويل ما يصح منه وما لا يصح وحكمه وبعض الأمثلة التى تترتب على التأويل الباطل كالإلحاد، والردة، وغير ذلك، والله الموفق.

١٦ - باب فى نفى المماثلة عن الله(١)

وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمنِ وَجْهًا   فَصُنْ عَنْ ذَاكَ أَصْنَافَ الأَيَالِى(٢)

واعلم أنّ الله تعالى لا يشبهه شىء كما وصف نفسه: ﴿ليس كمثله شىء﴾.

أى ليس مثله شىء، كما لا يشبه النّجار الباب، والإسكاف الخف، والكوّان الكون، والعامل من المخلوق عمله، فكذا الخالق لا يشبه خلقه، ومن شبَّه الخالق إلى المخلوقات كانت مشبهة ملعونة مخذولة، لأن الله تعالى لو كان يشبه الخلق يلزم حدوثه أو قدم العالم كلاهما يفنيان ولئن سُمّيت تكون مشبهين هما متماثلان، وإنّما يثبت المماثلة بين الشيئين إذا ثبت المماثلة بين الشيئين(٣) [١٣١] بعد استوائهما فى الدرجة، إما من كل وجه أو من وجه دون وجه، تعالى الله عن المشابهة والمماثلة بينه وبين خلقه، والمساواة بينه وبين مصنوعاته لقوله تعالى: ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ [الإخلاص: ٤].

فثبت أن البارئ لا يشبه خلقه؛ لأن للخلق صورة وألوانًا وجسمًا وعرضًا، فلابد للصورة واللون أن يكون لها مصورًا وملوّنا ومجسّمًا أو صانعًا، فالصانع منزهٌ عن أن يكون موصوفًا بصورة تعالى الله عز وجل عن أوصاف عبيده، وتقدس عن أحوال خلقه دلالته أنَّ الصّور مختلفة واجتماعها عليه مستحيل، وليس البعض أولى من البعض، فلو اختص بشىء منها لكان بتخصيص، وهو من أمارات الحدث تعالى الله عن ذلك.

وكذا هذا الاعتبار فى الألوان والطعم والروائح والحرارة والبرودة والرّطوبة واليبوسة؛ لأن الصور تنشأ عن التركب والألوان والطعم والرّوائح، وعن الطبائع الأربعة فهن أعراض تحل فى الجسم والجواهر، نفينا كونه جوهرًا وجسمًا، نفينا كونه محلاً

---

(١) هذا عنوان من عندنا كما أشرنا فى المقدمة.

(٢) سبق ذكر هذا البيت فى الباب السابق ولكن المؤلف كرره هنا لبيان أنه لم يشرح سابقًا وأن بداية شرحه فى هذا الباب.

والأيالى: جمع آل، وهو المرجع، وآل يؤل من الإيالة وهى السياسة.

(٣) وهذا هو منهج القرآن الكريم فى القياس والتمثيل فإن الله سوّى بين كل مثلين، وفرق بين كل ضدين.

للأعراض والله منزه عن جسم مؤلف مصور تعالى الله عن أن يختص هيئة وقَدًّا أو أن يقطعه نهاية وحدًا.

[١٣٢] وذاته منزه عن تماثل الأجسام وقبول الإنقسام، لأن الجسم مؤلف من الجواهر، ومركب منها، فإذا بطل كونه جسمًا.

وكذا منزه عن العرض، وهو ليس بعرض وجسم قائم أو حال فى محل تعالى عن الحلول فى الأجسام، وعن القيام بالأجرام، ولا إيجاز جسم العرض لا قيام له بذاته، بل هو مفتقر إلى جسم يقوم به، والقديم قائم بذاته غير مفتقر[١] إلى محل يقوم به، أو يقوم فيه، ولأنه حى عالم، قادر، مدبر، ومبدىء، ومعيد، وهذا مستحيل فى العرض، والله أعلم.

* * *

(١) أراد به تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسم إلا أنه أخطأ فى تعبيره بكلمة «مفتقر» والله سبحانه وتعالى لا يفتقر لشىء تعالى الله سبحانه.

١٦ - [باب فى نفى الزمان والأحوال وكل الأعراض عن الله][1]

وَلاَ يَمْضِى عَلَى الدَّيَّانِ وَقْتٌ   وَأَحْوَالٌ وَأَزْمَانٌ بِحَالِ

واعلم أن الله تعالى خلق الأوقات والأيام والأزمان، فلا يمضى عليه وقت، ولا زمان، ولا حال، وهو خالق الدهور، عليم بما فى الصدور.

ومعنى الديان: الصدق، والجمال، والصفة والكمال، والدليل على أن الوقت والزمان نقصان البقاء، ولا نقصان لبقائه، قدر الأقوات، وخلق الأوقات، والأزمان والأحوال لخلائقه، فمضى الأوقات نقص عمرهم، ومضى الأيام بأمسهم شاهد إلى حلول رَمْسِهِم[2]، وعبور الأزمان تفرق [١٣٣] شملهم، ومجدد الأحوال تغير حالهم والله تعالى خالق الخلائق ورازقهم وحافظهم ذو الكرم والجلال، ومحولهم من حال إلى حال، سبحان من لا يمضى عليه يوم، ولا تأخذه سنة ولا نوم، لأنه لو كان له نوم لرجع الداعى من بابه خائبًا، والنوم لا يخلو إما من ملاذ الطبع أو من التعب والعناء، أو من الخوف والفناء، وليس لله تعالى هذه الأشياء تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين عنوان من عندنا.

(٢) رَمْسِهِم: [الرَّمس]: القبر مستويا مع وجه الأرض. والتراب الذى يحثى على القبر، ورَمّس الميت رمسًا: دفنه وسوى عليه الأرض. والراموس: القبر. جمع رَوَاميسُ. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٣٧٢).

١٧ - [باب فى أنه أحد صمد منزه عن الوالد والولد والنساء والسند][١]

وَمُسْتَغْنٍ إِلهِى عَنْ نِسَاءِ وَأَوْلَادٍ إِنَاثٍ أَوْ رِجَالِ
كَذَا عَنْ كُلِّ ذِى عَوْنٍ وَنَصْرٍ تَفَرَّدَ ذُو الجَلالِ وَذُو المَعَالِ

واعلم أن الله تعالى غنى عن النساء، والوالدين، والولد، وعون كل ذى عون، ونصر كل ذى نصير؛ لأنه منزه عن الأنثوية والذكورية، وهو خالق الإناث والذكور، واستغناؤه عن الخلائق مذكور، معين لا معين له، ناصر لا ناصر له، مغيث لا غياث له؛ لأنه رب لا ريب فيه، فرد لا شريك له.

ومن قال: هو محتاج إلى النساء والولد، كان كافرًا ملعونًا من المخلدين.

ومن قال: هو محتاج إلى نصرة النصير كانت فلاسفة من أهل السعير، وهو منزه عن الأهل والولد والمولود، بعيد [١٣٤] عن وصف أهل الهوى المطرود كما وصف ذاته: **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾** [الإخلاص: ١ - ٤].

سبحانه أن يكون له ولد، وقال: لم يتخذ ولدًا[٢] ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرًا[٣].

تفرد بالأحدية وتوحد بالوحدانية، أحد بذاته واحد بصفاته.

فإن قيل: ما الأحدية وما الوحدانية؟ فقل: الأحدية صفة ذات، والوحدانية صفة فعل، أحد، لا شبه له، ولا مثل، ولاند، وواحد لا ثانى له، ولا شريك ولا ضد، فأحديته ووحدانيته ليست من جهة العدد؛ لأن الأحدية والوحدانية من جهة محتملة بالزيادة والنقصان والشركة والمثال فى صفة المربوب، كما يقال: أحد وآحاد وواحد

---

(١) هذا العنوان ليس بالمخطوط ووضعناه لحاجة الكتاب إلى تبويب.

(٢) قال تعالى: ﴿وأنه تعالى جدر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾.

(٣) قال تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرًا﴾. وهذه الآية هى التى يقصدها المؤلف فغير فى أولها.

ووحدان، حتى قيل: فلان وحيد فى زمانه، وفريد فى أقرانه.

أما أحدية: الرب جلت قدرته من جهة نفى الأمثال والأنداد عنه كما قال: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ قال أبو منصور: هاهنا الكاف زيادة؛ لأنه لو لم تكن زيادة لتوهم أنه مثلاً ثم ليس له بمثله مثل، بل معناه ليس مثله شيء.

وأما وحدانيته من جهة نفى الشركة عنه فى أفعاله، كما قال [١٣٥] الله تعالى: ﴿**فعال لما يريد**﴾.

ولهذا قيل فى التمجيد: أحد لا مثيل له، واحد لا شريك له، ومعنى الصمد: ليس له حاجة إلى خلقه، والخلق محتاج إلى فضله ورزقه، وهو عظيم لا عظيم مثله، وهو عليّ لا عليّ فوقه، ولا يوصف أحد بصفته، ولا سبيل لأحد أن يكذبه أو يعيبه، ولا يحتاج إلى النوم والأكل والشرب، ولا إلى السند والراحة؛ لأنه لا صورة له ولا جوف له، ويخلق خلائقه لا تعب له، سبحانه وتعالى عما يقولون.

* * *

١٨ - [باب: فى الإماتة والإحياء والقيامة والجزاء]

يُميتُ الخَلْـقَ قَصْـرًا ثُمَّ يُحْيِـي فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْـقِ الخِصَـالِ

واعلم أن الله تعالى يميت الخلائق كلهم وهو حى لا يموت أبدًا كما قال اللـه تعـالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾. وقال: ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجـه ربـك ذو الجـلال والإكرام**﴾ الموت حق وسكراته حق فمن كان نقيًا سهل الله عليـه المـوت، ومـن كـان كافرًا شقيًا شدَّدَ عليه الموت كما جـاء فـى الأخبـار، وهـو أول هـول مـن أهـوال يـوم القيامة، وسلط الله ملك الموت يقبض أرواح العالمين، ونؤمن بأنه مأمور على قبض كـل ذى روح، يقبض الروح بأمر الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿**قل يتوفاكم ملك المـوت الـذى وكل بكم** [١٣٦] **ثم إلى ربكم ترجعون**﴾. خلافًا للجهمى المخذول، وكـلٌ لا يتقـدم من أجله وله أجل واحد والمقتول ميت بأجله ليس له أجل آخر، قوله تعالى: ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً**﴾ والقتل فعل قائم بالقاتل فـالموت وانزهـاق الروح مخلوق[1] الله تعالى فى الميت لا صنع للقاتل فى المحل، وكان قضاء الله موته فـى ذلك الوقت، وأجل كل واحد منتهى عمره، قوله تعالى: ﴿**ولكل أمـة أجـل فـإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ جعل لكل نفس أجلاً معلومًـا مقـدورًا لا يستقدمها ولا يستأخرها، والمقتول لو لم يمت بأجله ولا يخلو إما أن يكـون أجلـه القتـل والموت من غير تعيين أحدهما على المعنى أن له أجلين القتل والموت؛ فإن لم يقتل يعيش له أجل الموت، أو يكون أجله الموت على التعيين؛ لا وجه للأول؛ لأنه يؤدى إلى أن الله تعالى لا يعرف عواقب الأمور وهو جاهل عنها تعالى عن ذلك، بـل هـو عـالم الغيـوب وعواقب الأمور، ولا وجه للثانى؛ لأنه إذا علم الله تعالى أنه يموت غدًا بأجلـه يسـتحيل أن يؤدى إلى عجز الله تعالى من إحياء العبد إلى الغد، وإنه [١٣٧] محال.

وأما وجوب القصاص والدية والعقوبة، فاعتبار كونه مرتكب النهى والمحظور.

وقال بعض المعتزلة: [.....][2] ولكن قالوا: لو لم يقتل فى هذه الحالة يموت بنفسه،

---

(١) ويدل عليه قوله تعالى: ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾.

(٢) ما بين المعقوفتين كلمة مطموسة فى الأصل.

وقال عامة المعتزلة: المقتول مقطوع الأجل والقتل قطع أجله ولو لم يقتل يعيش بعد ذلك، ثم يحيى الله هذه النفوس بعد وفاتهم بعد أن صاروا ترابًا ورميمًا، ويبعثهم بقدرته وجمعهم فى المحشر فى صف واحد وهو القيامة، ويوقفهم خمسين موقفًا كل موقف ألف سنة، وقوله تعالى: ﴿**مقداره خمسين ألف سنة**﴾.

وإحياء الموتى وحشر الأجسام والبعث والقيامة كلها حق، فمن أنكر القيامة كان دهريًا وقرامطيًا، والدليل على أن القيامة حق قال الله تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ [طه: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿**وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور**﴾ [الحج: ٧].

وقوله تعالى: ﴿**ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض**﴾ [النمل: ٨٧].

كما قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل [١٣٨] مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**﴾ [الحج: ١، ٢].

وقوله إذا وقعت: ﴿**الحاقة ما الحاقة**﴾، ﴿**القارعة ما القارعة**﴾، ﴿**يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه**﴾. وعلى هذا الدلائل كثيرة، فالله يحيى المؤمنين للثواب والجنات، وأداء الحقوق حتى أنه من خرج من الدنيا ولم يرض خصمه فيقطع الله من أجره وطاعته إلى خصمه على قدر خصومته[1]، وكان هذا من الله تعالى حقًا وعدلاً لا

---

(١) إشارة إلى الحديث الذى أخرجه ابن ماجه فى كتاب «الزهد» باب ذكر الذنوب (١٤١٨/٢) حديث رقم (٤٢٤٥). من طريق أبى عامر الألهانى عن ثوبان عن النبى ﷺ.

وفى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وأبو عامر الألهانى اسمه عبد الله بن غاير.

أخرجه مسلم فى كتاب «البر والصلة» باب «تحريم الظلم» برقم (٥٩/٨) (٣٧٨/ نووى) بلفظ.

أتدرون من المفلس يوم القيامة؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار. =

جورًا وظلمًا، فمن يراها جورًا صار كافرًا.

ويحيى الكافرين للعذاب والعقاب ولا حساب لهم يعنى لا يوقفهم بين يديه ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولا يرحمهم؛ لأنه عز وجل إذا نظر إلى شىء رحمه فلا رحمة للكافرين أبدًا، ويدخلهم فى النار قبل الحساب، كما يدخل الشهداء الجنة بدون حساب، فدركات النيران مأواهم فيعذبهم فى طبقات مأواهم ولا توزن أعمالهم؛ لأنه ليس لهم أعمال كما قال الله تعالى: **﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾** [النور: ٣٩].

[١٣٩] **﴿أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور﴾** [النور: ٤٠].

ولا خلاف فى حشر الملائكة. وفى حشر الجن والإنس وذرياتهم، وفى حشر الدواب والبهائم والوحوش والحشرات، وأصناف الحيوانات اختلف فيها؛ قال بعضهم: أهل الأهواء لا تحشر؛ لأنه لا فائدة فى حشرهم لا ثواب لهم ولا عقاب وهذا خلاف النص.

وقالت المعتزلة: تحشر للبقاء.

وقال أهل السنة والجماعة: تحشر للفناء يحيى الله تعالى، فكانوا أحياء إلى أن ينفض القيامة حتى يؤدى الجماء حقه من القرناء، ثم يجعلها ترابًا. فحينئذ **﴿يقول الكافر ياليتنى كنت ترابًا﴾** [النبأ: ٤٠].

وهذا بالنص، والخبر قوله ﷺ: «يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والوحوش وكل شىء فبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كونى ترابًا فتصير ترابًا»[(١)].

=وأحمد فى المسند (٢/٣٠٣،٣٣٤،٣٧٢).

أخرجه الترمذى فى كتاب: «صفة القيامة» باب «ما جاء فى شأن الحساب والقصاص» (٦١٣/٤) برقم (٢٤١٨). من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح. بلفظ فى أوله: أتدرون من المفلس.... الحديث.

(١) أخرجه مسلم فى كتاب «البر والصلة» باب «تحريم الظلم» (٦٠/٨) (ص ٣٧٨) نووى من=

قال: وفى حشرها إظهار قدرته كما أن خلق الخلق لإظهار ربوبيته ثم القيامة لا تسمى شيئًا عند أهل الحق؛ لأنها غير مخلوقة، وغير موجودة عندنا.

وقالت [١٤٠] المعتزلة: إنها مخلوقة؛ لأنها لا تظهر للأحياء، فإذا مات الإنسان ظهرت له واحتجبت بقوله ﷺ: «من مات قد قامت قيامته»(١).

فنحن نقول: معناه سعادته وشقاوته من ضيق القبر وسعته وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيزان(٢)، وانتزاع الروح على الإسلام أو على الكفر.

والدليل على ما قلنا إن الساعة منتشرة في السماء والأرض، غير مقتصرة، فلو كانت موجودة لكانت ظاهرة، وقال أبو منصور رحمه الله: ما القيامة فى قول المعتزلة أنها موجودة فيما بيّنا ولا يظهر أهوالها والله أعلم.

* * *

=حديث أبى هريرة بلفظ: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». أخرجه أحمد فى مسنده (٢/٢٣٥) من حديث أبى هريرة.

(١) أورده الزبيدى فى الإتحاف (٩/١١) وقال العراقى: رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس بسند ضعيف. قلت: وعند ابن لال فى مكارم الأخلاق والديلمى من حديث أنس: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة». وروى العسكرى فى الأمثال من حديث أنس: «أكثروا ذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه فى غنى كدره عليكم وإن ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم الموت القيامة إذا مات أحدكم فقد قامت من قيامته يرى ماله من خير وشر». وفيه داود بن المحبر كذاب عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك متهم عن محمد بن زاذان قال البخارى لا يكتب حديثه ورواه ابن لال فى «المكارم» بلفظ: «أكثروا ذكر الموت فإن ذلك تمحيص للذنوب، وتزهيد فى الدنيا الموت القيامة». وعند ابن أبىالدنيا: «فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا». وسنده ضعيف جدًا وروى الطبرانى من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: «يقولون القيامة القيامة وإنما قيامة الرجل موته». ومن رواية سفيان عن أبى قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال: «أما هذا فقد قامت قيامته».

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب: «صفة القيامة» باب (٢٦) (٤/٦٣٩ - ٦٤٠) من طريق عطية عن أبى سعيد .... به. وهو حديث طويل. وهذا القدر فى آخره. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: وإسناده ضعيف وعلته عطية العوفى وهو ضعيف كما قال الحافظ فى التقريب.

١٩ - [باب الجنة للمؤمنين والنار للكافرين]

لأَهلِ الخَيْرِ الجَنة جَنَّـاتٌ ونعما   وَلِلْكُفَّـارِ إِدْرَاكِ النَّكَـالِ

كَذَا عَنْ كُلِّ ذِى عَـوْنٍ وَنَصْرٍ   تَفَّردَ ذُو الجَـلاَلِ وَذُو المعَـالِ

* * *

فصل فى نعيم الجنة وتنعم أهلها به

واعلم أن الله تعالى خلق الجنة للمؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿**أعدت للمتقين**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله: ﴿**إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا ولباسهم فيها حرير**﴾ [الحج: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً**﴾ [الكهف: ٣٠].

يعنى لا نضيع أجرهم وإيجارهم ثم ذكر الجزاء فقال: [١٤١/ب] ﴿**أولئك لهم جنات عدن**﴾ [الكهف: ٣١].

أى إقامة، سميت عدنًا لخلودهم.

﴿**تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب**﴾.

قال سعيد: على كل واحد منهم ثلاثة أساور من ذهب وفضة ولؤلؤ.

﴿**ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق**﴾.

فالسندس مرق من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه.

وقال أبو عمر: ومن السندس ديباج منسوج بالذهب.

﴿**متكئين فيها على الآرائك**﴾. وهى السرر فى الحجاب، ﴿**نعم الثواب**﴾ أى الجزاء، ﴿**وحسنت مرتفقًا**﴾ [الكهف: ٣١] أى حسنت الجنات مجلسًا مقرًا، وقوله تعالى: ﴿**عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا**﴾ [الإنسان: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ [البينة: ٧]. فالله تعالى يدخلهم الجنات، ويكرمهم بألوان الكرامات ويلبسهم يعنى حللاً، ويضع على رؤسهم تاجًا مكللاً، ويسكنهم فى القصور من النور، ويزوجهم من الحور يتبخترون مع السندس والإستبرق والحرير ويجلسون على المذهب والمفضض، يركبون على البراق، ويجدون البقاء والتلاق، طعامهم الزنجبيل، وشرابهم السلسبيل، وخدامهم الملائكة، وغلمان وولدان [١٤٢] وجيرانهم الأنبياء والأولياء والحور الحسان، ويجرى من السلسبيل شراب أربعة؛ أنهار ماء، قوله تعالى: ﴿**أنهار من ماء غير آسن**﴾.

قوله تعالى: ﴿**وأنهار من لبن لم يتغير طعمه**﴾. وعسل، قوله تعالى: ﴿**وأنهار من عسل مصفى**﴾. وخمر، قوله تعالى: ﴿**وأنهار من خمر لذة للشاربين**﴾ [محمد: ١٥].

فيشربوا من كلها، والخمر ألذ من جميعها؛ خمر الدنيا يذهب الجمال والمال والعقول ويجعل صاحبها مجنونًا مخذولاً مخرب المأوى، ويبعد عن المولى، يكون حبيبًا للشيطان ومسخوطًا إلى الرحمن وملعونًا فى جميع الكتب والفرقان، مطرودًا من الجنان، مطروحًا فى النيران.

وخمر العقبى يزيد فى العقل والجمال، ويوصل صاحبها إلى العيش والهناء ويعمر مأواه ويصل إلى مولاه، ولا يجعل الشكر يزيد بحسن الأبدان، فالمؤمنون إذا رأوها شربوا ثم طربوا ثم قاموا عليها ثم عاشوا ثم طاروا واطلبوا فمن وجدوا قربوا، ثم فرحوا عرفوا ثم نزلوا كشفوا، ثم حضروا نظروا ثم شخصوا أبصروا وأنسوا وما فى النعيم قد نسوا إذ هم فى جيران محمد ﷺ، نعم المأوى ونعم الوطن، نعم النعيم ونعم المسكن، ولا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم فى كل وقت [١٤٣] يزيد جمالهم، ويجددهم بالنور جل جلاله يزدادون جمالاً كما يزدادون فى الدنيا هرمًا.

* * *

فصل فى خلود أهل الجنة

فلا شك أن المؤمنين بهذه الصفة فى الجنة خالدين، فذكرنا الدلائل على صفة ودلائل أخرى قوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون**﴾ [البقرة: ٨٢].

وقوله: ﴿**ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا**﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

وقوله تعالى: ﴿**ويسقون فيها كأسًا كان مزاجها زنجبيلاً عينًا فيها تسمى سلسبيلاً**﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨].

وقوله تعالى: ﴿**حور مقصورات فى الخيام**﴾ [الرحمن: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ [الواقعة: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا**﴾ [الزمر: ٧٣].

وفى هذا دلائل كثيرة وقد اقتصرنا.

* * *

فصل فى درجات أهل الجنة على قدر أعمالهم

ثم درجات أهل الجنة تكون على التفاوت بقدر حسناتهم فيخلدون فيها ولا يخرجون أبدًا منها، وبعضهم يدخلون بعملهم، وبعضهم بشفاعة الشافعين، وبعضهم بفضل الله ورحمته، ولا يدخل أحد فى الجنة إلا برحمة الله تعالى؛ لأنه لو قابل طاعته لا يقابل نعمة بصره، وإن نعماء غير الآلاء فالآلاء نعمة ظاهرة، والنعماء نعمة باطنة، فالنعمة الظاهرة اليد والرجل والجنان والعين والأذن [١٤٤] واللسان، والنعمة الباطنة: الأخذ، والمشى، والأفهام، والبصر، والسمع، والكلام، وكذلك كل عضو إلا وما فيها نعمًا، فأفضل النعم ما ثبت فى القلب وهو الإيمان، فثبت أن العبد لا يقدر على [.....] إذ شكر[1] هذه النعماء الألوان، فكانت حقيقة لا يدخل أحد فى الجنان إلا برحمة المالك، الغفور الرحيم.

* * *

[فصل فى دركات النار]

واعلم أن الله تعالى خلق النار للكافرين والمنافقين قوله تعالى: ﴿**إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار**﴾ [النساء: ١٤٥].

وقوله تعالى: ﴿**إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليًا ولا نصيراً**﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

وقال: ﴿**مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار**﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

(١) كذا بالمخطوط: وأظنها «أن يشكر»، والله أعلم.

وقال: ﴿**خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه**﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢]. وقوله ﴿**قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ [الكهف: ٢٩].

هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ [فصلت: ٤٠].

وقيل: إن شئتم آمنوا فلكم ما وصف الله لأهل طاعته وإن شئتم فاكفروا فقد أعد لكم نارًا.

﴿**إنا أعتدنا للظالمين نارًا**﴾ أى هيئنا للكافرين نارًا ﴿**أحاط بهم سرادقها**﴾ [الكهف: ٢٩].

قال ابن عباس رضى الله عنه: حائط من [١٤٥] النار.

وقيل: دخان يحيط بالكفار، وقال الكلبى: عنق يخرج من النار كالحظيرة لحظر الفجار، وقال: سرادق النار أربعة جدر، كل جدار مسيرة أربعين سنة، وإن استغاثوا يغاثوا بماء كالمهل مذاب.

قال ابن مسعود: ذهبًا أو فضة، ثم قال: هذا أشبه شىء بالمهل، قال رسول الله ﷺ: «كعكر الزيت»[1].

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «صفة جهنم» باب ما جاء فى صفة شراب أهل النار برقم (٢٥٨١): من حديث أبى سعيد الخدرى من طريق أبى كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عنه عن النبى ﷺ فى قوله «كالمهل» قال: «كعكر الزيت، فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه».
وقال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، ورشدين قد تكلم فيه.
وبرقم (٢٥٨٤) من طريق: سويد أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا رشدين به.
وقال: وبهذا الإسناد عن النبى ﷺ قال: لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة. وقال: وبهذا الإسناد عن النبى ﷺ قال: «لو أن دلوًا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا».
وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفى رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه.
أخرجه الإمام أحمد (٣/٧٠، ٧١) من حديث أبى سعيد. أخرجه الحاكم فى المستدرك=

وقال مجاهد: القيح والدم إذا قرب إليه، سقطت فروة وجهه ﴿**يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقًا**﴾ [الكهف: ٢٩].

أى منزلاً مقرًا، فالله تعالى يدخلهم فى النيران ويعذبهم بالعذاب الألوان؛ بالحيات والعقارب أصغرهم كالجبل ويدركون إلى أشد النكال، يعنى العذاب الأليم فى نار الجحيم أبدًا خالدًا مقيمًا، فإذا نادوا بالعطش يصب عليهم الحميم ولا يخرجون منها دائمًا أبدًا، ويخلدون فيها خالدًا مخلدًا يطعن بالرماح أكبادهم، ويجدد فى الاحتراق أجسادهم وأبدانهم فى النار وقود، ووجوههم مغيرة وسود، زرق العيون مع الشيطان مقرونين لا ينقص عذابهم، بل يزيد عقابهم بطونهم جيعان، وألسنتهم عطشان، يحبسون فى [١٤٦] ضيق المكان، ويسحبون على وجوههم فى النيران، عذابهم شديد ويجعلهم حجارة وحديد، قعر مكانهم بعيد وشوائهم حميم وصديد، لباسهم قطران، من السموم أكلهم لحومهم وزقوم، فلا شك أن الكفار بهذه الصفة فى النار خالدون، وقد ذكرنا الدلائل على تصديقه، ودلائل أخرى؛ قوله تعالى: ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ [البقرة: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿**زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**﴾ [النحل: ٨٨].
وقوله تعالى:﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها**﴾ [النساء: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون**﴾ [السجدة: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا**﴾.

وعلى هذا دلائل كثيرة، وهذه كفاية لذوى العقول، ثم المؤمنين أهل الجنة وهم شفيع لآبائهم وأمهاتهم وأقربائهم بلا شك.

وأطفال الكفار اختلفت الأخبار فيهم قال بعضهم: فى الجنة يكونون خدمًا لهم بدليل قوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث، النائم حتى ينتبه، وعن الصبى حتى يحتلم»، وقال

=(٢/٠١، ٦٠٤). وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال: (٣٩٥٠٠). وذكره الطبرى فى التفسير (١٥/١٥٧، ٢٥/٧٩). ذكره ابن كثير فى التفسير: (٥/١٥١). وذكره السيوطى فى الدر المنثور: (٢/٩٠) (٤/٢٢٠). وذكره القرطبى فى التفسير: (١٠/٣٩٤). ذكره البغوى فى شرح السنة: (١٥/٢٤٥).

ﷺ: «أتدرون من الملاهون؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هم أطفال المشركين لم يذنبوا فيعذبوا ولم يعملوا الخير فيثابوا فهم خدم أهل الجنة كل مولود يولد على الفطرة إنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب السنة «باب فى ذرارى المشركين» برقم (٤٧١٤، ٤٧١٦) من حديث أبى هريرة من طريق القعنبى عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة.
ومن طريق: الحسن بن على حدثنا الحجاج بن المنهال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث ..... فذكره. وقال: هذا عندنا حيث أخذ الله عليهم العهد فى أصلاب آبائهم حيث قال: «ألست بربكم».
أخرجه الإمام أحمد فى: «المسند»: (٢/٢٧٥) من حديث أبى هريرة ولفظه: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول: واقرؤا إن شئتم (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله). وفى (٢/٢٨٢) وفيه «مثل الأنعام تنتج صحاحًا فتكوى آذانها» وليس فيه يمجسانه.
وليس فيما سبق شطر الحديث المذكور هنا أى الشطر الأول بل جاء بمعنى هذا الشطر فى مجمع الزوائد: (٧/٢١٨) من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه فسأله رجل فقال: يا رسول الله ما تقول فى اللاهين؟ فذكر حديثًا وفيه قصة وعزاه للبزار والطبرانى فى «الكبير والأوسط» وقال: وفيه هلال بن خباب وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح.
وذكره مقتصرًا على الشطر الثانى منه وعزاه لأحمد والبزار أيضًا من طرق: من حديث ابن عباس وسمرة بن جندب.
وذكره عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم».
وقال: «رواه أبو يعلى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن المتوكل وهو ثقة.
وذكره من حديث سمرة بن جندب قال: سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال: «هم خدم أهل الجنة». وعزاه للطبرانى والبزار وذكره عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأطفال خدم أهل الجنة».
رواه أبو يعلى والبزار فى الأوسط إلا أنهما قالا: «أطفال المشركين».
أخرجه الحميدى برقم: (١١١٣) من طريق سفيان قال حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى=

وقال ﷺ: «فطر الله تعالى العباد على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها».

وقال بعضهم: هم فى النار لقوله تعالى ﴿**ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا**﴾ [نوح: ٢٧].

سألته: «إن شئت أسمعك تضاغيهم فى النار»[(١)].

ولأن حكمهم حكم أبائهم وأمهاتهم؛ لأنهم يتوارثون ويقبرون فى مقابر الكافرين ولا يصلى عليهم ولا يغسلون.

فلما اختلفت الروايات فالسكوت أولى من الكلام فهم فى مشيئة الله وحكمه، والله أعلم.

* * *

=هريرة عن رسول الله ﷺ. وحدثناه عمرو عن طاوس عن أبى هريرة. فذكر الحديث. وزاد أبو الزناد ويمجسانه ويشركانه قال: وسئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين من يموت منهم صغارًا فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين.

وليس فيما ذكرت غير «كل مولود يولد على الفطرة ......» وأما الشطر الأول فلم أقف عليه والله أعلم.

(١) ذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: (٧/٢١٧) باب: ما جاء فى الأطفال عن عائشة أنها ذكرت لرسول الله ﷺ أولاد المشركين الحديث وقال: «رواه أحمد وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين ونقل عنه توثيقه فى رواية من ثلاثة.

٢٠ - [باب فى كون الجنة والنار مخلوقتان]

وَلِلْجَنَّـــاتِ والنِّيـــرَانِ كَـــوْنٌ عَلَيْهَا مَـــن أحـــوال خَـــوَالِ

واعلم أن الجنة والنار مخلوقتان عند أهل السنة والجماعة، وقـالت النجارية والجهمية والمعتزلة والقدرية غير مخلوقتين ولا يسمان بشىء.

قالوا: إن الله تعالى قادر على خلقهما بعد افتراق الفريقين.

ونرد عليهم بقوله تعالى فى شأن الجنة: ﴿**أعدت للمتقين**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وفى شأن النار: ﴿**أعدت للكافرين**﴾ [آل عمران: ١٣١].

وقولهم يؤدى إلى تكذيب الله تعالى فى خبره؛ لأن الله تعالى خوف الكـافرين بالنـار ورغب المؤمنين بالجنة، والتخويف والترغيب للمعدوم لغو وعبث تعالى الله عـن ذلـك علوًا كبيرًا، وقال الله تعالى لآدم: ﴿**اسكن أنت وزوجك الجنـة**﴾. **فلو لم يخلق فلما** أمرهما بالسكون والإقامة؟ قال: ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ [البقرة: ٣٥].

ولو كان كقولهم فلما نهاهم عن اقتراب الشجرة؟ قـال اللـه تعـالى: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**﴾ [الحديد: ٢١].

أى عرضها الذى يوم القيامـة تكـون رقيقًـا كالكـاغد كقولـه تعـالى: ﴿**يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب**﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقيل: جعل السموات والأرض حبات كل حبة أصغر من حبة الخردل، وأحاط كـل حبة مسيرة ألف عام لا ينفذ عرض الجنة، فلو لم يخلقها فلم أمر المؤمنـين بالسبق إليهـا، وهم قالوا: المراد بالجنة البستان وخروج آدم من ذلك البستان(١).

---

(١) قلت: واختلف فى الجنة التى سكن فيها آدم وحواء هل هى جنة الخلد التى وعـد اللـه المتقـين أم هى جنة على الأرض، بستان، قال ابن القيم: قال منذر بن سعيد فى تفسيره: وأمـا قولـه تعـالى لآدم: ﴿**اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ [البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩] فقالت طائفة أسـكن اللـه آدم جنة الخلد التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وقال آخرون: هى جنة غيرها جعلها الله له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد، قال: وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به. وقال أبو =

قلنا: هذا خلاف النص وقد قالوا التى أسكنهما لم تكن جنة الخلد وإنما الجنة كانت بستانًا على بساتين الدنيا.

وقالوا: وليس فى الجنة ابتلاء ولا يخرج من دخلها، قالوا: وما هم بخارجين منها.

قلنا: إن الله تعالى قادر على جمع [١٤٩] الأضداد فأرى لآدم المحنة فى الجنة وإبراهيم النعمة فى النار كيلا يأمن العبد ربه، ولا يقنط من رحمته، وليعلم أنه يفعل ما يشاء.

وأما الخروج منها فلمن لم يدخلها بالثواب، ومن دخلها للثواب لا يخرج منها أبداً، ألا ترى أن رضوان وخزان الجنة يدخلونها ثم يخرجون منها وإبليس كان خازن الجنة أخرج منها، والله الموفق.

* * *

=الحسن الماوردى فى تفسيره: واختلف الناس فى الجنة التى أسكنها على قولين أحدهما: إنها جنة الخلد، والثانى: إنها جنة أعدها الله تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء، وليس هى جنة الخلد التى جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين: أحدهما: إنها فى السماء ولأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن، والثانى: إنها فى الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهى عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه السلام، والله أعلم بالصواب. هذا كلامه.
وقال ابن الخطيب: فى تفسيره المشهور: واختلفوا فى الجنة المذكورة فى هذه الآية هل كان فى الأرض، أو فى السماء وبتقدير أنها كانت فى السماء، فهل هى الجنة التى هى دار الثواب وجنة الخلد، أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم البلخى، وأبو مسلم الأصفهانى: هذه الجنة فى الأرض وحمل الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما فى قوله: ﴿اهبطوا مصرا﴾. قلت: وقد أطال ابن القيم الكلام فى هذه المسألة وذكر خلاف الناس فيها وحجج كل منهم وردودها ورجح، قول من قالوا: إنها جنة على الأرض. انظر «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح من الباب الثانى إلى السابع». ا.هـ.

٢١ - [باب الجنة والنار لا يفنيان ولا يبيدان]

وَمَا يَفْنى الجَحِيـمُ وَلاَ الْجِنَـانُ وَلاَ أَهْلُوهُمَـا أَهْـلُ انتِقَـالِ

واعلم أن الجنة والنار لا يفنيان أبدًا، ولا تبيدان، وأهلوهما أيضًا لا يفنون ولا يبيدون، ولا يموت حور العين، فمحال أن يكون فى الجنة مقبرة.

وقال النجارية والجهمية، والقدرية، والمعتزلة: إنهما يفنيان ويموت أهلهما إلا أن المعتزلة لا يصرحون بذلك؛ لأنهم يجعلون الثواب بإزاء الأعمال الصالحة، والعقاب بإزاء الكفر والمعاصى[١].

والأعمال متناهية فكذلك ثوابها وعقابها ونحن نرد عليهم بقوله تعالى: ﴿**فلهم أجر غير ممنون**﴾. أى مقطوع، وقال: فى نعيم لا مقطوعة ولا ممنوعة.

فإنما الفناء والذل فى دار الدنيا وأما دار العقبى وأهلها فلا.

فإن قال: القول ببقاء الجنة والنار على الأيدى [١٥٠] يؤدى إلى الشركة فى بقاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص: ٨٨].

قلنا: هذا من ترهاتكم وهرشاتكم؛ لأنهما لو لم تكونا فكانتا بتكوين الله تعالى،

(١) قلت: المعتزلة يجعلون الثواب بإزاء الأعمال الصالحة، والعقاب بإزاء الكفر والمعاصي على أنهما علة للثواب والعقاب لا سببًا لهما، وأهل السنة يقولون: إنهما سببًا لا علة.
والفرق بين السبب والعلة هو العموم والخصوص، فكل علة سبب وليس العكس؛ لأن العلة سبب يدرك العقل بوضوح تبريرًا له، أما السبب فلا؛ لذا قال أهل السنة: إن الثواب فضل من الله، والعقاب عدل من الله، على أنه لا يعاقب أحد ولا يثاب أحد إلا بعد حصول السبب.
أما المعتزله فيقولون: إن الثواب سببه الطاعة، والعقاب سببه المعصية؛ ذلك أن السبب عندهم علة.

قال الإمام الزركشى: وهو يفرق بين العلة والسبب: «والفرق بينهما أن العلة موجبة لمعلولها، بخلاف السبب لمسببه فهو للأمارة عليها، ومن هنا اختلف أهل السنة والمعتزلة فى أن الأعمال طاعة ومعصية هل هى علة للجزاء ثوابًا وعقابًا، أو سبب؟.
فقالت المعتزلة بالأول وأهل السنة بالثانى أ.هـ. المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية وتشنيف المسامع بجمع الجوامع للسبكى تأليف الزركشى: (٥٠٨/١).

ويدوما بإدامة الله إياهما[1]، فقد خلقهما الله تعالى قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما قد خلق له والخير والشر مقدران على العباد، وهو يعرف عدد أهل الجنة والنار، فمن كان من أهل الجنة يسر الله عليه عمل أهلها، وكذا من كان من أهل النار نسأل الله تعالى الجنة ونعوذ به من النار، فمن أراد أن يكون من أهل الجنة فليجتهد على عمل أهل الجنة، وبايع الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ [التوبة: ١١١].

ولا يعمل عمل أهل النار ويجتنب من الشحة؛ لأن الشحيح لا يدخل الجنة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾ [آل عمران: ١٨٠].

---

(١) قلت: لم يأتِ المصنف برد بليغ على قول المعتزلة لما احتجوا بقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

قال الأذرعي: «وفق لذلك أئمة الإسلام أى فى فهم هذه الآية فمن كلامهم: أن المراد «كل شيء»: مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذا العرش فإنه سقف الجنة والنصوص محكمة دالة على بقاء الجنة وعلى بقاء النار أيضًا» ا. هـ.

قلت: ولفظ «كل» أقوى صيغ العموم فهو يدل على كثيرين غير محصورين، ويستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد، ويفيد الاستغراق والشمول ما لم يصرفه عن ذلك صارف.

والذى يصرف «كل» فى هذه الآية عن الاستغراق والشمول أى عن عمومه الأدلة المعلومة بالضرورة من الكتاب والسنة منه قوله تعالى: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ [ص: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ [الرعد: ٣٥].

والأدلة من السنة كثيرة منها قوله ﷺ: «ينادى مناد: يا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا».

وأما أبدية النار فمفهوم من قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾، وقوله: ﴿خالدين فيها أبدًا﴾.

وقال النبى ﷺ: «إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم».

رواه مسلم وأبو داود، المداخل الأصولية، شرح أصول العقيدة الإسلامية: (ص ١٦٧)، حادى الأرواح لابن القيم: (ص ٣٢٣: ٣٤٢).

ولا يشهد أحد لأحد جنة ولا نارًا[١] ومن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعرف الحلال حلالاً [١٥١] والحق حقًا والباطل باطلاً يحكم بكونه مؤمنًا مسلمًا حقًا ولا يرى السبق لأحد من المسلمين بالسيف إلا من وجب عليه ذلك، ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ولم يظهر خلاف النص والآثار ولا يشهد أحد لنفسه أنه من أهل النار؛ لأنه قنوط، وكذلك لا نقول إنه من أهل الجنة فإن قال قد كذب؛ لأنه إذا قال: أنا من أهل الجنة، فهذا قد أسقط الرجاء عن نفسه ويجوز أن يقول فى الجملة: إن المؤمنين فى الجنة بلا شك؛ لأن فى جملتهم الأنبياء والرسل والصالحين، ونقول إن الكافرين فى النار بلا شك فإذا شك فيه فقد كفر؛ لأنه أنكر النص.

وإن أشار لأحد بعينه أنه من أهل الجنة فإن كان المشار إليه من الأنبياء والرسل وممن شهدت له الأنبياء بالجنة جاز بلا شك، فإذا سكت أو شك فقد كفر؛ لأنه قد كذب على الله تعالى وعلى الرسول وإن كان المشار إليه من غير الأنبياء أو ممن لم يشهد عليه بالجنة فلا يجوز إلا بالشرط وهو أن يقول: إن مات على الإيمان فهو فى الجنة بلا شك فيه.

* * *

(١) قلت: يريد بذلك أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة أو النار، إلا الأنبياء ومن شهد لهم بالجنة فى الكتاب والسنة، وكذلك المعين الذى شهد له بالنار كفرعون وغيره من الطواغيت، أما الأنواع: فأهل السنة يشهدون أن أهل الطاعة فى الجنة وأهل المعصية فى النار كما قال الكتاب والسنة.

وكذلك أهل الكفر نشهد على أنواعهم أنهم من أهل النار دون الأعيان، وهذا ما أراد بيانه المصنف فى هذا الباب، ويدل على ذلك ما فى الصحيحين: «مر بجنازة فأثنوا عليها بخير ... الحديث» إلى قوله ﷺ: «أنتم شهداء الله فى الأرض». وقوله ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار».

قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيىء».

٢٢ - باب [المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة]

يَرَاهُ المُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ ... وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ

فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ ... فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الاعْتِزَالِ

[١٥٢] واعلم أن لقاء الله تعالى برؤية أهل الجنة فى دار الآخرة حق بدليل قطعى.

وقالت الكرامية: الله يرى جسمًا كما فى الشاهد.

وقالت الخوارج والزيدية من الروافض وعامة المعتزلة: الرؤية مستحيلة وهم أنكروا ذلك وهو كفر.

وقالت النجارية: الرؤية حق، ولكن يرى بالقلب.

وقالت أهل السنة والجماعة: فالمؤمنون يرون ربهم فى الجنة بعين الرأس لا بعين القلب بلا شبه ولا مثل ولا كيف ولا كيفية، ولا إدراك ونهاية، ولا إحاطة ومماسة، ولا على مكان ولا فى مكان، ولا فى جهة من الجهات الست، كما عرفوه فى الدنيا فينسون الجنة وما فيها من ألوان النعمة إذا رأوا ربهم جل وعلا بلا مماثلة ولا محاذاة ومقابلة ومسافة كما يرانا من غير مقابلة ومسافة ولا اتصال شعاع، واتصال الأشعة من البصر بذاته، وانطباع شيخ متمثل فى الحاسة منه، أو انفصال شىء من الرائى والمرئى واتصاليهما بثبوت مسافة بين الرائى وبين الله تعالى، وغير ذلك من المعانى التى هى أمارات الحادث.

واعتبر هذا فى العلم فإن كل شىء كما هو إن كان فى الجهة وإن كان لا فى الجهة يعلم لا فيها، فكذا الرؤية؛ لأن المجوز [١٥٣] للرؤية والمحجج المصحح لها الوجود، والله تعالى موجود، فثبت جواز رؤيته والدليل عليه قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضاهون فى رؤيته»(١).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «مواقيت الصلاة» باب «فضل صلاة العصر»: (٢/ص ٤٠) حديث رقم: (٥٥٤) من طريق مروان بن معاوية قال حدثنا إسماعيل عن قيس عن جرير .. به وفى كتاب: «مواقيت الصلاة» باب: «فضل صلاة الفجر»: (٢/٦٣) حديث رقم: (٥٧٣) من طريق يحيى عن إسماعيل حدثنا قيس قال لى جرير بن عبد الله ... به. =

.. ..

=وكذلك أخرجه فى كتاب: «الرقاق» باب «الصراط جسر جهنم»: (٤٥٣/١١) حديث رقم: (٦٥٧٣) من طريق سعيد وعطاء بن يزيد أن أبا هريرة أخبرهما عن النبى ﷺ - بنحوه - مطولاً.

وكذلك أخرجه فى كتاب: «التفسير» باب: «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» (٤٦٢/٨) حديث رقم: (٤٨٥١)، ولا يوجد به لفظه: «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: «المقدمة» باب فيما أنكرت الجهمية: (٦٣/١) حديث رقم: (١٧٧).

من طريق وكيع وأبى معاوية قالوا: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله بلفظه وأحمد فى مسنده: (٣٦٠/٤). من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال: قال لى جرير .. به. والبيهقى فى «السنن الكبرى»: (٣٥٩/١) من طريق إسماعيل بن أبى خالد حدثنا قيس بن أبى حازم قال سمعت جرير بن عبد الله يقول ... به.

والزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين»: (٥٥٣/١٠).

وأخرجه أبو عوانة فى: «مسنده»: (٣٧٦/١)، من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال: ....به.

من طريق جرير عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال: ....به.

ومسلم فى كتاب «المساجد» باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما: (٢١١/١/ ص ٤٣٩).

من طريق: مروان بن معاوية أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد حدثنا قيس بن أبى حازم قال: سمعت جرير...

وأبو داود فى كتاب: «السنة» باب: «فى الرؤية»: (٢٣٣/٤) حديث رقم: (٤٧٢٩).

من طريق جرير ووكيع وأبى أسامة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير ابن عبد الله.

والترمذى فى كتاب: «صفة الجنة» باب: ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى: (٥٩٢/٤) حديث رقم: (٢٥٥١).

من طريق: وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله ... به.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وكذلك فى كتاب: «صفة الجنة» باب (١٧): (٤/ ص ٥٩٤) حديث رقم: (٢٥٥٤). =

وقال الله تعالى: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ [يونس: ٢٦] يعنى رؤية الله تعالى، وقال: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣][1]

وانتظار الشيء الرؤية؛ لأن المذكور فى النص النظر مضاف إلى الوجه المتعدى بكلمة إلى، والنظر المقرون بالوجه المتعدى بكلمة إلى لا يراد به إلا الرؤية، دل عليه أنه لا يثبت بأحد اللفظين، والنفى بالآخرة لا يصح أن يقال: نظرت بوجهين إلى فلان فلم أره فدل النص على رؤية الله تعالى ووجوده فى الآخرة، وقال تعالى: ﴿**وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم**﴾ [البقرة: ٤٠]. قال إسماعيل: لا تنفروا من الزحف أدخلكم الجنة. وقيل: أوفوا شرط العبودية أوف لكم شرط الربوبية.

وقال أهل الإشارة: أوفوا فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى أوف لكم فى دار نعمتى على بساط كرامتى بقرب رؤيتى، يا قوم فعليكم إيفاء العهد بالنفس والدينار وعلى الله تعالى إيفاء العهد بالرحمة والديدار [١٥٤] وقوله تعالى: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وإذا وصف الحى تحيتهم باللقاء المقرون بالتحية كان بمعنى الرؤية، وقوله: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ [المطففين: ١٥].

=من طريق جابر بن نوح الحمانى عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: ....به.
وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب ولفظه قال رسول الله ﷺ: «أتضامون فى رؤية القمر ليلة البدر وتضامون فى رؤية الشمس؟».
قالوا: لا، قال: «فإنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته».

(١) قلت: كان ينبغى أن يجعل المصنف هذه الآية فى صدر الأدلة لأنها أقواها.
قال الأذرعى: «وإضافة التظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة فى نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى الرب جل جلاله، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار كقوله تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ وإن عدى بـ «فى» فمعناه: التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض﴾. وإن عدى بـ«إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر؟ ا. هـ. شرح أصول العقيدة الإسلامية لعلى بن أبى العز الأذرعى: (ص ٦٦).

أقسم أن الكفار يحجبون عنه، فهذا يدل على أن المؤمنين لا يحجبون، وتفسير هذه الآية على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل[1] ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه فهو كما قال ومعناه على ما أراد الله تعالى لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم فى دينه إلا من سلم لله تعالى ولرسوله ﷺ ورد ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم ومن رام ما خطر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه من أمه عن خالص التوحيد وصافى المعرفة، وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسًا ناهيًا شاكًا زائغًا لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا ولا يصح الإيمان بإنكار الرؤية لأهل الإسلام لمن اعتبرها بوهم أو تأولها بفهم إذا كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية [١٥٥] ترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين[2]، ومن يتوق النفى والتشبيه ضل[3] ومن لم يصب التنزيه تعالى الله عن ذلك.

* * *

(١) قلت: المصنف ينقل الكثير من عبارات الطحاوى عليه رحمة الله مع إسقاط بعض الكلمات القليلة، وتغيير بعض الألفاظ التى لا تخل بالمعنى، فالعبارة كاملة من: «وعلمه وكل ما جاء فى ذلك من الحديث الصحيح إلى نهاية الباب: ومن لم يصب التنزيه هى عبارة الطحاوى من غير أن يقحم المصنف فيها شيئًا من كلامه.

(٢) قوله: «وعليه دين المرسلين» فى متن الطحاوية: وعليه دين المسلمين.

(٣) قوله: «ضل» فى متن الطحاوية: «زل».

٢٣ - [باب أفعال العباد مخلوقة الصالح للعبد
وغيره وهما من الله فضل وعدل]

وَمَا إِنْ فِعْلُ أَصْلَحِ ذُو افْتِرَاضٍ عَلَى الْهَادِي المُقَدَّسِ ذِي التَّعَالِ

واعلم أن فعل ما هو الأصلح للعباد ليس بواجب على الله تعالى ولا ما هو المصلحة لا شيء سواه قط، لكن نقول فعله غير خارج عن الحكمة البليغة والله تعالى يعطى عبده ما أراد كان فيه صلاح العبد أو لم يكن، فرعاية صلاح العبد ليست بواجبة على الله تعالى بل كان فيه صلاحه؛ لأن الله تعالى مالك والمالك يتصرف فى مملوكه كيف يشاء إن فعل ما هو الأصلح لهم كان منه إحسانًا وأفضالاً، وإن فعل ما هو شر لهم كان منه عدلاً لا جورًا فله الفضل والعدل وقالت المعتزلة: الأصلح واجب على الله تعالىحتى لو لم يفعل يكون مخلاً بالواجب يصير ظلمًا وجائرًا، ولو فعل يكون مؤديًا للواجب.

قلنا: حاشا أن يوصف الله تعالى بالظلم والجور؛ دليلنا قوله تعالى: ﴿**ولو شاء الله لجعلهم على الهدى**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله تعالى: [١٥٦] ﴿**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا**﴾ [يونس: ٩٩].

إلى غير ذلك من الآيات، ولو كان الأصلح واجبًا على الله تعالى فعله لعلقه بالمشيئة إذ الهداية أصلح للكل؛ ولأن الأفعال مخلوقة بخلق الله تعالى ولو كان واجباً عليه لما خلق الكفر والمعصية؛ لأنهما ليستا بمصلحة بل هما مفسدة فى حق العبد؛ لأنهما للعقاب فى الدنيا والآخرة ولو وجب تبطل منته على عباده بالهداية إذا فعل ما فعل على طريق قضاء مستحق عليه ولا منه فى قضاء حق مستحق عليه لكن فى مقدور الله تعالى لطف وفضل، ولو فعل ذلك بالكفار لآمنوا ولو فعل يكون متفضلاً منعمًا ولو لم يفعل يكون ذلك منه عدلاً وتصرفًا فى ملكه، وقد فعل فى حق البعض دون البعض ولو كان واجبًا فلا يخلو أن يقال: إن جميع ما فى مقدور الله تعالى من اللطف والأصلح فعله فى حق الكفار ولم يؤمنوا أو لم يفعل ذلك فالأول يؤدى إلى التناهى فى مقدوراته، والثانى

يؤدى إلى إخلال بالواجب كل ذلك محال [١٥٧] والله تعالى حكيم فى أفعاله عادلاً فى أقضيته لا يغاير عدله بعدل العباد إذ العبد ينصر من ظلم وأنه يستحيل علـى اللـه تعـالى؛ لأن كل ما سواه من العرش إلى الـثرى ملكـه، وملكـه اخترعـه اللـه عـز وجـل وأنشـأه بقدرته بعد العدم اختراعًا، وأنشأ فيه فعل ما هـو قضيـة الحكـم والعـدم، وقضيـة الكـرم والقضاء لأقضية الوجود والختم، وبعذاب العاصيـن على المعاصى ويثيـب المطيعـين علـى الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم اللزوم والاستحقاق، ولا يجـب لأحـد علـى اللـه تعالى حق، وإن من حقه واجب فى الطاعات على الخلق؛ لأن الواجـب يقتضـى موجبًا والموجب فوق الموجب، وليس أحد فوقه وهو أعلم بمصالح عباده والأصلح يعطى لكـل عبد ما هو مستحقه والله تعالى لا يخلف عبده ولا يخلف وعده.

* * *

٢٤ - [باب وجوب الإيمان بالرسل والملائكة]

وَفَـرْضٌ لاَزِمٌ تَصْدِيـقُ رُسْـلٍ وَأَمْـلاَكٍ كِـرَامٍ بِالتَّـوَالِ

واعلم أن الإيمان بالأنبياء والرسل والملائكة(1) واجب قطعى وأن جاحده يكفر إذا كان له علم بالملائكة، ويعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء والرسل إلى الخلق مشرعين للدين وأمر ربهم كما جاء فى الخبر وعددهم مائة ألف وأربعون نبيًا ثم من بعدهم [١٥٨] ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلاً وغيرهم غير مرسلين عليهم السلام.

فإيمان العبد تصديق الله تعالى بعد إقراره فى جميع ما أنزل على رسله من الكتب والصحف وكل ذلك كان حقًا وصدقًا، وتصديق الرسل والأنبياء ورسالاتهم حق ومنكره كافر وهم حجج الله تعالى على خلقه، فمن زعم أنهم ليسوا بحجج على الخلق، فهو كرامى وكلهم صدقوا فى جميع ما بلغوا عن الله تعالى ويدخل تحت هذه العبادة الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وحلوه ومره، لأن ذلك قد أنزله الله على رسله، ورسله قد بلغوا ذلك كله عن الله تعالى، والرسل هم الذين أوحى إليهم جبريل عليه السلام والأنبياء الذين لم يوح إليهم جبريل وإنما أوحى

---

(١) قلت: الإيمان بالرسل والملائكة حق وهما من أركان الإيمان الستة كما جاء فى الحديث الصحيح، إلا أن الإيمان بهم على سبيل الجملة من غير حد، فما حده المصنف من عدد للملائكة والرسل ليس عليه دليل، قال الله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾.

قال الأذرعى: فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة، مؤمنين كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، فقال: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا﴾ ا. هـ.

قلت: وكذا حد المصنف عدد الأنبياء والمرسلين فقال: «وعددهم مائة ألف وأربعون نبيًا ثم من بعدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلاً وغيرهم غير مرسلين عليهم السلام» ا. هـ.

قال ابن أبى العز الأذرعى: وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى فى كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذى أرسلهم فعلينا الإيمان بهم جملة، لأنه لم يأت فى عددهم نص. ا. هـ.

شرح أصول العقيدة الإسلامية: (ص ١٢٠ وما بعدها).

إليهم بملك آخر أو رأى فى المنام، أو بصوت، أو بشىء آخر من الإلهام، وللرسل درجة النبوة خاصة ونقر باللسان ونصدق بالجنان بأن لهم نبوات ومعجزات ولا نبوة ولا معجزة لأحد بعدهم، ومن ادعى النبوة يجب عليه التوبة فإن لم يتب يجب عليه القتل لاختتام النبوة وانسداد بابها؛ لأن النبوة والمعجزة بغير الأنبياء محال، والمدعى بها كذاب، وكذلك الكاهن والعراف [١٥٩] والنجام والمتكلم بالغيب كلهم كذابون لقوله ﷺ: «النجامون كذابون»؛ لأنهم يتكلمون بالغيب؛ لأن الله عز وجل كتم علم الغيب لا يعلم الغيب إلا هو كما قال الله تعالى ﴿**إن الله يعلم غيب السموات والأرض**﴾ [الحجرات: ١٨].

وقال تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾ [الأنعام: ٥٩].

ونهى الله تعالى عن الكلام بالغيب فقال: ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدًا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير**﴾ [لقمان: ٣٤]. فقد نهى عن الكلام فى هذه الحقيقة؛ لأنها من الغيب فالمتكلمون بالغيب إذا رأوا حقًا كفروا وكذا المستمع إذا رأى حقًا كان كافرًا[١] لقوله ﷺ: «من آمن بالنجوم فقد كفر ومن دبر بالنجوم فقد أدبر».

وقد جوز التدبير بالنجوم غير أن يصدقه.

ونقر بأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليمًا إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا وكلمه بلا آلة حقيقة لا مجازًا ثم الكلام فى إثبات رسالاتهم فى أربعة مواضع: أولها يجوز فى العقل إرسال الرسل لأنه لما ثبت بالدلائل الواضحة أن البارى جل وعلا منشىء العالم ومبدعهم [١٦٠] ومالكهم وكل جزء من أجزاء العالم ملكه لا شريك له فيه، فيقول من له الخلق والأمر والملك فللمالك أن يتصرف فى ملكه ومماليكه كيف شاء فجاؤا بأمرهم وينهاهم مبينين لهم وجوه المصالح والمفاسد، ويرشدهم إلى ذلك عاجلاً وآجلاً لينتفعوا بذلك ويبلغوا درجة الكمال فى العلم والحكمة وينالوا خير الدنيا والآخرة، ثم ذلك قد يكون يخلق فيهم للعلم الضرورى بذلك، وقد يكون بأن يتبين لهم على لسان شخص وبينه إما بغير واسطة أو بواسطة ملك ثم من ذلك مَنَّ الله تعالى، فلا

---

(١) أراد المصنف أن يقول: المتكلمون بالغيب إذا رأوا ما يعتقدونه ويتكلمون به حقًا كفروا، وكذا المستمع إليهم إذا رأى ما قاله المتكلمون حقا كفر.

يعنى لإرسال الرسل إلا هذا وهذا مما لا استحالة له أصلاً، والثانى: إرسال الرسل فى الحكمة من الواجبات ما ذكرنا بالعقل يوقف فى شكر نعمة المنعم وقبيح الكفران، والعقل لا يهتدى إلى معرفة ذلك بطريق التفضيل؛ لأنه لا يعرف قدر النعمة قدر ما يجب من الشكر، وإنما يعرف ذلك بالسمع، والسمع بإرسال الرسل واجبا فى الحكمة.

وقال بعض أهل السنة: إن إرسال الرسل فى الحكمة من الجائزات.

قلنا: نحن لا نعنى بوجوه أنه يجب على ذلك بالإجابة أو إيجاب غيره تعالى الله عن ذلك، وقلنا: نعنى به أن [١٦١] قضية الحكمة أن يوجد لا محالة وإن علامته يكون مخالفًا لقضية الحكمة، والثالث: إذا ثبت أن إرسال الرسل فى الحكمة من الواجبات لكن رسالة شخص بعينه ليس بواجب يجوز أن يكون ذلك غيره، ولابد من دليل يدل عليه، والدليل على ذلك قيام المعجزة على يده تعين أنه رسول الله.

والرابع: فى إثبات رسالة نبينا محمد ﷺ، فالدلالة على صحة نبوته ورسالته قيام المعجزات الظاهرة على يده كانشقاق القمر بإشارته، ومجيء الشجرة من موضعها إليه عند إشارته إليها وعودها إلى مكانها، وتسليم الشجرة عليه، وتسبيح الحصا فى يده، ونبع الماء من بين أصابعه، وشكاية الناقة، وإخبار الشاة المصلية عن السم الذى فيها، وإشباعه الخلق الكثير من الطعام القليل، وشرب الكثير من الشراب القليل، ومن الماء والسحاب الذى كان يظله قبل بعثه، ومكان خاتم النبوة بين كتفيه، وأنه كان أطيب ريحًا من المسك، وإخباره عن الغيوب فى الماضى والمستقبل، وكان كما أخبر مع أنه كان أميًا، وإشارة عيسى عليه السلام ببعثه وغير ذلك مالا يحصى ولا يعد، ومن أعظم المعجزات هذا القرآن [١٦٢] العظيم فإن العرب بفصاحتهم وبلاغتهم وتميزهم عجزوا عن الإتيان بمثله ولا بسورة من مثله، وكان مؤيدًا بقوة سماوية، ومعصومًا بعصمة إلهية ومنصورًا بنصرة ربانية وما يختص بذاته الشريفة من الأخلاق الطاهرة والشجاعة المتناهية بحيث ما ولى دبره قط ولم يوجد عليه كذب ونهاية شفقته على الخلق، والله فتح بشرعه الشرائع، وأنهى بملته الملل، وفضله على سائر الأنبياء، وختم به الرسالة، وسد به باب النبوة، وجعله سيد البشر، وشفيع الأمة يوم المحشر.

وأكرمه باللواء والحوض والكوثر، وجعله شهيدًا على سائر الأمم، وجعل أمته خير الأمم، وفضل آله وطهر أهل بيته وجعل أزواجه أمهات المؤمنين، واختار له أصحاب وقرن ذكرهم مع ذكره، ومنع كمال الإيمان إلا بشهادة التوحيد وهو قوله لا إله إلا

الله، ولم يقبل ما لم تقترن به الشهادة بالرسول، وهو قولك محمد رسول الله ولزم الخلق تصديق ذلك فى جميع ما أمر ونهى وأخبر.

ونؤمن بالملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين، ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبى ﷺ [١٦٣] معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين ولا نخوض فى الله عز وجل ولا نمارى فى الدين ولا نجادل فى القرآن ونؤمن بالكرام الكاتبين؛ فإن الله قد جعلهم علينا حافظين يكتبون أعمال بنى آدم بحق ويقين، خلقوا للطاعة، معصومين من المعصية سوى هاروت وماروت فإنهما مخصوصان من بين الجملة، فخواص الملائكة وعوامهم كلهم عبيد لله تعالى قانتين لأوامره ومشتغلين بعبادته بعضهم قائمون، وبعضهم يسبحون، وبعضهم يهللون، وبعضهم شاخصون إلى العرش يدعون لأمة محمد ﷺ، وبعضهم حول العرش يطيرون قوله: ﴿**وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم**﴾ [الزمر: ٧٥].

وبعضهم ينزلون إلى الأرض بالمطر مع كل قطرة ملك ثم يعرج إلى السماء لقوله تعالى: ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾ [السجدة: ٥].

فالحاصل كلهم فى عبادة الله إلى يوم القيامة لا يفترون عنها طرفة عين ولا أقل منها، ثم إذا كانت القيامة يقولون [١٦٤] كالمعذورين: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وحق ما ينبغى لك، فانظر يا أخى إلى عبادتك، فإنهم بتلك العبادة يعتذرون، منذ خلق السموات والأرض ابتداء طاعتهم، ويوم انتهاء عبادتهم، فأنت أى طاعة تعتذر، فطاعتك كنقر الديك، وامتلأت الغيبة فى فيك وفى ليلتك أنت جيفة نائم وفى النهار شغلك أكل وشرب كالبهائم، أين طلب الخلاص من النيران وأين الشوق إلى لقاء الرحمن وهم بتلك الصفة المليحة، ونحن بهذه السيئة القبيحة.

* * *

فصل فى هل المؤمنون أفضل من الملائكة أم العكس؟

فإن قيل لك: فالملائكة بتلك الطاعة أفضل أم المؤمنون؟ قال أهل السنة والجماعة:

خواص بنى آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة[١] وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة أفضل من عوام بنى آدم وعوام بنى آدم أفضل من عوام الملائكة، دليلنا قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ [البينة: ٧][٢].

---

(١) قلت: وقد أثبت غير واحد من أهل السنة تفضيل الملائكة على الرسل، قال ابن حزم فى فضل الملائكة على الرسل: فلبراهين منها قول الله عز وجل آمرًا الرسول ﷺ أن يقول ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾ فلو كان الرسول أرفع من الملك أو مثله لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم هذا القول الذى إنما قاله منحطًا عن الترفع بأن يظن أن عنده خزائن الله وأنه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة فى مرتبته التى هى دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن ألبتة أن يقول هذا عن مراتب هو أرفع منها.

وأيضًا فإن الله عز وجل ذكر محمدًا الذى هو أفضل الرسل بعد الملائكة، وذكر جبريل عليهما السلام، وكان التباين من الله عز وجل بينهما تباينًا بعيدًا، قال الله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين﴾.

فهذه صفة جبريل عليه السلام، ثم ذكر محمدًا ﷺ فقال: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾. ثم زاد تعالى بيانًا رافعًا لإشكال جمله فقال: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ فعظم الله تعالى من شأن الكرام الأنبياء والرسل بأن رأى جبريل عليه السلام ثم قال: ﴿ولقد رآه نزلة آخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ فامتن الله تعالى كما ترى على محمد ﷺ بأن أراه جبريل مرتين.

وإنما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد، وأعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾.

فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بأن ابتدأهم فى الجنة وحوالى عرشه فى المكان الذى وعد رسله ومن اتبعهم بأن نهاية كرامتهم مصيرهم إليه، وهو موضع خلق الملائكة، ومحلهم بلا نهاية منذ خلقوا.

وذكرهم عز وجل فى غير موضع من كتابه فأثنى على جميعهم ووصفهم بأنهم لا يفترون ولا يسأمون ولا يعصون الله، فنفى عنهم الزلل والفترة والسأم والسهو.

وهذا أمر لم ينفه عز وجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة، ونعلم من عصم من السهو أفضل ممن لم يعصم منه، وأن من عصم من العمد كالأنبياء عليهم السلام أفضل ممن لم يعصم ممن سواهم» ا.هـ. الفصل (٥/١٤، ١٥).

(٢) قلت: قال ابن حزم: وهذا مما لا حجة لهم فيه أصلاً؛ لأن هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من=

وقوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ [البقرة: ٣٤]. فالمسجود أفضل من الساجد[١] فإذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام [١٦٥] على العوام، فعوام الملائكة خدم أهل الجنة، فالمخدوم أولى من الخادم[٢]؛

=الإنس ومن الجن، نعم وجميع الملائكة عمومًا مستويًا فإنما هذه الآية تفضيل الملائكة والصالحين من الإنس والجن على سائر البرية ا.هـ. الفصل (١٦/٥).

(١) قال ابن حزم: وهذا أعظم حجة عليهم؛ لأن السجود المأمور به لا يخلو من أن يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله، ولا يجوز أن يكون الله عز وجل يأمر أحدًا من خلقه بعبادة غيره.
وإما أن يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من أحد من الناس، فإذا هو كذلك فلا دليل أدل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون الله تعالى بلغ الغاية فى إعظامه وكرامته بأن تحييه الملائكة لأنهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية فى تحيتهم له.
ثم قال ابن حزم: وليس فى سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب أن يوسف أفضل من يعقوب ا. هـ. قلت: والتحية والإكرام ليس معناهما تفضيل المتحى والمكرم على المتحى والمكرم، وكذلك المستحى من المستحى منه كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا فى بيته كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر: فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»؟ فهذا الحديث يبين أن الملائكة تستحى من عثمان، وأن الرسول ﷺ يستحى لحياء الملائكة، ومعلوم أن الملائكة أفضل من عثمان رضى الله عنه، وكذلك معلوم أن النبى أفضل من عثمان، بل وأبو بكر وعمر أفضل من عثمان رضى الله عنهم جميعًا، وفى الحديث أيضًا اقتداء النبى ﷺ بالملائكة وهو بيان لفضل المقتدى به للمقتدى الفصل: (١٦/٥).

(٢) قال ابن حزم: أما خدمة الملائكة لأهل الجنة وإقبالهم إليهم بالتحف فشىء ما علمناه قط ولا سمعناه إلا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وإنما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل فى النص الذى أوردنا وهو ولله الحمد من أقوى الحجج فى فضل الملائكة على من سواهم.
ويلزم هذا المحتج إذا كان إقبال الملائكة بالبشارات إلى أهل الجنة دليلاً على فضل أهل الجنة عليهم أن يكون إقبال الرسل إلينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل، دليلاً على أننا أفضل منهم وهذا كفر مجرد، ولكن الحقيقة هى أن الفضل إذا كان للأنبياء عليهم السلام على الناس بأنهم رسل الله إليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم، فالفضل واجب للملائكة على الأنبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى إليهم، وسائط بينهم وبين ربهم تعالى ا.هـ. الفصل (١٧/٥).

لأن المؤمنين ركب فيهم الهواء والعقل، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهواء[1]؛ولهذا يثاب المؤمنون على أعمالهم، وليس للملائكة ثواب ولالهم نصيب من النعم والقصور، ولالهم تزويج مع الحور يطيرون فى بساتين الجنان وميادينها، يمشون فى طيب النعيم وريحانها ولا يأكلون طعام الزنجبيل ولا يشربون شراب الكوثر والسلسبيل، ولا يلبسون حلل الألوان، ولا يرون رؤية الرحمن؛ لأنه ليس لهم شهوة ولا لهم فى الأكل والشراب[2] حاجة.

ثم الملائكة بعضهم أفضل من بعض، والرسل أفضل من الأنبياء، وكذلك الرسل بعضهم أولى من بعض كقوله تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾ [البقرة: ٢٥٣] ومحمد ﷺ أفضل من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو أفضل الخلائق وخير البشر ﷺ وعلى آله إلى يوم المحشر، كما قال الله تعالى: ﴿**يس**﴾[3].

---

(١) قلت: وليس فى ذلك حجة تفضل بنى آدم على الملائكة، بل هى عليهم، لأنه معلوم بيننا أن الذى يغلب عقله على هواه من بنى البشر فضل وامتدح بينهم حتى أنهم يرفعونه مدحًا بقولهم صار كالملائكة.

وقد امتدحهم الله فى غير موضع من الكتاب فقال: ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾.

وهم يستغفرون لمن فى الأرض قال تعالى: ﴿ويستغفرون لمن فى الأرض﴾. وقرن سبحانه وتعالى إتيانه بإتيان الملائكة، وما أكل آدم عليه السلام من الشجرة إلا ليكون ملكًا أو يخلد فى الأرض، قال تعالى: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾.

(٢) قال ابن حزم: وأما تفضل الله تعالى على أهل الجنة بالأكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصور فبما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه وتعالى الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل أبانهم وفضلهم، بل جعل طبائعهم لا تلتذ بشيء من ذلك إلا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته فى تنفيذ أوامره تعالى فلا منزلة أعلى من هذه، وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذى جعل تعالى غاية إكرامنا الوصول إليه ا. هـ. الفصل: (١٧/٥).

(٣) قلت: اختلف الناس فى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور على أقوال أفضلها ما أطبق عليه أهل السنة وهو ما حكاه القرطبى فى تفسيره عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين.

وقاله عامر الشعبى وسفيان الثورى والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان، قالوا: هى مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله تفسير ابن كثير: (٣٥/١،٣٦).

يعنى يا محمد ﴿والقرآن الحكيم﴾ حلف بالقرآن المحكم القديم القائم بذاته ﴿إنك لمن المرسلين﴾ [يس: ٣]. قبل كل شيء بألفى عام، فتبيين فضله بالسبق أنه خلق نوره، بألفى [١٦٦] عام[١].

وأما مشايخنا قد اختلفوا قال بعضهم: محمد ﷺ أفضل كما بينا فضله على الرسل فهذا أصح[٢].

وقال بعضهم: السكوت أفضل لحرمة الأبوة.

وقالت المعتزلة: لافضل لبعض الأنبياء على البعض، بل كلهم سواء والملائكة أفضل من جميع بنى آدم.

فحسبت المعتزلة أن الفضل فى الأعمال وليس كما حسبت، بل الفضل بتفضيل الله تعالى كما بينا بقوله تعالى: ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقد أضاف التفضيل إلى ذاته وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلافنا معهم فى تفويض الأعمال إلى العباد ونفى خلق أعمالهم، وقد بينا ذلك بتفضيل الملائكة حتى قالت: أفضل من المؤمنين، وأما الشياطين خلقوا للشر إلا واحدًا قد أسلم حين لقى النبى ﷺ فهو هامة بن هيم بن الأقيس بن المئيس بن إبليس فعلمه النبى ﷺ سورة الواقعة، والمرسلات وعم، وكورت، وقل يا أيها الكافرون والإخلاص والمعوذتين فإنه مخصوص من بينهم.

ثم عوام الإنس وجميع الجن غير معصومين عن المعاصى، فإذا عصوا يؤاخذون بمعصيتهم وإذا [١٦٧] أطاعوا فللمؤمنين من الإنس ثواب بالإجماع وللمؤمنين من الجن

---

(١) لم يرد بذلك نص أو خبر صحيح يدل على أن الله خلق نور محمد ﷺ قبل كل شيء بألفى عام. فهذا قول باطل عند أهل السنة والجماعة لم ينقله أحد من الصحابة عن رسول الله ﷺ، وإنما ذلك من خرافات غلاة الصوفية.

(٢) قال ابن حزم: وأما فضل رسول الله ﷺ على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام أنه قال: فضلت على الأنبياء بست وروى بخمس وروى بثلاث، رواه جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة، وبقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». وأنه ﷺ بعث إلى الأحمر والأسود، وأنه عليه السلام أكثر الأنبياء أتباعًا، وأنه ذو الشفاعة التى يحتاج إليه يوم القيامة النبييون فمن دونهم ا. هـ. الفصل: (١٨/٥).

لا ثواب على طاعتهم عند أبى حنيفة رحمة الله عليه؛ لأن الثواب من ملاذ الطبيعة بالأكل والشرب والنكاح، وهم لا يتأهلون بذلك.

وقال: لهم الثواب؛ لأنهم مؤاخذون بالسيئات على ما نطق الكتاب فيجازون بالحسنات أيضًا، فالإنس والجن خلقوا على فطرة واختلفوا فى تفسيرها وقالت المعتزلة: هى الإسلام، وعن هذا قالت: إن الكافر يكفر بنبذ الإسلام وراء ظهره وكفر بفعله من غير مشيئة الله تعالى وقد مر الكلام فى المشيئة.

وقال أهل السنة والجماعة: إن الفطرة الخلقة كما قال الله تعالى: ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها**﴾ [الروم: ٣٠]. وقال: ﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض**﴾ [فاطر: ١].

أى خالقها، وقال النبى ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه ويمجسانه وينصرانه حتى يعرب عنه لسانه إما بحق أو بباطل»(١). أى لو ترك على الخلقة التى ولد عليها لاستدل بها على حالته، لأن أبويه تسببا له التهود والتمجس والتنصر، كما قال فى شأن الآلهة: ﴿**إنهن أضللن كثيرًا من الناس**﴾ [إبراهيم: ٣٦].

أى صار سببًا للضلالة، فإذا الجن والإنس خلقوا على صفة الإسلام ولا على صفة الكفر [١٦٨] ثم من اهتدى اهتدى بهداية الله تعالى، ومن ضل ضل بإضلال الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿**يضل من يشاء ويهدى من يشاء**﴾ [فاطر: ٨]. وقوله تعالى: ﴿**ومن يضلل الله فماله من هاد**﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿**ومن يهد الله فماله من مضل**﴾ [الزمر: ٣٧].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «الجنائز» باب ما قيل فى أولاد المشركين (٣/ص ٢٩٠) حديث رقم (١٣٨٥) من طريق الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه ... به. ومسلم فى كتاب «القدر» باب معنى كل مولود يولد على الفطرة: (٤/٢٢/ ص ٢٠٤٧) من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أنه قال .... به.
وأبو داود فى كتاب «السنة» باب (فى ذرارى المشركين): (٤/٢٢٩) حديث رقم: (٤٧١٤). من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال .... به.
وأحمد فى «مسنده»: (٢/ص ٢٣٣) من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ... به. وبه لفظ: كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء.

وقوله: ﴿من يضلل الله فلا هادى له﴾ [الأعراف: ١٨٦].

فالهداية والإضلال صفة الرب، والاهتداء والضلالة صفة العبد، فالله تعالى بجميع صفاته لم يلد ولم يولد ولم يحدث له على ما بينا، والعبد بجميع صفاته مخلوق، وقد ذكرنا.

وقالت الأشعرية والجبرية: الفطرة هى الشقاوة والسعادة فى بطن الأم، واحتجت بقوله ﷺ: «السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه»[(١)].

قلنا: معناه على وجه الرزق والأجل والخلق، فرزق بعضهم أضيق ولبعضهم أوسع، وأجل بعضهم أقل، ولبعضهم أكثر، وحياة بعضهم أقصر ولبعضهم أطول، وخلق بعضهم أحسن ولبعضهم أقبح، ولأن واحدًا يسعد ويشقى فى بطن أمه لا يضر لأحد ذنبه ولا ينفع لأحد طاعته، فهذا محال والله الموفق.

* * *

(١) أخرجه مسلم فى كتاب «القدر» باب: كيفية الخلق الآدمى: (٤/٣/ص٢٠٣٧).
من طريق عمرو بن الحارث عن أبى الزبير المكى أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: ...به مطولاً، وبه لفظ: والسعيد من وعظ بغيره».
وابن ماجه فى كتاب: «المقدمة» باب اجتناب البدع والجدل: (١/ص١٨) حديث رقم (٤٦).
من طريق محمد بن جعفر بن أبى كثير عن موسى بن عقبة عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال ... به مطولاً.
وأورده الزبيدى فى: «إتحاف السادة المتقين: (٩/٢٠٦).
من طريق أبى هريرة: وسنده صحيح. وروى مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية: «إنما الأعمال» بنحو الحديث، وقد تقدم هنا خوف العارفين حيث أنهم لم يعرفوا أنهم من أى الفئتين المذكورتين ومن أى الفريقين المذكورين فى قوله تعالى: ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾.
وفى قوله تعالى: ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾. وقوله تعالى: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ وقوله تعالى: ﴿إما شاكرًا وإما كفورا﴾.
وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: (١٩٣/٧). من طريق أبى هريرة ... به.
وقال: «رواه البزار والطبرانى فى «الصغير» ورجال البزار رجال الصحيح. وأورده الهندى فى كتاب: «كنز العمال» (١/ص١٠٧) حديث رقم (٤٩١) من طريق أبى هريرة ... به.

٢٥ - [باب يبدل الله السعادة والشقاوة فى اللوح المحفوظ]

وَيَمحُو المَلِيك صِفَات عَبْد شَقِيًّا أَو سعيداً فِى خَتْم حَالِ

واعلم أن الله تعالى يبدل السعادة المكتوبة فى اللوح المحفوظ [١٦٩] شقاوة بأفعال الأشقياء، ويبدل الشقاوة سعادة بأفعال السعداء، والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى، والله تعالى قادر على أن يصير السعيد شقيًا بعدله والشقى سعيدًا بفضله، ويمحو ويثبت، ويجعل المؤمن كافرًا والكافر مؤمنًا ولو لم يكن كذلك ما ينفع المطيع طاعته، وما كان يضر للعاصى معصيته قوله ﷺ: «إن رجلاً يكون بينه وبين الجنة شبر فيجرى على يديه ذنب فيختم عليه بالشقاوة وإن رجلاً يكون بينه وبين النار شبر فيجرى على يده خيرًا فيختم عليه بالسعادة»[1].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «التوحيد» ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين: (١٣/ص٤٤٩) حديث رقم (٧٤٥٤).

من طريق الأعمش سمعت زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ... به.

وأيضًا فى كتاب: «أحاديث الأنبياء» باب: (خلق آدم وذريته): (٦/ص٤١٨) حديث رقم: (٧٤٥٤).

من طريق الأعمش حدثنا زيد بن وهب حدثنا عبد الله ... به.

وأيضًا فى كتاب: «بدء الخلق» باب: ذكر الملائكة: (٦/ص٣٥٠) حديث رقم (٣٢٠٨) من طريق أبى الأحوص عن الأعمش عن زيد بن وهب قال عبد الله .... به. ومسلم فى كتاب «القدر» باب كيفية الخلق الآدمى: (٤/١/ص٢٠٣٦) من طريق أبى معاوية ووكيع قالوا: حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله قال .... به.

وأبو داود فى كتاب: «السنة» باب فى القدر (٤٧٠٨) من طريق الأعمش قال: حدثنا زيد بن وهب حدثنا عبد الله بن مسعود قال .... به.

والترمذى فى كتاب: «القدر» باب «ما جاء أن الأعمال بالخواتيم»: (٤/ص٣٨٨) حديث رقم: (٢١٣٧) من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال ... به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه فى كتاب: «المقدمة» باب: (فى القدر): (١/٢٩) حديث رقم: (٧٦). من طريق=

وقال عليه السلام: «يولد الإنسان مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت كافرًا ويولد كافرًا ويعيش كافرًا ويموت مؤمنًا وإن الأعمال بالخواتيم»[1] فمن ختم بالإيمان فقد حصلت له

=أبى معاوية ومحمد بن عبيد عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود ... به.
وأحمد فى «مسنده»: (١/ص٤١٤) من طريق سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب الجهنى عن عبد الله بن مسعود ... به.
وأورده البيهقى فى: «السنن الكبرى»: (٧/ ٤٢١).
من طريق: أبى معاوية عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله أنه قال ... به.
وقال: رواه مسلم فى الصحيح عن أبى بن أبى بكر شيبة عن أبى معاوية.
وأخرجه البخارى ومسلم من أوجه أخر عن الأعمش .... به.
وأورده الزبيدى فى: «إتحاف السادة المتقين»: (٩/ ٢١٩) بلفظ : قال ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة». وفى لفظ: «حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبرًا».
وفى رواية: إلا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار».
هكذا هو فى القوت وقد سبق ذكره قريبًا.
وقال العراقى: روى مسلم من حديث أبى هريرة: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمل بعمل أهل النار».
والطبرانى فى الأوسط: «سبعين سنة». وإسناده حسن وللشيخين فى أثناء حديث لابن مسعود: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع».
والحديث ليس فيه زمن العمل خمسين سنة ولا ذكر شىء ولا فواق ناقة ا. هـ. وأيضًا فى: ٧/ص١٧٩) بلفظ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار وإنه يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة».
قلت: واختلف فى اسم هذا الرجل فقيل هو قزمان بن الحارث حليف بنى ظفر.
قال ابن قتيبة فى المعارف: هو الذى قتل نفسه وكان منافقًا وفيه قال ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ا. هـ.

(١) قلت: لم يأت فى باب: خواتيم الأعمال حديث صحيح بلفظ: «يولد الإنسان مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت كافرًا» إلى آخر ما ذكر المؤلف والذى جاء فى الصحيحين ما رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعًا: «إن الرجل ليعمل». إلى آخر الحديث، وما رواه البخارى عن سهل بن سعد مرفوعًا: «إن العبد ليعمل». إلى آخر الحديث، ولم يأتى بلفظ: «إن المؤمن».
وأحسن ما قيل فى الحديثين الصحيحين عن سوء الخاتمة هو: قال القرطبى: قال أبو محمد عبد الحق: «اعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل، أو إصرار على الكبائر،=

السعادة الأبدية ومن ختم له بالكفر فقد حصلت له الشقاوة الأبدية ومن آمن يحكم أنه مؤمن فىتلك الساعة ومن كفر يحكم بكونه كافرًا فى تلك الساعة والعياذ بالله تعالى ولا يحكم بكونه مؤمنًا أو كافرًا فى أول عمره لأن فى خاتمته إنكار الحقائق[1].

فنسأل الله تعالى أن يختم لنا بالإيمان وكلمة الإخلاص، وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة

=وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، يختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله ثم العياذ بالله أن يكون ممن كان مستقيمًا ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ويأخذ فى طريقه فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته» ا. هـ. التذكرة للقرطبى (ص ٤٢).

(١) قلت: هذا الحديث ينقسم إلى شطرين: «يولد الإنسان مؤمنًا ... الحديث» أخرجه الترمذى فى كتاب: «الفتن» باب: (ما جاء ما أخبر النبى ﷺ وأصحابه): (٤/ص٤١٩) حديث رقم: (٢١٩١).

من طريق حماد بن زيد حدثنا على بن زيد بن جدعان. وقال أبو عيسى: وفى الباب عن حذيفة وأبى مريم وأبى زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة وذكروا أن النبى ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وهذا حديث حسن صحيح.

وأحمد فى «مسنده»: (٣/ ١٩) من طريق حماد بن سلمة قال: أنبأنا على بن زيد عن أبى نضرة ... به. وكذلك فى مسنده: (٣/ص٦١).

من طريق عبد الرزاق ومعمر عن على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة ... به.

وأورده الهندى فى: «كنز العمال»: (١١/ص٥٢٢) حديث رقم (٣٢٤٣٨) من حديث ابن مسعود .... به.

والحديث الثانى: «إن الأعمال بالخواتيم الحديث».

أخرجه البخارى فى كتاب: «القدر» باب: العمل بالخواتيم: (١١/ ٥٠٧) حديث رقم: (٦٦٠٧).

من طريق أبى غسان حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد ... به.

وأيضًا أخرجه البخارى فى كتاب «الرقاق» باب: الأعمال بالخواتيم: (١١/ ٣٣٧) حديث رقم: (٢١٣٧) مطولاً من حديث ابن سعود.

وأخرجه أحمد فى «مسنده»: (٥/ص٣٣٥) من طريق: أبى غسان محمد بن مطرف عن أبى حازم عن سهل بن سعد ... به.

وأورده أبو عوانة فى: «مسنده»: (١/ص ٥١) من طريق: القعنبى عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ ... به. وكذلك أورده الهندى فى: «كنز العمال»: (١/ص ١٢٥)، حديث رقم (٥٩٠). من طريق سهل بن سعد ... به.

الدنيا وفى الآخرة بفضله وكرمه. وعن [١٧٠] عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال: اللهم إن كنت كتبت اسمى فى ديوان الأشقياء فاصرفه فى ديوان السعداء.

واعلم أن الله تعالى لا يضيع عمل المؤمنين لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ [التوبة: ١٢٠].

وقالت الأشعرية والقدرية: قد كان ما هو كائن، وفعل الله ما شاء، قد جف القلم ولا تتبدل السعادة بالشقاوة.

وعن هذا قالوا: إن أبا بكر وعمر كانا مؤمنين فى حال سجودهما للصنم، وسحرة فرعون كانوا مؤمنين فى حال حلفهم بعزة فرعون وإقرارهم بإلاهيته، وما دام إبليس يعبد الله تعالى كان كافرًا.

قلنا: مردود عليكم بأنهما وجميع الصحابة والسحرة كلهم ما داموا يعبدون الصنم كانوا كافرين فىاللوح المحفوظ وكافرين عند الله تعالى والملائكة؛ لأن من عبد الصنم كافرًا عند نفسه حقًا كذلك كافرًا عند الله حقًا ألا ترى أمر نبيه بقتال المشركين فقال: ﴿**وقاتلوا المشركين كافة**﴾ [التوبة: ٣٦]. وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله وما أمرت أن أقاتل المؤمنين»[1].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «الزكاة» باب وجوب الزكاة: (٣/ص٣٠٧) حديث رقم (١٣٩٥). من طريق أبى معبد عن ابن عباس رضى الله عنهما ... به.
وكذلك أخرجه البخارى فى كتاب: «الاعتصام» باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: (١٣/ص٢٦٤) حديث رقم: (٧٢٨٤،٧٢٨٥).
من طريق: عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة.... به. وكذلك فى نفس المصدر السابق باب: قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾: (١٣/ص٣٥١). وكذلك فى كتاب: «الاستتابة» باب: قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلىالردة: (١٢/ص٢٨٨) حديث رقم: (٦٩٢٤). من طريق: عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة .. به.
ومسلم فى كتاب: «الإيمان» باب «الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدرسول الله»: (١/٣٢/ص٥١).
من طريق: عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبى هريرة وأيضًا فى نفس المصدر السابق الكتاب والباب: (١/٣٣/ص٥٢). من حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ... به. وكذلك فى كتاب: «الجهاد» باب: على ما يقاتل المشركون (٣/ص٤٤) حديث رقم: (٢٦٤٠) من طريق=

ولو كان الكفار مؤمنين وقت عبادة الأصنام [ما كان يأمر النبى ﷺ أن يقاتل معهم][1]، فالله تعالى لا يأمره بقتال المؤمنين ولكن يأمره بقتال [١٧١] المشركين، ولو كان المؤمن كافرًا فى الأزل وجرى القلم فىاللوح المحفوظ على كفره، وكل ما جرى كان فلا يتبدل ولا يمحى فما الفائدة فى عرض الإسلام، ولا يسلم أبدًا بقولكم فالمحاربة معه محال حتى يقولوا لا إله إلا الله؛ لأنه إذا لم يمح الكفر الذى فى اللوح المحفوظ فمتى يمكن أن يقول: لا إله إلا الله، وقال الله تعالى: ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾ [الأنفال: ٣٨].

ثبت الغفران بما سلف قبل الإسلام بالإسلام، فلو كان الكافر مؤمنًا قبل الإيمان

=أبى صالح عن أبى هريرة ... به. وأخرجه الترمذى فى كتاب: «الإيمان» باب: «ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله». من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة ... به وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

أخرجه النسائى فى كتاب: «التحريم» باب: أخبرنا هارون بن محمد: (٧/ص٨٧) حديث رقم: (٣٩٧٦).

من طريق حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ ... به. وأيضًا فى كتاب: «الإيمان» باب على ما يقاتل الناس: (٨/ص ٤٨٣) حديث رقم: (٥٠١٨).

وكذلك فى كتاب: «الجهاد» باب وجوب الجهاد: (٦/ص ٣١٢) حديث رقم: (٣٠٩١) من طريق: عبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة ... به. وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: «الفتن» باب: (الكف عمن قال: لا إله إلا الله): (٢/ص١٢٩٥) حديث رقم (٣٩٢٧ -٣٩٢٨) من طريق: الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ... به.

وكذلك أخرجه ابن ماجه فى كتاب: «المقدمة» باب: فى الإيمان: (١/ص٢٧) حديث رقم: (٧١) من طريق: الحسن عن أبى هريرة ... به. والدارمى فى كتاب: «السير» باب فى القتال على قول النبى ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»: (٢/ص٢٨٧) حديث رقم: (٢٤٤٦) من طريق النعمان بن سالم قال: سمعت أوس بن أبى أوس الثقفى وفى إسناده هاشم بن القاسم.

قال عنه الحافظ فى «التقريب»: (٢/ص٣١٤): صدوق وبقية رجال الإسناد ثقات. أ.هـ.

وأحمد فى «مسنده»: (١/ص١١) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبى هريرة ... به.

(١) ما بين المعقوفتين هكذا بالأصل وهو مخل بالمعنى، والذى يقيم المعنى هو [ما كان يأمر النبى ﷺ أن يقاتلهم].

لفاتت فائدة الغفران، يمحو المعاصى ويثبت التوبة، فقد اجتمعت عليه المفسرون، ولو كان إبليس كافرًا ما دام يعبد الله لما أمره بالسجود لآدم ولا يسميه ملكًا ولا يكون مع الملائكة فى العقل، قال الله تعالى: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾ [البقرة: ٣٤].أى صار آمرًا للملائكة بالسجود لا للكفار، وإبليس كان معذورًا فى قولكم بترك السجود، وقد سماه ملكًا مقارنًا مع الملائكة ثم نفى وبدل اسمه بعد ترك السجود، لأنه لما قال: لم أسجد كفر بالله العظيم ومحى اسمه المكتوب فى اللوح وكتب كافرًا، وكذلك قابيل، وقارون [١٧٢]، وبلعم ابن باعور، وبرصيصًا.

ونسألكم سؤالاً: إن آدم ﷺ كان عاصيًا قبل أن يأكل من الشجرة أم حين خلقه الله تعالى كان عاصيًا؟ فإن قلتم: خلقه الله تعالى مطيعًا فلا يعصى بقولكم، وإن قلتم خلقه الله تعالى عاصيًا فلا يطيع بقولكم ولا يكون لهذه الآية: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾ [طه: ١٢١]. فصح كلامنا إن إبليس عليه اللعنة ما دام يعبد الله كان مؤمنًا فى اللوح فمحى اسمه بعد ما قال: ﴿**لم أكن لأسجد لبشر**﴾ [الحجر: ٣٣]. وإن آدم كان كتبه الله.مطيعًا فلما عصى محى اسمه المطيع وكتب عاصيًا فلما نظر إليه بالرحمة وقبل توبته جعله فى جملة المطيعين، وكذلك هاروت وماروت فإن قالوا: القول بالتبدل يؤدى إلى تجويز التبدل على الله عز وجل، قلنا: هذا من قلة فهمكم تعالى الله عن ذلك، أفحسبتم أن المكتوب فى اللوح صفة الله تعالى بل هو صفة العبد سعادة أو شقاوة، والعبد يجوز عليه التغير من حال إلى حال، فكذلك صفته متغيرة.

أما قضاء الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل، فالقضاء صفة القاضى غير محدثة والمكتوب فى اللوح مقضى محدث، والحكم غير محدث، والمحكوم به محدث، والقدر غير [١٧٣] محدث والمقدور محدث، وتغيير المقضى لا يوجب تغيير القضاء، فالناس على أربعة فرق: فريق منهم قضى عليهم بالسعادة ابتداء وانتهاء مثل الإمام على كرم الله وجهه وولديه الحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين، وفريق منهم قضى عليهم بالشقاوة انتهاء وابتداء مثل: أبى جهل وأصحابه، وفريق منهم قضى عليهم بالسعادة ابتداء وبالشقاوة انتهاءً مثل: إبليس، وبلعم، وقارون، وفريق قضى عليهم بالشقاوة ابتداءً وبالسعادة انتهاءً مثل: أبى بكر، وعمر، وسحرة فرعون.

فقد قضاه على ما جرى فى الأزل فالتغيير للمقضى عليه لا القضاء، وقد بينا الاختلاف فى تفسير المكتوب فىاللوح، ولا خلاف أن الكائن مكتوب كما قيل فى الخبر: لما خلق الله القلم أمره أن يكتب، قال: وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿**وكل شىء فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر**﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]. ونؤمن باللوح[1] والقلم وبجميع ما فيه قد رقم، فلواجتمع الخلق كلهم على شىء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على ما لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه [١٧٤] كائنًا لم يقدروا عليه، قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعلى العبد أن يعلم أن الله تعالى قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه، وقدر ذلك بمشيئته تقديرًا محكمًا مبرمًا ليس فيه ناقص، ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير، ولا محول، ولا ناقص ولا زائد من خلقه فى سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته كما قال الله تعالى: ﴿**وكان أمر الله قدرًا مقدورًا**﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿**وخلق كل شىء فقدره تقديرًا**﴾ [الفرقان: ٢]. فويل لمن صار قلبه فى القدر قلبًا سقيمًا [.....][2] من يوهمه فى فحص الغيب سرًا كتيمًا وعاد بما قال فيه أفاكًا أثيمًا، وطوبى لمن كان قلبه سليمًا وقصده بتقدير الرتب عليمًا ولم يقع فى علم الغيب حتى صار أجرهم عظيمًا.

* * *

---

(١) هذه العبارة من أول: «ونؤمن باللوح والقلم» إلى قوله: «وعاد بما قال فيه أفاكًا أثيمًا» هى عبارة الطحاوى رحمه الله.

(٢) ما بين المعقوفين غير واضح بالمخطوط.

٢٦ - [باب نسب محمد وكنيته ﷺ]

وَخَتْمُ الرُّسْلِ بِالصَّدْرِ المُعَلّى ... نَبِيٌّ هَاشِمِيٌّ ذُو جَمَالِ

إِمَامُ الأَنْبِيَاءِ بِلاَ اخْتِلاَفٍ ... وَتَاجُ الأَصْفِيَاءِ بِلاَ اخْتِلالِ

وَبَاقٍ شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ... إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَارْتِحَالِ

واعلم أن الله تعالى بعث محمدًا إلى خير الأمم نبيًا، وانتجاه نجيًا، واصطفاه وليًا هاديًا مهديًا طاهرًا عربيًا هاشميًا قرشيًا مكيًا مدنيًا تهاميًا أبطحيًا رضيًا مرضيًا ﷺ [١٧٥] وعلى أصحابه بكرة وعشيًا وهو أحمد حامد، قاسم شاهد، محمود، ماجد حامد، ساجد خاضع، خاشع راكع، نافع مشفع شافع، قائم صائم، على الصدق دائم، علمه صادق، بالحق ناطق، سيد المرسلين، إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين، خاتم النبيين رسول رب العالمين أرسله رحمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين، حتى صح به الدين، وأشرقت بنوره اليقين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وذلك إمام الأنبياء وتاج الأصفياء، وسراج الأولياء، وضيف الأتقياء، قاتل الكفار مع الفجار، قاهر المنافقين، مهلك الزنادقة، سيد الشام والعراق، ولى البلاد والآفاق، صباح الأرضين ومصباح السبع الطباق، صاحب الدلدل والبراق، تارك الدنيا إلى لقاء المشتاق، ذو الحوض والكرامة، والقضيب والهراوة، وذو الرعب والهيبة والجيش والنصرة، شمس الملة، هلال المدينة، بدر الكوفة ضوء البصرة، صاحب الهداية والتاج والخلعة والمعراج، وببركته كاف الحجاج، وبحرمته أنزل الله من المعصرات ماء ثجاجًا وبنوره لاحت الأبراج، وأزهرت الرياض والأمراج، بسيفه قد فتح المنهاج، وخفقت قلوب المذنبين كالأمواج، صلى الله عليه وعلى آله [١٧٦] وأصحابه إلى يوم الجلوس فى الجنان على الديباج، وهو نبى مكرم ورسول مقدم، وصفى محترم، ومرسل معظم، ومصطفى مجتبى مرتضى، معلى المحبوب بالقرب والنداء المبعوث بالحث والهدى وهو حبيب الملك الكريم ذو القلب السليم صاحب الصراط المستقيم تصديقه قوله: ﴿**يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم**﴾ [يس: ١ - ٤].

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب

ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان بن اليسع بن الهمسيع بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر بن تارخ ابن ناحور بن أسروع بن أرعو بن فالغ بن غائر بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن كملك ابن متوشلح بن خنوخ، وهو إدريس، بن بارذ بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيت ابن آدم بن تراب[1] عليه الصلاة والسلام، وعلى كل نبى من أولاده صلاة دائمة إلى يوم الثواب والعقاب.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «كذب النسابون واتفقوا إلى عدنان بن أدر [١٧٧] بن يامين بن يشحب بن بيرح بن صابوح بن الهمسيع».

ثم اتفقوا وقيل: ذكر نسب إلى إبراهيم عليه السلام فلم يذكر ما بعده، وذلك عِدنان ابن أد بن إسماعيل بن إبراهيم، وذكر أبو بكر رضى الله عنه إلى مالك، ثم أدخل بين الأنساب أنسابًا إلى نبت ثم بعده متفق وذلك إلى مالك بن النضير بن كنانة بن خزيمة بن خندق وهو إلياس بن مضر بن نذار بن تولغ بن سالف بن غائر بن ميسر بن عوام بن آمين بن منجب بن لغب بن جميل بن نبت إلى آخره، فالحاصل أن آدم عليه السلام أول الرسل والأنبياء عليهم السلام، وآخرهم محمد ﷺ لا نبى بعده، وإذا نزل عيسى عليه السلام من السماء إنما ينزل على شريعته، ويدعو إلى شريعته ويكون كواحد من دعاته وفضل الله عز وجل جميع الأنبياء رجته ومرتبته، وتبقى إلى يوم القيامة شريعته فمصدقه مهاجرى وأنصارى ومكذبه يهودى ونصرانى وله حوض يسقى منه أمته، فمن أنكره كان جهميًا وقد ثبت بقوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر: ١]. فمن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، عرضه مسيرة [١٧٨] أشهر ماؤها أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها كعدد نجوم السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر.

وقد كرم الله تعالى غياثًا لأمته وبعثه إلى الخلق بيانًا من رحمته، ولا يدعى أحد دعوى باطلاً فى محبته، فصدق المحبة أن يحب الله تعالى ولا يكسل فى طاعته، ويعلم يقينًا أن أمر الله لا يرفع عن المحب لأجل المحبة، فدعوا باطل إن تهاون فى الخدمة ثم بعده يحب

---

(١) قلت: لم يكن لآدم أب اسمه تراب؛ لأنه لم يولد بل خلقه الله من صلصال كالفخار، وأصل الصلصال من ماء وتراب كما جاء فى القرآن.

الرسول ويدخل فى قلبه الحرص والقبول، ويكون محبًا مطيعا وحريصًا مطيعًا فى أخذ سنته والتمسك بشريعته.

* * *

فصل: التمسك بالجماعة ووجوب طاعة أولى الأمر ومسائل فى الفروع

ولا يخالف جماعة المسلمين والغزوات والأعياد ولا يصلى منعزلاً عن الجماعة بالانفراد فمن لا يرى الجماعة حقًا كان فاسقًا ورافضيًا وخارجيًا وهم كلاب أهل النار؛ لأن حفظ الجماعة من سنن الرسول وحفظ سنته لازمة لقوله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ [النساء: ٥٩]. يعنى فى الفرائض وفى السنن، ولقوله ﷺ: «من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

وكل ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق وصدق، وإذا ثبت أن شرائع النبى ﷺ من لوازم الأمور فنذكر مسائل مما [١٧٩] لابد منها.

فينبغى للمؤمن أن يرى جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر(١) من أهل القبلة، ويصلى

(١) قلت: فى الصلاة خلف كل بر وفاجر خلاف، وأصح ما قيل فيه أنه لم يصح فيه حديث، فكل ما روى فى الأمر بالصلاة خلف كل بر وفاجر إما منكر أو ضعيف.
قال الدارقطنى: ليس فيها شىء يثبت، قال الحافظ: وللبيهقى فى هذا الباب أحاديث كلها ضعيفة غاية فى الضعف، وأصح ما فيه حديث مكحول عن أبى هريرة على إرساله.
أما الصلاة على كل بر وفاجر فهو على عمومه أما إذا علم فجره، كالبغاة، وقطاع الطرق، والمنافقين، وقاتل نفسه فلا صلاة عليه.
قال الأذرعى: الكلام لأهل الإسلام قسمان: إما مؤمن وإما منافق، فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له. ومن لم يعلم ذلك منه صلى عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه. وكان عمر رضى الله عنه لا يصلى على من لم يصل عليه حذيفة؛ لأنه كان فى غزوة تبوك قد عرف المنافقين وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمنا بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية الفجورية ماله.
بل لقد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين فقال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ نيل الأوطار: (١٦٢/٣) وما بعدها، (وشرح أصول العقيدة الإسلامية ص ١٥١).

على كل بر وفاجر فيها نفس الحديث ويصلى على كل كبير وصغير؛ لأن النبى ﷺ صلى على ابنه إبراهيم ومن لا يصلى خلف أحد أو على جنازة صغير كان رافضيًا؛ لأنهم لا يصلون خلف أحد.

ولا يخرج على أحد من المسلمين ولا يرميه بالسيف بغير حق، إلا من وجب عليه السيف، والطاعة للأمراء والجهاد ماضيان من أئمة المسلمين برهم وفاجرهم إلى يوم القيامة لا يبطلهما شيء ولا ينقصهما، ويصلى خلف كل أمير برًا وفاجرًا صلاة الجمعة والعيدين، ولا يخرج عليه بالسيف، ويكون له مطيعًا بغير المعاصى؛ لأن الإمام إذا لم يكن مطاعًا يؤدى ذلك إلى الإخلال بنظام الشرع وأمور الدين إلى وقوع التنازع والاختلاف بين المسلمين لو دامت أدى ذلك إلى التقاتل، وفيه من الفساد ما لا يخفى فثبت لهذه الدلائل أن طاعة الأئمة والسلاطين فريضة وإن يأمروا المعاصى، فالإثم عليهم ولا إثم على الفاعل المكلف[1] ولا يعزل السلطان عن الإمامة والولاية وإن ظلموا حتى يعدل وإن كان جائرًا لما فيه من الفساد من [١٨٠] سفك الدماء وانتهاب الأموال، وإن حكم فحكمه جائز فيما يوافق الحق، وكل من استولى على بلدة بالقهر والغلبة ولا يكون لهم عليه قوة فإنه يصير عليهم سلطانًا وتنفذ عليهم أحكامه، وإن لم يكن ولاية الخليفة وكل من بايعه المسلمون وولوه أمرهم فإنه يجوز أن يكون عليهم خليفة، وأى قبيلة كان، ولا يجوز الخليفة إلا من قريش كما ذكرنا، والأفضل أن يكون هاشميًا. ولابد للمسلمين من إمام يقوم بمصالحهم لتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم، ويسد ثغورهم ويجهز جيوشهم، وأخذ صدقاتهم، وصرفها إلى مستحقيها، وأن يكون بالغًا عاقلاً ذكرًا عادلاً عالمًا بالحلال والحرام مهتديًا إلى وجوه السياسات، وتدبير هيئات الحروب، قادرًا

---

(١) قوله: «ولا إثم على الفاعل المكلف»، قلت: هذا مردود بقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». لاسيما طاعته فى إتلاف الأموال والقتل وإقامة المنكرات. قال ابن تيمية: وكما لو أكره رجل رجلاً على قتل مسلم معصوم، فإنه لا يجوز له قتله باتفاق المسلمين، وإن أكرهه بالقتل، فإنه ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم أولى من العكس فليس له أن يظلم غيره فيقتله لئلا يقتل هو، بل إذا فعل ذلك كان القود على المكره جميعًا عند أكثر العلماء كأحمد ومالك والشافعى فى أحد قوليه، وفى الآخر يجب القود على المكره المباشر كما روى عن زفر، وأبو يوسف يوجب الضمان بالدية بدل القود ولم يوجبه ا. هـ. الفتاوى الكبرى: (٣٥١/٤)، (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله ص ٤٥٦ وما بعدها).

على إنصاف المظلوم من الظالم، وعلى أمن الطرقات وإظهار العدل، وعلى إقامة الجمع والأعياد وغير ذلك، وأن يكون قرشيًا لقوله ﷺ: «الأئمة من قريش». قوله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما يبقى منهم اثنان».

وفى رواية أخرى: «قريش ولاية أمة ما بقى من الناس اثنان ولا يختص بطن من قريش دون بطن»[(١)].

وأما كونه معصومًا، وكونه أفضل الناس، وكونه مجتهدًا فى الأصول [١٨١] والفروع، وكونه هاشميًا فقط دون غيرهم من القبائل كل ذلك ليس بشرط بل بفرض ما ذكرنا وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وقال بعض المعتزلة والخوارج فغلبة الإمام ليس [.....][(٢)] لأن الناس لو كفوا عن المظالم لاستغنوا عن الإمام.

ولا يجوز نصب إمامين فى مصر واحد إلا إذا تباعدت الأمصار فحيث [......][(٣)]، فحينئذ لا بأس لاحتياج الناس إليه.

وذهبت الكرامية إلى جواز ذلك مطلقًا، ثم الإمامة تثبت باختيار أهل الصلاح

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «الأحكام» باب الأمراء من قريش: (١٣/ص١٢٢) حديث رقم: (٧١٤٠) من طريق: أحمد بن يونس حدثنا عاصم بن محمد سمعت أبى يقول .... به.
وكذلك أخرجه البخارى فى كتاب: «المناقب» باب: مناقب قريش (٦/ص٦١٦) حديث رقم: (٣٥٠١) من طريق عاصم بن محمد قال: سمعت أبى عن ابن عمر رضى الله عنهما ... به.
وأخرجه مسلم فى كتاب: «الإمارة»: باب (الناس تبع لقريش والخلافة فى قريش): (٣/٤/ص ١٤٥٢) من طريق: عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه قال: قال عبد الله ... به.
وأخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٢/ص٢٩) من طريق: عاصم بن محمد سمعت أبى يقول: سمعت عبد الله بن عمر ...به.
وأورده التبريزى فى: «مشكاة المصابيح»: (٣/ص ١٦٨٧) حديث رقم (٥٩٧٢) من طريق ابن عمر ... به. وكذلك أورده الهندى فى: «كنز العمال»: (٦/ص٤٩) حديث رقم: (١٤٧٩٤) من طريق: ابن عمر ... به. ومن عدة طرق فى «الإتحاف للزبيدى» (٢/ص٢٣١) من نفس الطريق ....به.

(٢) ما بين المعقوفتين غير واضح بالمخطوط.

(٣) ما بين المعقوفتين غير واضح بالمخطوط.

والعدالة الأثبات؛ لتفويض النبي ﷺ قال: «إن وليتم أبا بكر تجدوه ضعيفًا فى نفسه قويًا فى أمر الله عز وجل وإن وليتم عمر تجدوه قويًا فى نفسه قويًا فى أمر الله عز وجل».

وتنعقد بعقد رجل واحد من أهل الاجتهاد والعدالة، عقد أبو بكر رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه وحده، ثم جوزوا الباقون وبايعوه، ولم يشترط الصحابة فيها الاجتماع، ولا عددًا محصورًا وإنما اعتبروا وجود العقد ثم أوجدوا المبايعة بعده.

وقال أكثر المشايخ: طريق إثباتها هو الإرث.

وقالت الروافض: ثبت بنص النبى ﷺ، وادعوا [١٨٢] التفويض منه على علىّ رضى الله عنه.

وبعضهم: تنعقد بإجماع الكل، وبعضهم بإجماع العلماء، ومنهم من غير إجماع، وقد ذكرنا الدلائل على بطلان قولهم.

وينبغى للسلطان أن يخرج إلى الجماعة ويأمرهم بالمعروف وينهى عن المنكر، فيتبعه على ذلك الناس.

وأما إن لم يفعل هذه الأمور وفساده من استحلال المحرم وانتهاء بالأموال أكثر من صلاة لابد من الطاعة؛ لأن من لم يطعه كان خارجيًا؛ لأن طاعة الأئمة فرض من فروض الشرع على المسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿**وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: ٥٩] وهم السلاطين وقال النبى ﷺ: «لا تخرجوا على أمتكم بالسيوف وإن جاروا وادعوا لهم بالصلاح والمعافاة والعدل على الرعية ولا تدعوا لهم إذا ظلموا بالهلاك والعقوبة، فإن عدلوا وعملوا فيكم بطاعة الله تعالى كان لهم الأجر وكان عليكم الشكر إذا استعمل عليكم من يؤدى الفرائض، وإن جاروا وعملوا بالمعاصى فالوزر عليهم وكان عليكم الصبر ولا يرقى دين لفتى بحصاة إذا بقوا بغير إمام».

وقال ﷺ: «إمام يصلح كثيرًا ويفسد قليلا إلا يصلح الله به أكثر مما يفسد». وقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا [١٨٣] ولو ولى عليكم عبد حبشى أجدع»[(١)]. ولذلك اجتمعت

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «الأحكام» باب: السمع والطاعة للإمام: (١٣/ص١٣٠) حديث رقم: (٧١٤٢) من طريق أبى التياح عن أنس بن مالك رضى الله عنه ......به.
بلفظ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة». =

الصحابة على طاعة الخلفاء الراشدين.

وقال أبو يوسف رحمه الله: لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل، لكم أجركم وعليه وزره، فهذا القول يفيد أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مرتفع فى هذا الزمان؛ لأنها فى هذا الزمان ليس إلا على هذا الوجه لا على وجه الحسد لله فبهذه الدلائل قد ثبت ألا ترى الخروج(١) على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا؟ ولا ندعوا

=وأخرجه أيضًا فى كتاب الأذان باب: إمامة العبد والملة: (٢/ص٢١٦) حديث رقم: (٦٩٣) من طريق: أبى التياح عن أنس عن النبى ﷺ ... به.

وأخرجه مسلم فى كتاب «الإمارة» باب «وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية» (١٤٦٧/٣٦/٣).

من طريق شعبة عن أبى عمران عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال: «إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا مجدع الأطراف».

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب «الجهاد» باب «طاعة الإمام»: (٢/ص٩٥٥) حديث رقم: (٢٨٦٠) من طريق: أبى التياح عن أنس بن مالك وأيضًا فى نفس المصدر السابق: (٢/ص٩٥٥) حديث رقم: (٢٨٦٢) من طريق: أبى ذر ... به.

وأحمد فى «مسنده»: (٣/ص١١٤) من طريق: أبى التياح عن أنس بن مالك .... به.

والبيهقى فى: «السنن الكبرى» (٨/ص١٥٥) من طريق: أبى التياح عن أنس بن مالك ... به.

وأورده التبريزى فى «مشكاة المصابيح»: (٢/ص١٨٥). حديث رقم: (٣٦٦٣) من طريق: أنس ابن مالك .... به. ومن عدة طرق فى: الإتحاف للزبيدى: (٦/ص١٢١) من طريق: أنس بن مالك .... به.

(١) هذه العبارة من أول: «ألا ترى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا» إلى قوله: ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة هى عبارة الطحاوى، والمصنف لم يتمها، وتمامها: ما لم يأمروا بمعصية.

قلت: دلائل عدم الخروج على الأئمة وولاة أمورنا وإن جاروا أو فسقوا أو ظلموا أو ابتدعوا وأحدثوا كلها صحيحة، إلا أن فى الخروج على من أظهر منهم الفسق والبدعة وأمر بهما خلاف مشهور بين العلماء ليس هنا موضعه بل موضعه كتب السياسات والأحكام السلطانية.

بيد أنى أشير إلى أن دلائل عدم الخروج على ولاة الأمور لا تنطبق إلا على ولى الأمر المسلم **سواء كان عادلاً أو فاسقاً أو ظالماً أو مبتدعا مع وجود الخلاف، أما الكافر أو من طرأ عليه** كفر فلا يستدل بهذه الدلائل على عدم الخروج عليه؛ لأن الاستدلال بها حق أريد به باطل، ولا يكفر ولى الأمر إلا إذا اعتقد أن غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر. =

عليهم بشر ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ومراد طاعتهم ما بينا من دعاء الخير ومنع الخروج ولا يقعد، وإن فعل الفساد أن يأمرنا بالإكراه(١) فى ذهاب نفس أو عضو، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة، ونتبع السنة والجماعة ونجتنب البدعة والضلالة والأهواء المختلفة والشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة ونقول: الله أعلم بما اشتبه علينا علمه، ونرى الغسل والطهارة والصلاة، والزكاة، والصوم والحج، والجمعة، والأذان، والجهاد، والأعيان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصلاة على الميت، وطاعة الوالدين، والتيمم فى الضرر والمسح [١٨٤] على الخفين من حد إلى وقت السفر والحضر، والسكوت خلف الإمام، والخوف من الله تعالى والرجاء منه حقًا، ومن أنكر المسح

=ولقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بنصوص كثيرة صريحة واضحة حول هذه القضية، وبينت أن من أعظم المحادة لله ورسوله التولى عن حكم الله وشرعه وسنة نبيه ﷺ، ولا يكون ولى الأمر من المسلمين إلا إذا حكم ورجع حين التنازع إلى الله ورسوله أى إلى الكتاب والسنة.

قال الصابونى: أى أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بالتمسك بالكتاب والسنة، وأطيعوا الحكام إذا كانوا مسلمين متمسكين بشرع الله إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وفى قوله: «منكم» دليل على أن الحكام الذين تجب طاعتهم يجب أن يكونوا مسلمين حسًا ومعنى، لحمًا ودمًا، لا أن يكونوا مسلمين صورة وشكلاً فإن تنازعتم: أى فإن اختلفتم فى أمر من الأمور فاحتكموا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله.

انظر فى ذلك تفسير ابن كثير تفسير سورة [النساء: ٥٩] [المائدة: ٥٠]، وتحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم (ص ٥)، «والولاء والبراء» للقحطانى (ص٧٩) وما بعدها، والفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٣٣٢/٤) وما بعدها، «وفتح البارى» لابن حجر: (٢٥٣/٨،٢٥٤)، «صفوة التفاسير»: سورة [النساء: ٥٩].

(١) قلت: وللإكراه شروط لابد من معرفتها وهى:

١ - قدرة المكره على إيقاع ما هدد به، والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار أو بإفساد الآلة أو السلاح أو غير ذلك مما يعين المكره على فعل ما أكره عليه.

٢ - أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ما هدد به.

٣ - أن يكون ما هدد به فوريًا، أو مؤكدًا فى الزمن القريب.

٤ - أن يكون الإكراه بغير حق فإن كان بحق فلا يعتبر إكراهًا كإجبار المدين على بيع ماله وفاء لدينه. انظر: كتابنا «المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية» ط. دار الكتب العلمية.

على الخفين يخشى عليه الكفر، لأنها تقررت بالكتاب والخبر المتواتر، وهو للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولا يجوز على الرجلين بلا خفين، ولا يرفع اليدين إلا فى التكبيرة الأولى(١).

ونرى حدث الإمام مفسدًا لصلاة القوم، ونرى قصر الصلاة والإفطار فى السفر حلالاً بنص الكتاب لقوله تعالى: ﴿**وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا**﴾ [النساء: ١٠١].

يعنى فى الصلاة، وقال فى الصوم: ﴿**فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ [البقرة: ١٨٤].

---

(١) قلت: كل ما ذكر المصنف مسائل خلافية من الفروع كان لا يجب إقحامها فى مسائل أصول الدين، لاسيما أن أغلبها قائم على الظن.
وكنا نريد التعليق عليها إلا أننا أقلعنا لعدم الإطالة، ويكفى القارئ الرجوع فى هذه المسائل إلى كتب الفقه، ولكن لعدم الإهمال فسوف نشير إلى بعضها مثل: رفع اليدين، قال المصنف: ولا يرفع اليدين إلا فى التكبيرة الأولى ا. هـ.
قلت: قال الشوكانى: وقد صنف البخارى فى هذه المسألة جزءًا مفردًا وحكى فيه عن الحسن وحميد بن هلال أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك يعنى الرفع فى الثلاثة مواطن ولم يستثن الحسن أحدًا. وقال ابن عبد البر: كل من روى عنه ترك الرفع فى الركوع والرفع منه، روى عنه فعله إلا ابن مسعود. وقال محمد بن نصر المروزى: أجمع علماء الأمصار على مشروعية ذلك إلا أهل الكوفة.
وقال ابن عبد الحكم: لم يرو أحد عن مالك ترك الرفع فيهما إلا ابن القاسم، والذى نأخذ به الرفع على حديث ابن عمر وهو الذى رواه ابن وهب وغيره عن مالك ولم يحك الترمذى عن مالك غيره، ونقل الخطابى وتبعه القرطبى فى المفهم أنه آخر قول مالك.
وإلى الرفع فى الثلاثة مواطن ذهب الشافعى وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم، وروى عن مالك والشافعى قول إنه يستحب رفعهما فى موضع رابع، وهو إذا قام من التشهد الأوسط.
وقال النووى: وهذا القول هو الصواب، فقد صح فى حديث ابن عمر عن النبى ﷺ أنه كان يفعله رواه البخارى، وصح أيضًا من حديث أبى حميد الساعدى رواه أبو داود والترمذى بأسانيد صحيحة ا.هـ.
قلت: وهذا يبين أن هذه المسائل التى ساقها المصنف كلها خلافية وهى من فروع الدين، وليست من أصوله. انظر: نيل الأوطار: (١٧٩/٢، ١٨٠).

ونرى إعادة الوضوء حقًا من الحجامة، والفصد، والقيء، ومثله إذا سال الدم، ومثله من الجراحة، ولا يجوز الوضوء بالقليل من الماء الراكد، وإذا وقعت فيه نجاسة إذا تحرك جانبه يتحرك الجانب الآخر أو كان أقل من عشر فى عشر.

وعند الشافعى جاز فى القلتين وهو لا يحتمل النجاسة وهو خمس قرب، كل قربة خمسون منًا بالعراقى.

وعند مالك: جاز فى القليل والكثير ما لم يتبين أثره، وكذا الخلاف فى المائعات.

ونرى الوتر ثلاث بتسليمة [١٨٥] واحدة لقوله ﷺ: «إن الله تعالى زادكم صلاة ألا فصلوها وهى الوتر»(١).

---

(١) أخرجه أحمد فى: «مسنده» (٦/ص٣٩٧) من طريق: أبى تميم الجيشانى يقول: سمعت عمرو بن العاص .... به.

وأورده الهيثمى فى: «مجمع الزوائد» (٢/ص٢٣٩) من طريق: أبى تميم الجيشانى قال: سمعت عمرو بن العاص .... به.

وقال: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وله إسنادان عند أحمد، أحدهما رجاله رجال الصحيح خلا على بن إسحاق السلمى شيخ أحمد وهو ثقة، وعبد الرحمن بن رافع التنوخى قاضى أفريقية أن معاذ بن جبل قدم الشام وأهل الشام لا يوترون، فقال لمعاوية: مالى أرى أهل الشام لا يوترون؟ فقال معاوية: وواجب ذلك عليهم؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «زادنى الله عز وجل صلاة وهى الوتر فيما بين العشاء إلى طلوع الفجر».

وأورده الهندى فى: «كنز العمال»: (٧/ص٤٠٥) حديث رقم: (١٩٥٢٥) من طريق: أبى عمرو .... به.

وأورده الأصفهانى فى: «الحلية»: (٩/ص٢٣٥) من طريق يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر الجهنى عن رسول الله ﷺ .... به.

وأورده الزيلعى فى: «نصب الراية»: (٢/١٢٤) وهو من طريق: أبى تميم الجيشانى عن عمرو بن العاص يقول: سمعت أبا بصرة الغفارى .... فذكره.

وعزاه إلى الحاكم فى: «المستدرك» من كتاب الفضائل قلت: (٣/ص٥٩٣) معلقًا، وسكت عنه وأعله الذهبى فى مختصره بابن لهيعة. وله طريق آخر عند الطبرانى فى معجمة.

وأحمد فى: «مسنده» عن ابن المبارك حدثنا سعيد بن يزيد عن ابن هبيرة عن أبى تميم الجيشانى .... به. وطريق آخر عند الطبرانى عن الليث بن سعد عن جبير بن نعيم عن ابن هبيرة .... به.

ولهذا الحديث شواهد كثيرة وهى: من حديث خارجة وأخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه.=

وقال ﷺ: «إن الله أعطاكم صلاة بالليل خير لكم من خمس مغنم»[(١)].

قالوا: وما هي؟ قال: «الوتر وقتها الله تعالى بعد العشاء إلى طلوع الفجر».

وعن أبي بكر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أوتر ثلاث ركعات بتسليمة، وكان يقرأ القنوت قبل الركوع[(٢)].

وقيل: «سمي النبي ﷺ الوتر وتر الليل، والمغرب وتر النهار»[(٣)]. وعند الشافعي رحمة

=ومن حديث عمرو بن العاص وعقبة رواه إسحاق بن راهويه في: «مسنده».
ومن حديث ابن عباس أخرجه الدارقطني في «سننه»، والطبراني في معجمه.
ومن حديث أبي بصرة رواه الحاكم في «المستدرك» في كتاب: «الفضائل».
ومن حديث: عمرو بن شعيب أخرجه الداقطني في غرائب مالك. ومن حديث الخدري رواه الطبراني في كتابه «مسند الشاميين» وهذا حديث صحيح لكثرة الطرق والشواهد وجميعها أوردها الزيلعي في: «نصب الراية»: (١٢٣/٢ - ١٢٥).

(١) رواه المنذري في: «الترغيب والترهيب»: (٤٠٧/١) وفيه تصحيف حيث ذكر: «خمس مغنم». والصحيح: «حمر النعم» والله أعلى وأعلم.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب: «قيام الليل» باب: «ذكر الاختلاف على أبي إسحاق»: (٣/ص٢٦٢) حديث رقم: (١٧٠١).
من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.... به، لا يوجد في لفظه «القنوت».
وأخرجه أيضًا في نفس المصدر السابق باب: ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر.
من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب.... به ولم يذكر فيه عدد الركعات.
وأخرجه أحمد في «مسنده»: (١/ص٨٩) من طريق: الحارث عن علي رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ كان يوتر بثلاث».
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٢/ص١٣٨)، وقال: أورده الطبراني في الأوسط فيه سهل ابن العباس الأرمدي قال الدارقطني: ليس بثقة.
قلت: ويأتي حديث ابن مسعود وفيه «القنوت» في مناقب خديجة أو علي إن شاء الله .... به.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: «صلاة المسافرين» باب: «صلاة الليل مثنى مثنى» (١/ص٥١٨) حديث رقم: (١٥٣) من طريق أبي مجلز عن ابن عمر ... به.
قال: الوتر ركعة من آخر الليل وأخرجه مالك في «الموطأ» في كتاب صلاة الليل باب (الأمر بالوتر): (١/ص١٢٥) حديث رقم: (٢٢) من طريق عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر=

الله عليه: في قول ركعة، وفي قول: ثلاث بتسليمتين، وفي بعض الروايات: خمس وتسع وإحدى عشر، وهذا كله قبل أن ينزل الوتر فلما جاء جبريل عليه السلام وأخبره عن الوتر، فلم يصل النبي ﷺ بعده إلا ثلاثًا، وأصحابه كانوا على هذا.

ونرى التراويح سنة، ومنكره رافضي، ونرى جواز الصلاة بالسراويل ولا نقوله بخسًا بريح المقعد، وذلك مذهب الخوارج.

ولا نسمي المطبوخ خمرًا، فمن لم يفرق بينهما وجب عليه التعزير، وما طبخ من غير عصير العنب والثمر، ولم يذهب ثلثاه فشربه حرام إن اشتد وقذف بالزبد، فمن قال شربه حلال كان متغزيًا، ويكف [١٨٦] اللسان والجوارح عن أذى الجار وجميع الناس، ويجتنب الكذب والغيبة والنميمة والبهتان والضحك والقهقهة والمزاح والتكلم بما لا يعنيه، وكلام الدنيا في المساجد، وإلقاء الفتنة والخصومة بين المسلمين، والكلام مع الفساق والجلوس عندهم، والسلام عليهم والنظر إليهم.

والنظر إلى محاسن المرأة بالشهوة، والنظر إلى وجه الصبي الأمرد بالشهوة سواء كان حرًا أو عبده أو عبد غيره، واللواطة مع امرأته وأمته والأجنبية ونكاح اليد والحيوان فهذا كله حرام.

وقد خالفنا الحشيشي والمباحي؛ فإنهم أباحوا العصيان وأنكروا الحياة بعد الممات،

=قال: كان يقول: صلاة المغرب وتر صلاة النهار.

وأخرجه النسائي في كتاب: «قيام الليل» باب كم الوتر (١٣/ص٢٥٨) حديث رقم: (١٦٨٨) من طريق: أبي مجلز عن ابن عمر بنفس حديث عند مسلم.

أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢/ص٣٠) من طريق: محمد بن سيرين عن ابن عمر قال .... به.

ولفظه: «صلاة المغرب وتر النهار فأوتروا صلاة الليل».

وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في مسنده: (٢/ص٤١)، بنفس السند واللفظ.

وأورده الزبيدي في: الإتحاف: (٥/ص١٦٦) بلفظ «صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل».

ورواه أيضًا عن محمد بن سيرين مرسلاً: «أي فكما جعلت آخر صلاتكم بالنهار وترًا فاجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا».

وأضيفت إلى النهار لوقوعها عقبه.

قال ابن المنير: إنما شرع لها التسمية بالمغرب لأنه اسم يشعر بمسماها وبابتداء وقتها.

وأنكروا الجنة والنار والقيامة والصراط والميزان، وتطليقات الثلاث يقع جملة.

وقالت الروافض: لا يقع جملة[(١)] ولا يقع الطلاق إلا [.....][(٢)].

ونقول: إن المطلقة بثلاث لا تحل لزوجها الأول إلا بعد نكاح الثانى، ويدخل بها ويطأها حتى غابت الحشفة ثم يطلقها وتنقضى عدتها لقوله تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره**﴾ [البقرة: ٢٣٠].

ومراد النكاح الوطأ بالعقد الصحيح ولا يجوز للأول إن لم يطأها الثانى، والوطأ غيوبة الحشفة ولقوله ﷺ [١٨٧] للمرأة التى سألت عن حالها فقال لها: «لا يجوز إلا أن يذوق من عسيلتك وتذوقى من عسيلته»[(٣)].

---

(١) قلت: وهذه أيضًا مسألة خلافية مشهورة عند أهل السنة فإن جماعة المحققين من أهل السنة يقولون لا يقع، وهم ليسوا روافض. قال ابن تيمية: فيمن أجازوا الوقوع كالمصنف والرد عليهم: واحتجوا بأن فاطمة بنت قيس طلقها زوجها أبو حفص بن المغيرة ثلاثًا.
وبأن امرأة رفاعة طلقها زوجها ثلاثًا، وبأن الملاعن طلق امرأته ثلاثًا، ولم ينكر النبى ﷺ ذلك.
وأجاب الأكثرون بأن حديث فاطمة وامرأة رفاعة إنما طلقها ثلاث متفرقات بأن يطلقها ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها ثم يطلقها وهذا طلاق سنى واقع باتفاق الأئمة، وهو المشهور على عهد رسول الله ﷺ فى معنى الطلاق ثلاثًا.
وأما جمع الثلاث بكلمة فهذا كان منكرًا عندهم، إنما يقع قليلاً فلا يجوز حمل اللفظ المطلق على القليل المنكر دون الكثير الحق، ولا يجوز أن يقال يطلق بجتمعات لا هذا ولا هذا بل هذا قول بلا دليل بل هو بخلاف الدليل.
وأما الملاعن فإن طلاقه وقع بعد البينونة أو بعد وجوب الإبانة التى تحرم بها المرأة أعظم مما يحرم بالطلقه الثالثة، فكان مؤكدًا لموجب اللعان ا. هـ. الفتاوى الكبرى: (١٦/٣،١٧).

(٢) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: «الطلاق» باب «من قال لامرأته أنت علىّ حرام»: (٢٨٤/٩) حديث رقم: (٥٢٦٥) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ... به.
وأخرجه البخارى فى كتاب: «الطلاق» باب «إذا طلقها ثلاثًا ثم تزوجت بعد العدة»: (٣٧٤/٩) حديث رقم: (٥٣١٧). من طريق هشام عن أبيه عن عائشة ....به.
وأخرجه أبو داود فى كتاب: «الطلاق» باب «المبتوتة لا يرجع إليها زوجها حتى تنكح غيره»: (٢/ص٣٠٣)، حديث رقم: (٢٣٠٩) طريق الأسود عن عائشة .... به.
وابن ماجه فى كتاب: «النكاح». باب: «الرجل يطلق امرأته ثلاثًا» (٦٢١/١) حديث رقم:=

ومن قال: يحل من غير أن يحلل أو بعد أن تحلل بالصبى الصغير، فهو رافضى ملعون.

وهم قالوا: النكاح شرط والوطأ ليس بشرط، والله تعالى أعلم.

* * *

=(١٩٣٢) من طريق عروة عن عائشة .... به. أخرجه البخارى أيضًا فى كتاب: اللباس باب الإزار المهدب (١٠/ص٢٧٦) حديث رقم: (٥٧٩٢) من طريق: عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها.

ومسلم فى كتاب: «النكاح»: باب: «لا تحل المطلقة ثلاثًا لمطلقها حتى تنكح زوجًا غيره»: (١١١/٢/ص١٠٥٥) من طريق عروة عن عائشة .... به.

ومالك فى: «الموطأ» كتاب: «النكاح» باب نكاح المحلل وما أشبهه: (٢/ص٣٥١) حديث رقم (١٧) من طريق الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير ... به.

والإمام أحمد فى مسنده: (١/ص٢١٤) من طريق سليمان بن يسار عن عبيد الله بن العباس ... به ا. هـ.

٢٧ - [باب الإسراء والمعراج]

وَحَقٌّ أَمْــرُ مِعْــرَاجٍ وَصِـــدْقٌ   فَفِيـــهِ نَصّ أَخْبَـــارٍ عَــوَالِ[١]

واعلم أن المعراج[٢] حق وقد أسرى بالنبى المصطفى ﷺ بشخصه فى ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء، ثم إلى سدرة المنتهى، وبلغ إلى العرش، ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العلا، وأكرمه الله تعالى بالحوض، والشفاعة، والتاج، والعمامة والبراق والناقة، وأوحى إليه ما أوحى، لقد رأى ملكوت السموات والأرض والجنة والنار، وكان فى يقظة لا فى النوم، ورأى ربه بعين القلب لا بعين الرأس، وجعله إمام الأنبياء ومن أنكر المعراج من مكة إلى المسجد الأقصى يكفر؛ لأنه قد رد الآيات؛ قوله جل وعلا: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾ [الإسراء: ١].

ومن صدق الآيات وأقر ببلوغه إلى بيت المقدس لا غير [١٨٨] وأنكر ما وراء ذلك من المعارج، والمعراج والعروج إلى السماء، والصعود إلى الجنة، والعرش والكرسى، والحجب واللوح والقلم، وغير ذلك، يكون معتزليًا.

ومن قال: لا أدرى عرج أم لا يكفر، وكذلك من قال: إنه فى المنام.

والدليل على أن المعراج حق؛ قوله تعالى: ﴿**ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ إلى قوله ﴿**ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين**﴾ إلى قوله: ﴿**رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ [النجم: ٢ - ١٨].

فهذه الدلائل كفاية لذوى العقول.

* * *

---

(١) [عَوَالٍ]: أى أخبار عالية مرتفعة الأسانيد يستعان بها وهى من [العَوْل]: المستعان به. وقوت العيال. ورفع الصوت بالبكاء والصياح. وفى علم الفرائض: زيادة الأنصباء على الفريضة فتنقص قيمتها بقدر الحصص. و[العِوَلْ]: الاتكال والاستعانة. والعمدة. انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٣٧)

(٢) قال القاضى ابن أبى العز: المعراج مفعال، من العروج، أى الآلة التى يعرج فيها، أى: يصعد وهو بمنزلة السلم، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، ونؤمن به ولا نشتغل بكيفيته. ا. هـ. (شرح أصول العقيدة الإسلامية (ص٨٤).

٢٨ - [باب من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه]

وفرحوا بشَفَاعَـة أَهْـلِ خَيْـــرِ   لأَصْحَابِ الكَبَائِـــرِ كَالجِبَـــالِ

واعلم أن مراد شفاعة[1] أهل الخير محمد ﷺ وجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام، والعلماء والصالحين وهم يشفعون لأهل الكبائر؛ فإن الله تعالى ادخر شفاعة محمد ﷺ لأمته كما جاء فى الخبر والكتاب، قال الله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ [الضحى: ٥]. وقوله: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

يعنى مقام الشفاعة، وقوله: ﴿**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**﴾ [الواقعة ٣٩، ٤٠].

وأما الخبر قال النبى ﷺ: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع من كذب بهذا لا نصيب له»[2].

---

(١) قلت: والشفاعة أنواع منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع: الأولى: وهى العظمى، الخاصة بنبينا محمد ﷺ، وفى الصحيحين وغيرهما جملة أحاديث تثبتها.

والثانى والثالث: شفاعته ﷺ فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفى أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار لا يدخلونها.

الرابع: شفاعته ﷺ فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وهو ما وافقت عليه المعتزلة.

الخامس: الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب واستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة ابن محصن وهو فى الصحيحين.

السادس: الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته فى عمه أن يخفف عنه عذابه قال القرطبى فى «التذكرة»: «فإن قيل فقد قال الله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ قيل له: لا تنفعه فى الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين فى دخول الجنة.

الثامن: شفاعته فى أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا، وتتكرر منه أربع مرات ا. هـ. شرح أصول العقيدة الإسلامية (ص ٩٢،٩٣،٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب: «السنة» باب: «فى الشفاعة» (٤/صـ٢٣٦) حديث رقم: =

=(٤٧٣٩) من طريق: أشعث عن أنس بن مالك .... به.

أخرجه الترمذى فى كتاب: «صفة القيامة» باب منه حديث «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (٤/ص٥٤٠) حديث رقم: (٢٤٣٦) من طريق: جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله.... به وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر ابن محمد.... به.

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: «الزهد» باب ذكر الشفاعة (٢/ص١٤٤١) حديث رقم: (٤٣١٠) من طريق: جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ... به.

وأخرجه أيضًا ابن ماجه فى كتاب «الزهد» باب ذكر الشفاعة: (٢/ص١٤٤٠) حديث رقم: (٤٣٠٨) من طريق: أبى نضرة عن أبى سعيد قال: .... به.

لفظه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ولواء الحمد بيدى يوم القيامة ولا فخر».

وأخرجه الإمام أحمد فى: «مسنده»: (٣/ص٢١٣) من طريق أشعث عن أنس بن مالك ..... به مختصرًا.

وأورده البيهقى فى: «السنن الكبرى» من طريق: ثابت البنانى عن أنس بن مالك .... به.

وأورده الهيثمى فى: «مجمع الزوائد»: (١٠/ص٣٧٨) من حديث أنس وقال: رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط، وفى رواية فيهما «إنما جعلت الشفاعة لأهل الكبائر من أمتى» وفيه الخزرج بن عثمان وقد وثقه ابن حبان، وضعفه غير واحد وبقية رجال البزار رجال الصحيح ا. هـ.

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف» (٣/ص٢٨٨) وقال: رواه الترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال جابر: «من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة».

وروى ابن عبد البر فى:«التمهيد» عن أسماء بنت عميس أنها قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى ممن تشفع له يوم القيامة قال رسول الله ﷺ: «إذا تخمشك النار فإن شفاعتى لكل هالك من أمتى تخمشه النار».

وقال القاضى عياض: لا يلتفت إلى هذا فإن.الشفاعة قد تكون لتحقيق الحساب وزيادة الدرجات ا. هـ.

وأورده ابن حجر العسقلانى فى تلخيص الحبير: (٣/ص١٤٠) من حديث أنس وقال: أخرجه أبو داود والترمذى، ورواه مسلم بدون ذكر «الكبائر»، وعلقه البخارى من حديث سليمان التيمى عنه وشواهده كثيرة. وأورده التبريزى فى: مشكاة المصابيح: (٣/ص١٥٥٨) حديث رقم: (٥٥٩٨) من حديث أنس ..... به.

[١٨٩] وقال عليه السلام: «لكل نبى دعوة مجابة وأنا اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى»(١). ولأن الكبيرة مبنية على جواز الشفاعة ابتداء جاز أن يغفر ذنبه بشفاعة الأنبياء عليهم السلام والأخيار، ولا مانع لشفاعة شفيع عن تلك المنزلة عند الله تعالى، ولما نزلت هذه الآية: ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر: ٤٤].

قال عليه السلام لجبريل: «لمن هذا الباب؟ قال: لأصحاب الكبائر من أمتك إذا ماتوا بغير توبة فيعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يخرجهم منها بشفاعتك».

فبكى النبى ﷺ ودخل منزله ولم يخرج إلى الصلاة، ولم يتكلم إلى ثلاثة أيام، ثم وعده الله الشفاعة ومن أنكر الشفاعة كان معتزليًا، ثم الحيوان والحشرات لهم الشفاعة لمن يرحمهم أو أطعمهم أو أسقاهم، وكذلك الصدقات، وألوان الطاعات حتى الختان،

(١) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب: «الإيمان» باب: «اختباء النبى ﷺ دعوة الشفاعة لأمته»: (١/٣٣٨/ص١٨٩) من طريق أبى صالح عن أبى هريرة .... به.
وأخرجه البخارى ومسلم بلفظ أقصر منه قال: «لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة».
أخرجه البخارى فى كتاب: «الدعوات» باب «لكل نبى دعوة مستجابة»: (١١/ص٩٩) حديث رقم: (٦٣٠٤) من طريق: الأعرج عن أبى هريرة .... به وفى المصدر السابق حديث رقم (٦٣٠٥) من طريق: أنس عن النبى ﷺ .... به.
ومسلم فى كتاب: «الإيمان» باب: «اختباء النبى ﷺ دعوة الشفاعة»: (١/٣٣٤ - ٣٣٦) (ص١٨٨، ١٨٩) وأخرجه الترمذى فى كتاب: «الدعوات» باب «فضل لا حول ولا قوة إلا بالله»: (٥/ص٥٤٢) حديث رقم: (٣٦٠٢) من طريق: أبى صالح عن أبى هريرة ... به وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وابن ماجه فى كتاب: «الزهد» باب: «ذكر الشفاعة»: (٢/ص١٤٤٤) حديث رقم: (٤٣٠٧) من طريق أبى صالح عن أبى هريرة .... به.
والإمام أحمد فى: « مسنده»: (٣/ص٢١٩) من طريق معتمر قال: سمعت أبى يحدث عن أنس ... به.
والإمام مالك فى: «الموطأ» فى كتاب: «القرآن» باب «ما جاء فى الدعاء»: (١/ص٢١٢) حديث رقم (٢٦) من طريق الأعرج عن أبى هريرة ... به.
وأورده الأصفهانى فى: «حلية الأولياء»: (٧/ص٢٥٩) من طريق قتادة عن أنس ... به.
وأورده التبريزى فى: «مشكاة المصابيح»: (٢/ص٦٩١) حديث رقم: (٢٢٢٣) من طريق أبى هريرة ......به.

والرباط، والسبيل، والمساجد، وبساطها وسرابها وترابها المكنوس كلهم يشفع لأهلها.

فينبغي للمؤمن يرجوه الشفاعة أن يجدها ويخاف أن لا يجدها؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ [الأنبياء: ٢٨] [١٩٠] ولكن لا يقنط من رحمة الله ولوأتى بكبائر كذنوب أهل الدنيا: من قتل النفس، والزنا، والسرقة، وأخذ مال المسلم، ولم يصل، ولم يزك، ولم يصم، ولم يحج، ولم يغتسل من الجنابة فبذلك كله لا يقنط من رحمة الله؛ لأن القنوط كفر؛ قال الله تعالى: ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال: ﴿**ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾ [الحجر: ٥٦].

قال تعالى: ﴿**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ [يوسف: ٨٧]. ولا ينبغى لأحد أن يقنط من رحمة الله؛ إن الله تعالى يغفر الذنوب جميعًا غير الشرك، قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء: ٤٨].

فتبين أن الكفر والنفاق والشرك لا يغفر، وذنوب من لا يشرك به مغفور بفضل كرمه وسعة رحمته.

* * *

٢٩ - [باب عصمة الأنبياء من العصيان عمدًا]

وإنَّ الأنبيـــاءَ لَفِـــي أَمَـــانٍ   عَنِ العِصْيَانِ عَمْـــدًا وَانْعِـــزَالِ

واعلم أن الأنبياء والرسل كلهم كانوا معصومين آمنين عن الكبائر وعن جميع العصيان بطريق القصد، وآمنين عن العزل، أمنهم بفضله؛ لأنهم لو لم يكونوا معصومين عنها لم ينفكوا عن الكذب، والكاذب لا يصح للرسالة، ولكن غير معصومين عن الصغائر؛ لأن الله تعالى [١٩١] أثبت لهم مقام الشفاعة، فلو عصموا عن الصغائر لوقع الضعف فى مقام الشفاعة لأنه لو لم يبتلى بالبلية لا يرق قلبه على المبتلى، فهذا هو الحكمة فى زوال الصغائر عن الأنبياء، وبعض أصحابه لم يتلفظ بلفظ الصغائر؛ وإنما يسمونها الزلل، ولا فرق بين اللفظين فى الحقيقة.

وقالت الحوشية[(١)] والكرامية: هم غير معصومين عن الكبائر وقالت المعتزلة: هم

---

(١) قوله: «الحوشية» لعل الصواب: «الحشوية»؛ لأنه لا توجد فرقه باسم الحوشية.

والحشوية: هم جماعة من أهل الحديث أدخلوا الأحاديث التى لا أصل لها مع أحاديث رسول الله ﷺ، وصرحوا بالتشبيه مثل الهاشميين من الشيعة وغيرهم.

قالوا: معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية أو جسمانية يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكين، وأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المخلصين من المسلمين يعاينونه فى الدنيا والآخرة، إذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض.

وحكى عن داود الخوارزمى أنه قال اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك.

وقال: إن معبودهم جسم ولحم ودم ولا جوارح، وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء.

وحكى أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مصمت ما سوى ذلك وأن له فروة سوداء وله شعر قطط.

وأما ما ورد فى التنزيل من الاستواء والوجه والمجىء والإتيان وغير ذلك فأجروها على ظاهرها لا على طريقة أهل السنة بل ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام. ا. هـ. الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل لابن حزم: (١/١١١، ١١٢)، الحور العين ص٢٠٤، وشرح الكوكب المنير: (٢/١٤٧).

معصومون عن الكبائر والصغائر جميعًا[(١)]، ولا يجوز شيء من المعاصي والخطايا والنجاسات المستحقه عليهم؛ لأن ذلك يوجب التصغير عنهم.

وقال بعضهم: يجوز ذلك لأقوال؛ لأنه ارتفاع الثقة عن أقوالهم وهم أقروا بهذه الضلالة؛ لأنهم لا يرون الشفاعة حقًا والرسل لكل واحد منهم لا يؤمنوا باستعمال ما ظهر له فى درجة النبوة، ما لم يجىء جبريل، عليه السلام، فإذا فعل ذلك، فعل قبل أن يجىء جبريل، عليه السلام إليه، يكون ذلك زّلة منه، كما فعل داود، عليه السلام، وهو تزوج امرأة فإن قيل انتظار الوحى بجبريل، عليه السلام، كل ذلك زلّة منه لقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ [ص: ٢٤]، ومحمد ﷺ لَمّا انتظر الوحى بجبريل عليه السلام، وتزوج زينب امرأة زيد فلم يتزوج ما ظهر له درجة النبوة نجا من الزّلة، قال الله تعالى فى قصته: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فهذا الوجه فى وقوع الأنبياء والرسل فى الزلل، ووجه آخر: وهم تركوا الأفضل ومالوا إلى الفاضل يكون ذلك زلة منهم كما أن آدم عليه السلام قال له ربه: ﴿ولاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، ثم إن إبليس عليه اللعنة وسوس لهما وقاسمهما، أى أنشدها بالله تعالى حتى يهىء النهى بطريق الأفضل وظن أنه يحترم اسم الله تعالى بقربان الشجرة، فكان تاركًا للأفضل أن يدع ولا يدخل فى الاجتهاد، وكان ذلك زلة منه حتى قال جل وعلا: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١].

فهذا من الله عز وجل على وجه الزجر والتنبيه لا على وجه العصيان [. . . . .][(٢)]

---

(١) قلت: بل ذهبت إلى أن الأنبياء معصومون من الكبائر، والصغائر جميعًا، غير المعتزلة جمع كثير من أهل السنة والنجارية والخوارج والشيعة.

قال ابن حزم: وهذا القول الذى ندين لله تعالى به، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه، ونقول: إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضًا قصد الشىء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شىء من هذين الوجهين أصلاً بل ينبههم على ذلك، ولا يداثر وقوعه منهم، ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما بينه ﷺ فى سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام فى أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضى الله عنهما، وفى قصة ابن أم مكتوم، رضى الله عنه ا. هـ. الفصل (٤/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين غير واضح بالمخطوط.

ألا ترى أن آدم عليه السلام لما انتبه مع حواء قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. قال العزيز الجليل عز وجل: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

فينبغى للمسلم أن يعتبر بعصيان آدم وحواء، عليهما السلام، بعصيانهما بالنسيان فبذلك السبب وضع الحلل والتاج فى الجنان، وخرجا منها باكيين بالحزن والجسد عريان ونزلا إلى الأرض يطلبان الغفران فغفر لهما ربهما بعدما بكيا بالخسران وبشرهما بأولادهما من أهل الطلعة والإحسان، فلما نظر آدم عليه السلام إلى الضعف بالعصيان كان شفيعًا لأهل الخطايا والطغيان فطلب العفو والشفاعة من الرحمن، فهذا هو السبب فى وقوع الأنبياء فى الزلل بالبيان صلوات الله عليهم أجمعين.

* * *

٣٠- باب الأنبياء كلهم من ذكور بنى آدم لا من الجن

وَمَا كَانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى   وَلاَ عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالِ

واعلم أن الأنبياء كلهم من بنى آدم، ولا نبى من الجن[(١)]، والمؤمنون من الجن آمنوا برسول الله ﷺ كما ذكرنا فى الخبر ليلة الجن؛ لأن بنى آدم أكرم الخلائق كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠].

فكرامتهم مستوى القدود، صاحب العبادة والحدود، وسخر لهم الحيوان معطى لهم النعمة الألوان أكرمهم بالأنبياء دليلاً، وبالعلماء والأولياء وفضلهم تفضيلا. أعمالهم صلاة وزكاة وحج وجهاد فهذه الفرائض للذين هم عباد، ونعمهم بالتزويج والأولاد، وأنبت لهم أثمارًا وزروعًا فى البلاد، ثم وعدهم بالجنان وبشرهم بالفردوس من أحسن البيان، والتزويج بالحور الحسان، وفرحهم بالخلود، وأكرمهم بالمقام المحمود، فيبقون بالأجساد والأرواح فيأكلون ويشربون بالغداة والرَّواح يسكنون فى القصور ويلعبون بالوطأ مع الحور.

وخالفنا الفلاسفة فيهم قالوا: يدخل الجنان أرواحهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يوطئون مع الحسان، فهذا خلاف النص، قال الله تعالى: ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ**﴾ [الرحمن: ٥٦]. وقال عليه السلام: «والذى نفسى بيده إن أحدكم يعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع وحاجة أحدكم عرق كريح المسك»[(٢)].

---

(١) قلت: مسألة لا نبى من الجن خلافية إذ قال ابن حزم: «وصَحّ أن معنى قوله تعالى: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾. أى أنواع أمثالكم إذ كل نوع يسمى أمة، وأن معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ إنما عنى تعالى «الأمم» من الناس وهم القبائل والطوائف ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم» ا.هـ (الفصل: ٦٩/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى «مسنده»: (٤/ص ٣٦٧) من طريق ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم قال: . . به.

وأخرجه أحمد أيضًا فى «مسنده»: (٤/ص ٣٧١) من طريق ثمامة بن عقبة بلفظ: «إن الرجل من أهل الجنة، يعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والشهوة والجماع». فقال رجل من يهود:=

فمن خالف هذا النص كان قلبه سقيمًا، وثبت فى الكفر أثيمًا، ليس له دواء وترياق إلاَّ الضّرب والاحتراق، لأن الأكل والشرب والجماع، وألوان اللباس والركوب على الكراع من الكرامات فى الدنيا والآخرة، فإذا كانت فى الدنيا كرامة ولم يكن فى الآخرة فكانت فى الآخرة أهون من الدنيا فهذا محال.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَيَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

يعنى لا يريدون التحويل إلى الجنان. وكذلك ما كانت امرأة نبيًّا؛ لأنها ناقصة العقل والدّين مستورة فى كل زمان وحين ممنوعة عن الكلام بالجهر وعن الخروج كما قال النبى ﷺ: «لعن الله الفروج على الفروج» وقد نهيت أن تركب الأفراس، وأن تتكلم بالاستحسان والقياس، ولا تصلح أن تكون سلطانًا أو أميرًا، فكيف تصلح أن تكون نبيًّا بشيرًا ونذيرًا؟، وقد منعت عن الحضور إلى المساجد وعن التكلم مع غير المحارم وميراثها منقوص، وجناحها عن الخروج مقصوص.

ومن قال: إن مريم، عليها السلام، كانت نبيًّا كان مبتدعًا، وقد خالف النص؛ لأن الله تعالى ذكر فى القرآن أسماء الرجال قال الله تعالى: ﴿**مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ [الفتح:

=فإن الذى يأكل ويشرب تكون له حاجة؟ قال: فقال له رسول الله ﷺ: «حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر». ا.هـ.

وأخرجه الدارمى فى: «مسنده»: (٢/ص ٤٣١) حديث رقم: (٨٢٥) من طريق: ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم . . . . . به وأورده المنذرى فى: «الترغيب والترهيب»: (٤/ص ٥٢٤) حديث رقم (٦٧) من طريق زيد بن الأرقم رضى الله عنه . . . . به.

وقال: رواه أحمد والنسائى، ورواته محتج بهم فى الصحيح، وأورده الأصفهانى فى: «حلية الأولياء»: (٧/ص ٣٦٦) من طريق: ثمامة بن عقبة عن زيد بن الأرقم . . . . به.

وقال: زاد محمد بن رافع: «الجماع والشهوة». وكذلك أورده الزبيدى فى: «الإتحاف» (١٠/ص ٥٤٠)، من طريق زيد بن الأرقم . . . . به.

وقال العراقى: رواه النسائى فى: «الكبرى» بإسناد صحيح.

قلت: ورواه كذلك أحمد ولفظهما (أن رجلاً من أ هل الكتاب جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «نعم والذى نفس محمد بيده . . . .» فساق الحديث.

٢٩]. وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾. إلى قوله: ﴿هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣].

وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِدْرِيس﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٦].

ونظائرها كثيرة، وقد ذكر الله اسم كل نبى باسم الذكورية، وما ذكر باسم الأنوثية، وقال فى حق مريم، عليها السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]. وما قال: إنها رسولٌ أو نبى، فتبين بهذه الدلائل أن النبوة للرجال دون النساء(١) إلاَّ أنَّ النبى ﷺ مَدَحهُنَّ بالعبادة فقال: «امرأة صالحة خير

(١) قال ابن حزم: «فإن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك، وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت فى النساء نبوة وذهبت طائفة إلى التوقف فى ذلك.
ثم قال: إلا أن بعضهم نازع فى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.
قال أبو محمد: وهذا أمر لا ينازعون فيه ولم يَدّع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام فى النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق فى ذلك بأن ينظر فى معنى لفظ النبوة فى اللغة، فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء، وهو الإعلام، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئًا له بأمر ما فهو نبى بلا شك وليس هذا من باب الإلهام الذى هو طبيعة كقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ولا من باب الظن والتوهم الذى لا يقطع بحقيقته إلا بمجنون.
ولا من باب الكهانة التى هى من استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب، ولا من باب النجوم التى هى تجارب تتعلم، ولا من باب الرؤيا التى لا يدرى أصدقت أم كذبت. بل الوحى الذى هو النبوة قصد من الله تعالى إلى إعلام من يوحى به إليه بما يعلمه به، ويكون عند الوحى به إليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن أوحى به إليه علما ضروريا بصحة ما أوحى به كعلمه بما أدرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك فى شيء منه، إما بمجيء الملك به إليه وإما بخطاب يخاطب به فى نفسه وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم، فإن أنكروا أن يكون هذا، هو معنى النُّبوة، فليعرفونا ما معناها.
كذلك فقد جاء القرآن بأن الله عز وجل أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحى حق من الله تعالى، فبشروا أم إسحاق بإسحاق ثم يعقوب، ثم بقولهم لها: (أتعجبين من أمر الله) ولا يمكن أن يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبى بوجه من الوجوه ووجدناه تعالى قد أرسل جبريل إلى=

من ألف رجل صالح لأن العقل عشرة أجزاء والشهوة كذلك فأعطى الله تعالى من العقل تسعة أجزاء للرجل وواحدًا للنساء، وأعطى من الشهوة تسعة أجزاء للنساء وواحدًا للرجال، فيصلح أن يكون الرجل زاهدًا بالشهوة القليلة والعقل الكثير ولا تصلح أن تكون كل امرأة زاهدة بالعقل القليل والشهوة الكثيرة[(١)] فنقصان العقل وكثرة

=مريم أم عيسى عليهما السلام بخطابها فهذه نبوة صحيحة بوحى صحيح ورسالة من الله تعالى إليها، وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقًا وأراد تمنى من أجله ولدًا فاضلاً، ووجدنا أم موسى عليهما، الصلاة والسلام، قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها فى اليم وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبيًّا مرسلاً، فهذه نبوة لا شك فيها، وبضرورة العقل يدرى كل ذى تميز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بإلقائها ولدها فى اليم برؤية تراها أو بما يقع فى نفسها أو قام فى هاجستها فى غاية الجنون، والمراد الهائج، فصح يقينا أن الوحى الذى ورد لها فى إلقاء ولدها فى اليم كالوحى الوارد على إبراهيم فى الرؤيا فى ذبح ولده. فصحت نبوتهن بيقين، ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام فى سورة (كهيعص) ذكر مريم فى جملتهم ثم قال عز وجل: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح﴾. وهذا هو عموم لها معهم، لا يجوز تخصيصها من جملتهم، وليس قوله عز وجل: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾. بمانع من أن تكون نبية، قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.
وهو مع ذلك نبى رسول، ويلحق بهن عليهن السلام فى ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» ا.هـ.
قلت: «وقد جاء هذا الحديث بألفاظ أخرى كثيرة، مثل ما رواه الترمذى وصححه: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون». وقد ساق الحافظ ابن كثير ألفاظًا أخر لهذا الحديث بطرق متعددة فى تفسير سورة آل عمران». ا.هـ. (الفصل: ١٢/٥، ١٣)، (تفسير ابن كثير: ٣٦٢/١).

(١) قلت: لا يوجد على كلام المصنف فى أن الله تعالى أعطى من العقل تسعة أجزاء للرجال وواحدًا للرجال، لا يوجد على ذلك دليل شرعى صحيح، وإن صح تفضيل الرجال على النساء بزيادة العقل وقلة الشهوة كما ذهب. صحّ ما ذهب إليه من قبل وخالفناه فيه من قبل بتفضيل بنى آدم على الملائكة لأنهم بعقل وشهوة والملائكة لا شهوة لهم، فكيف ينقض قوله هنا ويكيل بمكيالين.
وقد جار المصنف هنا وظلم المرأة ظلمًا لا يرضاه الإسلام، وما كان تفضيل الرجل على المرأة سببه ما ذكر، بل ما شرّع ربنا أن جعل للرجال عليهن درجة، وأن جعل القوامة له لا لها وهذا تكليف شاق على الرجل أحد أسبابه أنه صاحب أول معصية وسببها الأساسى لقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ﴾. =

الشهوة مركب عليها، فإذا أطاعت ربها وصبرت على ما عليها، وشكرت على إسلامها، وثبتت على إيمانها كانت خيرًا من ألف رجل صالح من الأبرار وعن جميع الأبرار».

وما كان مملوكًا من عبد فى الأصل نبيًّا ولا من مسلم كذّاب ولا كافر مغتاب.

وقوله: «افتعال»؛ يعنى ذو سحر وكذب، فالكهانة والسحر والكذب من الكبائر، وقد ذكرنا أنهم معصومون منها، وبالله التوفيق.

* * *

=وقول المصنف: «أنها لا تصلح أن تكون سلطانًا أو أميرًا» ا.هـ، مسألة خلافية؛ لأنها قائمة على أدلة ظنية.

أما قوله: «فكيف تصلح أن تكون نبيا مبشرًا ونذيرًا».

قلنا: قد بان لك أن منهن نبيَّات أما كونهن مبشرات ونذيرات فهذا لم يقله أحد للفرق الذى بان بين النبى والرسول فلا خلاف أنه ليس فيهن مرسلات.

أما قوله: «وقد منعت عن الحضور إلى المساجد مع غير المحارم مردود بكثير من الأدلة، منها ما رواه أحمد والبخارى عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضى تسليمه وهو يمكث فى مكانه يسيرًا قبل أن يقوم. قالت: فنرى والله أعلم أنّ ذلك كان لكى ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال».

قال الشوكانى: «وفى الحديث أنه لا بأس بحضور النساء الجماعة فى المسجد».

قلت: ولم ير هذا الشرط الذى وضعه المصنف وهو «المحرم».

أما قوله: «وميراثها منقوص»، فليس ذلك لعيب فيها بل لأسباب شرعها الله سبحانه، منها أنها ليست مسئولة عن النفقة على زوجها وأخيها، وغير ذلك بل كل من الزوج أو الأخ وغيرهم مسئول عن الإنفاق عليها، والحفاظ على نصفها الذى أخذته.

أما قوله: «وجناحها عن الخروج مقصوص».

قلنا: بل لم يمنعها الشرع أن تخرج فى حدود متطلباتها وحاجتها، بل ومنهن من خرجن للقتال، وكان ذلك فى عصر النبى ﷺ ثم الصحابة ثم التابعين ولم يمنعهن أحد، ولم يمنعهن من البيع والشراء وممارسة العقود، حتى أن الأحناف أجازوا لها أن تعقد عقد زواجها لنفسها وجعلوه كعقود البيع والشراء. وفى الجملة هذه ردود فى عجالة وإن كانت هذه المسائل تحتاج إلى كتاب خاص وردود كثيرة ليس هنا موضعها والله الموفق.

٣١- باب لا تقل فى ذى القرنين ولقمان نبيين أو غير نبيين

وَذُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرَفْ نَبِيًّا ... كَذَا لُقْمَانُ فَاحْذَرْ عَنْ جِدَالِ

واعلم أن ذا القرنين لم يكن نبيا ولكن كان رجلاً صالحًا، وملكًا عادلاً ملك من المشرق إلى المغرب، ودخل فى الظلمة لطلب ماء الحياة(١) ولم يصل إلى مراده، وخرج منها ووصل إلى جبل وراء يأجوج ومأجوج فسد الجبل لكيلا تخرج إلى الدنيا، ثم بعده توفى إلى رحمة الله تعالى، ومن قال: إنه نبى لا يمنع.

وكذلك لقمان أنَّه رجل صالح حكيم، أوتى الحكمة، قد ذكره الله تعالى فى القرآن أنه صاحب الحكمة اللَّفيفة والمرتبة الشريفة، ولم يذكر نبوته، فلم نعلم حالهما نبيين أو غير نبيين.

«فاحفظ عن جدال»؛ يعنى لا تقل: إنهما نبيان وليسا نبيين.

* * *

---

(١) قوله: «ودخل فى الظلمة لطلب ماء الحياة». من الخرافات والأباطيل التى رواها بعض القصاص عن أهل الكتاب وغيرهم، ولا نعتقد عن ذى القرنين وغيره إلاَّ ما صح فى المنقول عندنا، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾.

٣٢- باب علامات القيامة الكبرى

وَعِيسى سَوْفَ يأتِي ثُمَّ يَتْوَى[١]   لِدَجَّالٍ شَقِــيٍّ ذِو خبــالِ[٢]

واعلم أنَّ نزول عيسى، عليه السلام، من السماء حق، وفى يده عصا يقتل الدّجال وعسكره، وإخبار النبى ﷺ فى شأن الدّجال حق، وهو راكب على حمار، أعور ملعون حطب النار، يدّعى الألوهية والناس يؤمنون به إلا من شاء الله تعالى سعادته، ومعه جبلان فى أحدهما ألوان الثمار، وفى أحدهما ألوان العذاب[٣].

وقال النبى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر عشر علامات طلوع الشمس والقمر من مغربهما، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الأسود الذى تخرب الكعبة، وثلاث خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا»[٤].

---

(١) [يتوى]: أى يهلك. [أَتْوَىَ] ماله: أهلكه. والله الشىء: أذهبه، و[تَوِىَ] الإنسان: هلك. و[المَتْوَاهُ] المهلكة. وسبب الهلاك. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٩١).

(٢) [خبال]: نقصان وهلاك. و[الخَبَلْ]: الفتنة والحيرة. و[الخُبْلُ]: فساد العقل. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٢١٧).

(٣) قلت: لم أجده بنفس اللفظ ولكن ورد بألفاظ متنوعة عن ذكر الدجال وهى: أخرجه البخارى فى كتاب: «الفتن» باب: «ذكر الدجال»: (١٣/ص ٩٧) حديث رقم: (٧١٣١) من طريق قتادة عن أنس . . . به، بلفظ: «ما بعث نبى إلاَّ أنذر أمته الأعور الكذاب».
ومسلم فى كتاب: «الفتن» باب (ذكر الدجال): (٤/١٠١/ص ٢٢٤٨) بلفظ البخارى.
وأبو داود فى كتاب: «الملاحم» باب: (خروج الدجال): (٤/ص ١١٣) حديث رقم: (٤٣١٦) من طريق أنس بن مالك بلفظ البخارى.
والترمذى فى كتاب: «الفتن» باب: (ما جاء فى قتل عيسى ابن مريم الدجال): (٤/ص ٤٤٧) حديث رقم: (٢٢٤٥)، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.
- أخرجه الإمام أحمد فى: (١/ ص ٢٤٠).

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب: «الفتن٢: باب: (فى الآيات التى تكون قبل الساعة): (٤/٤٠/ص ٢٢٦) من طريق أبى سريحة، حذيفة بن أسيد . . . . . به. =

وغير ذلك من الأخبار عن سيد البشر ﷺ عن ظهور الفتن واندراس العلم والعلماء وخروج المهدى، وكل ذلك حق والسلام.

* * *

=والترمذى فى كتاب: «الفتن» باب: (ما جاء فى الخسف): (٤/ص ٤١٤) حديث رقم: (٢١٨٣) من طريق أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد . . . . به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأبو داود فى كتاب: «الملاحم» باب (أمارات الساعة): (١١٢/٤) حديث رقم (٤٣١١) من طريق أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى . . . . . . به.

وابن ماجه فى كتاب: «الفتن» باب (أشراط الساعة): (١٣٤١/٢) حديث رقم: (٤٠٤١) مختصرًا عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد . . . . . به.

والإمام أحمد فى: «مسنده»: (٤/ص ٧) من طريق أبى الطفيل عن أبى سريحة قال: . . . . به.

٣٣- باب كرامات الأولياء حق

كَرَامَاتُ الْوَلِيِّ بِدَارِ دُنْيَا   لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ أَهْلُ النَّوَالِ

واعلم أنّ كرامات الأولياء حق فنكون ونؤمن بما جاء في باب كرامتهم وصح عن الثقات من رواياتهم، «فهم أهل النّوال»: يعنى أهل العطية فيجوز أن يظهرها الله تعالى على يد من شاء من الصالحين من عباده، ومن أنكر كرامة الأولياء كان خارجيًّا ومعتزليًّا، وهما ينكران الآية. قال الله تعالى لأم موسى: ﴿**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي**﴾ [القصص: ٧].

فهى كرامة لها، وكذلك أخرج رزق الشتاء فى الصيف، ورزق الصيف فى الشتاء، وظهور النخلة فى الصخر لمريم كرامة لها، وقال الله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل: ٤٠].

وهذا أصف بن برخيا وكان من الأولياء وهو [١٩٩] وزير سليمان عليه السلام، ولم يكن نبيًّا أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرفه إليه من تلك المسافة الممتدة، فلما جاز أن يكون فى أمة سليمان، عليه السلام، كرامة الأولياء فكيف لا يجوز أن يكون فى أمة محمد ﷺ كرامة الأولياء فهو أفضل من سليمان، عليه السلام، ومن جميع الأنبياء، وأمته أفضل الأمم.

فإن قالت المبتدعة: تلك الكرامة كانت من قبل سليمان، فيقول أيضًا هذه الكرامة من قبل محمد ﷺ، وقال الله تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم: ٢٥].

فهذه الكرامة لمريم لم تكن نبيا[1]. فإن قال المبتدع: كانت الرطب كرامة، لعيسى عليه السلام.

قيل له: فلم تلك كرامة أخرى قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**

---

(١) سبق ذكر الخلاف فى نبوة النساء، والصحيح كما بيّنا من كلام ابن حزم فى تحقيقنا أن من النساء نبيَّات. وليس هناك خلاف فى أنهن غير مرسلات، وذلك عند من عرف الفرق بين النبى والمرسل.

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَـالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

ولم يكن عيسى فى ذلك الوقت. وإن قال المبتدع: لو أن أحدًا قد ذهب بليلة واحدة إلى بيت الله ورجع لا يمكن أبدًا. فيقول: يمكن ويجوز؛ لأن المؤمن خير من الكافر، وقد وجدنا الكافر يسير فى ساعة من الشرق إلى الغرب وهو إبليس عليه اللعنة، وإن سار المؤمن بليلة واحدة إلى بيت الله أو وجد فى موضع طعامًا فليس بعجب.

وكذا ظهرت عن كثير من صالحى أمة محمد ﷺ، فنقول بعضها: إن عمر، رضى الله عنه، رقد على المنبر بمكة فرأى جيشه بنهاوند وقال: يا سارية الجبل الجبل، فسمع سارية صوته وهو مشهور.

وشرب السم خالد بن الوليد فلم يضرّه مع بعد المسافة[*].

ودعا أبو حنيفة فنزلت عليه مائدة[١]، ولأن كرامتهم وإن كانت بخلاف العادة ففى قدرة الله تعالى ممكنة غير ممتنعة، وليس فيها وجه من وجوه الاستحالة من حيث لا يعلم فوجب تجويزه؛ لأن الله حكيم قدير وإرسال الرسالة لا ينافى حكمته فكذا إظهار الكرامة[٢] على يد الولى ليس مما ينافى الحكمة، وذلك يدل على حقية هذا الدّين؛ ولأن

(*) قلت: «كانت وقعة نهاوند وهى وقعة عظيمة جدًا لها شأن رفيع ونبأ عجيب، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح، وفى هذه السنة افتتح المسلمون أيضًا بعد نهاوند مدينة وهى أصبهان بعد قتال كثير وأمور طويلة فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفرًا إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين.
وقيل: إن الذى فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل فيها، ووقع أمير المجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهزم أصحابه والصحيح أن الذى فتح أصبهان عبد الله ابن عبد الله بن عتبان الذى كان نائب الكوفة، افتتح أبو موسى قم وقاشان وافتتح سهيل بن عدى مدينة كرمان».

(١) وقوله: «ودعا أبو حنيفة فنزلت عليه المائدة» لم يبين من أى مكان نزلت، من السماء أم من بيته والله أعلم.

(٢) الكرامة: هى أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهرهُ الصلاح، ملتزم المتابعة لنبى كلف بشريعته مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم، ولا تدل على صدق من ظهرت على يديه، ولا ولايته ولا فضله على غيره=

فى ظهور كرامته معجزة الرّسول؛ لأنه بظهورها يعلم به الولى ممن يكون محقا فى دينه، ودينه إنما هو التصديق برسالة رسله واتباعه إيّاه حق وشريعته صدق وفى ظهور كرامته لا يؤدى إلى انسداد باب المعجزة؛ لأن الكرامة تظهر بغير الدَّعوى بل يجتهد الولى فى كتمانها ولو ادّعى ولى ذلك لذهبت ولايته.

* * *

=لجواز سلبها، وأن تكون استدراجًا ومكرًا. والفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية:
المعجزة هى ما يجرى الله على أيدى الرسل والأنبياء من خوارق العادات التى يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله للتصديق بما بعثهم به، ويؤيدهم بها.
وأما الكرامة: فهى ما يجرى الله على أيدى أوليائه من المؤمنين من خوارق العادات كالعلم والقدرة.
وأما الأحوال الشيطانية: فهى التى تظهر على أيدى المنحرفين ممن يدعى مع الله إلها آخر، كمن يدعو الأموات والأحياء معتقدًا أنهم ينفعون أو يضرون كالسحرة والكهنة والمشعوذة» ا.هـ بتصرف.
(الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص ٤٢ وما بعدها) و(تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد ص ٣٩٧ وما بعدها) و(شرح أصول العقيدة الاسلامية ص ١٩٨ وما بعدها).

٣٤- باب نبى واحد أفضل من جميع الأولياء

وَلَـمْ يَفْضُـلْ وَلِـىٌّ قَـطُّ دَهْـرًا   نَبِيًّا أَوْ رَسُـولاً فِـى انْتِحَالِ[1]

واعلم أن الولى لا يفضل على نبى من الأنبياء ولا على رسول من الرسل فى [٢٠١] الحقيقة ونقول: نبى واحد أفضل من جميع الأولياء؛ لأن مراتب الأنبياء عند الله تعالى أعلى وأفضل من مراتب الأولياء، وهذا شىء ظاهر لا يحتاج فيه إلى حجة.

ومن قال: للأولياء مرتبة لا تكون للأنبياء، فهو رافضى ومباحى؛ لأنهم لم يبلغوا مراتب الأنبياء إلا بعد ما أطاعوا الله ورسوله؛ لأن طاعة الأنبياء هى طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٩]، الآية.

وكرامة الأولياء بطاعة الرسل، ومن لم يطع يصل إلى الملامة لا إلى الكرامة. فبرهانه واضح؛ لأن النبى ﷺ يوحى إليه، وكليم الله بخلاف الولى، فكان الكليم أفضل كالشاهد، وقال النبى ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2]. والمؤمنون كلهم أولياء الله تعالى، وأكرمهم أطوعهم وأتبعهم للقرآن.

---

(١) بيت الشعر مرسوم فى الأصل هكذا:

ولـم يفضـل ولـىّ قـط دهرًا لذهبـت   ولايـة نبيًا أو رسولا فى انتحـال

وما أثبتناه من مجموع المتون.

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب: «تفسير القرآن» باب: (ومن سورة بنى إسرائيل): (٥/ ص ٢٨٨) حديث رقم: (٣١٤٨) من طريق أبى نضرة عن أبى سعيد . . . به.

وقال أبوعيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبى نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله ولفظه.

وابن ماجه فى كتاب: «الزهد» باب: (ذكر الشفاعة): (٢/ص ١٤٤٠) حديث رقم (٤٣٠٨) من طريق أبى نضرة عن أبى سعيد . . . . . . به.

- والحاكم فى «المستدرك»: (٢/ص ٦٠٤) من طريق جابر بن عبد الله وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبى: لا والله القاسم متروك تالف وعبيد ضعفه غير واحد، ومشاه أبو حاتم. والأصل فى البخارى فى كتاب: «أحاديث الأنبياء»: باب: (ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه) (٦/ص ٤٢٨) حديث رقم: (٣٣٤٠) بلفظ: «أنا سيد الناس . . . .» به.

وأحمد فى مسنده: (١/ص ٥) من طريق حذيفة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

والولى وإن علت درجته وارتفعت منزلته من جملة الأولياء ولا يسقط عنه الأمر، يعنى العبادات المفروضة فى القرآن من الصلاة والزكاة والصّوم والحج وغيرها.

ومن زعم أن من صار وليًّا ووصل إلى الحقيقة[1] سقطت عنه الشريعة فهو ملحد ويعتقد بيان مذهب الإباحة، فاحذروه فلم تسقط العبادة عن [٢٠٢] الأنبياء، فكيف تسقط عن الأولياء؟.

ويقول: نبى واحد أفضل من جميع الأولياء؛ ولأن العبادة وجوبها بحق العبودية أو بحق شكر النعمة، والولى بالولاية لم يخرج عن حق العبودية ولا عن كونه منعمًا عليه.

واعلم واستيقن أن مَن ادّعى الولاية ومحبة الله تعالى، فيكون له أربع خصال:

أولها: أن يعمل عمل الحبيب ولا ينقص شيئًا من أمره حتى يصدق قوله وفعله.

والثانى: لا يقصد إلى نهيه ولا يصدق كاهنًا ولا عرَّافًا ولا نجامًا؛ لقوله ﷺ: «من آمن بالنجوم فقد كفر ومن دبر بالنجوم فقد أدبر». ولا نصدق الذى يدعى شيئًا بخلاف الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة.

والثالث: لا يقول أنا حبيب الله وأحبه لأجله، فلمّا وجدت بمحبته لا يضر فى ترك طاعته.

والرابع: يتبع سنن الرسول، ولا يترك الجماعة ويراها حقًّا وصوابا، والفرقة زيغًا وعذابًا؛ لأن من تركها ولا يحضر الصلاة نابذًا أمر الله تعالى وراء ظهره ونابذًا لسنن الرسول عن نفسه فكان فاسقًا، والفاسق لا يصلح للمحبة لقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

وتارك الجماعة وغيرها من الطاعة مبتدع والمبتدع لا يكون حبيبًا، قال الله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعه**﴾ [٢٠٣] [فاطر: ١٠].

ولو رفع الأمر بالخِلَّة من أحد لرفع من إبراهيم عليه السلام؛ إذا صلى سمع وحيه فرسخًا فى فرسخ من الله تعالى، أو لو رفع بالمحبة لرفع من محمد ﷺ؛ قد آمنه الله تعالى

---

(١) القول بالحقيقة والشريعة قول مخالف للإسلام وليس له أصل فى ديننا؛ لأننا نؤمن أن رسول الله ﷺ بَلَّغ كل ما أمره الله به بأمانة، ونؤمن أنّ الدين قد تم قبل وفاته بأبى هو وأمى، ونؤمن أنه صلى الله عليه وسلم لم يختص أحداً بشىء اسمه الحقيقة، وغيرهم بالشريعة، بل الشريعة هي الحقيقة والحقيقة هى الشريعة التى بَلّغها النبى ﷺ.

من خوف الخاتمة لقوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح: ٢].

ومع هذا قد عبد الله تعالى حتى تورمت قدماه، فقيل له: ألم يغفر الله لك؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»(١).

لقد صح الأمر ولم يسقط عن رسولنا ولا عن جميع الأنبياء والأحبّاء والسادات من ولد آدم إلى يومنا هذا فكيف يرفع عن الناس الذى يدّعى من الأباطيل، والله الموفق للصواب.

* * *

(١) هذه إشارة إلى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها. أخرجه البخارى فى كتاب: «التهجد» باب: (قيام النبى ﷺ): (٣/١٨) حديث رقم (١١٣٠) من طريق زياد قال: سمعت المغيرة رضى الله عنه يقول: إن كان النبى ﷺ ليقوم أو ليصلى حتى تتورم قدماه أو ساقاه فيقول: (أفلا أكون عبدًا شكورًا).

ومسلم فى كتاب: «صفات المنافقين» باب: (إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة): (٤/٧٩/ص ٢١٧١) من طريق زياد عن المغيرة بن شعبة . . . . . . به.

وفى نفس المصدر السابق: (٤/٨٠/ص ٢١٧١) من طريق المغيرة بن شعبة ولفظه: قام النبى ﷺ حتى ورمت قدماه قالوا: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

وفى نفس المصدر: (٤/٨١/٢١٧٢): من طريق عروة بن الزبير عن عائشة . . . . به.

وأخرجه الترمذى فى كتاب: «الصلاة» باب: (ما جاء فى الاجتهاد فى الصلاة): (٢/ ص ٢٦٨) حديث رقم: (٤١٢) من طريق المغيرة بن شعبة . . . به قال أبو عيسى: هذا - حديث المغيرة بن شعبة - حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائى فى كتاب: «قيام الليل» باب: (الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل): (٣/ص ٢٤٢) حديث رقم: (١٦٤٣) من طريق المغيرة بن شعبة . . . . به.

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: «إقامة الصلاة» باب: (ما جاء فى الاجتهاد فى الصلاة): (٢/ص ٢٦٨) حديث رقم: (٤١٢) من طريق المغيرة بن شعبة . . . . به.

قال أبو عيسى: هذا - حديث المغيرة بن شعبة - حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: «إقامة الصلاة» باب: (ما جاء فى طول القيام فى الصلوات): (١/ص ٤٥٦) حديث رقم: (١٤١٩) من طريق المغيرة يقول: (قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» . . به).

٣٥- باب تفضيل وتقديم الصديق على الصحابة

وَلِلصِّدِّيــقِ رُجْحَــانٌ جَلِــيٌّ   عَلَى الأَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ احْتِمالِ

واعلم أنّ الله تعالى، قد فضّل محمدًا على جميع الأنبياء، ثم بعده أفضل هذه الأمة وأرجحهم على جميع الصحابة والآل أبو بكر الصديق رضى الله عنه وبعده خليفته حقًا، وقد ثبتت خلافته أوّلاً تقديمًا له وتفضيلاً على الأمة، وفضله قد صح بالكتاب قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [٢٠٤] [التوبة: ٤٠].

ومن قال: إنّ أحدًا أفضل من أبى بكر كان معتزليًّا ورافضيًّا، والرافضة يلعنون أبا بكر، وعمر، رضى الله عنهما، ويتبرؤون من جميع الصحابة، إلا من على، رضى الله عنه، فضلوا بذلك وكانوا أخبث الناس من خلق الله تعالى، وأبعد من الله ولا نصيب لهم فى الرحمة، والصدّيق لقب لسيّد الخلفاء أبى بكر، رضى الله عنه، فهو كنيته واسمه عبد الله، وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة، وإنما لقب بالصّديق لتصديقه النبى ﷺ فى أمر المسرى، واسم أبيه عثمان، وكنيته أبو قحافة. جلىّ، أى: ظهر بالعدل والسخاوة والكرامة.

* * *

٣٦- باب تقديم الفاروق على عثمان

وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ عَلَى عُثْمانَ ذِى النُّورَيْنِ[(١)] عَالِ

واعلم أن بعد أبى بكر، رضى الله عنه، لم يكن أحد فى الأمة، وجميع الصّحابة أفضل وأرجح من عمر، رضى الله عنه، ومن قال غير ذلك كان معتزليًّا ورافضيًّا، وفضله تَبَيَّن بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾ [الأنفال: ٦٤].

يعنى عمر، رضى الله عنه، وقول النبى ﷺ: «إن لى وزيران فى السماء ووزيران فى الأرض»[(٢)].

يعنى أبا بكر وعمر، رضى الله عنهما، والفاروق لقب عمر، رضى [٢٠٥] الله عنه، وكنيته أبو حفص العدوى؛ لأنه فَرّق بين الحق والباطل، والله الموفق.

* * *

---

(١) فى الأصل [ذو النُّورَين] وما أثبتناه هو الصواب.

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب: «المناقب» باب: (حدثنا عبد بن حميد): (٥/ص ٥٧٦) حديث رقم (٣٦٨٠) من طريق الخدرى قال: «ما من نبى إلاَّ له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر . . .» . . به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وأخرجه الحاكم فى «المستدرك»: (٢/ص ٢٦٤) من طريق: أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه... به وقال: رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبى معاوية عن عطية بلفظ آخر. وقال الذهبى: صحيح.

وأورده الهندى في «كنز العمال»: (١١/ ص ٥٦٣) حديث رقم: (٣٢٦٦١) من طريق ابن عباس. . . . به بنفس اللفظ.

٣٧- باب تقديم عثمان على عليّ

وَذُو النُّورَيْــنِ حَقًّــا كَـانَ خَيْـرًا   مِــنَ الكَـرَّارِ فِـى صَـفِّ القِتَـالِ

واعلم أن بعد أبى بكر وعمر، رضى الله عنهما، لم يكن أحد فى هذه الأمة وغيرها من الصحابة أفضل من عثمان، رضى الله عنه، ويعد خليفته حقا، خلافًا للمعتزلة والرافضة وهما قالتا: عليّ أفضل من عثمان، رضى الله عنه، وقال بعض العلماء نفضل الشيخين ونحب المتقين، فالصحيح هو الأول؛ لأنه ثبت فضله بقول النبى ﷺ أنه قال: «أنا أفضل هذه الأمة ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على»[1] وذو النورين أراد به عثمان بن عفان الأموى؛ لقب به لأنه ختن الرسول الله ﷺ بكريمتيه، تزوج بإحداهما قبل موت الأخرى، والله الموفق للصَّواب.

* * *

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب: «السنة» باب: «فى التفضيل» (٤/ص٢٠٥) حديث رقم: (٤٦٢٨) من طريق: سالم بن عبد الله عن ابن عمر . . . به، بلفظ: «أفضل أمة النبى ﷺ بعده أبوبكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم أجمعين»
لم يذكر سيدنا (علىّ رضى الله عنه).

٣٨- باب ثم أفضل الأمة تمام العشرة بعد على

وَلِلْكَــرَّار فَضْــلٌ بَعْـدَ هــذَا عَلَى الأَغْيَــارِ طُــرًّا لاَ تُبَالِ(١)

واعلم أن بعد أبى بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد فى أمة محمد ﷺ ولا فى الصحابة وأهل بيته أفضل من علىّ رضى الله عنه، وبعدهم خليفته حقًّا ومن لم يره خليفتـه حقًّـا ولم يفضلهم [٢٠٦] على غيرهم كان خارجيًّا وفضلهم قد تبين بقولـه تعـالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا**﴾ [الفتح: ٢٩].

يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا رضى الله عنهم أجمعين وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، وقد ثبت ترتيب فضلهم كترتيب خلافتهم، فانظر أن لا تقول فيهم إلا خيرًا كيلا يفسد دينك، ثم أبو بكر وعمر وعثمان قرشيون وعلىّ قرشى وهاشمى وأجمعوا على خلافة كل واحد منهم بعد موت أحدهم، وانعقدت خلافتهم ببيعة من لهم ولاية البيعة ثم أفضل الأمة بعد هذه الأربعة تمام العشرة، ثم بقية الصحابة على حسب مراتبهم، ثم التابعون ثم تابعو التابعين على علماء السلف من بعدهم رضى الله عنهم أجمعين.

وقال رسول الله ﷺ: «أبو بكر، رضى الله عنه، وزيرى، وعمر رضى الله عنه، حبيبى وعثمان، رضى الله تعالى عنه، مِنى، وعلىّ رضى الله عنه، أخى وصاحب رأيى»(٢). ونسكت عَمّا جرى بين الصحابة قال رسول الله ﷺ: «وما شجر من

---

(١) [الأغيار]: أى على السادة أهل الشرف المشاهير، من [غرَّ] الرجل: ساد وشرف. و[الأَغَرُّ]: المشهور. انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٤٨). و[الطُّرُّ]: الحاشية والجماعة. انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٥٥٤).

(٢) أورده ابن الجوزى فى كتاب: «الموضوعات»: (١/ص ٤٠٤) من طريق كادح عن الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن جابر . . . . به.

وقال: هذا حديث موضوع، وكادح ليس بشىء.

قال ابن حبان: يروى عن الثقات المقلوبات حتى يسبق إلى القلب أنه المعتمد لها فاستحق الترك.

وقال أبو الفتح الأزدى: هو كذاب وأما الحسن بن أبى جعفر فتركه أحمد وقال يحيى: ليس بشىء.

وقال النسائى: متروك الحديث. ورواه ابن عدى فى: «الكامل فى ضعفاء الرجال»: (٦/ص٨٤)=

أصحابى، فإن أحدكم لو أنفق ما فى الأرض جميعًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[1].

ويعلم أن رجعة على باطل، وليس كما زعم الروافض؛ [٢٠٧] إنهم يقولون بأن عليًّا يرجع قبل قيام الساعة مع أهل بيته، فهذا محال. و«للكرار»: أراد به أبا السبطين على بن أبى طالب الهاشمى رضى الله عنه، وكان يكنى بأبى تراب أيضًا، وإنما لقب به لأنه كان كثير القتال على الأعداء.

واعلم أن عليًّا كان فى محاربته مع معاوية والخوارج، وابن الزبير، وما جرى بينه وبين معاوية كان مبنيًا على الاجتهاد ولا منازعة من معاوية لعلىّ فى الإمامة، ولكنه كان مخطئًا فى خروجه عليه، وعلى، رضى الله عنه، كان مصيبًا فى جميع ما عمل فى حروبه وصلحًا دار إلى حيث دار وكان الحق فى يده، فمن قال: الحق فى يد غيره كان خارجيًا. وإن طلحة والزبير وعائشة قد تابوا عن ذلك، ورجعوا إلى الحق، وعائشة إنما جاءت للمصلحة.

=من طريق كادح بن رحمة، وتقدم القول عند ابن الجوزى وقال الحاكم وأبو نعيم فيه أيضًا: روى عن مسعر والثورى أحاديث موضوعة.

وقال البيهقى: هو مجهول. وقال ابن عدى: ولكادح غير ما أمليت أحاديث وأحاديثه عامة ما يرويه غير محفوظة، ولا يتابع عليه فى أسانيده ولا فى متونه.

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب: «الصلاة» باب: (ما جاء فى السفر يوم الجمعة): (٢/ص ٤٠٥) حديث رقم: (٥٢٧) من طريق مقسم عن ابن عباس . . . . به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه. ولفظه: «لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما أدركت فضل غدوتهم . . . . . به».

وأورده ابن حجر فى «تلخيص الحبير»: (٢/ص٦٦) حديث رقم: (٦٥٣) من طريق عبد الله بن رواحة.

ولفظه: (لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم). وقال: رواه أحمد والترمذى من حديث مقسم عن ابن عباس وفيه حجاج بن أرطأة، وأعله الترمذى بالانقطاع.

وقال البيهقى: انفرد به الحجاج بن أرطأة، وهو ضعيف.

وأخرجه الإمام أحمد فى: «مسنده» (١/ص ٢٢٤) من طريق مقسم عن ابن عباس . . . . به.

وأورده البيهقى فى: «السنن الكبرى»: (٣/ص١٨٧) من طريق: مقسم عن ابن عباس .... به.

وأحسن ما قيل فى ذلك عندما سئل أحد سلف هذه الأمة عن ما جرى بين الصحابة حال الفتنة، قال: قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

وهم أهل الجنة ولا نذكرهم إلاَّ بخير، وقوله عليه السلام: «لا توال أحدًا دون أحد». هذا بيننا وبين الشيعة الذين قالوا: إنَّما نوالى عليًا فحسب، وهذا قريب من مذهب الرّوافض أيضاً، وقد بينا فساده.

وقول أبى حنيفة: أن يرد أمر عثمان وعلى، رضى الله عنه، إلى الله تعالى عالم الخفيات لم يرد بهذا الشك فى أمرهما، ولكنه اختار أسلم الطرق، وأسلمها أن نكف ألسنتنا عنهم كما كف الله سيوفنا عن تلك [٢٠٨] الفتنة.

فالواجب علينا الثناء إليهم، والرضوان عليهم ومحبة جميع الأصحاب على العموم حق لازم وإيقان، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونحب جميعهم ولا نفرط فى حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم ولا نذكرهم إلاَّ بخير، ولا نطعن فيهم ولا نقع فيهم، ومن وقع فيهم أو فى أحد من جميعهم، ومن ذكرهم بسوء فقد ضل عن طريق محمد ﷺ، وقوله ﷺ: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»(١).

إن الله تعالى اختارهم لصحبة رسوله ونبيه وصفيّه وخيرته من خلقه ليكونوا له أعوانًا وأنصارًا فأعانوه ونصروه حتى وصل هذا الدين المرضى ببركة سعيهم ونصرهم إلى مشارق الأرض ومغاربها فمن كان فى قلبه محبة الله تعالى ومحبة رسوله وكان هذا

---

(١) أورده الألبانى فى «سلسلة الأحاديث الضعيفة»: (١/ص ٧٨) حديث رقم: (٥٨) وقال: موضوع.

ورواه ابن عبد البر فى: «جامع العلم»: (٢/٩١).

ورواه ابن حزم فى «الأحكام»: (٦/٨٢) من طريق سلام بن سليم قال: حدثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر مرفوعًا به.

وقال ابن عبد البر: «هذا إسناد لا تقوم به حجة، لأن الحارث بن غصين مجهول» ا.هـ.

وأورده العجلونى فى «كشف الخفا»: (١/ص١٤٧) حديث رقم: (٣٨١) وقال: رواه البيهقى وأسنده الديلمى عن ابن عباس بلفظ: «أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم».

كما أورده الزبيدى فى «الإتحاف»: (٢/ص ٢٢٣) بلفظه.

وذكره الذهبى فى «ميزان الاعتدال»: (١٥١١، ٢٢٩٩). وفى «لسان الميزان»: (٢/٤٨٨).

والزبيدى فى: «إتحاف السادة المتقين: (٤/١٩٠).

الدين عنده عزيزًا ألاّ ينجع[١] فى قلبه بغضهم، ولا ينطلق لسانه فيهم بالسوء، وقال ﷺ فى حقهم: «لا تتخذوهم غرضًا فمن أحبَّهم فبحبى أحبه الله تعالى ومن أبغضهم فببغضى أبغضه الله تعالى ومن آذانى آذاه الله تعالى»[٢].

فيوشك أن يأخذ، ونشهد للعشرة الذين سَمّاهم رسول الله [٢٠٩] ﷺ بالجنة وهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، رضى الله عنهم أجمعين[٣].

فالواجب علينا أن نحبهم ونحب أهل بيت رسول الله ﷺ وأزواجه وأقرباءه وآله، فبالخير نذكرهم ونثنى عليهم، قال الله تعالى فى أزواجه: ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال الله تعالى فى حق أقربائه: ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى**﴾ [الشورى: ٢٣].

ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه وذرّياته فقد برئ من

---

(١) [ألا ينجع]: أى لا يطلب ولا يتتبع ولا يقصد فى قلبه بغضهم. انظر: «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٠٤) مادة [نَجَعَ].

(٢) أخرجه الترمذى فى: «كتاب المناقب»: باب (٥٩) (٥/ص ٦٥٣) حديث رقم: (٣٨٦٢).
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
والإمام أحمد فى «مسنده»: (٥/ص ٥٤، ٥٧). قال: حدثنا سعد بن إبراهيم بن سعد، وفى (٥/ص ٥٥) قال: حدثنا عبد الله بن عون الخراز، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد . . . . به.
وأخرجه أيضًا أحمد فى «مسنده»: (٤/ص ٨٧) من طريق يونس قال: حدثنا إبراهيم - يعنى ابن سعد.

(٣) قلت: وهذا إشارة إلى حديث النبى ﷺ رواه سعيد بن زيد، فقال: أتانى رجل فقال: أخبرنى عن على فإنى أبغضته بغضاً لم أبغضه أحداً قط. قال: بئس ما صنعت أبغضت رجلاً من أهل الجنة، ثم أنشأ يحدث قال: تحرك حراء فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فإنه ليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد».
وقال: وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك، قال: لو شئت أن أخبركم بالعاشر أخبرتكم، يعنى نفسه.
أخرجه أبو عاصم، فى كتاب: «السنة» باب: (قوله العشرة فى الجنة وتحرك الجبل): (٢/ص ٦١٨) حديث رقم: (١٤٢٥) من طريق عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ..... به.

النفاق، وعلماء السلف من الصالحين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يذكرونهم إلاّ بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، ولا نفضل أحدًا من الأولياء على الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، ونقول: نبى واحد أفضل من جميع الأولياء ونؤمن بما جاء فى باب كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.

* * *

٣٩- باب عائشة أفضل زوجات النبى ﷺ بعد خديجة، رضى الله عنها

وَلِلصِّدّيقَـةِ الرُجْحَـانُ فَاعْلَـمْ عَلَى الزَّهْـراءِ فِـى بَعْـضِ الخِلالِ

واعلم أن عائشة الصديقة بنت الصديق، رضى الله عنهما، بعد خديجة [٢١٠] الكبرى، رضى الله عنها، أفضل نساء العالمين، وهى أم المؤمنين، مطهرة من الفواحش بريَّة(١) عَمَّا قالت الروافض، فمن ذكرها بفاحشة فهو ولد الزّنا.

والزهراء فاطمة وسميت أيضًا بالبتول لانقطاعها وانفرادها من بين النسوان فضلا وحسبا ونسبا. «والخلال»: جمع الخلة: معناه الخصلة. وعن أبى جعفر الإسفراييني وعن بعض الأئمة أنهم قالوا: إن فاطمة، رضى الله عنها، أفضل من عائشة؛ لأن درجة عائشة، رضى الله عنها، إنما اتفقتا تبعا للنبى ﷺ وأكثر الأئمة قالوا: عائشة أفضل منها؛ لأن درجتها مع النبى ﷺ فى الجنة.

وقال بعضهم: لا نقول بالترجيح بل نقول: كانت عائشة أفضل أزواج النبى ﷺ بعد خديجة الكبرى، رضى الله عنها، وفاطمة أفضل بناته، فالأول صحيح والله الموفق.

* * *

٤٠- باب إيمان المقلد صحيح

وَإِيمَـــانُ المقَلّـــدِ ذُو اعْتِبَـــارِ   بِأَنْـــوَاعِ الدَّلائـــلِ كَالنِّصَـــالِ

واعلم أنّ إيمان المقلد صحيح وهو الذى اعتقد جميع ما فرض الله تعالى عليه من حدوث العالم وقدم الصانع وبوحدانيته ورسالاته، وغير ذلك اعتقادًا جازمًا بلاشك وارتياب من غير دليل عقلى، يعنى أقر بجملة الإسلام، ولا يعلم شيئًا من الفرائض ولا شرائع الإيمان ولا الكتاب [٢١١] ولا يقر بشىء منها فهذا مؤمن صحيح نافع فى الدنيا والآخرة، وإن لم يعلم شيئًا ولم يعمل به، ولم يهتد إلى الاستدلال، وكل من دخل فى ربض الإيمان لا يخرج منه إلاّ من الباب الذى دخله، أى: ما لم يبدّل التصديق بالتكذيب لا يخرج من الإيمان.

وقالت الأشعرية والمعتزلة: لا يصح الإيمان بالتقليد، ويقولان: بكفر العامة(١) وهذا قبيح لأنه يؤدى إلى تفويت حكم الله تعالى فى الرسالة والنبوة؛ لأنه من أعطى الرسالة والنبوة أقر(٢) أولاً بعرض الإسلام على الكفر، ولو كان الإسلام لا يصح بالعرض والتقليد لفاتت الحكمة فى الرسالة والنبوة، إلا أن درجة الاستدلال أعلى من درجة التقليد ألف مرة، وكل من كان فى الاستدلال والاستنباط أكثر كان إيمانه أنور، كما

(١) القول بكفر وفسق المقلد الذى لا يعرف الدليل مردود.

قال الشوكانى: «فيالله العجب من هذه المقالة التى تقشعر لها الجلود، وترجف عند سماعها الأفئدة، فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة وتكليف لهم بما ليس فى وسعهم ولا يطيقونه، وقد كفى بالصحابة الذين لم يبلغوا درجة الاجتهاد ولا قاربوها الإيمان الجملى، ولم يكلفهم رسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم بمعرفة ذلك ولا أخرجهم عن الإيمان بتقصيرهم عن البلوغ إلى العلم بذلك بأدلته». ا.هـ.

وقال فى موضع آخر: «ومن أمعن النظر فى أحوال العوام وجد اعتقادها صحيحًا، فإن كثيرًا منهم نجد الإيمان فى صدره كالجبال الرواسى، ونجد بعض المتعلقين بعلم الكلام المشتغلين به الخائضين فى معقولاته التى يتخبط فيها أهلها لا يزال ينقص إيمانه، وتنقص منه عروة عروة، فإن أدركته الألطاف الربانية نجا وإلاّ هلك.

ولهذا تمنى كثير من الخائضين فى هذه العلوم المتبحرين فى أنواعها فى آخر أمره أن يكون على دين العجائز». ا.هـ (إرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٦٦).

(٢) [أقر أولا .... إلخ] كذا فى المخطوطة، وهى كلمات لا معنى لها عندى، لذا أثبتها كما هى رسما لا فهمًا.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل السماوات والأرض كان أثقل وأرجح من إيمان جميع الخلائق»(١).

يعنى من جهة النور والضياء لا من جهة الزيادة والنقصان، فإن قيل: كيف عرفت الله تعالى؟ فقل: بلا كيف ولا كيفية عرفته بتعريفه، فقد عَرَّفنى حتى عرفته يعنى ما عرفته بعقلى، بل عرفته بتعريفه.

وقالت المعتزلة: فالله يعرف بالعقل، عن هذا قالت: الإيمان بالتقليد [٢١٢] لا يجوز ولا يصح.

وقالوا بكفر العوام؛ لأن الناس عندهم فى العقل سواء.

وقالت الأشعرية: يعرف الله لا بغيره، وعن هذا قالوا: إن أحدًا لا يعرف الله حق معرفته وإن كان نبيًّا مرسلاً، أو ملكًا مقربًا، وهو يعرف نفسه بنفسه حق معرفته وغيره من الملائكة والمؤمنون لا يعرفونه.

قلنا: لا نتعجب منهم هذا القول؛ لأنهم شكوا فى إيمانهم ونرد عليهم بقوله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم**﴾ [آل عمران: ١٨]. فالله تعالى جمع بين شهادة نفسه، وبين شهادة الملائكة أولى العلم فمن أوجب الشك فى شهادة الرب، وقال الله تعالى فى شأن الكفر: ﴿**ضعف الطالب والمطلوب**﴾ [الحج: ٧٣]. ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ [الأنعام: ٩١]، أى: ما عرفوا الله حق معرفته، فقد أوقع التسوية بين المؤمن والكافر، وكفى به قبحًا وشينًا.

وأما مذهب أهل السنة والجماعة: فإن المؤمن يعرف الله حق معرفته بتعريفه، فلو كانت المعرفة بتعريف الله وقعت موقع الحقيقة، ولكنا لا نقدره حق عبادته؛ لأن أحدًا وإن عبد الله تعالى جميع عبادات أهل السموات والأرض لو قوبلت تلك العبادات كلها بنظرة واحدة [٢١٣] فى عِينيه ما أقرتها.

---

(١) أخرجه الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٣٢٣، ٧/ ٥٧٢)، والعراقى فى «المغنى» (٥٢/١)، وابن عدى فى «الكامل فى الضعفاء» (٤/ ١٥١٨)، والسيوطى فى «الدرر المنتثرة» (١٣٣)، والفتنى فى «تذكرة الموضوعات» (٩٣)، والعجلونى فى «كشف الخفا» (٢/ ٢٣٤) والشوكانى فى «الفوائد المجموعة» (٣٣٥). قلت: ولم يبلغ إيمان أبى بكر هذه المنزلة بالاستدلال والاستنباط بل بالتصديق المطلق، رضى الله عنه.

فإن قال المبتدع: أليس أن العبادة الخالصة بتوفيقه، فلم لا تقع موقع الحقيقة؟ قلنا: لا نقول بأن العبادة الخالصة لا تقع موقع الحقيقة، وليست هى بحق الله تعالى بل هو حق الله، ولكن نعنى قولنا لا نعبده حق عبادته إلا أن لا يمكنا أن نعبده حق عبادته؛ ضعفاء عاجزون ولا ننفك عن التقصير بإيقاع الخلل فى العبادات، وهذا المعنى معدوم فى معرفة الله تعالى، والله أعلم.

* * *

٤١- باب وما لذى عقل عذر بجهل

وَمَـا عـذْرٌ لِـذِى عَقْـلٍ بِجَهْـلٍ   بِخَـلاَّقِ الأَسَافِـلِ وَالأَعَـالِ

واعلم أنّ من بلغ على شاهق الجهل ولم تبلغه دعوة[١] [....][٢] ولم يعرف الله تعالى ولم يقربه حتى مات يخلد فى النار فى أظهر الروايتين عند أبى حنيفة، رحمة الله عليه، وإليه مال المشيخة العياضية . . بسمرقند.

وقال قاضى الأئمة أبو اليسر الترمذى: إنه لم يعذبه فى رواية عنده[٣].

---

(١) من لفظ «على» حتى لفظ «دعوة» غير واضح بالمخطوط وهذا رسمه كما بالمخطوط والله أعلم بالصواب.

(٢) كلمة مطموسة بالأصل.

(٣) كلمات المصنف فى هذا الباب قليلة، وربما كانت على قلتها معبرة على مضمونها الذى يحمله فكر المصنف فى مسألة العذر بالجهل، ولكن هذه الكلمات القليلة بعضها غير واضح فأثبتناها برسمها لا بفهمها، وفيها أيضا كلمة مطموسة تماما. وهى كلمة فى صلب السياق لعلها [الحق] أو [الإسلام]، أو غير ذلك، وأغلب ظنى أنها كلمة مشتركة تحمل معنى واحد بين [الحق والإسلام والإيمان]، ومن ثم تكون عبارة المصنف كالآتى: «واعلم أن من بلغ على شاهق الجهل ولم تبلغه دعوة [الحق] ولم يعرف الله تعالى ولم يقر به حتى مات يخلد فى النار..إلخ» وباقى كلماته واضحة.

قلت: نفهم من ذلك أن المصنف مذهبه الذى ينصره هو عدم عذر الجاهل الذى لم تبلغه رسالة الإسلام، وهذا مخالف لاعتقاد أهل السنة والجماعة، هذا على أغلب ظننا بما ترجمناه من الكلمات المطموسة والغير واضحة، أما مسألة العذر بالجهل فى اعتقاد أهل السنة والجماعة فإنها وإن كانت تحتاج إلى رسالة خاصة به، إلا أننى سوف أتناولها هنا بشىء من الاختصار لإتمام الفائدة، بيد أنى سوف أتناولها من زاوية أصولية حتى يكون البناء فيه سليمًا صحيحًا وبالله التوفيق.

وهذه المسألة تبنى على أربعة أركان أساسية هى:

١ - حاكم. ٢ - حكم. ٣ - محكوم عليه. ٤ - محكوم فيه.

أولا: الحاكم: وهو الله سبحانه وتعالى، وهو الذى أرسل رسله وأنزل كتبه للتعريف به، وبين على ألسنتهم وبين دفاتها أنه لا يعذب أحدًا لم تبلغه رسالته. قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وغير ذلك مما ليس هنا موضعه.

ثانيا: الحكم: وهو إما تكليفى، وإما وضعى، والذى يعنينا هنا الوضعى لا التكليفى. وهو خطاب=

.. ..

=الله الحاكم المتعلق بأفعال المكلفين جعل الشيء سببا أو شرطًا له أو مانعا منه. فمعرفة الله وأنه لا إله إلا الله جعل الله إرسال رسله وإنزال كتبه سببا وشرطًا ومانعا، إما للنعيم وإما للتعذيب ولهذا أيضًا تفصيلات ليس هنا موضعها.

ثالثا: المحكوم عليه: وهو الشخص الذى تعلق خطاب الله تعالى بفعله بعد بلوغه الرسالة. وهو المكلف، وللتكليف شروط:

١ - أن يكون المكلف قادرًا على فهم ما كلف به: بمعنى تصور الفعل بأن يفهم من الخطاب القدر الذى يتوقف عليه الامتثال فإن كان التكليف اعتقاديًا، فيشترط مع الامتثال التصديق وإن كان من أحكام التكليف أو الوضع لكن غير اعتقادى لا يشترط التصديق. وهذه المسألة لها تفصيلات أدق من ذلك ليس هنا موضعها أيضًا فحسبنا ما ذكرنا.

٢ - أن يكون المكلف أهلا للتكليف: بمعنى صلاحيته لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه وصدور التصرفات منه على وجه يعتد به شرعًا وعدم توقفها على رأى غيره وهى أهلية أداء كاملة للبالغ الرشيد. وتفصيل هذا أيضًا ليس هنا موضعه.

٣ - أن يكون المكلف غير مكره: والمقصود هنا هو أن يكون غير مكره على الكفر لأنه يصح منه الإيمان إن كان قلبه مطمئن به. أما إن أكره على الإيمان فلا يصح منه حتى يعتقده. ولهذه المسألة تفصيلات كثيرة جدًا ومهمة جدًا ليس هنا موضعها أيضًا وقد ذكرت ذلك بشيء من التفصيل فى كتابنا [المداخل الأصولية للاستنباط من السنة النبوية] وإن كانت هذه المسألة تحتاج إلى كتاب خاص.

رابعًا: المحكوم فيه: أو المحكوم به: وهو فعل الملكف الذى تعلق به أى ارتبط به الحكم الشرعى ولهذا الفعل شروط:

١ - أن يكون الفعل المكلف به معلومًا للمكلف علمًا تامًا، والمقصود من العلم هو التمكين ووصول المكلف إلى معرفة الخطاب، كمن كان فى دار الإسلام فإنه يتمكن من العلم بالأحكام الشرعية بنفسه أو بسؤال أهل العلم عنها، لذا قيل لا يقبل فى دار الإسلام العذر بالجهل بيد أن هذا القول يحتاج إلى تفصيل للبعد عن الإفراط والتفريط.

أولا: إن دائرة العلم بالإسلام جملة لا يقتصر فى عصرنا هذا على دار الإسلام فقط كما ذكر ذلك علماء السلف، فذلك الشرط فى زمانهم، أما فى عصر التكنولوجيا الحديثة والاتصالات السريعة بسلكها ولاسلكها، مسموعها ومرئيها وبما فيها من أقمار صناعية وإنترنت وغيرها مما جعل العالم كله كما يقولون قرية صغيرة، مما يجعلنا نقول لا يقبل فى العالم، القرية الصغيرة، بما فيه من علوم الاتصالات العذر بجهل الإسلام جملة. أما من دخل الإسلام فلا عذر لمن جهل أصل التوحيد، والعذر فى صوره، أما أصله فهو [لا إله إلا الله] بمعنى لا معبود إلا الله، وأما صوره=

.. ..

=فهى: كالسجود، والذبح، والاستغاثة، وغير ذلك، ومعلوم أن صرف أصل التوحيد وصوره لغير الله أو لغير الله مع الله، كفر وشرك به سبحانه وتعالى. وعدم العذر فى أصل التوحيد أو فى مجمل التوحيد إنما هو للأنواع وللأعيان على السواء، وذلك لتمكنهم فى مثل هذا العصر من العلم سواء بأنفسهم أو بسؤال أهل العلم عبر الوسائل والوسائط الحديثة التى ذكرنا بعضها.
أما صور التوحيد فالعذر فيها للأعيان لا للأنواع فيطلق اللفظ الذى يتعلق بالفعل على فاعليه أنواع لا أعيان كلفظ الكفر أو الفسق أو النفاق وغير ذلك.
واعلم أن الفعل يتعلق به الحكم الشرعى تكليفيا كان أو وضعيا فيسمى: واجبا أو حراما أو مستحبا أو مباحا أو كفرًا أو شركا أو إيمانا أو فسقا أو نفاقا أو غير ذلك من أسماء الأفعال التى سماها الله لأفعال لا تتعلق بفاعليها مطلقا بمجرد الفعل إلا إذا كانوا أنواع، ولا تتعلق بالأعيان إلا بشروط وانتفاء موانع. وهذا كثير جدًا باستقراء الكتاب والسنة. فالله سمى كل فاعلين بما فعلوا، أنواع لا أعيان، فسمى من يفعلوا الكفر كافرين، والإيمان مؤمنين، والنفاق منافقين، والطهارة متطهرين، وشارب الخمر والواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة والمغيرات لخلق الله ملعونين، إلى غير ذلك من الأفعال التى تتعلق بفاعليها بمجرد فعلها. لكن المعين لا يسمى بمسمى الفعل الا بشروط وانتفاء موانع، ككفر تارك الصلاة، فلا يكفر زيد بعينه لتركه للصلاة ولا يتعلق به اسم كافر إلا بشروط وانتفاء موانع، لكن يتعلق اسم الكفر بتاركى الصلاة أنواع لا أعيان، وهذا هو إطلاق الشرع فى النوع فليس لأحد أن ينقل هذا الإطلاق إلى الأعيان إلا بوجود شروط وانتفاء موانع، فقد يكون المعين جاهلا أو ناسيا أو مكرها أو غافلا أو متأولا إلى غير ذلك.
فالفعل يسمى شركا أما فاعله المعين لا يطلق عليه اسم الشرك إلا بشروط وانتفاء موانع. وهذا يعنى التفريق بين الفعل المحكوم فيه، وبين الفاعل المعين المحكوم عليه. إذن الحد الأدنى الذى بين الكفر والإيمان ولا عذر فيها هو النطق بالشهادتين، والإيمان بمجمل الرسالة التى بعث بها محمد ﷺ، فقد قامت الحجة بإرساله، وقامت الحجة بما اخترعه العالم، وقامت الحجة باللقاءات الدولية التى من خلالها يستطيع الأنواع التعرف على الإسلام وقامت الحجة بالحروب التى تشن على المسلمين بغية قتلهم وإفنائهم وعلمنتهم وردتهم فى مشارق الأرض وغربها. فمن خلال تلك الحروب يستطيعون أن يتعرفوا على الإسلام الذى يحاربونه. فالله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد البلوغ والنذارة قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ [الأنعام: ٤٨]، [الكهف: ٥٦]. =

.. ..

=هذا ولا يقال: إن الحجة قامت من قبل بميثاق الأشهاد، وهو فى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم﴾ [الأعراف: ١٧٢]، لما فى ذلك من تعسف وتحميل الناس مالم يحملهم به الله وبما ليس فى وسعهم أن يتحملوه. ولا يحتاج للرد على مثل هذا إلى إطالة، ويكفى أن نقول لو أن فى مثل ذلك إقامة للحجة لم يكن لإرسال الرسل حاجة. هذا ولهذا الموضع تفصيلات أخرى كثيرة فى الأصول والفروع ليس هنا موضعها، وقد ذكرنا كثيرًا منها فى كتابنا [المداخل الأصولية] وفى كتابنا [معايير التأويل والمتأولين للعامة والمقصرين والمجتهدين] طبعة دار الكتب العلمية - لبنان - فلتراجع هذه المسألة هناك مع الاعتذار بسبب ضيق المساحة هنا، والله الموفق والهادى للصواب.

٤٢- باب النهى عن لعن يزيد

وَلَمْ يَلْعَنْ يَزِيدًا بَعْدَ مَوْتٍ   سِوَى المِكْثَارِ فِى الإِغْرَاءِ غَالِ

واعلم أنّ يزيد لا يلعن ولا على فاسق غيره بعد الموت يجوز أنه مغفور، والمغفور لا يلعن، ومن لعنهما بعد موتهما كان رافضيًّا ومعتزليًّا، فإنهم يلعنون يزيد، ولا يأكلون طعامهم الليزيد(١) فى يوم [٢١٤] عاشوراء، ولا يتزينون، يبكون فيصيحون يلعنون يزيد بسبب الذى أمر بقتل الحسين، رضى الله عنه.

قالوا: فإنه قتل ابن النبى ﷺ فلا يرحمه الله أبدًا. قلنا: من قتل نبيًّا لا تقبل توبته، ولا إيمان له، ومن قتل مؤمنا وهو يعلم أن قتله حرام، ولا يراه حلالاً، فلا يكون كافرًا بل يجب عليه القصاص فى العمد والدّية فى الخطأ، وإن تاب تاب الله عليه، وإن لم يتب قبل الموت يغفر الله تعالى بعفوه وفضله أو بشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ولو لم يغفر لأحد بقتل المؤمن لكان وحشى لا يغفر له قبل إسلامه فإنه قتل حمزة، رضى الله عنه، ثم أسلم على يد النبى ﷺ، فبشره الله تعالى بالجنة، وكان هو واحدًا من أصحاب النبى ﷺ، فكذلك قتل القاتل والمقتول فى الجنة، يعنى إذا قتل المؤمن مؤمنًا وهو نادم على قتله فالمقتول فى الجنة لأجل شهادته، والقاتل فى الجنة لأجل ندامته.

وأما يزيد إذا كان صادقًا فى قتل الحسين، رضى الله عنه، فإنه مؤمن قتل مؤمنًا ولم يقتل نبيًا، يرجى أن يغفر له إن لم ير قتله حلالاً، فقاتل عم النبى ﷺ قد غفر له، وقاتل ابن عم النبى ﷺ، فكيف لا يغفر له إن مات [٢١٥] بالإيمان؟ «والإغراء»: التحريض والتحثيث، و«الغى»: اسم من الغلو بالمبالغة.

* * *

(١) هكذا بالأصل، ولا أرى لها معنى.

٤٣- باب لا يقبل الإيمان حال اليأس

وَمَـا إِيمَـانُ شَخْصٍ حَالَ يَـأسٍ   بِمَقْبُـولٍ لِفَقْـدِ الامْتِثَـالِ

واعلم أنّ الإيمان ليس بمقبول فى حال اليأس، يعنى حال معاينة شدة العذاب فى الآخرة، فإن كل مؤمن يرى مكانه فى الجنة قبل موته، وكل كافر يرى مكانه فى النار قبل موته، فإذا آمنه لم يكن إيمانه إيمانا بالغيب على اختيار صحيح، فلذلك لم يقبل، وأما توبة المؤمن المذنب مقبولة وعليه إجماع الأئمة.

«لفقد الامتثال»: يعنى ما آمن بالله تعالى عن غيب؛ لأن إتيان الإيمان بالغيب مأمور كما قال الله تعالى: ﴿**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة**﴾ الآية الشريفة، [البقرة: ٣] والله أعلم.

* * *

٤٤- باب التفريق بين الإيمان والعبادات

وَمَا أَفْعَالُ خَيْرٍ فِى حِسَابِ مِنَ الإِيمَانِ مَفْرُوضَ الوِصَالِ

واعلم أن أفعال الخير ليست جملة من الإيمان وإنما العبادات من أحكام الله؛ لأن الله تعالى فرق بين الإيمان والعبادات فقال: ﴿**إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ [التوبة: ١٨].

عطف إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الإيمان، فلا شك فى ثبوت المغايرة عقوبته سوء الخاتمة نعوذ بالله منه، فمن هذا الوجه يحسن الاستثناء ويكون ذلك شكًا [٢١٦] فى القبول لا فى أصل الإيمان.

فتبينّ بهذا الدليل أن سائر العبادات ليست مدخلة للإيمان، قال الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ [البقرة: ٢٧٧].وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالله تعالى خاطب العباد باسم الإيمان قبل وجوب الأحكام، فلو كانت الأعمال من جملة الإيمان لما سمَّاهم مؤمنين قبل وجود الأعمال منهم؟ وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله خالصًا مخلصًا دخل الجنة»[1].

---

(١) أورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: (١/ص ١٧) من طريق أبى سعيد الخدرى . . . . به وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات إلاَّ أن من روى عنهما البزار لم أقف لهما على ترجمة».
وفى (١/ص ١٨): من طريق زيد بن الأرقم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ . . . . به.
وأورده الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين»: (٥/ص ٢٥) من طريق أبى هريرة . . به. وأورده الأصفهانى فى: «حلية الأولياء»: (٧/ص ٣١٢) من طريق: عمرو بن دينار، قال: سمعت جابر ابن عبد الله، عن معاذ بن جبل بلفظ: (من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة» قال: أبشر الناس؟ قال: «إنى أخاف أن يتكلوا». من طريق أنس . . . به.
وفى (١/ص ٦١) حديث رقم: (٢٠٥). من طريق زيد بن أرقم . . . به.
وأخرجه الحميدى فى «مسنده» (١/ص ١٨١) حديث رقم: (٣٦٩) من طريق عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول . . . . به.
وكان لفظه: (من قال: لا إله إلا الله مخلصا من قلبه لم تمسه النار).

بينّ أن الإيمان هو الإقرار مع تصديق القلب، وخالصةً دون العمل، وأجمعوا أنّ من آمن وصدق، ومات قبل وجود الأعمال منه مات مؤمنًا، وكذلك من آمن وصدق فى أقصى الترك وعاش سنين ولم يعلم الشرائع ثم مات فهو مؤمن، وكذلك سحرة فرعون آمنوا ولم يعملوا، إيمانهم تام مكمّل، ولو كان[1] الأعمال من الإيمان لما حكمنا بكونهم مؤمنين بمجرد الإقرار، ولو كانت واقعًا على مجموع التصديق والإقرار لأوجب ذلك زوال الإيمان بزوال بعض الايمان وبزوال كلها.

و قد اتفق أهل السنة و الجماعة على أن الله تعالى ما أنعم على الكفار بالهداية و الإيمان [٢١٧] واختلفوا فى أنه هل أنعم عليهم بالمنافع والملاذ العاجلة أم لا؟ وكذا اتفقوا أنه أنعم على المؤمنين بالهداية والإيمان واختلفوا فى أنه هل أنعم عليهم بالأمراض والأسقام الشدائد والمحن .

قال: هذه الأشياء نعمة فى حقهم ومحنة؛ فالجملة فى ذلك أن كل نفع وضرر يوصل العبد إلى الطاعات، ونعم الأبد فهو نعمة ظاهرًا وباطنًا، وكل مالا يوصله إلى ذلك أو يوصله إلى اكتساب المعاصى فهو نعمة فى الظاهر و نقمة فى الباطن.

وكذا اتفقوا على أن الله تعالى لو أدخل جميع الخلائق إلى الجنة من غير طاعة ولا سابقة عمل منهم يكون ذلك حسنا وحكمة، ولو أدخلهم النار من غير معصية ولا عاقبة عمل هل يحسن ذلك؟.

قال بعض أهل السنة والجماعة: يجوز ولو فعل ذلك يكون حسنًا وحكمة وعدلاً وتصرفًا فى ملكه.

وقد ثبت أن الإيمان غير العمل، والعمل غير الإيمان كما أن الكفر معصية وليس كل معصية كفر، فكذلك قلنا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولأن الإيمان يجوز أن نقول فى موضع يحسن أو يقول وهو جنب، ولا يجوز العمل فى موضع نجس أو فى حالة الجنابة؛ ولأن كثيرًا من الأوقات يرتفع العمل من المؤمن، ولا يجوز أن يرتفع الإيمان، [٢١٨] كالحائض أمرها الله بترك الصلاة، ولا يجوز أن يقال: أمرها بترك الإيمان، وقد قيل لها: دعى الصوم ثم اقضيه ولا يقال: دعى الإيمان، ثم اقضيه.

---

(١) [كان] كذا بالأصل، والصحيح [كانت].

ويجوز أن يقول: ليس على الفقراء زكاة، ولا يجوز أن يقال: ليس عليهم إيمان، فالأعمال شرائع الإيمان لا من الإيمان؛ لأن الإيمان تصديق والأعمال ليست من التصديق فى شىء، وقال الشافعى، رحمه الله تعالى: العمل من الإيمان، وكذا قال: الإيمان يزيد وينقص، واحتج بقوله: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**﴾ [الأنفال: ٢].

ونحن نقول: معنى الإيمان ها هنا التصديق إيمانا أى تصديقًا، فهذا القول يؤدى إلى إبطال خطاب الله تعالى، لأن الله تعالى إنما خاطب بالعمل من علم إيمانه حيث قال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة**﴾ إلى آخره [المائدة: ٦].

فلما كان الوضوء والصلاة والزكاة من الإيمان يدخل فى خطاب الإيمان ويبطل خطاب الأمر والعمل ويتوجه عليه خطاب الأمر بالعمل بعد الموت، والموت قاطع للعمل يدل عليه أن الله تعالى شرط العمل الصالح مع الإيمان وأعطى الثواب بقوله: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ [البقرة: ٢٧٧]. وقال: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا**﴾ [٢١٩] [مريم: ٦٠].

ويدل عليه أن الإيمان محلّه القلب والعمل محلّه الجوارح فمن جعل أحدهما من الآخر فقد أبعد النجعة؛ لأنه فوّت محله ﴿**كفى به شهيداً**﴾ [الأحقاف: ٨]. وقوله: إن الإيمان أن تشهد أن لا إله إلا الله وتشهد أن محمدًا رسول الله فلم يفرض الله الأعمال بذلك إلى أحد، ثم بعده الأعمال وليس به مفروض موصول مع الإيمان ومن لم يرها فرضًا كان فاسقًا وجبريًا ومباحيًا.

ومن قال: لا أعرف أنّ الله تعالى فرض علىّ الصلاة والصيام والزكاة والحج كفر؛ لأن الفرض منصوص عليه، قال الله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ [البقرة: ٤٣]. وإن قال: أؤمن بهذه الآية ولا أعلم تأويلها ولا تفسيرها لا يكفر؛ لأنه صدق بالتنزيل وإن كان مخطئًا فى التأويل.

وعلى هذا دلائل كثيرة بالكتاب والخبر والأحكام والشواهد؛ أمّا الكتاب قوله تعالى: ﴿**آمنوا بالله**﴾ ولم يقل اعملوا لله ولرسوله وقال تعالى: ﴿**آمنوا بى وبرسولى**﴾ ولم يذكر العمل، وأما الخبر: قال النبى ﷺ لأبى الدرداء: «اذهب وناد من قال: لا إله إلاّ الله خالصًا مخلصًا دخل الجنة».

يعنى من قال بإخلاص القلب، قال أبو الدرداء: يا رسول الله وإن زنا [٢٢٠] وسرق، إلى ثلاث مرات[١]. وخبر آخر أن جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ فقال: «يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى»[٢].

ولم يذكر العمل فهذه ست كلمات فرضت على اللسان وخمس كلمات فرضت على القلب، وهو أن يعرف أن الله واحد لا ثانى له، وهو خالق الخلق، ورازقهم، وحافظهم ومحولهم من حال إلى حال.

ثم قال: «ما الإسلام؟» قال: «أن تقيم الصلاة وأن تؤتى الزكاة وأن تصوم شهر رمضان وأن تحج البيت».

---

(١) أخرجه النسائى فى: «عمل اليوم والليلة»: (ص/٦٠١) حديث رقم: (١١٢٤، ١١٢٥) من طريق قتيبة عن زيد بن وهب . . . . به.
وأخرجه البخارى فى كتاب: «الرقاق» باب: (المكثرون هم المقلون): (١١/ص٣٠٥) حديث رقم: (٦٤٤٣) من طريق زيد بن وهب الجهنى عن أبى ذر وقال: حديث أبى الدرداء مرسلٌ لا يصح إنما أردنا المعرفة، والصحيح حديث أبى ذر قيل لأبى عبد الله: حديث عطاء بن يسار عن أبى الدرداء قال: مرسلٌ أيضًا لا يصح والصحيح حديث أبى ذر.
وذكره الإمام أحمد فى «مسنده»: (٦/ص٤٤٢) من طريق ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله ... به.
وأورده الزبيدى فى: «الإتحاف»: (٥/ص ٢٥) من طريق إسحاق بن أبى طلحة عن أبيه عن جده من حديث أبى الدرداء . . . به.
(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: «التفسير» باب: (تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾). (٨/ص ٣٧٣) حديث رقم (٤٧٧٧) من طريق أبى زرعة عن أبى هريرة.... به.
وأخرجه مسلم فى كتاب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان): (١/٥/ص ٣٩) من طريق أبى زرعة عن عمرو بن جرير عن أبى هريرة . . . . به.
وأبو داود فى كتاب: «السنة» باب: (فى القدر): (٤/ص ٢٢٢) حديث رقم: (٤٦٩٥) من طريق يحيى بن يعمر . . . . به (مطوّلا).
وأخرجه ابن ماجه فى كتاب: «المقدمة» باب: (فى الإيمان) (١/ص ٢٤) حديث رقم (٦٣). من طريق يحيى بن يعمر عن عمر . . . . . به.
وفى نفس المصدر السابق حديث رقم (٦٤) من طريق أبى زرعة، عن أبى هريرة . . . . به.
والإمام أحمد فى «مسنده»: (٢/ص ١٠٧) من طريق يحيى بن يعمر قلت لابن عمر . . . به.

ألا ترى أنه سأل الإيمان على حدة والشرائع على حدة، فأصل الشرائع يدور على عشر مراتب خمس على الجوارح: الصّلاة، والصّوم، والحج، والوضوء للصلاة، والاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس.

وخمس على خارج الجوارح: الزكاة، وطاعة الأمراء والسلاطين، وطاعة الأئمة والمؤذنين، والمسح على الخفين.

ثم اختلف المشايخ فى الإيمان و الإسلام؟ قال بعضهم: هما واحد، فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن. وقال بعضهم: هما متغايران(١)؛ فالإيمان إقرار بوحدانية الله تعالى وتصديق بالجنان.

والإسلام هو الدّين والدّين هو الإسلام، فدين الله تعالى فى السماء والأرض [٢٢١] واحد كما قال الله: ﴿**ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ [المائدة: ٣]. وقوله: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [آل عمران: ١٩] فمراد الإسلام الانقياد لأوامره، والاجتناب عن نواهيه.

وأما الإحسان فله جوابان؛ الأول: هو الإحسان إلى خلق الله تعالى والشفقة عليهم بلامنّة.

والثانى: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وقيل: الدين هو الثبات على الإيمان والمعرفة والتوحيد والشريعة قد بينا الإيمان، وأما معرفة الله تعالى بلا كيف ولا كيفية ولا تشبيه ولا تعطيل.

وأما التوحيد: هو إقرار من وحد ربه أنه واحد بلا ابتداء بالإخلاص من غير تشبيه ولا تعطيل، ويعلم أنه أول لا أول له، وآخر لا آخر له وواحد لا شريك له.

وأما الشريعة: فهى الانقياد لربه بتقديم أوامره والاجتناب عن نواهيه.

وقال أبو منصور الماتريدى: الإسلام معرفة الله تعالى بلا كيف محلّه الصدر ومصداقه قوله تعالى: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾ [الزمر: ٢٢]. والإيمان معرفة الله تعالى

---

(١) الصحيح: هو أن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن لقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾

بلا أثنية ولا هيئة ومحله القلب، وقال تعالى: ﴿**حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم**﴾ [الحجرات: ٧].

والقلب داخل الصدر، والمعرفة معرفة الله تعالى بصفاته ومحلها الفؤاد وهو داخل القلب، والتوحيد معرفة الله تعالى **بالواحدانية** [٢٢٢] ومحله السر وهو داخل الفؤاد، وهذا معنى قوله: ﴿**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة**﴾ [النور: ٣٥].

جعل الصدر بمنزلة المشكاة، والقلب بمنزلة الزجاجة، والفؤاد بمنزلة المصباح، والسر بمنزلة الشجرة، وداخل السر موضع يقال له: خفى، وهو موضع نور الهداية، ولا صنع للعبد فيه سوى أن الله تعالى إذا أراد أن يهدى عبده الضال يلقى نوره فى الخفى فيتلألأ، وهو معنى قوله: ﴿**فهو على نور من ربه**﴾ [الزمر: ٢٢].

ثم يتلألأ النور إلى السر فيقوى العبد فى فعل الخير بالتوحيد فيوحّد الله تعالى ويتبرأ عن الأصنام، ثم لا يسكن ذلك النور بل يتلألأ إلى الفؤاد فيقوى فى فعل المعرفة فيصير بجميع صفاته، ثم يتلألأ ذلك النور إلى القلب فيقوى فى فعل الإيمان ثم يتلألأ ذلك النور إلى الصدر فيقوى فى فعل الإسلام، ثم ينتشر ذلك النور فى الأعضاء فيتقاضى العبد بالاجتناب عن المعاصى والائتمار بالأوامر فيكون العبد مؤمنًا تقيًا حتى دخل قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات: ١٣].

وقيل للنبى ﷺ: من آلك؟ قال: «كل مؤمن تقى»(١).

فإن لم يجده إلى ذلك(٢) زال عنه التقوى واتسم بِسِمَة الفسق بارتكاب المعاصى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب «الأدب» باب: (تبل الرحم ببلالها): (١٠/ص ٤٣٢) حديث رقم (٥٩٩٠) بمعناه من طريق قيس بن أبى حازم أن عمرو بن العاص قال . . . به.

ومسلم فى كتاب: «الإيمان» باب «موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم»: (٣٦٦/١/ص ١٩٧) من طريق عمرو بن العاص عن النبى ﷺ بمعناه.

وأبو داود مطولاً فى كتاب: «الفتن» باب: (ذكر الفتن ودلائلها فيما معناه): (٤٢٤٢) من طريق عمير بن هانى العنبسى قال: سمعت عبد الله بن عمر . . . . به.

وأخرجه الإمام أحمد فى «مسنده»: (٤/ص ٢٠٣) من طريق قيس بن أبى حازم أن عمرو بن العاص . . . . به.

(٢) قوله [فإن لم يجده إلى ذلك] كذا أثبتناه، ولكن فى الأصل [للى ذلك] ولعل الصواب [لإلى ذلك] والله أعلم

يخاف عليه لفسقه[٢٢٣]، ويرجى لمحض إيمانه، فإذا صار هاهنا عقود أربعة التوحيد والمعرفة والإيمان والإسلام إذا اجتمعت صارت دينًا، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [آل عمران: ١٩] فأشار(١) فى الكتاب ليست بواحدة ولا مغايرة.

وأبو منصور ذكر الحقيقة وقال: من استيقن بهذا وأقر إن كان هو فى إمكان من الإقرار فهو مؤمن، لأنه عقد على الصواب.

وأما الخبر المروى فى الإيمان والإسلام عن النبى ﷺ من سؤال جبريل عليه السلام وقد ذكرناه، وقد ثبت الدليل فى الكتاب والخبر لأن [. . . .](٢) ليست من الإيمان(٣).

وأما الأحكام(٤) ألا ترى أن النبى ﷺ أمر بالحج من [. . . .](٥) ولم يأمر بالإيمان، ولو جار المسلم وترك الصلاة والصوم والزكاة يعطى [. . . .](٦) [كل صلاة ويصوم كل يوم حنطة ويؤدى الزكاة من حال](٧)، ولو مات الكافر وترك ملء الدنيا ذهبًا وتصدقوا عنه لا ينفع ذلك؛ لأن الإيمان سوى الطاعة ولو كانت الطاعة من الإيمان لكان جاز قضاء الإيمان بعد الموت كما يجوز قضاء الطاعات، قال الله تعالى: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾ [المائدة: ٤٨].

فكان لكل نبى شريعة سوى ما كان [٢٢٤] للآخر، فلما كان الأنبياء عليهم السلام إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. علمنا أن الإيمان غير العمل وأما الشواهد ألا ترى أن الإيمان على الدوام وليس العمل على الدوام؛ لأنه لو صلى قبل الوقت أو صام قبل شهر رمضان لا يجوز ولو أن كافرًا عمل جميع الطاعات قبل أن يؤمن لا يصير مؤمنًا، لأن الإيمان قبل العمل، والإيمان على الدوام.

والأعمال بالأوقات ألا ترى أن المؤمنين فى الجنة مؤمنون بغير العمل، لأنه ليس لهم

---

(١) [فأشار] كذا بالأصل ولعل الصواب [فإشارته].

(٢) ما بين المعقوفتين طمس، بالمخطوط وهو عبارة عن كلمات مضبب عليها ولعلها [الافعال].

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) فى الأصل كلمة غير واضحة، ولعلها [الأحكام] كما أثبتنا ولعلها [الأركان]. والله أعلم

(٥) ما بين المعقوفتين كلام غير واضح. ولعلها كلمة [المرئ]

(٦) ما بين المعقوفتين كلام غير واضح.

(٧) ما بين المعقوفتين كلام غير واضح الفهم فى الأصل وأثبتناه برسمها كما هى.

فى الجنة عمل بل يكون على إيمان تامًا لا ترى لو كان العمل من الإيمان لكـان يجـوز أن يعمل أحد لرسول الله ﷺ ويصلى لله لأن الإيمان فرض بمحمد ﷺ، ولما علمنا أن العمـل لا يجوز على النبى ﷺ كما يجوز لله صَحّ أنَّ الإيمان غير العمل والعمل غير الإيمان.

* * *

٤٥- باب لا يكفر المسلم بذنب مالم يستحله

وَلاَ يُقْضَى بِكُفْرٍ وَارْتِدَادٍ بِعهْرٍ أَوْ بِقَتْلٍ وَاخْتِزَالِ

واعلم أن العبد لا يكفر بقتل النفس والشرب والكذب والغيبة والنميمة وأكل الحرام والشبهة والبهتان وضرب العود والدّف والمزمار والطنبور والغناء والنوح والقمار، وغير ذلك من الملاهى [٢٢٥] «ولا بعهر واختزال»: يعنى بالزنا والغضب ولا بكل السرقة والشتيمة لمسلم وبكل ذنب ارتكبه وإن كان من الكبائر فإن قتل النفس خطأ وجب عليه الدّية والكفارة، وإن قتله متعمدًا يجب عليه القصاص فلا نكفر أهل القبلة بذلك كله مالم يستحله ويستخف ما نهى عنه بل لغفلة شهوة أو حمية أو كسل أو رجاء لعفو من الله تعالى يرجو أن يغفر ويخاف أن يعذّبه، فإنه مؤمن وإيمانه باق فلم يزل عنه ولم يخرج منه ولم ينقص، ولكن الذنوب تضر صاحبه(١).

ومن قال: إن المؤمن لا يضره الذنوب مع الإيمان كان مباحيًّا وفلاسفة؛ لأنهم قالوا: لا يعاقب مسلم على الذنب كما أن الحسنة لا تنفع مع الكفر والسيئة لا تضر مع الإيمان.

وإن قال: يكفر به كان حروريًّا وخارجيًّا فإنهم قالوا: إذا ارتكب المؤمن كبيرة من الكبائر يكفر ويزول عنه الإيمان، وصاحب الصغيرة مؤمن لا يزول إيمانه؛ لأنه من اجتنب الكبائر استحق مغفرة الصغائر، وبعضهم لم يفرق بين الصغيرة والكبيرة، وبعضهم قالوا: إنه منافق.

وقالت القدرية والمعتزلة: يخرج بها من الإيمان ولا يدخل فى الكفر ويكون بين [٢٢٦] الكفر والإيمان، فإن تاب ورجع عنها يدخل فى حيز الإيمان، يعنى فى حسن الإيمان، وإن مات قبل أن يتوب منها دخل فى حيز الكفر ويخلد فى النار واحتجتا بقوله تعالى: ﴿**ومن قتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها**﴾ [النساء: ٩٣].

أخبر الله تعالى أنه يخلد فى النار والخلود المقطوع إنما هو للكافر، ونحن نقول لهم: إنما قلتم واحتججتم بهذه الآية لوغادتكم ومخالفتكم الإجماع، فلو ساعدتكم السعادة

---

(١) [صاحبه] كذا فى الأصل، والصواب [صاحبها].

لاتبعتم عليه وما ابتدعتم وخالفتم الصحابة، رضى الله عنهم؛ لأن الصحابة ومن بعدهم من أهل التفسير أجمعوا على أنّ المراد بالآية استحلال القتل، وهكذا قال ابن عباس، رضى الله عنه: وهو ترجمان القرآن، وعلى أن لا نسلم أن الخلود يعبّر به عن الأبد، وإنّما يعبر عن طول الزّمان، وقد اجتمعت على هذا أرباب اللسان وأصحاب البيان؛ لأنه لا يقال أخلد الأمير فلانًا فى السجن أى أطال حبسه، وقال الله تعالى خبرًا عن بلعم: ﴿**ولكنه أخلد إلى الأرض**﴾ [الأعراف: ١٧٦].

أى مال إليها واطمأن بها، ولو كان المذنب كافرًا بذنبه لما سماه الله مؤمنًا، فلما سماه الله تعالى، للمذنب مؤمنًا، وأمره بالتوبة من الذنب والتوبة بدون [٢٢٧] الذنب لا يتحقق علينا أن ذنب المؤمن مغفور قال الله تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا**﴾ [مريم: ٦٠].

وقوله: ﴿**إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا**﴾ [سبأ: ٣٧]. سماهم مؤمنين حقيقة؛ لأنهم قد عملوا كثيرًا من الصالحات، فدخلوا تحت النصوص المطلقة[1]، وإذا ثبت دخولهم الجنة ثبت خلودهم فيها بالنصوص لا حاجة إلى بيانها، فالداخل فى الجنة قبل الاحتراق وبعده لأن النبى ﷺ قال: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان»[2].

---

(١) [المطلقة] كذا أثبتناها، وفى الأصل [المطلق].

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: «التوحيد» باب: (كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم). (١٣/ص ٥٧٣) حديث رقم: (٧٥٠٩) من طريق أبى بكر بن عياش عن حميد قال: سمعت أنسًا بلفظ: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يارب أدخل الجنة من كان فى قلبه خردلة فيدخلون ثم أقول: أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شىء».

فقال أنس: كأنى انظر إلى أصابع النبى ﷺ.

وأخرجه مسلم فى كتاب: «الإيمان» باب: (تحريم الكبر وبيانه): (١٤٨/١/ ص ٩٣). من طريق علقمة عن عبد الله قال ولفظه: «لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان». وزاد فيه: «لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من كبرياء».

وأخرجه الترمذى فى كتاب: «صفة جهنم» باب «من قصة آخر أهل النار خروجًا»: (٤/ص ٦١٥) حديث رقم: (٢٥٩٨) من طريق عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى وزاد عليه: «فمن شك فليقرأ ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾». =

أى من اليقين، وقال عليه السلام: «يخرج بشفاعتى من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله»[(١)]. وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»[(٢)] لأن ثواب الإيمان أكثر

=وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه: فى كتاب «الزهد» باب (البراءة من الكبر والتواضع) (٢/ص ١٣٩٧) حديث رقم: (٤١٧٣) من طريق علقمة عن عبد الله ولفظه: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: «الرقاق» باب: (صفة الجنة والنار): (١١/ص ٤٩٧) حديث رقم: (٦٥٥٨) من طريق عمرو عن جابر ولفظه: «يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير». قلت: وما الثعارير؟ قال: «الضغابيس»، وكان قد سقط منه، فقلت لعمرو بن دينار: أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول: «سمعت النبى يقول: «يخرج بالشفاعة من النار قال: نعم».

ومسلم فى كتاب: «الإيمان» باب: (أدنى أهل الجنة منزلة فيها): (٣١٨/١/ص ١٧٨) من طريق عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله يحدث عن رسول الله ﷺ: «إن الله يخرج قومًا من النار بالشفاعة؟ قال: نعم».

وأبو داود فى كتاب: «السنة» باب: (فى الشفاعة): (٤/ص ٢٣٦) حديث رقم: (٤٧٤٠) من طريق عمران بن حصين عن النبى ﷺ ولفظه: «يخرج من النار بشفاعة محمد قوم فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين».

والترمذى فى كتاب: «صفة جهنم» باب منه (حدثنا هناد): (٤/ص ٦١٦) حديث رقم: (٢٦٠٠) من طريق عمران بن جهينة عن النبى ﷺ . . . به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه فى كتاب: «الزهد» باب: (ذكر الشفاعة): (٢/ص ١٤٤٣) حديث رقم: (٤٣١٥) من طريق عمران بن جهينة عن النبى ﷺ. ولفظه: «ليخرجن قوم من النار بشفاعتى يسمون الجهنميين».

(٢) أخرجه الحاكم فى «المستدرك»: (٤/ص ٢٥١) من طريق: عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى عن أبيه عن جده، رضى الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. شاهد لحديث سليمان ابن هرم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى. وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد»: (١/ص ١٨) من طريق أبى سعيد الخدرى . . . . به. وقال: «رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه أبو مشرح أو مشرس لم أقف له على ترجمة». وأورده المنذرى فى: «الترغيب والترهيب»: (٢/ص ٤٢٢) حديث رقم (٥) من طريق عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه عن جده . . . . به.

وأورده الأصفهانى فى: «حلية الأولياء»: (٧/ص ١٧٤) من طريق صدقة عن أنس بن مالك أنّ النبى ﷺ قال لمعاذ بن جبل . . . . به. =

من الكبيرة لأن الإيمان حسنة والكبيرة سيئة، فالحسنة بعشرة إلى سبعمائة ضعف بالنص والسيئة بواحدة.

فلو قلتم بالخلود فى النار لصار عذاب الكبيرة أكثر من ثواب الحسنة، فهذا باطل، ولم يغفر الذنب للمذنب لما قال الله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء: ٤٨]. وقال عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[(١)].

=وأورده الزبيدى فى كتاب : «إتحاف السادة المتقين»: (٥/ص ٢٥) من طريق: إسحاق بن أبى طلحة الأنصارى عن أبيه عن جده وقال: ولفظه: «من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة».
ومنه ما رواه أحمد والبزار والطبرانى من حديث أبى الدرداء: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن سرق وفى الثالثة على رغم أنف أبى الدرداء. ا.هـ.

(١) أخرجه ابن ماجه فى كتاب: «الزهد» باب: (ذكر التوبة): (٢/ص ١٤٢٠) حديث رقم: (٤٢٥٠) من طريق: أبى عبيدة بن عبد الله عن أبيه . . . به. وقال: السند فى الحديث ذكره صاحب الزوائد فى زوائده وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات، ثم ضرب ما قال وأبقى الحديث على الحال.
وفى «المقاصد الحسنة»: رواه ابن ماجه، والطبرانى فى «الكبير»، والبيهقى فى «الشعب» من طريق أبى عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه رفعه ورجاله ثقات بل حسنه شيخنا، يعنى لشواهده - وإلا فأبو عبيدة جزم عليه غير واحد بأنه لم يسمع من أبيه.
وأورده البيهقى فى «السنن الكبرى»: (١٠/ص ١٥٤) من طريق عبد الكريم الجزرى عن أبى عبيدة عن عبد الله، رضى الله عنه . . . به.
كذا قال: وهو وهم والحديث عن عبد الكريم عن زياد بن أبى مريم عن عبد الله بن معقل عن ابن مسعود كما تقدم.
وروى من أوجه ضعيفة بهذا اللفظ وفيما ذكرناه كفاية.
وأورده العلجلونى فى كتاب «كشف الخفاء»: (١/ص ٣٥١) حديث رقم: (٩٤٤) وقال ما قاله ابن ماجه.
وأورده الألبانى فى: «سلسلة الأحاديث الضعيفة»: (٢/ص ٨٢) حديث رقم: (٦١٥). وقال: ضعيف رواه القشيرى فى: «الرسالة» (ص ٥٩) ومن طريق ابن النجار: (١/١٦١/٢)، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك، أخبرنا أحمد بن محمود بن خرذاذ قال: حدثنا محمد بن فضيل ابن جابر قال: حدثنا سعيد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن زكريا قال: حدثنى أبى قال:=

وقال: «التوبة تمحو الحوبة». وقال عليه السلام: «من أذنب ذنبًا وهو عالم أنّ له ربًّا يغفر له فقد غفر [٢٢٨] لـه»[1]؛ ولأن الله تعالى عفو غفور كريم فالعفو والمغفرة

=سمعت أنس بن مالك: فذكره مرفوعًا.

والنصف الأول من الحديث له شواهد من حديث عبد الله بن مسعود، وأبى سعيد الأنصارى أما حديث ابن مسعود، فأخرجه أبو عروبة فى حديثه: (ف ١٠٠/٢) والطبرانى فى: «المعجم الكبير»: (٣/٧١/١) وعنه أبو نعيم فى: «الحلية»: (٢١٠/٤) والقضاعى فى «مسند الشهاب»: (١/٢/١)، والسهمى فى «تاريخ جرجان»: (٣٥٨) من طريق عبد الكريم الجزرى، عن أبى عبيدة عنه . . . . به. وكذلك أورده المنذرى فى «الترغيب والترهيب»: (٤/ص ٩٧) حديث رقم (١٩) من طريق عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، وقال: رواه ابن ماجه، والطبرانى كلاهما من رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، ولم يسمع منه.

ورواة الطبرانى ورواته رواة الصحيح.

ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى مرفوعًا أيضًا من حديث ابن عباس . . . . به.

(١) الشطر الأول: «التوبة تمحو الحوبة»: أخرجه الأصفهانى فى «حلية الأولياء»: (٥/ص ١٨٩) بلفظ: «التوبة تغسل الحوبة». وأما الشطر الثانى وهو: «من أذنب ذنبا وهو عالم أنَّ له. . . . الحديث».

أخرجه الحاكم فى «المستدرك»: (٤/ص ٢٤٢) من طريق أبى طوالة عن أنس . . . . به. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

وقال: صحيح الإسناد ورده الذهبى بقوله: «قلت: لا والله ومن جابر حتى يكون حجة بل هو نكرة وحديثه منكر».

وقال فى ترجمة جابر من «الميزان»: «متهم، حدث عنه قتيبة بن سعيد وعلى بن بحر بما لا يشبه حديث الثقات، قاله ابن حبان».

وأورده الألبانى فى: «سلسلة الأحاديث الضعيفة»: (١/ص ٣٣٢) حديث رقم (٣٢٤) وقال الألبانى: موضوع، وقال: أخرجه أبو الشيخ فى أحاديثه (٢/١٨) والطبرانى فى حديثه عن النسائى»: (١/٣١٣)، وابن حبان فى «الثقات»: (١٥٠/٢) وأبو نعيم فى الحلية: (٢٨٦/٨) ومشرف بن عبد الله الفقيه فى «حديثه» (٢/٦) من طريق جابر بن مرزوق المكى عن عبد الله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر إسماعيل بن الخطاب عن أبى طوالة عن أنس مرفوعًا.

وقال الألبانى: «ويغنى عن هذا الحديث ما أخرجه الحاكم قبيل هذا، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال: يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه عز وجل: علم عبدى أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له . . .» الحديث. وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وهو كما قالا». ا.هـ. =

والكرم والرحمة إنما تتحقق فى رفع العقوبة عَمّن هو جائز التعذيب بسبب الجناية، وأما الآيات والأخبار من إثبات الخلود فى النار فذلك محمول على المستحل، فما لم يستحل لا يحكم بكفره، وكذا تارك الصّلاة، ولا يكفر مالم يستحل تركها، ومن قال بقتله أن يُقتل زجرًا وسياسة، لا أنه يكفر بتركها غير مستحل بها، وخبر النبى ﷺ: «من ترك الصلاة عامدًا متعمدًا فقد كفر»(١).

قلنا: مراده التعمد المنكر، وفى حديث آخر: «بين الإيمان والكفر ترك الصلاة» ومن ترك الصلاة فقد خرج عن دين الله.

قلنا: تأويل الخبر كتأويل الآية على ما بينّا من الدليل على أنّ الإيمان لا يرتفع بالكبيرة

=وأورده الهندى فى «كنز العمال»: (٤/ص ٢١٩) حديث رقم: (١٠٢٤٣) من طريق أنس . . . به.

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف» (٥/ص ٦٠) من طريق جابر بن مرزوق، عن عبد الله العمرى عن أبى طوالة، عن أنس مرفوعًا، وقال: وفى جابر بن مرزوق نكرة . . . .» ا.هـ.

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «الإيمان» باب: (ما جاء فى ترك الصلاة) (٥/ص ١٥) حديث رقم (٢٦٢١) من طريق الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر».

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

والنسائى فى كتاب: «الصلاة» باب (الحكم فى تارك الصلاة): حديث رقم (٤٦٢) من طريق عبد الله بن بريدة، عن أبيه بنفس لفظ الترمذى. . . . به.

وابن ماجه فى كتاب: «إقامة الصلاة» باب: (ما جاء فيمن ترك الصلاة) (١/ ص ٣٤٢) حديث رقم (١٠٧٩) من طريق عبد الله بن بريدة، عن أبيه . . . به وكذلك أورده ابن ماجه فى المصدر السابق: (١/ص ٣٤٢) حديث رقم: (١٠٧٨) من طريق جابر بن عبد الله قال: ولفظه: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة».

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف» بلفظه فى (٣/ص ١٠).

وقال العراقى: أخرجه البزار من حديث أبى الدرداء بإسناد فيه مقال. ا.هـ.

قلت: وعند الطبرانى من حديث أنس: «من ترك الصلاة متعمدًا فقد كفر جهارًا» فلم أجد ترجمته، وذكر ابن حبان محمد بن أبى داود البغدادى فما أدرى هو أم لا؟ . . . ا.هـ.

أورده الأصفهانى فى «حلية الأولياء» (٧/ص ٢٥٤) بلفظ: «من ترك صلاة متعمدًا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها».

من طريق عطية عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ . . . . به.

وصاحبها مع فسقه مؤمن لا يخرجه فسقه عن الإيمان ولا يدخل فى الكفر ولا له منزلة بين الكفر والإيمان ولا بين الجنة والنيران ولا نشهد عليه بالكفر ولا بالشرك ولا بالنفاق ما لم يظهر منه شيء من ذلك ونذر سرائره إلى الله تعالى، ونرجو للمحسنين من أن يغفر الله لهم وفى الجنة يدخلهم، ولا نأمن عليهم وندعو لهم ونستغفر لمسيئهم، ولا نقنطهم فالقنوط والإياس ينقلان عن الملة، ويخرجان عن نهج الأمة وسبيل الحق بينهما ولا نخرج المؤمن [٢٢٩] المصدق من الإيمان إلاّ بجحود ما أدخله فيه، ولو ارتكب الصغيرة والكبيرة غير مستحل بمن نهى عنها بل باعتقاد الحرمة وخوف العقوبة ورجاء العفو والمغفرة فهذا سمة المؤمن، ويكون بما معه مع الإيمان ولا يزول عنه التصديق، ولا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يصير بها مكذبا، ولا جاحدًا، ولا مبطلا، ولا كافرًا، ولا منافقًا؛ لأن ثبوت هذه الأسامى إنما يكون بزوال التصديق، والتصديق باق لكنه صار خارجًا عن بعض لوازم الشرع ونواهيه، فكان فاسقًا مع بقائه مؤمنًا بتلك الكبائر، ولا يجوز أن يسمى المؤمن فاسقًا على الإطلاق؛ لأنه مطيع من وجوه كثيرة، وإن كان عمله عمل الفاسق ولا يسمى الدين، فكان ما أتى به من الطاعات مطيعًا وبما أتى به من المعاصى عاصيًا، ولو خرج من الدنيا من غير توبة، وقد ختم له على الإيمان، فلا يجوز أن يقال: إن الله يعاقب لا محالة، ولا يقال: يعفو لا محالة، فهو فى مشيئة الله تعالى فعاقبته الجنة لا محالة، والدليل على أنه مؤمن قوله تعالى: ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ [الحجرات: ٦].

أمر بالتثبيت فى نبأ الفاسق، فلو صار كافرًا لنهى عن قبول شهادته، وقوله تعالى: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون**﴾ [النور: ٣١]. وقوله: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾ [٢٣٠] [الحجرات: ٩]. إلى قوله: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ [الحجرات: ١٠].

فسماه مؤمنًا مع وجود الكبيرة منه، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى**﴾ إلى قوله: ﴿**فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**﴾ [البقرة: ١٧٨].

ومع هذا سماه مؤمنًا وبقاء الأخ للثابت بينه وبين أولياء القتل وبقائه أهلاً للرحمة

وقال عليه السلام: «اقرؤوا القرآن وسموا أنفسكم مؤمنين فوالذى نفسى بيده كما أن الكافر لا ينفع عمله لا يخرجه من الكفر فكذلك لا يخرج المؤمن من دينه من الإيمان».

وفى حديث ماعز أيضًا، حين أقر بالزنا بين يدى الرسول الله ﷺ، فلو صار مرتدًا لأمر بقتله قبل أن يسترجعه. والمعنى فيه أنّ الإيمان محلّه القلب، والمعاصى محلها الأعضاء وهذا فى محلين مختلفين ولا يتنافيان. وأما قول المرجئة: لا يضره الذنب مع الإيمان؛ لأنها قالت: المؤمن فى الجنة وإن ارتكب الكبائر، واحتجت بقول الشاب الذى جاء إلى معاذ، رضى الله عنه، فقال له: ما تقول فيمن يصلى ويزكّى ويصوم ويجاهد ويعتق غير أنه شك فى الله ورسوله؟.

قال معاذ رضى الله عنه: هو كافر فله النار. وقال: [٢٣١] ما تقول فيمن لايصلى ولا يزكى ولا يصوم ولا يحج بشىء غير أنه مؤمن بالله ورسوله؟ قال: أرجو له وأخاف عليه.

قال الشاب: يا أبا عبد الله كما لا ينفع مع الشرك فكذلك لا يضر مع الإيمان شىء. ثم مضى فقال معاذ: ليس فى هذا الوادى أفقه من هذا الشاب.

ونحن نقول: احتجحتم بقول الشاب، وتركتم قول معاذ؛ لأن قول الشاب خرج جوابا لقول معاذ: أرجو له وأخاف عليه، وكان المراد من قوله: لا يضر مع الإيمان شىء ما هو المراد من قول معاذ: إن الإيمان لا يرتفع مع الكبيرة، والدليل على الخوف أن الله تعالى أمر عباده بالتقوى، قال تعالى: ﴿**وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون**﴾ [المجادلة: ٩]، وقال تعالى: ﴿**يا عباد فاتقون**﴾.

وقولكم يسقط يوجب إسقاط العبودية وتعطيل الربوبية، وذلك جائز والله تعالى أعلم.

* * *

٤٦- باب لا يخلد موحد فى النار

وَذُو الإِيمَـانِ لاَ يَبْقَــى مُقِيمًــا بِسُوءِ الذَّنْبِ فِــى دَارَ اشْتِغَــالِ

واعلم أن المؤمن بارتكاب الكبائر لا يخلد فى النار، ومعنى الاشتغال لهب الجحيم ودركاتها، وأهل الكبائر كلهم مؤمنون فليسوا بكافرين، فإذا ماتوا وهم موحّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله تعالى عارفين [٢٣٢] فهم محسنون نرجو لهم الجنّة، ولا نشهد لهم بالجنة إلاّ من شهد لهم رسول الله ﷺ، والمحسنون إذا فعلوا الحسنات قد طهروا من الذنوب لقوله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ [هود: ١١٤].

فإن الناس يموتون على خمسة أوجه: بعضهم مات كافرًا ومنافقًا فى النيران يبقون فيها خالدين[١] أبدًا بالجوع والعطش مقرنين مع الشياطين مع لباس القطران فى ضيق المكان مقطوع الأثر من طلب الغفران، وبعضهم ماتوا مؤمنين بلا ذنب، وتائبًا من كل عيب فهم فى الجنة بلا عذاب يخلَّدون فيها أبدًا لجزاء الثواب، وبعضهم ماتوا مع الذنوب بكل عيب بلا توبة فهم فى مشيئة الله تعالى إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله وكرمه أو ببركة ما معه من الإيمان والعبادات، كالصلاة والصيام وشفاعة الرسل والأنبياء عليهم السلام، أو بشفاعة واحد من أهل الإسلام أو باستغفار الملائكة الكرام، وإن شاء عذبهم في النار على قدر ذنوبهم بعدله فإن رحمهم بفضله رحمهم، وإن عاقبهم بعدله عاقبهم لا يخلّدهم فيها، ثم يخرجهم منها بعد ما صاروا فحمًا واحترقوا وأوجعوا فيها وتفرقوا فخرجوا منها برحمته أو بشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته [٢٣٣] بمعرفته، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا**﴾ [مريم: ٧١].

قيل: الورود الدخول[٢]، ثم أخبر بخروجه وقال: ﴿**ثم ننجى الذين اتقوا**﴾، أى: فخرج الذين اتقوا الشرك، ﴿**ونذر الظالمين فيها**﴾ [مريم: ٧٢] ، أى: نترك

---

(١) [خالدين] هذا هو الصواب، و فى الأصل [خالدًا].

(٢) قوله [قيل: الورود الدخول] يعنى فى حق العصاة الداخلون النار من أهل القبلة، أما من يدخلوا الجنة ابتداء، فالورود فى حقهم هو المرور والمجاوزة. والله أعلم.

الكافرين فى النار جثيا، فالمؤمنون والكافرون كلهم يدخلون النار، ثم النار تحرق الكافرين وتأخذهم ولا تتركهم فبقوا خالدين لقوله تعالى: ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**﴾ [الحج: ٢٢].

ثم المؤمنون يخرجون ولا يشعرون بها؛ لأن النيران تكون بستانًا تحت أقدامهم، فلما وصلوا إلى الجنة ينادى المنادى: ﴿**ادخلوها بسلام آمنين**﴾ [الحجر: ٤٦].

فلما دخلوها يقولون: يا ربنا قد وعدتنا العبور على الصرّاط، والدخول فى النار، ونحن ما عبرنا الصراط ولا دخلنا النار، فيقال لهم: قد عبرتم الصراط، ودخلتم النار فلم تشعروا به؛ لأن الله تعالى جعل نورًا تحت أقدامكم، فالماشى على النور كيف يشعر، وسامع أصوات الجنان كيف يسمع أصوات النيران لقوله تعالى: ﴿**لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون**﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

وأما القدرية والمعتزلة [٢٣٤] قالوا: أهل الكبائر مخلدون فى النار، وقد ذكرنا الدلائل على بطلانهم، وقد ثبت أن الله تعالى مخرج أهل الكبائر من النار ويبعثهم إلى جنته، ذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته، ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا مولى الإسلام وأهله، سكنا بالإسلام حتى نلقاك به يا أرحم الراحمين.

* * *

٤٧- باب الهم بالكفر كفر

وَمَنْ يَنْوِ ارْتِدَادًا بَعْدَ دَهْرِ يَصِرْ عَنْ دِينِ حَقٍّ ذَا انْسِلَالِ

واعلم: من نوى الكفر يكفر ويخرج عن دين الإسلام فى الحال؛ لأن الهم بالكفر(١) يزيل التصديق، فإذا زال التصديق صار منافقًا، والمنافق كافر، والهم بالكفر غير مغفور بالإجماع؛ لأن الله تعالى عفا عما دون الشرك لا عن الشرك، وأما الهم بالسيئة سيئة، ولكنه مغفور بوعد الله تعالى، هذا عند أهل السنة والجماعة لقوله ﷺ: «من هم بالسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه واحدة»(٢).

وقالت المعتزلة: ليست بمغفرة كالهم بالكفر.

قلنا: هذا الخبر والله أعلم.

* * *

---

(١) قلت: يختلف الهم بالكفر عن الهم بالسيئة؛ لأن الهم بالكفر عمل القلب، والهم بالسيئة عمل الجوارح، فالأول شك وارتياب وهو كفر؛ لأن الإيمان لا يغنى فيه إلا علم اليقين.
أما السيئة: فلا تكتب لأنها لم تخرج من خاطر النفس إلى عمل الجوارح.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب: «الرقاق» باب: (من هم بحسنة أو بسيئة): (١١/ص ٣٣١) حديث رقم: (٦٤٩١) من طريق أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس . . . . به.
ومسلم فى كتاب: «الإيمان» باب: (إذ همّ العبد بحسنة) (١/٢٠٧/ص ١١٨) من طريق أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس . . . به وقد ورد عن أبى هريرة فى نفس المصدر السابق: (١/٢٠٦/ص ١١٨) بلفظ: «مَنْ هَمّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت».
والدارمى فى كتاب: «الرقاق»باب (من هم بحسنة): (٢/ص ٤١٣) حديث رقم: (٢٧٨٦) من طريق أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس . . . . به.
والإمام أحمد فى «مسنده»: (١/ص٢٢٧) من طريق أبى رجاء حدثنى ابن عباس . . . . به. بلفظ: «من هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة».
وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/ص ٧٠) من طريق عبد الله بن مسعود بلفظ: «من هم بخطيئة يعملها فى سوى البيت لم تكتب عليه حتى يعملها ومن هم بخطيئة يعملها فى البيت لم يمته الله حتى يذقه من عذاب الأليم».
وقال: رواه الطبرانى وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك.

٤٨- باب التلفظ بالكفر كفر

وَلَفْـظُ الكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَـادِ   بِطَـوْعٍ رَدُّ دِيـنٍ بِاغْتِفَالِ[(١)]

[٢٣٥] واعلم: أن من تلفظ بلفظ الكفر عن اعتقاد لا شك أنه يكفر وإن لم يعتقد أنها بلفظة الكفر، إلا إن أتى عن اختياره يكفر عند عامة العلماء، ولا يعذر بالجهل.

وقال بعضهم: لا يكفر والجهل معذور وبه يفتى؛ لأن المفتى مأمور أن يميل إلى القول الذى لا يكفر، ولو لم يكن بالجهل معذورًا، لحكم بأن الجهال كفار؛ لأنهم لا يعرفون ألفاظ حبط عمله، كأنه أسلم فى ذلك الحال.

ويقع الفرق بين الزوجين وتجديد النكاح برضاء الزوجة إن كان الكفر من الزوج، وإن كان من الزوجة تجبر على النكاح، وهذا بعد تجديد الإيمان والتبرى من لفظ الكفران، ولو أتى بالشهادة عادة ولم يرجع عمّا قال لا يرتفع الكفر عنه، ويكون وطؤه مع امرأته زنا وولده فى ذلك الحال ولد زنا.

وقال الشافعى: إن مات بالكفر يحبط عمله، وإن يدم على كفره، وجدد الإيمان لم يحبط عمله، ولا يلزم تجديد النكاح وبيانه فى إحباط العمل إذا ارتد المرء والعياذ بالله بعد ما صلى صلاة الوقت ثم أسلم قبل خروج الوقت يقضيها عندنا؛ لأنها حبطت بالكفر، وعنده لا يقضيه.

وقيل: لولا قول الشافعى لحكم العوام كلها بأولاد الزنا؛ لأن [٢٣٦] ألفاظ الكفر لا تخلو من ألسنتهم، ومن أتى بكلمة فجرى على لسانه كلمة الكفر، من غير قصده لا يكفر، وإذا خطر بباله شىء إن يتكلم بها كفر وهو كاره لذلك، وهو على الإيمان، نص على ذلك النبى ﷺ.

* * *

(١) المثبت فى الأصل [باعتقاد] وما أثبتناه كان بالمقابلة مع مجموع المتون.

٤٩- باب ألفاظ يقع بها الكفر(١)

وقد بينَّ العلماء ألفاظ الكفر فى ثلاثة فصول: فى فصل يكفر بالإجماع، وفى فصل قال بعضهم: يكفر، وقال بعضهم: لا يكفر، وفى فصل نخشى عليه الكفر.

* * *

الفصل الأول لفظ يكفر صاحبه بالإجماع(٢)

من تكلم كلمة الكفر فضحك غيره واستحسنه، أو رضى بكفر نفسه، أو وصف الله تعالى بما لا يليق، أو سخر باسمه أو أمره أو أنكر وعده ووعيده.

أو قال: فلان فى عينى كيهودى فى عين الله.

أو قال: يد الله وعنى جارحة.

أو قال: الله تعالى فى السماء العالم أو على العرش أوأراد به المكان وليس له نية.

أو قال: ينظر إلينا ويبصرنا من السماء أو من العرش.

أو قال: هو فى السماء أو على الأرض.

أو قال: لا يخلو منه المكان، الله تعالى فوق وأنت تحت، أو إن ينصف الله تعالى ينصف منك يوم القيامة.

أو قال: الله تعالى قام أو نزل، أو جلس للإنصاف، أو قال: أفعل هذا بلا إن شاء الله.

أو قال: هو من نسيه الله أو منسى عند الله.

أو قال: يا رب اكتفينا رأسًا برأس.

أو قال: أنا كافر أو برى [٢٣٧] من الله أو من النبى ﷺ أو من القرآن، أو من حدود الله، أو من الشرائع أو من الإسلام ولم يعلق بشىء، أو قال: يمينك وضراطك سواء.

أو قال له الخصم: أحاكمك بحكم الله، فقال له: لا أعرف الحكم.

---

(١) هذا العنوان غير موجود فى المخطوط وهو من عندنا.

(٢) هذا العنوان غير موجود فى المخطوط وهو من عندنا.

أو قال: ما يجرى الحكم ها هنا، أو ليس ها هنا يحكم أوها هنا دبّوس[1] أيش يعمل الحكم.

أو قال: أنت أحب إلى من الله أو من النبى ﷺ أو من الدين. أو قال: لو كنت إلها آخذ ظلمى منك. أو قال: الله قد ظلمنى، أو قال: هو ظالم، أو قال: فعل الله فعل الإحسان فى حق الجميع والسوء فى حقى.

أو قال: هو كالآلة، أو قال: الله بالمزاج أو بالقصد.

أو قال: الله فى ست جهات أو قال: الله يوجد فى كل مكان، أو أنكر وشك فى الله، أو فى آية من آيات الله تعالى، أو سخرها أو قرأ القرآن على ضرب دف ومزمار أو غيره.

أو قال: أذهبت بجلد ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [الإخلاص: ١]، أو أخذت زيق ﴿**آلم**﴾[البقرة: ١]، أوقال: يا قصر من ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر: ١].

أو قال: من يقرأ عند المريض يس لا يصح، أو قال: لا يضع القارئ يس فى فمه.

أو من قال: من يقرأ القرآن بالاستهزاء أو ﴿**التفت الساق بالساق**﴾ [القيامة: ٢٩]. أو رأى حاملاً فقال لها: كأسًا ودهاقا.

أو فرغ فكانت سرابًا، أو عند الوزن [٢٣٨] والكيل : ﴿**إذا كالوهم أو وزنوهم**﴾[المطففين: ٣]، بالاستهزاء، أو رأى جمعًا فقال بالاستحقاق: ﴿**وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا**﴾ [الكهف: ٤٧].

أو قال: اجعل بيننا مثل: ﴿**والسماء والطارق**﴾ [الطارق: ١].

أو قال: تعمم بعمامة ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ [الشرح: ١].

أو قال: إلهكم طهر رأس أنفك، وكذا فى نظائرها أو دعى إلى الصلاة. فقال: أنا أصلى وحدى ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أو قال: كل التفشلة لتذهب فإن الله قال: ﴿**فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ [الأنفال: ٤٦].

---

(١) [دبُّوس]: عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٢٧٠).

أو قـال للكراسة: آلة الفساد واللهو، ولـم يقر بكتاب الله.

أو قال: القرآن خطابات جبريل عليه السلام، وينكر وحى الجليل. أو شتم ملـك، أو لـم يقر بالأنبياء والملائكة، أو عاب نبيًّا أو صغر اسم نبى من الأنبياء، أو لـم يرض بسـنته، أو قال: فلان لو كان نبيًّا لا أؤمن به، أو لو أمرنى الله بكذا لـم أفعل، أو صـارت القبلـة إلى هذه الجهة لم أصل إليها.

أو قال: لا أعرف النبى جنيًّا أو إنسيًا، أو أكره على أن يشتم محمدًا فشتم ولم يخطـر بباله اسم غيره أو خطر اسم غيره فلم يقصده وشتم مطلقًا.

أو قال: إن كان ما قيل نزلت الأنبياء حقًا عجب، وينكر زللهم.

أو قال: لو كان فلان نبيا آخذ منه حقى، ولم يبطل الحق.

أو قال: أنا رسول يريد به أداء الرسالة. [٢٣٩] أو قال استخفافًا للنبى: طويل الظفر خلق الثياب جائع البطن كثير النساء.

أو قيل: له: استك أو تقص شاربك؛ فإنه سنة، فقال بالإنكار: لا أفعل.

أو قال: كان النبى ﷺ يحب القرع أو يحب الخل، فقال آخـر: أنـا لا أحبـه. أو روى عن النبى ﷺ أنه قال: «بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة».

فقال الآخر: رآهما ولا أرى بينهما شيئًا.

أو قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الآخر: لا حول ما يغنى أو ما تنفع أو أيـش أعمل بها، أو لا تغنى من جوع. وعطش، أو لا يؤمن من خوف أو لا يثرد فى قصعة.

وكذلك إذا قال عند تسبيح وتهليل وتكبير واستغفار، أو قال: ذهبت بجلـد سبحان الله، أو قال: سرت أو سمع علما فقال غضبا: سمعت هذه الكلمات كثيرًا.

أو قال: باسم الله عند أكل الحرام، أو شربُ الحرام، أو سمع الغناء فقال: هذا ذكـر الله تعالى، أو سمع الأذان فقال: هذا صوت حمار، أو جرس أكذبه أو أعاده علـى وجـه الاستهزاء أو قال: قل لا إله إلا الله فقال: أيش ربحـت هـذه الكلمـات حتـى أقـول، أو نادى لعبد الله: يا عبد إلهك بتصغير.

أو قال لفاعل ذنب: استغفر الله، فقال [٢٤٠] استخفافًا: أيـش فعلـت وأيـش قلـت

حتى استغفر الله أو سخر بالشريعة أو بحكم من أحكامها.

أو قال بعد فراغ صلاته عملت بيكارًا، يعنى سخر، أو قال: من زمان ما عملت بيكارا. أو قال: أكون قوادًا إن صليت وطولت الأمر على نفسى.

أو قال: من يقدر أن يتم هذا الأمر، أو قال عاقل: ما يشرع فى أمر لا يقدر أن يتمه.

أو قال: الناس يعملون الصلاة لأجلى، أو قال: غسلت رأسى من الصلاة، أو قال: أعطيتها للزراعة حتى يزرعها، أو قال: قف حتى يجىء رمضان أصلى جميعها.

أو قال: كم صليت ما أصبت خيرًا، أو قال: أبى وأمى يعيشان فلما صليت ماتا، أو قال: صلاة لا يصلح لى إذا صليت يهلك مالى.

أو قال: صليت أو لا تصلى سواء، أو قال: لا تصلى حتى تجد حلاوة الإيمان، أو قال العبد: لا أصلى إن أصلى يكون الثواب لسيدى.

أو قال: كم هذه الصلاة أصلى فقلبى نفر منها، أو قال بالاستهزاء فى رمضان: هذه الصلاة كثيرة وزيادة كل صلاة على غيرها سبعين صلاة.

أو قال: الصلاة ليس شىء، أو قال: لقيت بحمص أو تنين لم يتغير عجينها، أو قال: هذه فعل اللسان أو فعلك ليس فعل أحد غيرك.

أو قال: رمضان لم يكن فرضًا [١٤٢] آخر، أو قال: هذا الصوم نفر قلبى، منه أو قال: ضيق ثقيل.

أو قيل: لم لا تأمر بالمعروف ولا تنه عن المنكر؟.

فقال: أيش عمل معى، أو قال: أيش تأذيت منى، أو ما يجب على، أو قال: هذا فشار وغوغاء وهذيان على وجه الإنكار، أو اخترت العافية، أو أيش فضولى أنا.

أو قيل له: كُلْ حلالاً فقال: حرام أحب إلىَّ، أو قال: هات أكل الحلال أسجد له، أو قال: يجوز لى الحرام، أوليت الزنا واللواط والظلم حلالا، أو دفع الضر حرامًا.

من قال: مسلم أو ذمى يرجو ثوابًا أو دعى الفقير وهو يعلمه، وآمن المعطى. أو قال: لم تثبت حرمة الخمر بالقرآن، أو قال: أيش أعرف الشريعة ومنها لا تمشى الأمور، وأيش أعمل بالشريعة وعندى دبوس.

أو قال: حين أخذت الدراهم أين كانت الشريعة والقاضى. أو قال: أنا أريد الذهب والفضة أيش أعمل بهذه الأحكام.

أو قال للمبتدع فى المناظرة: إن كان الأمر ما تزعمون نجونا على غير إلزام الحجة أو أصدق كلام أهل الأهواء أو قال: كلام معنوى أو قال: معنى صحيحًا أو أحسن رسوم الكافر.

أو قيل: بارك الله فى كذبك، أو قيل له: لا تكذب فقال: قلت من كلمة الإخلاص.

أو قال: العلم الذى تتعلمون أساطير وحكايات أو هذيان وهباء، أو تزوير، أو قال: أيش أعمل مجلس [٢٤٢] العلم أو علم يثرد فى قصعة، أو قال: فلان الحمار فى فلان علمك، وعنى به علم الدّين، أو وعظ على سبيل الاستهزاء، أو يتصافحون ويضحكون على وعظ العلم.

أو قال لرجل صالح: كن ساكنًا أو متأيبا، أو على مهلك حتى لا يقع وراء الجنة.

أو قال: أيش هذا القبيح الذى حففت شاربك، أو قال: ركبت على طريق المكرى والخدمة.

أو قال: بئس ما أخرجت السنة، أو قال: هو يأكل الناس بهذا الطريق، أو قال: الكفر والإيمان واحد أو لا يرضى بالإيمان، أو قال: لا أدرى أين مصير الكافر وأهل الأهواء، وقال: سخى الكافر وأهل الأهواء يدخل الجنة أو قال: من يعرف إن رحم الله الكافر والشيطان والمنافق وأهل الأهواء، أو قال: سلطانًا فقال له: عظيم.

أو قال: بالعجمى خُدَاى بُزُرَك وهو يعلم تفسيره، أو قال له الكافر: اعرض على الإسلام، فقال: لا أدرى صفة الإيمان، أو قال: اذهب لفلان الفقيه أو غيره، أو أسلم كافر ثم مات أبوه فقال: ليتنى لم أسلم لأجل ميراثى. أو نادى يا كافرًا لبيك فقال: أنا كافر أيش عليك.

أو قال: آذيتنى كدت أن أكفر، أو قال: عمل لى عملاً حتى كفرت، أو علّم الارتداد لمطلقته الثلاث لتحل لزوجها بلا محلل ارتد المعلم أولاً وإذا [٢٤٣] رضيت هى ارتدت كذلك، ثم أسلمت لم تحل لزوجها، وكذلك إذا ارتدت المرأة لحقت بدار الحرب وتزوجت كافرًا ثم سبيت فاشتراها الزوج الذى طلقها ثلاثًا لم يجز له أن يطأها

إلا بالتحليل مع المسلم بعد إسلامها عند أهل السنة والجماعة خلافًا للروافض والفلاسفة.

أو قال للذى أسلم: أى ضرر لحقك فى دينك حتى انتقلت إلى عتق الإسلام. أو قال: هذا زمان الكفر ما بقى زمان الإسلام، أو قال لولده: يا ولد الكافر، أو قال للدابة التى نتجت عنده يا دابة الكافر بخلاف مالم تنتج عنده.

أو قال لامرأته: يا كافرة، فقالت: أنا هكذا أو هكذا أنا، طلقنى، بخلاف لو قالت: إن كنت هكذا لا تمسكنى. أو شد وسطه بزنار ودخل دار الحرب للتجارة بخلاف ما لو دخل ليخلص الأسباب بخلاف ما لو لبس السواد حلال والبياض أفضل.

أو قال لو: أعطانى الجنة لا أريدها دونك، أو لا أدخلها دونك أو قال: إن أمرنى الله تعالى بدخول الجنة معك أو معه لا أدخلها، أو قال: لو أعطانى الله الجنة لأجلك أو لأجل هذا العمل لا أريدها وإنما أريد رؤيته. أو أنكر القيامة أو الصراط أو الميزان أو الحساب أو الكتاب [٢٤٤] أو الجنة أو النار أو المصحف أو الصحائف أو الكتب المنزلة أو اللوح أو القلم، أو لا يرى الإرادة للبارى.

أو قال: فالله لا يرى ولا يراه أحد فى العلو ولا فى الثرى، أو شبهه بجسم وجوهر وصورة، أو وصفه بالمحال، أو وصفه فى المكان والجهات، أو قال: فالله لا يخلق فعل العبد، فالعبد يخلق فعله ثم يفعل، أو أنكر رؤية الله تعالى بالعين فى الجنة.

أوشك فى قول الكليم: أرنى، أو فى رسالة المرسلين، أوشك فى ثبوت وعده ووعيده، أو وصف محدثا بصفاته وأسمائه.

أو قال: لا يضر المسلم ذنب، أو رأى خلود المذنب فى النار أو حقر الدين أو حكمه أوشك فى فرائضه وحقوقه، وأحبه، أو يحب من يبغضه، أو يبغض رسوله، أو يبغض ما يحب رسوله.

أو آيس من الثواب أو آمن من العقاب أو أنكر الحلال والحرام ولا يبالى أيها تدخل فى يده، ولم يميزها، أو اعتقد تقدم الزمان والروح والأفلاك والأكوان، أو حقر نبيًّا، أو وقر الكافر، أو قيل له: دع الدنيا لتنال الآخرة قال: لا أترك نقدا بنسيئة.

أو قيل له: أتعلم الغيب؟ قال: نعم، أو قال المجوسى: على أى شىء وضعتم أيديكم؟

ويعتقد ما قالوا ويستحسنهم، أو قال: أنا أعلم بما كان وما لم يكن، أو قال للسلطان حين عطس: يرحمك ربك، [٢٤٥] وقال الآخر: لا يقال للسلطان هذا.

أو قال: فلان مات وسلمه روحه إليه، أو قال إذا شرع فى الفساد وقال: تعالوا حتى نطيب ونعيش طيبا، أو قال: إنى أحب الخمر ولا أصبر عنها.

أو قال: أفعل كل يوم أمثالك، أو أعمل مثلك من الطين؛ وعنى به من حيث الخلقة، بخلاف ما عنى به بيان ضعفه. أو قال: أريد خيرًا أو راحة فى الدنيا، دع ما يكون فى الآخرة أيش ما كان.

أو قيل له: انصرنى بالحق، فقال: أنصرك بالحق وبغير الحق، يكفر فى هذه المسائل كلها إن كان عن اعتقاد، وإن لم يعرف أنها لفظة الكفر وأتى باختيار يكفر عند البعض، وإذا اتفقوا فى الكفر يلزمه التوبة والرجوع، وتجديد النكاح، عندنا وعند مشايخ بخارى وعند مشايخ بلخ، والشافعى كفاهما تجديد الإيمان، ولا يؤمر بتجديد النكاح.

وأما إذا اختلفوا فى الكفر عندنا يؤمر بالتوبة وتجديد الإيمان والنكاح، وعلى المفتى أن يميل إلى الوجه الذى لا يكفر، وأما فى الكلام الخطأ يؤمر بالتوبة والاستغفار، وينبغى أن يتعود المسلم ذكر الله صباحًا ومساءً؛ فإنه سبيل النجاة من الكفر بوعد النبى ﷺ اللهم إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك عما لا أعلم.

* * *

الفصل الثانى فى الاختلاف: لفظ [٢٤٦] اختلف فى كفر صاحبه

ولو قال: أنا برىء من الله إن أفعل كذا، ثم فعل، حنث ولا يكفر، وكذا إن قال: إن فعلت كذا وقد فعله.

وقيل: إن كان عالمًا لا يكفر، وإن كان جاهلاً يكفر فى الماضى والمستقبل، ولو رضى بكفر غيره قال بعضهم: يكفر، وقال بعضهم: لا يكفر.

وكذلك لو قال: الله يظلمك كما ظلمتنى، أو قال: قبض الله روحك على الكفر. أو قال: يعلم الله أنى لم أفعل كذا وهو يعلم أنه قد فعل.

أو قال لخصم: لا أريد يمينه بالله بل بالطلاق والعتاق. أو قال: الله يعلم إنى بحزنك

وسرورك ما أنا بحزنى وسرورى، أو قال: الله يعلم إنى دائم أدعو لك.

أو قيل له: أحسن كما أحسن الله إليك، فقال: خاصم الله لماذا أعطانى إن أعطيت. أو قال: المعوذتان ليستا من القرآن، أو قال لشعر النبى ﷺ شعيرًا، أو قال: لو لم يأكل الحنطة [.......][1] فى هذا الملأ، أو ادعى نبوة وطلب الآخر معجزة، أو ردّ حديث النبى ﷺ.

أو قال: كثيرًا مما سمعنا، بطريق الاستهزاء، أو قال بعد أكل الحرام: الحمد لله.

أو قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أقول، أو قيل: صل فقال: لا أصلى وصلى بغير طهارة، أو قيل له: أدّ الزكاة قال: لا أؤدى. أو قال: الصوم يضر [٢٤٧] ويبالغ فى الضرر.

أو قال له خصمه: تعال إلى الشرع فقال: أنا عالم لا بالشرع. أو قال الفقيه وجهًا شرعيًّا فقال: هذا الذى قلته عمل السفهاء. أو قال: خففت سبيلك وعلقت فى عنقك كارة وتجنيت.

أو قالت امرأة لزوجها: يا كافر، قال: إن كنت هكذا لا تسكنين معى، أو قال: لم صحبتينى.

أو وضع على رأسه قلنسوة المجوسى بلا ضرورة برد، أو الخيانة شر من المجوسى، أو المجوسى خير من النصرانى، أو النصرانى خير من المجوسى وغيره.

أو قيل له: آخذ حقى يوم المحشر فقال: أيش شغلى مع المحشر، أو قال: أين تجدنى فى ذلك الجمع؟.

أو قيل له: أعطنى حقى عشرة وإلا آخذ منك يوم القيامة فقال: أعطنى عشرة أخرى وخذ عشرين، أو قال عند المبايعة: الكفر خير مما تفعل.

أو قال: أطيب الحال أن لا أصلى، أو سجد للسلطان وغيره. أو قبل الأرض وهو قريب من السجود إلا أنه أخف من وضع خد وجبين على الأرض.

أو قال: حتى يعيش به فلان، أو قال: ما دام هذا الذهب معى ما يعود فى رزقى.

---

(١) كلمة مطموسة بالمخطوط.

ففى هذه المسائل قال بعضهم: يكفر، وبعضهم: لا يكفر.

* * *

الفصل الثالث لفظ يخشى على صاحبه الكفر

إذا شتم رجل اسمه من أسماء النبى ﷺ فقال: يا ابن الزانية وهو ذاكر اسم [٢٤٨] النبى ﷺ.

أو قال له الفقيه وجهًا شرعيًا، فقال: هذا عمل الفقهاء أو تعمل معى عمل الفقهاء، ولا تعمل فإنه لا يتمشى الأمر. أو من أبغض عالمًا من غير سبب ظاهر، أو سمع الأذان والقرآن فتكلم كلام الدنيا.

أو قال للقراء: يتبعون أكل الربا، أو قال للحاج: وجهه عندى كوجه خنزير. أو قال: فلان يريد أن يموت، أو قال: أريد المال سواء كان حلالاً أو حراماً، أو قال: أحب إلَىَّ أيُّهما أسرع إلَىّ وصولاً.

أو قال: من نقص من عمر فلان زاد الله فى عمرك، أو قال: من ليس له درهم لا يساوى درهمًا ففى هذه المسائل يخشى عليه الكفر.

* * *

فصل فى الخطأ

لو قال: فلان فى عينى كيهودى فى عين الله، وعنى به استقباح فعله. أو قال: يد الله طويل وعنى به القدرة، أو قال: إن الله تعالى يطلع من السماء أو من العرش، أو قال: من بين يدى الله.

أو قال: يا رب لا ترض بهذا الظلم، أو قال: افعل شغل الله فالله يفعل شغلك. أو قال: فلان قضا سوى الله، أو قال: لا تخف من الله فى حالة الظلم.

أو قال: لو أنّ فلانًا نبيًا آخذ حقى منه وكان يطلب حقًا.

أو قال الصبى: استغفر الله.

أو قال: ليت الخمر حلالاً، أو قال: لا أدرى إيمانى صحيح أم لا؟ يريد به نفى الشك كما قال لنفسه: أيرغب فيه أحد أم لا؟.

أو [٢٤٩] كدت أو خشيت أن أكفر. أو قال: المجوسى شر من النصرانى، أو قال فى التعزية: مصيبة كبيرة. أو قال: أعطيت واحدًا وأخذته. أو قال: تأخذ ممن له واحد ولا تأخذ ممن له عشرة.

أو قال: أعمل عمل العبيد وآكل أكل الأحرار، أو قال: الفقر شقاوة.

* * *

فصل فى الكلام القبيح

لو قال: ها أنت وها الله، أو قال: هذا الأمر أرى من الله ومنك، هذا كلام قبيح بخلاف ما لو قال: أرى من الله والطبيب فهذا قول حسن. وتقبيل يد العالم والزاهد يرجى الثواب عند أبى يوسف وعندهما يكره تقبيل يد صاحب الدنيا والآنحناء فى حال التحية يكره وكذلك تقبيل يد نفسه فهو من رسوم الأعاجم.

ثم تعليم صفة الإيمان للناس وبيان خصال فى مذهب أهل السّنة والجماعة من أهم الأمور وأشد الأحوال، وهو أسبق وأقدم من كل هم ونحن نقرر ذلك.

واعلم أن من قال ما أمر الله تعالى به قبلت وما نهى انتهيت عنه فتكون مؤمنًا بالكل ويكون إيمانه صحيحًا والله أعلم.

* * *

٥٠ - باب ما يجرى على السكران

وَلاَ يَحْكُمْ بِكُفْرٍ حَالَ سُكْرٍ   بِمَا يَهْذِى وَيَلْغُو بِارْتِجَالِ

واعلم أن السكران بمنزلة المجنون إلا فى الطلاق والعتاق عندنا، وإذا تكلم بلفظ الكفر لا يحكم بالكفر إلى أن يفيق[1]؛ فإنه مؤمن وإن ذهب [٢٥٠] عقله؛ لأن الله تعالى سماه مؤمنا وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء: ٤٣].

فإن تاب تاب الله عليه، وإن مات قبل التوبة سكرانًا أو مفيقًا مات عاصيًا، نرجو له ونخاف عليه، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) قلت: إنما يصح طلاق السكران ويلزمه إرث جنايته وقيمة ما أتلفه؛ لأن مثل هذه الأحكام من أحكام الوضع لا أحكام التكليف، فالذى لا يصح من السكران التكليف لا الوضع، لذا قال المصنف: «وإذا تكلم بلفظ الكفر لا يحكم بالكفر إلى أن يفيق». ا.هـ.

٥١ – باب المعدوم ليس شىء

وَمَا المعْدُومُ مَرئِيًّا وَشَيئًا ... لِفِقْهٍ لاَحَ فى يُمْنِ الْهِلاَلِ

واعلم: أن المعدوم ليس بمرئى ولا شىء ولا يجوز أن يقال للمعدوم شىء، ولكن الله يعلم بعلمه القديم حال وجوده أن ما يوجد كيف وهو عنده معلوم.

وقالت المعتزلة: هو شىء واحتجت بقوله تعالى: ﴿**إن زلزلة الساعة شىء عظيم**﴾، والزلزلة معدومة، فسمى الله شيئًا، ونحن نقول: لأنه سماها فى الحال شيئًا، معناه تكون الزلزلة شيئًا عظيمًا وقت كونها ووجودها.

وإن قيل: المعدوم يسمى معلومًا فلم لا يسمى شيئًا؟ قلنا: لو لم نسمه معلومًا لوصفنا الله تعالى بالجهل، ولو سميناه شيئًا لقلنا بحدوث الأشياء الأزلية وهو بعينه مذهب الدهرية والزنادقة والأفلاكية والفلاسفة، وهم شر الدواب وأخبثها؛ لأنهم ينكرون الصانع ويقولون بقدم الدهر ويضيفون الأمور إلى الطبائع ونذكر الاختلاف فى المسألة الهيولى، والله تعالى أعلم [٢٥١].

* * *

٥٢ - باب معنى الهيولى

وَدُنْيَانَا حَدِيثٌ وَالْهَيُولَى عَدِيمُ الكَوْنِ فَاسْمَعْ بِاخْتِزَالِ

واعلم: أن الدنيا وما فيها والعالم محدث، والله تعالى أحدث العالم بعد أن كان معدومًا وخلقه لا من شيء، وكذلك جميع الأشياء. وقالت الأفلاكية، والفلاسفة، والدهرية، والمعتزلة، والزنادقة: العالم هيولى(١)؛ وهى طينة قديمة خلق الأشياء من تلك الطينة.

وقالت القدرية: بعض العالم مخلوق الله تعالى، وبعضه مخلوق العبد، فهذا هو الشركة وهو معنى قول النبى ﷺ: «القدرية والجبرية مجوس هذه الأمة»(٢).

---

(١) قلت: سيأتى فى كلام المصنف عدة معانى للهيولى، وخلاصة القول: أن بعضهم عبر عنه بالطينة، وبعضهم بالخميرة، والمعنى فى كل ذلك واحد إلا أن بعضهم قال: المراد بذلك الجسم متعريًا من جميع أعراضه وأبعاده.
وبعضهم قال: المراد بذلك الشيء الذى منه كون العالم، ومنه تكون على حسب اختلافهم فى الخالق أو إنكاره. (الفصل ٥/٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود فى «كتاب السنة» باب فى القدر. ٤/صـ٢٢١ حديث رقم: (٤٦٩١) من طريق ابن عمر عن النبى ﷺ ولم يذكر فيه الجبرية وإنما لفظة: «القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم» ا.هـ.
أخرجه الحاكم فى المستدرك (١/٨٥)، من طريق ابن أبى حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبى حازم من ابن عمر ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/٢٠٥) من طريق أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم».
وأيضًا ورد عن ابن عمر بلفظ أبى داود، وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة، وأورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/١٤٧) برقم (٢١٦) من طريق أبى بكر الصديق بلفظ: صنفان من أمتى لا يدخلون الجنة القدرية والمرجئة.
وأورده ابن عدى فى «الكامل فى الضعفاء» (٢/٦٢٥)، والمتقى الهندى فى كنز العمال (٥٦٦)، والمنذرى فى الترغيب والترهيب (١٠/٢٠٣)، والعجلونى فى كشف الخفا (١/٥٣٤). =

فإنهم يضيفون الخيرات إلى الله تعالى، والشرور إلى العبد، وقالوا: بأن الطينة لم توصف بالحركة والسكون والعرض والجوهر، والجسم لا يوصف الله بعض الصفات أبصر هذا الاعتقاد [.....](١).

قلنا: هذا القول منكم كذب، بل أخرج الله تعالى الأشياء كلها بكمال قدرته عن [......](٢) العدم إلى حيز الوجود، والهيولى فى العدم لما يتخذ فيه الشيء كالخف يتخذ منه [..........](٣).

وهم اختلفوا فى الطينة؛ قال بعضهم: هو الطبائع الأربعة؛ الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وأصل العالم هذه الأشياء الأربع، ولكنها قديمة عند الانفراد [٢٥٢] فإذا اختلط صار جسمًا، ومنهم من قال: هو الاستقصات وهو الماء والتراب والنار والهواء؛ فهؤلاء قديم عند الانفراد، فإذا امتزج واختلط وتركب صار جسمًا.

هذا مذهبهم ينكرون الصانع، ويقرون بقدم المصنوع، ويكون الأمر إلى الطبائع. ونرد عليهم ونقول: الدليل على أن العالم محدث وأنه محدث على هذا تغير الأشياء فى تكونها إلى حال من رطوبة إلى يبوسة ومن صحة إلى سقم، ومن قوة إلى ضعف، ومن الاستواء إلى الاعوجاج، فلو كان حدث بنفسها لما تغير عن حالها، فلما تغير عن حالها دل على أن لها مغيرًا محدثًا وصانعًا، فإذا ثبت أن لهم صانعًا ومحدثًا ثبت أن العالم محدث، والعالم اسم لما هو [..........](٤) يسمى عالمًا على وجود الصانع وهو بجميع أجزائه محدث [............](٥) من التغير وهو الحركة والسكون وهما حادثان لوجود أحدهما بعد انعدام الآخر،وما يقبل العدم فهو حادث، وما لا يخلو عن الحوادث

=قلت: وغاية القول فى هذا الحديث الضعف حتى وإن جاء فى سنن أبى داود فهو ضعيف، والله أعلم.

(١) ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة تماماً بالمخطوطة.

(٢) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٣) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٤) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٥) كلمة غير واضحة بالمخطوط. وأغلب ما فى هذه الورقة غير واضح، وأثبتنا ما استطعنا رسمه.

فهو حادث؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها فيه لا ينقض حاله بجملتها لا ينتهى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال.

وإنَّ [٢٥٣] الحركة والسكون يعتبران أجزاء العالم أنه يستحيل خلو الأجسام عنهما إذا لا يتصور وجود جسم فى مكان غير متحرك ولا ساكن، وكذا يستحيل وجود الحركة والسكون بغير جسم؛ لكونهما عرضًا والعرض لا قيام له بذاته، بل قيامه بالجواهر والأجسام، وإذا استحال خلو الأجسام عنهما استحال سبق الأجسام، إنّ فى السبق خلو الأجسام عنهما، وما لا يسبق الحادث فهو حادث ضرورة دلالة أن ما لا يسبق الحادث فهو حادث أن الشيئين إذا لم يتقدم أحدهما صاحبه فى الوجود وأحدهما حادث، فيكون الآخر حادثًا ضرورة بمشاركة حادث حال وجوده، وهذه العلوم ضرورة، ولا يقال: بأن الجوهر إذا كان ساكناً، ثم تحرك من مكانه قد انعدم المعنى الذي كان به الجوهر ساكناً، بل ذلك المعنى قائم فيه فظهور ذلك شرط لحصول السكون فيه.

قلنا: هذا لوجوب ذلك المعنى أو غيره، إن قالوا: عينه فلا يوجب اختصاص الجوهر بحركة؛ لأن الموجب للسكون وجود ذلك المعنى لما يرجع إلى ذاته كما دام ذلك المعنى قائمًا فيه كان الجوهر ساكنًا فلا يتصور الحركة، وإن قالوا: غيره فقد انعدم ذلك المعنى وزال.

فقد أقروا [٢٥٤] بعدم الإعراض فأهل الأهواء خالف فى هذه المسألة، بعضهم قائلون: بقدم العالم على ما عليه من الهيئة والتركيب، وأن الفلك لم يزل بشمسه وقمره.

وبعضهم قائلون بقدم العناصر والهيولى وهى مادة العالم عندهم، وهذه المركبات تحدث عنها؛ لأنه لا نطفة إلا من إنسان ولا إنسان إلا من نطفة، ولا بيضة إلا من دجاجة ولا دجاجة إلا من بيضة، لما غير ذلك.

ونحن نقول بحدوث العالم، وقد ذكرنا الدلائل على بطلان ما قالوا، فإذا ثبت أن العالم محدث لابد من محدث أحدثه وصانع أوجده دلالته بالسمع والعقل، فالسمع ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١].

وقوله: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ [الزمر: ٦٢]، وقوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهادا﴾ [النبأ: ٦]، ونظائرها كثيرة.

وأما العقل فلأن كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدمه وتأخره، فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يستيقن بالضرورة إلى مخصص، ثم ذلك المخصص لا يخلو إما أن يكون عين العالم، أو جزءًا من أجزائه، أو غيره لا وجه للأول؛ لأنه يوجب حدوثه حال عدمه حتى يحدث نفسه وهذا محال، ولا وجه للثانى [٢٥٥]؛ لأنه إذا وجد لا يتصور وجوده.

ثانيًا: حتى يخصص نفسه بالوجود، وإذا بطل القسمان يتعين القسم الثالث وهو أن يكون حدوثه بإحداث فاعل مختار، وكمثال قوة البناء لا يثبت بنفسه فلا بد له من بان يبنيه وصانع يصنعه، وذلك هو الله تعالى وهو الصانع المبدئ المبدع المغنى، قال الله تعالى: ﴿أفى الله شك فاطر السماوات والأرض﴾ [إبراهيم: ١٠].

وبهذا يبطل قول من علق حدوث العالم بالنفس والعقل والدهر والنجوم على ما اختلفت عباراتهم لأنّا نقول: حدوث العالم بهذه الأمثال بطريق العلة أو بطريق العقلية والاختيارات.

قالوا: فالأول فهو باطل؛ لأن تلك العلة لا تخلو إما أن تكون قديمة أو حادثة لا وجه للأول؛ لأنه لو كانت قديمة لكانت بوجه [..........][1] وهذا محال.

ولا وجه للثانى لأن وجود تلك العلة تحتاج إلى حادث آخر،وكذلك الثالث والرابع فيتسلسل إلى غير غاية وذلك باطل أيضًا. وإن قالوا: الثانى فهو الذى نريده، لكنهم أخطأوا فى القسمة فإذا ثبت أن البارى موجود هو صانع العالم فاعتقد أن معرفته واجبة على كل [٢٥٦] عاقل بالغ، وهو أول الواجبات على العبد دلالته بالسمع والعقل؛ أما السمع قوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩]، [.....][2] بأن يعرفه بالوحدانية والفردانية، والأمر بذات الوجوب، وقوله تعالى: ﴿واعبدوا ربكم﴾.

أى وحدوا، وقوله: ﴿وما قدروا الله﴾، أى ما عبدوا الله حق عبادته، وقوله: ﴿وما

(١) ما بين المعقوفتين كلام غير واضح بالمخطوط.

(٢) كلمة مطموسة فى المخطوطة.

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، أى ليعرفونه حق المعرفة، ويوجهم [..........][1] بإخلاص النية بين المقصود من إيجاب الخلق معرفته ويروى عن النبى ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: كنت كنزًا مخفيًا [..........][2] أن أعرف فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم فبى عرفونى»[3].

وأما العقل؛ لأن شكر نعمة المنعم واجب والله تعالى أنعم على عبده حيث خلقه وصوره ورزقه وأعطاه السمع والبصر والفؤاد والعقل [.......][4] وخلق له ما فى الأرض جميعًا، وسخر له ما فى السماوات وما فى الأرض وغير ذلك من الأنعام ما لا يحصى ولا يعد، قال الله تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فكان منعمًا وإذا ثبت أنه منعم على الحقيقة فشكره واجب، وأول درجة الشكر معرفة المنعم ووجوب معرفته طريقان؛ سمع وعقل، فالسمع [٢٥٧] ما ذكرناه.

والعقل فالكلام من وجهين؛ أحدهما الإمكان، والثانى الوجوب، أما الإمكان فيقول: معرفة الله تعالى ممكنة عقلاً دلالته بالسمع والعقل، أما السمع فمن وجهين أحدهما وهو أن الله تعالى أمرنا بمعرفته بالنصوص التى تلونا، فلولا أنها ممكنة عقلاً لما أمرنا بذلك؛ لأنه يؤدى إلى تكليف ما ليس فى وسعنا.

والثانى: قصة الخليل أنه عرف ربه بالعقل حيث تبرأ من الكواكب وتولى إلى الله

---

(١) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٢) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٣) أورده العجلونى فى كشف الخفاء (١٧٣/٢ برقم ٢٠١٦). بلفظ «كنت كنزًا لا أعرف». وقال وفى لفظ «فتعرفت إليهم فبى عرفونى».
قال ابن تيمية: ليس من كلام النبى ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشى والحافظ ابن حجر فى اللآلى، والسيوطى، وغيرهم، وقال القارى: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، أى: ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما والمشهور على الألسنة: «كنت كنزًا مخفيًا».
فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فبى عرفونى، وهو واقع كثير فى كلام الصوفية واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم. وأورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة المرفوعة (١٤٨/١). وقال: قال ابن تيمية: موضوع.

(٤) كلمة مطموسة بالمخطوط.

تعالى وقال: ﴿**إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين**﴾ [الأنعام: ٧٩].

وكذلك الكفار عرفوا الله تعالى بعقولهم قبل ورود الشرع كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿**قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله**﴾ [المؤمنون: ٨٦ - ٨٩].

نظائرها كثيرة، فلولا أن معرفته ممكنة بالعقل لما عرفوه قبل ورود الشرع، وأما العقل فهو: أن الأشياء تعرف بدلائلها وآثارها، فالعبد إذا نظر في المصنوعات والمخلوقات يستدل بها على أن لها صانعًا يدبرها، وفاعلاً يحكمها ويقدرها كما قال القائل:

ففي كل شيء [٢٥٨] له آية   تدل على أنه الواحد

وأما الوجوب؛ فتقول: إذا ثبت أن معرفته ممكنة بالعقل وجب على العبد أن يعرف خالقه وصانعه ورازقه ومنعمه لما ذكرنا أن شكر نعمة المنعم واجب عقلاً، ولكن العقل دليل على معنى أن خالق الوجوب هو الله تعالى، كالسمع سواء ولو قدر أن الله تعالى لم يبعث نبيًّا ولم يأمر عباده أن يعرفوه لكان ذلك واجبًا عليهم.

وبهذا قال أبو حنيفة، رحمه الله تعالى: لو أن الله تعالى أخلا العقل عن الرسل لكان الإيمان واجبًا عليهم والكفر به حرامًا، ولم يكونوا معذورين في الجهل به، لما يرون من الدلائل والآيات وعجائب خلق الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات والأشجار والزروع والثمار والجبال والسهول والبراري والآكام والعيون والبحار والأنهار العظام إلى غير ذلك من العرش إلى الثرى، وصل الخطاب بذلك أو لم يصل، ولحسنت معرفته في العقل، وقبح الجهل به، وما حسن في العقل حسن في الحكمة الإلهية.

وقال أبو الحسن الأشعري، والفِلاسفة [٢٥٩]، والمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء: إن معرفة الله تعالى، غير واجبة بالعقل بل واجبة بالسمع حتى أن الله تعالى، لو لم يبعث نبيًّا لم يجب على أحد معرفة الله تعالى، ولم يحسن ذلك في العقل، ولم يقبح الجهل به، والكفر والشرك وعبادة الصنم لم يكن حرامًا.

قلنا: هذا الكلام كفر عظيم حيث وصفتم المشركين الذين يعبدون الأصنام قبل الوحى من أهل الإسلام، وهم يحشرون يوم القيامة مع المسلمين بقولكم ففى الذى وقع فى الجزيرة أو بين الجبال وقت الصيحة لم يعرفوا الإسلام والكفر، ولا الخير والشر، ولا يرى نذيرًا ولا بشيرًا، ولا يعرف الدنيا والآخرة، ولا موتًا ولا حياةً.

اختلف المشايخ على أنه يحشر كافرًا أو مسلمًا، والذى يعبد الصنم كيف يكون الخلاف فى كفره؟ وكيف يكون معذورًا؟ وكيف يحكم قبح فعله بالحلال وله أن معرفة الله تعالى واجبة بالسمع، ولم تكن واجبة بالعقل؛ لأن أصحاب الكهف لم يكونوا مؤمنين بقولكم، وهم آمنوا بالعقل لا بالسمع، قال الله تعالى فى حقهم: ﴿**وزدناهم هدى**﴾ [الكهف: ١٣].

فسماهم مؤمنين، وقد ذكرنا الدلائل على بطلان قولهم غير هذا.

وأبو حنيفة، رضى الله تعالى عنه، ناظر مع دهرى [٢٦٠] فألزم عليه الحجة، فقال الدهرى: إنما تغيرت الأشياء من حال إلى حال؛ لأن بناها على الطبائع الأربع، فما دامت هذه الأربع مستوية فصاحبها مستوى أيضًا ومتى علمت الطبيعة منها على سائرها زالت عن الاستواء فزال استواء صاحبها أيضًا.

فقال أبو حنيفة، رضى الله تعالى عنه: أقررت بالصانع والمصنوع، والغالب والمغلوب، حيث أنكرت لأنك قلت: إحدى الطبائع تغلب على سائرها، وسائرها يصير مغلوبًا بها فأثبت أن العالم غالبًا فى الجملة فقد تعذبنا من مسلكهم، فعلمنا أن الغالب ليس هو إلا الله الصانع جلت قدرته، فجعل الدهرى يهذر ويلغو ويتجلجل. وكذا كل من ناظر أهل البدعة ألزم عليه الحجة حتى يهدى المبتدع ولا يضحك على كلامه؛ لأنه من تكلم بالكفر فضحك غيره، كفر المتكلم والضاحك والمستحسن.

وقيل: من تبسم فى وجه المبتدع فقد أعان على هدم الإسلام، وكيف العون لهم؟فقال أبو حنيفة، رحمه الله تعالى: إنى أتكلم مع الخصم حتى يهدى وليس لى أن أتكلم حتى يخرس؛ لأن الخرس معجزة للأنبياء لا لغيرهم، هدانا الله من ضلالتهم أبدًا.

وإذا ثبت أن العالم مصنوع الصانع، ثبت أنه أجسام [٢٦١] وأعراض وهو على نوعين: اختيارية واضطرارية، فالاضطرارية مثل الألوان، والأكوان، والطعوم وغير ذلك،

والاختيارية مثل أفعال العابد والقعود والقيام والمشى ونحوه؛ فإنا نضيف كل العالم لله تعالى، كما خلق صاحبهما، إلا أن للعبد فعلاً وكسبًا كما قال الله تعالى: ﴿**والله خالق كل شيء**﴾ [الرعد: ١٦].

فأفعال العباد من جملة الأشياء، وقال الله تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ لأن كلمتها إذا قرنت بالأفعال يراد بها نفس العمل كقول القائل: أعجبنى ما صنعت وما قمت - أى صنعك وقيامك - لأن قدرة الله قديمة لا يتخصص ببعض المقدورات دون البعض، بل يتعلق كل ما يصل مقدورًا.

وقالت القدرية والمعتزلة: خالق الأفعال الاختيارية فاعلها ومباشرها حيوانًا كان أو غير حيوان، وهو محدث بإحداثه لا صنع لله فى ذلك إلا أن الله تعالى يخلق قدرة الفعل فيه ثم أن العبد يفعل ذلك بتلك القدرة.

وخالق الأفعال الاضطرارية هو الله تعالى كالعضو [٢٦٢] المرتعش والعروق النابضة خالقهما هو الله تعالى إلا أن من العبد مباشرتها.

.واجتمعت المعتزلة والجبرية على مقدمة كاذبة وهو أن الشيء الواحد هل يكون مقدورًا تحت قادرين بجهتين مختلفتين، إلا أن المعتزلة أقاموا الدليل على أن خالق الأفعال فاعلها.

والجبرية أقامت الدليل على أن خالق الأفعال هو الله تعالى، ولا يرى من العبد فعلاً وكسبًا. وعند أهل السنة والجماعة: أن الشيء الواحد يكون مقدورًا تحت قادرين بجهتين مختلفتين؛ فإنه من الله تخليقًا وإيجاد، ومن العبد فعلاً وكسبًا ولا يجوز أن يكون مفعولاً تحت فاعلين عندنا.

وعند الجبرية: يكون مفعولاً تحت فاعلين والله أعلم.

وللدعوات تأثير بليغ وقد ينفيه أصحاب الضلال

واعلم أن للدعوات تأثير بليغ، يعنى فى صرف أثر القضاء المعلق دون المبرم، وفى دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات، والله يستجيب الدّعوات ويقضى الحاجات، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء ولا غنا عن الله طرفة عين، ومن استغنى عنه طرفة عين فقد كفر وأصحاب الضلال، يعنى المعتزلة، قالت: ليس فى الدنيا منفعة، ونرد عليهم

بقول النبى ﷺ: [٢٦٣] «فى دعاء الأحياء نفع للأموات»(١).

وقال ﷺ: «اهدوا أمواتكم». قالوا: وما الهداية؟ قال: «الدعاء والصدقة ألا ترى أنّ من مات وعليه الحجة أو دين فحج عنه أو يقضى دينه فيجوز وينفعه وكذلك الدعاء والصدقة ينفعه»(٢).

وقال ﷺ لعلى، رضى الله عنه: «تصدقوا عن أمواتكم، فإن الله تعالى قد وكّل ملائكة يحملون صدقات الأحياء إليهم فيفرحون بها كأشد ما يكون من الفرح ثم يجددون أحزانًا ويندمون على ما خلفوا ويقولون: اللهم اغفر لمن نور قبورنا وبشره

---

(١) هذا إشارة إلى الحديث الذى جاء فى الصحيح «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث ومنهم ولد صالح يدعو له».
وإن كان ما جاء به المصنف ليس لفظ حديث عن النبى لكن معناه صحيح فالدعاء للميت لا شك فى ثبوت الدليل على نفعه له ودعاء الصلاة على الميت بأن يغفر الله له وأن يوسع مدخله وأن يكرم نزله وغير هذا كثير لا حصر له والغاية أن بعض هذا فى السنة الصحيحة عن النبى ﷺ، والله أعلم.

(٢) الحديث أصله فى الصحيح بمعناه فالدعاء للميت والصدقة ورد فيه حديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»
أخرجه مسلم فى «كتاب الوصية» باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته». (١٢٥٥/١٤/٣) من طريق أبى هريرة . . . به.
وأخرجه أبو داود فى كتاب «الوصايا»، باب «ما جاء فى الصدقة عن الميت» (١١٧/٣)، برقم (٢٨٨٠) من طريق أبى هريرة . . . به.
وأخرجه الترمذى فى «كتاب الأحكام» باب فى الوقف (٦٥١/٣) برقم (١٣٧٦) من طريق أبى هريرة . . . . به.
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وأما عن الحج.
أورده ابن القيم فى «الروح» (١٦٧) وقال: أما وصول ثواب الحج ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: حجى أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالقضاء.
أخرجه البخارى فى كتاب «الاعتصام» باب «من شبه أصلاً معلومًا بأصل مبين» ٣٠٩/١٣) برقم (٧٣١٥) من طريق ابن عباس . . . . به.

بالجنة»[(١)]

فيا أسفا على ما خلفنا من بعدنا وكذا من جميع الخيرات من الصلاة والزكاة والصوم والحج وتلاوة القرآن والدعاء والتسبيح وأسماء الرحمن، إذا أهدى لهم يصل ثوابها إليهم، ويضىء نورها عليهم فيفرحون أشد الفرح، ويجدون قبورهم روضة الجنان، ويبقون فى روح وريحان ويفلحون من دركات النيران، ويجلسون على الجديد من الألوان، بين الزهرات فى البساتين، يجدون وصلة الإخوان وفرحة البنين والبنات، والآباء والأمهات، ويتلذذون بنعمة الجنان، هذا اعتقاد [٢٦٤] أهل السنة والجماعة فمن خالف يكون دهريًّا وفلاسفيًّا والله الهادى، وإليه تفويضى واستنادى.

* * *

(١) لم أجده فيما بين يدى من مصادر أما وصول ثواب الصدقة للميت ففيها أحاديث صحيحة منها ما هو فى الصحيحين عن عائشة، رضى الله عنها، أن رجلاً أتى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أمى افتلتت نفسها ولم توصى وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم».

٣٥- باب حساب القبر

وَفِـي الأَجْـدَاثِ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّي   سَيُبْلَـى كُـلُّ شَخْـصٍ بِالسُّؤَالِ

واعلم: أنّ سؤال منكرٍ ونكير للميت فى القبر عن ربه ودينه حق؛ لورود الأحاديث عن النبى ﷺ قال: «إذا دفن الميت فى قبره أتاه ملكان أسودان أزرقا العين وهما شخصان مهيبان مهيلان معهما مرزبتان يقعدان العبد فى القبر سويًّا فيسألاه عن ثلاثة من ربك وما دينك وما نبيك»، وقيل أيضا: «وما قبلتك وما إمامك وما إخوانك فإذا أجابهما وسّعا فى قبره سبعين ذراعًا عن يمينه وسبعين ذراعًا عن يساره ويقولان له ثبتك الله نم قرير العين، وإن كان كافرًا يقول: لا أدرى فيقولان: لا دريت فيضربانه بمرزبة يسمعهما ما بين الخافقين إلا الجن والإنس»[1].

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «الجنائز» باب «ما جاء فى عذاب القبر» (٣٧٤١٣) حديث رقم (١٠٧١). من طريق سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة. وقال أبو عيسى: حديث أبى هريرة حديث حسن غريب.

أخرجه البخارى فى كتاب «الجنائز» باب «الميت يسمع خفق النعال» (٢٤٤/٣ حديث رقم ١٣٣٨).

من طريق قتادة عن أنس بلفظ: «إذا وضع العبد فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم آتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا فى الجنة قال النبى ﷺ: فيراهما جميعًا».

وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه إلا الثقلين.

ومسلم فى كتاب «الجنة وصفة نعيمها» باب «عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه». (٢٢٠٠/٧٠/٤).

من طريق قتادة عن أنس بلفظ البخارى لكن لم يذكر فيه ضربه .... الحديث.

والنسائى فى كتاب «الجنائز» باب «مسألة الكافر» (٤٠٣/٤) برقم (٢٠٥٠). من طريق قتادة عن أنس بلفظ البخارى السابق.

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف» (٤١٥/١٠)، من حديث أنس وقال روى أحمد وأبو داود والبيهقى فى عذاب القبر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها=

وعن حازم، قال ﷺ لعمر، رضى الله عنه: «يا عمر كيف بك وجاء فتانا القبر منكر ونكير ملكان أسودان أزرقان يبحثان الأرض بأنيابهما ويطأن فى شعورهما أصواتيهما كالرعد القاصف [٢٦٥] وأبصارهما كالبرق الخاطف؟»[1].

قال عمر، رضى الله عنه: يا رسول الله أمعى عقل وأنا على ما أنا عليه اليوم؟ قال: «نعم».

=وإن المؤمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك فسأله ما كنت تعبد، فإن الله هداه، قال: أعبد الله فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول: هو عبد الله ورسوله فما يسأل عن شيء بعدها، فينطلق به إلى بيت كان له فى النار، فيقال: هذا بيتك كان لك فى النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتًا فى الجنة فيقول: دعونى حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له: اسكن، وإن الكافر إن وضع فى قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له: ما كنت تعبد، فيقول: لا أدرى، فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس، فيضربونه بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين . . . ا.هـ.

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥٤/٣) من طريق قتادة عن أنس . . . . به.

وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه ابن لهيعة قلت: وفيه كلام.

وأخرجه أحمد فى مسنده (١٢٦/٢) من طريق قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه . . . به.

(١) أورده الغزالى فى «الإحياء» (١٢٤/٥). من طريق عطاء بن يسار قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه . . . . به.

وقال العراقى: حديث عطاء بن يسار وقال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر . . . الحديث.

أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب «القبور» هكذا مرسلاً ورجاله ثقات.

قال البيهقى فى الاعتقاد: ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً قلت: ووصله ابن بطة فى الإبانة من حديث ابن عباس.

ورواه البيهقى فى الاعتقاد من حديث عمر وقال: غريب بهذا الإسناد وتفرد به متصل.

ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر: أيرد إلينا عقولنا؟ فقال: «نعم كهيئتكم اليوم» فقال عمر . . . . الحديث.

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف» (٤١٤/١٠). من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن أبى شمر عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه . . . به وكذلك فى (٤١٤/١٠) من طريق عمر المتقدم ذكره.

وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٣٦٣/٤) برقم (٤٦٠٣) من طريق عطاء بن يسار قال.. . . . . به.

وهو حديث مطول منقسم إلى حديثين وقال: رجاله ثقات مع إرساله.

قال: إذًا كفيتهما بإذن الله تعالى، قال ﷺ: «إنَّ عمر لموفق»[1]. وعلى هذا دلائل كثيرة، فمن أنكر سؤالهما كانَ معتزليًا، وقدريًّا، وجهميًّا، ونجاريًّا؛ لأن الأنبياء عليهم السلام يسألون: على ماذا تركت أمتهم، وهم معصومون من المعاصى، وكيف لا يسأل الأمم وهم غير معصومين من المعاصى، فأهل الأهواء ينكرون الحياة فى الأجداث - يعنى فى القبور، ويشكون السؤال فى اللحود، وفى يوم النشور، ولا يقرون بإثبات الملكين إلى العبد بعد خروج نفسه وحلول رمسه، ونحن نقر بذلك كله والله الهادى، وللكفار والفساق يقضى عذاب القبر من سوء الفعال.

* * *

عذاب القبر من سوء الفعال

واعلم: أنّ عذاب القبر للكفار، ولمن كان مستحقًا من المؤمنين حق، والإنعام لأهل الطاعات، ولهم إيصال اللذّات وأرواحهم وأبدانهم فى الرَّاحات بذلك عند أهل السنة والجماعة حق يخلق الله فى القبر فى الميت ضرب الحياة بقدر ما يتألم به إن كان كافرًا ويتلذذ بالإكرام إن كان مؤمنا قوله تعالى: ﴿**أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ [غافر: ١١]. وللكفار عذاب القبر يوم القيامة ثم [٢٦٦] فى النار أبدًا خالدًا.

والمؤمن الفاسق فى مشيئة الله تعالى، إن شاء يرحمه فى القبر وإن شاء يعذبه، والدليل على عذاب القبر قوله تعالى: ﴿**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا**﴾ [طه: ١٢٤]، أراد به عذاب القبر، وقوله تعالى: ﴿**سنعذبهم مرتين**﴾ [التوبة: ١٠١] كما فى التفسير مرة فى القبر، ومرة فى القيامة قوله: ﴿**وإن للذين ظلموا عذابًا دون ذلك**﴾ [الطور: ٤٧]. وهو عذاب القبر، وقوله تعالى: ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**﴾ [السجدة: ٢١]. جاء فى التفسير: الأدنى عذاب القبر، وقوله تعالى: ﴿**يعرضون عليها غدوًا وعشيًّا**﴾ [غافر: ٤٦]، أثبت عرض آل فرعون على النار قبل القيامة غدوًّا وعشيًا، وليس كذلك إلا عذاب القبر.

وقوله تعالى فى قوم نوح: ﴿**أُغرقوا فأدخلوا نارًا**﴾ [نوح: ٢٥] والفاء للتعقيب دخلوا فى النار بعد الغرق، وذلك فى الدنيا، وقال فى دعاء فى الميت: «اللهم أكرم منقلبه وقه عذاب القبر».

---

(١) انظر الحديث السابق.

ولو لم يكن عذاب القبر لم يدعو بهذا الدعاء؟ وقال النبى ﷺ: «إن الميت ليعذب فى قبره ببكاء أهله». ومن كذب بعذاب القبر.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ سورة الملك كل ليلة لا يكون له عذاب»[(١)]. مرّ النبى ﷺ بقبرين وقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان بكبيرة أما أحدهما فكان لا ينتثر من البول والآخر [٢٦٧] يمشى بالنميمة»[(٢)].

---

(١) أخرجه النسائى فى: «عمل اليوم والليلة» (٤٣٣) حديث رقم (٧١١).
من طريق زر، عن عبد الله بن مسعود بلفظ: من قرأ: «تبارك الذى بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر».
وكنا فى عهد رسول الله ﷺ، نسميها المانعة، وإنها فى كتاب الله سورة من قرأ بها فى كل ليلة فقد أكثر وأطاب.
وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٤٩/١/٢) مطولاً من طريق زر، عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.
وأورده المنذرى فى كتاب «الترغيب والترهيب» (٤٤٧/٢) حديث رقم (٧)، من طريق عبد الله ابن مسعود وقال: رواه النسائى واللفظ له والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
وأورده الزبيدى فى كتاب «الإتحاف» (١٥٤/٥) من طريق البراء، رضى الله عنه، رفعه: من قرأ «ألم تنزيل» «السجدة، وتبارك» قبل أن ينام نجا من عذاب القبر ومن الفتانين.
وروى الترمذى من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ «ألم تنزيل السجدة» وتبارك الذى بيده الملك . . . ا.هـ.
وأورده الألبانى فى الصحيحة (٥٨٥) ونسبه إلى الترمذى والدارمى وأحمد والبغوى فى تفسيره عن ليث، عن أبى الزبير، عن جابر مرفوعًا بلفظ.
كان لا ينام حتى يقرأ (ألم تنزيل) السجدة (وتبارك الذى بيده الملك).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب «الجنائز» باب «الجريدة على القبر» (٢٦٤١٣) حديث رقم (١٣٦١).
من طريق طاوس عن ابن عباس . . . . به وزاد عليه «ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».
وأخرجه البخارى أيضًا فى «كتاب الأدب» باب «ما جاء فى الغيبة» (٤٨٤/١٠) (٦٠٥٢) من طريق طاوس عن ابن عباس وزاد عليه كما زاد فى الحديث السابق.
وأخرجه مسلم فى كتاب «الطهارة» باب «الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه» =

وعلى هذا دلائل كثيرة أن عذاب القبر حق للفجار وروضة حق للأبرار كما قال النبى ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[1]، ومن أنكر

=(١/٢٤٠) من طريق طاوس عن ابن عباس. وأبو داود فى كتاب «الطهارة» باب الاستبراء من البول» (١/٦) حديث رقم (٢٠) من طريق طاوس عن ابن عباس . . . . . . به.

وزاد عليه لفظًا آخر «ثم دعا بعسيب رطب فشق باثنين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا وقال «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وأخرجه الترمذى فى كتاب «الطهارة» باب «ما جاء فى التشديد فى البول» (١/١٠٢) حديث رقم (٧٠)، من طريق طاوس، عن ابن عباس.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائى فى كتاب «الطهارة» باب «التنزة عن البول» (١/٣٣) حديث رقم (٣١) من طريق طاوس عن ابن عباس.

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب «الطهارة» باب «التشديد فى البول» (١/١٢٥) حديث رقم (٣٤٧).

وأخرجه أحمد فى المسند (١/٢٢٥) وأورده البيهقى فى السنن الكبرى (١/١٠٤).

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/٢٠٧) من حديث عائشة، رضى الله عنها، وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله موثقون إلاّ شيخ الطبرانى محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعى المصرى، فإنى لم أعرفه.

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب «صفة القيامة» باب «حدثنا محمد بن أحمد بن مدوية». (٤/٥٥١) حديث رقم (٢٤٦٠). من طريق عطية عن أبى سعيد . . . به.

وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وأورده المنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٤/٢٣٨) حديث رقم (٤). وقال رواه الترمذى من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافى وهو رواه عن عطية وهو العوفى عن أبى سعيد وقال الترمذى: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٤٦١٣) من طريق أبى هريرة، وهذا لفظه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فجلس إلى قبر، فقال: ما يأتى على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادى بصوت ذلق طلق: يا ابن آدم كيف نسيتنى؟ ألم تعلم أنى بيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلاّ من وسعنى الله عليه، ثم قال رسول الله ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه محمد بن أيوب بن سويد، وهو ضعيف.

وأورده الزبيدى فى «الإتحاف» (٥/٢٣). وقال رواه الترمذى من حديث أبى سعيد بتقديم =

عذاب القبر أو قال: لا أعرف عذاب القبر كائن أم لا صار جهميًّا، وقدريًّا، ونجاريًّا، ومعتزليًّا.

وهم يجعلون العقل حاسة كالسمع والبصر والذوق والشم واللمس ويبنون الأمور على عقولهم، ويقولون: نرى ونشاهد هذا الميت لا يتألم بإيلامنا فى الشاهد وكذلك فى الغائب، ولهذا أنكروا تسبيح الجماد، ويقولون: لو كان له تسبيح لسمعنا، ونحن نقول الدليل على تسبيح الجماد، قوله تعالى: ﴿**وإن من شىء إلا يسبح بحمده**﴾ [الإسراء: ٤٤].

وإن العقول محدثة معرضة للعجز، والضعف، والكلام، والتلاشى، كما قال ﷺ: «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله»(١).

يعنى لا يحتاجون إلى الفكر فى الله، فلو تفكرتم فى الله لتلاشا فهمكم وذهل عقلكم.

فلعمرى إنه أثبت بحسن العقل فالمعقولات للمدركات لا لغير المعقولات وهو يتوقف فى غير معقول حتى يرد السمع فيتبعه إذا كان عقله سليمًا غير سقيم مثل اتباعه إياه فى الضار والنافع.

فأراد الجهمية والقدرية والمعتزلية أن يدرك كنه الربوبية بعقولهم العاجزة الكالة متى [٢٦٨] مرضت عقولهم، وزاحم المنافقون فى هذا قال الله تعالى فى شأنهم: ﴿**فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا**﴾ [البقرة: ١٠].

وكل عقل إذا كان سليمًا يتوقف فيما لا يستدرك بالعقل حتى يرد السمع فإذا ورد السمع يتبعه والله أعلم.

* * *

=وتأخير، وقال: غريب. قال العراقى: قلت: فيه عُبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف. كذلك ورواه الطبرانى بسند ضعيف.

(١) أخرجه الزبيدى فى «إتحاف السادة» (١/ ١٦٢، ٣٢٠، ٦/ ٥٣٦، ١٠/ ١٦١) والمتقى الهندى فى «كنز العمال» (٥٧٠٥، ٥٧٠٨)، والعراقى فى «المغنى» (٤/ ٤١٠)، والعجلونى فى «كشف الخفا» (١/ ٣٧١). وأخرج نحوه ابن كثير فى تفسيره (٧/ ٤٤٢)، والسيوطى فى «الدر المنثور» (٢/ ١١٠، ٦/ ١٣٠)، والقرطبى (٤/ ٣١٢)، والألبانى فى «الصحيحة» (١٧٨٨).

٥٤- باب الحساب بعد البعث

حَسَابُ النَّاسِ بَعْدَ الْبَعْثِ حَــقٌّ   فَكُونُوا بِالتَّحَرزِ عَـنْ وَبَــالِ

واعلم أن الحساب حق بعد البعث، والله يحاسب عباده بعد البعث على أفعالهم وأقوالهم قليلاً كان أو كثيرًا فى عرصات القيامة بلا ترجمان بينه وبين عباده، وهو يسأل العبد والعبد يجيب، والناس متفاوتون فى ذلك إلى المناقش فى الحساب والى مسامح فى الجنة بغير حساب وإلى من يدخل النار بغير حساب، كما قال الله تعالى: ﴿**لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]. ﴿**فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا**﴾[الانشقاق: ٨].

وقال النبى ﷺ: «حلها حساب وحرامها عذاب»[١]. ومن أنكر الحساب ولم يره حقًّا صار فلسفيًّا، وجهميًّا، وقدريًا، ومعتزليًّا فهم ينكرون الحساب ولا يخافون العذاب.

* * *

---

(١) لم أجده.

٥٥- باب صفة الميزان والصراط

وَحَــقٌّ وَزْنُ أَعْمَــالٍ وَجَــرْىٌ عَلَى مَتْنِ الصِّــرَاطِ بِـلاَ اهْتِبَالِ

واعلم: أن الميزان والصراط حق ومن لم يرها كان جهميًّا وقدريا ومعتزليا، وللميزان كفتان كل كفة [٢٦٩] عظمها مثل أطباق السماوات والأرض، فيوزن أعمال المتقين والمؤمنين عليه، قوله تعالى: ﴿**فأما من ثقلت موازينه**﴾ [القارعة: ٦]. ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿**فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية**﴾ [القارعة: ٧ - ٩].

فالدليل على الصراط حق، وهو جسر من جسور جهنم، ممدود عليها، فَتَزِلُّ عنه أقدام الكافرين والمنافقين فيقعوا مكبين على مناخرهم فى النار، ويثبت أقدام المؤمنين المتقين فيعبرون عليها ويصلون إلى دار القرار، دلالته قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا**﴾.

وقال النبى ﷺ: «إن الله تعالى خلق للناس جسرًا وهو الصراط وهو سبع قناطر أرق من الشعر وأحد من السيف وأظلم من الليل كل قنطرة منها مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف صعود وألف هبوط وألف استواء فيحاسب العبد فى أولها عن الإيمان، وفى الثانى عن الصلاة بالأركان، وفى الثالث عن الزكاة بالإيقان، وفى الرابع عن صوم شهر رمضان، وفى الخامس عن الحج والقربان، وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة بالإسباغ والبيان، وفى السابع عن الوالدين وصلة الرحم والإصلاح [٢٧٠] بين الإخوان، فإن أجاب فى جميعه بتمامها يمر على الصراط كالبرق الخاطف وإلا تردى فى النار»(١).

نعوذ بالله من الخذلان ونرجو منه الفضل والرضوان.

فمن أنكر الصراط والعبور عليه صار منافقًا بالكفران، وأنكرت المعتزلة الملعونة كون الصراط والميزان، وقالت: إن الله تعالى قال: ﴿**فريق فى الجنة وفريق فى السعير**﴾

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ولكن بلفظ قريب أخرجه: الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٤٨٤، ٢/ ٢٢٠)، والمنذرى فى «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٢٨)، وابن حجر فى «المطالب العالية (٤٦١٧)، والعراقى فى «المغنى» (٤/ ٥٠٩)، والعجلونى فى «كشف الخفا» (٢/ ٣١) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٤/ ١٣).

[الشورى:٧]. وليس هنا قسم ثالث.

قلنا: إنكاركم هذا يؤدى إلى تعطيل النص والخبر، وقد ذكرنا دليلين فإن أنكرتم فقد كفرتم، ودليل آخر عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار﴾** [إبراهيم:٤٨].

فإذا بدلت الأرض والناس أين يكونون؟ قال النبى ﷺ: «يكونون على الصراط»[(١)]، فمن أراد أن يعبر على الصراط، فيلازم الخوف بالحذر والرجاء وطلب رضا الجبار، والنية بقصد عمل الأبرار، والدعاء بالحمد فى الخلوة والجهار، والاستغفار بالندم والفرار، والعلانية بالسريرة فى الأسرار، والكد بإخلاص العمل كالمهاجرين والأنصار، فهذه السبعة بلا قرينها هدر وإجبار، فمن أنسها يعبر على [٢٧١] الصراط ويأمن من البأس ويدخل بالفوز والكرم فى دار القرار، ويبقى خالدًا مخلدًا فى دار نعم عقبى الدار،

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب فى البعث والنشور وصفة الأرض (٢٩/٤) من طريق مسروق عن عائشة.

الترمذى فى كتاب «تفسير القرآن» باب «من سورة إبراهيم عليه السلام» (٢٧٦/٥) حديث رقم (٣١٢١). من طريق مسروق قال: تلت عائشة هذه الآية فذكرته.

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وروى من غير هذا الوجه عن عائشة.

وأخرجه ابن ماجه فى كتاب «الزهد» باب «ذكر البعث» (١٤٣٠/٢) حديث رقم (٤٢٧٩) من طريق مسروق عن عائشة.

وأخرجه الإمام أحمد فى المسند (٣٥/٦) من طريق مسروق عن عائشة. وفى (١٠١/٦) من طريق: القاسم بن الفضل قال: حدثنا الحسن، قالت عائشة بلفظ: يا رسول الله «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات أين الناس؟ قال: إن هذا الشىء ما سألنى عنه أحد من أمتى قبلك، الناس على الصراط».

وأخرجه الدارمى فى كتاب «الرقائق» باب قوله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات»، (٤٢٣/٢) برقم (٢٨٠٩) من طريق مسروق عن عائشة.

وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٣٥٢/٢)، من طريق مسروق، عن عائشة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

وأورده الحميدى فى مسنده (١٣٢/١) برقم (٢٧٤) من طريق مسروق، عن عائشة، وزاد فيه لفظ: «يا بنت الصديق».

ويكون بعيدًا من منازل أهل الأهواء والكفار، ويجد اللقاء والتلاق عند ربه الجبار.

وهذا بعد بيان العهد فى دار المحنة والاضطرار، وقال الجليل جل جلاله: ﴿**وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون**﴾ [البقرة: ٤٠].

وقد ذكرنا تفسيرها فى المسألة الروية، ثم الخدمة لا تصلح للرحمن إلا بها، أمر به فى القرآن، ثم نأخذ قول أهل السنة والجماعة، ونترك أفعال أهل البدعة والضلالة، فمن صدق بهذه العقيدة وقع فى تلك النعمة، ومن كذب بها يهوى مع أهل الهوى فى الجمرة، نسأل الله تعالى أن يثبتنا فى دين الإسلام على الصراط المستقيم، ويحفظنا من كل قلب سقيم، والله أعلم.

* * *

٥٦- باب فمن أوتى كتابه

وتُعْطَى الْكُتْبُ بَعْضًا نَحْوَ يُمنى وَبَعْضها نَحْوَ ظَهْرٍ وَالشِّمالِ

واعلم: أن قراءة الكتب حق يوم القيامة، ويوم الندامة، ويوم الحشر والملامة كما قال الجليل جل جلاله: ﴿**وكلَّ إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورًا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾ [الاسراء: ١٣، ١٤]. وقوله تعالى: ﴿**ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدًا**﴾ [٢٧٢] [الكهف: ٤٩].

يؤتى كتاب المؤمن بيمينه كالهلال مبيض الوجه، والكتاب بالنور والكمال مكتوب فى عنوانه الكتاب الكريم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الجليل إلى الصالح الخليل أدخلوه فى جنة عالية قطوفها دانية، ثم يناديه ذو الجلال: يا عبدى إلى قربى ورؤيتى تعالى نعم العبد عبدًا ترك دنياه وتزود لعقباه، عبد لمولاه وجد الجنة مأواه ثم يقرأ المؤمن كتابه ووجد فيه ثوابه، أبعد الله عنه عقابه، ويسر عليه حسابه.

ثم استقبل إليه الملائكة، والغلمان، والولدان والحور، وفتحت له أبواب الجنان والقصور ثم ينادى المنادى سعد فلان بن فلان سعادة دائمة بالروح والريحان حوله الخدم ينشرون عليه المسك والرياحين وألبسوه الحلل وتاج اليقين جالس على السرير بين الفراش الحرير مركبه البراق وقد وجد التلاق يمشى إلى الجنان بالفرح والسرور فى يده اليمنى كتابه المنشور كما قال الله تعالى: ﴿**فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه**﴾ [٢٧٣] [الحاقة: ١٩، ٢٠].

وقال: ﴿**وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا**﴾ [الانشقاق: ٦ - ٩]. ويؤتى كتاب الكافر والمنافق بشماله مسودًّا وجهه ومردود إلى قفاه، ويدخل شماله من صدره ويخرج من بين كتفيه، ثم قرأ كتابه السوء وجد كما عمل من الموعد، يضربونه الملائكة بالمقامع الحديد، ويصبون عليه من الحميم والصديد، وألبسوه لباس القطران، وأوثقوه الأغلال والسلاسل مقرونًا مع الشياطين، ويسحبون على وجوههم فى العرصات بين الخلائق وهو ينادى واحسرتاه واندامتاه، وأحيائى من الخلائق مكتوب فى كتابه بئس العبد قد عَبَد الأصنام والشياطين وترك

عبادة الرحمن أدخلوه النيران، بين العقارب والثعابين، ثم ينادى المنادى: شقى فلان بن فلان شقاوة أبدية بالحرمان خذوه فغلوه إلى آخره.

فى القرآن يعذب بنكال الألوان والجوع والعطشان، تخرج شعلة نار من كتابه تحرقه وتوجعه يتعجب النار من عقابه يقاد إلى النار، بحبل القطيعة كالأسارى يبكى ويصيح بالويل والثبور والخسارة، وهو كما قال الجليل جل جلاله: ﴿**وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه**﴾ [٢٧٤] [الحاقة: ٢٥، ٢٦].

وقال: ﴿**وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورًا ويصلى سعيرًا**﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢].

ومن أنكرها صار كافرًا؛ لأنه لم يؤمن بهذه الآيات، والله الموفق للسداد وإليه المرجع والمعاد، والله أعلم.

وهذا ما بلغنا من أساتذتنا الطيبين الطاهرين، رئيس أهل السنة، والجماعة بسمرقندى وبخارى، وهذا ديننا، واعتقادنا باطنًا وظاهرًا، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من كل من خالف الذى ذكرناه وبنيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه، ويختم لنا به وأن يعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية مثل المشبهة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، والمعتزلة، والكرامية، والرافضة، والخوارج، والسوفسطائية، والشيعة، والقرامطة، والفلاسفة، وغيرهم من أهل الأهواء والبدعة.

الذين خالفوا السنة والجماعة، وأخذوا الكفر والضلالة، ونحن منهم نتبرأ، وهم عندنا ضلال أردياء وأشقياء، فمن اعتقد جميع ما ذكرنا موقنًا به، مصدقًا له، كان من أهل الحق وعصابة المسلمين، وفارق أهل رهط الضلالة وحزب المبتدعين.

نسأل الله الثبات على الدين القويم، وعلى هذا المذهب المستقيم، والعصمة من الشيطان الرجيم، والشهادة عند [٢٧٥] النزع والتسليم بفضله إنه هو الغفور الرحيم، وجواد كريم، ذو المن وذو الفضل الحكيم حى قيوم رؤوف عطوف صبور حكيم شكور عليم إنه أرحم الراحمين، واغفر لنا ولوالدينا واغفر لكل المسلمين أجمعين، اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس